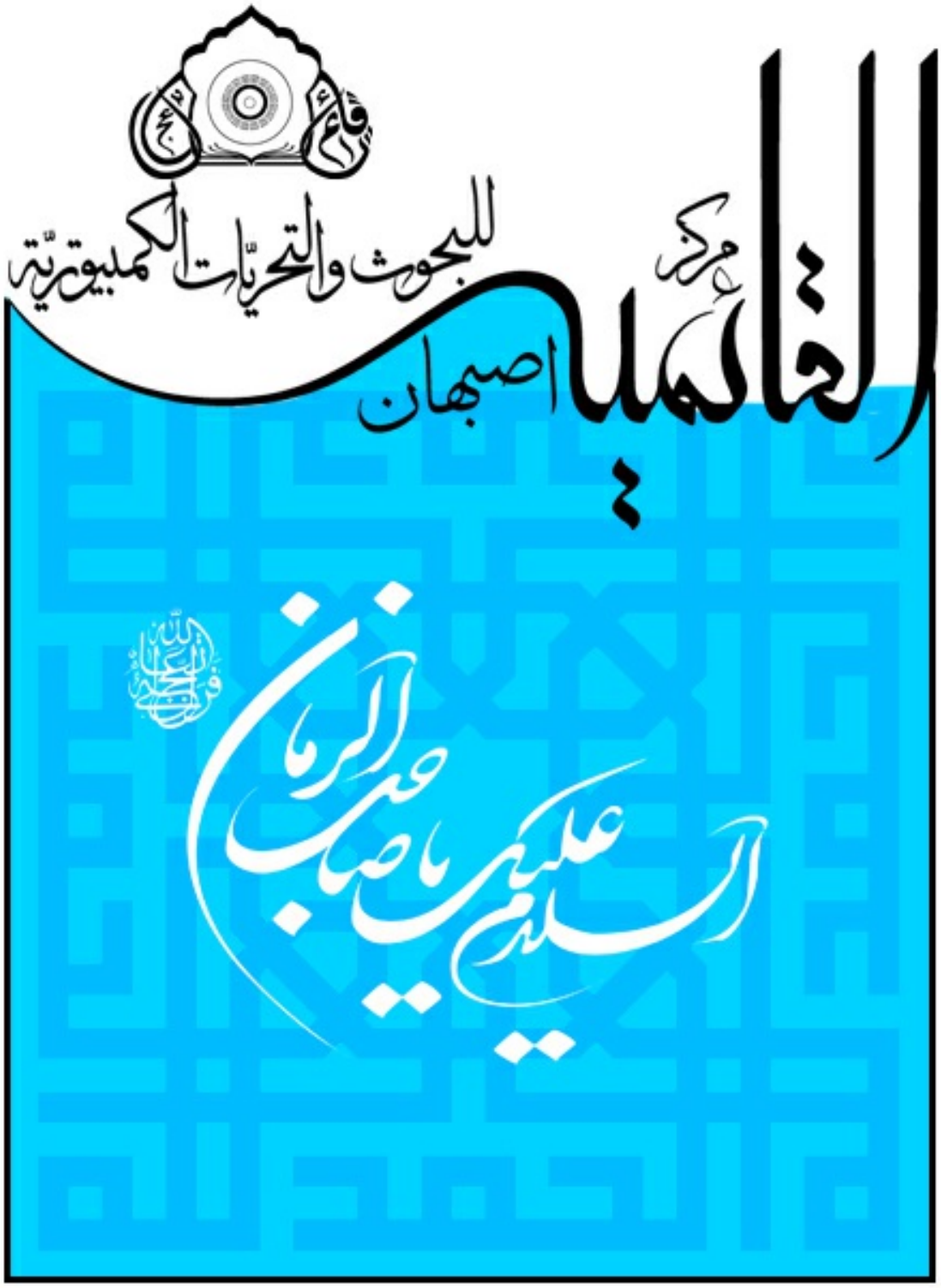

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

نهج الصباغة

في شرح

نهج البلاغة

للعلامة المحقق الحاج الشيخ محمد باقر التستري

المجلد الأول

بسم الله الرحمن الرحیم

بهج الصباغه فی شرح نهج البلاغه علی بن ابی طالب (علیه السلام)

كاتب:

محمد تقی شوشتری (تستری)

نشرت فی الطباعة:

دار بیروت

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
بهج الصباغه فی شرح نهج البلاغه علی بن ابی طالب (ع): المجلد ۱ ----- ۹
اشاره ----- ۹
فهرس المطالب ----- ۱۳
کلمه فی حیاه المؤلف ----- ۲۱
دلیل القارئ ----- ۲۵
مقدّمه مؤسسه نهج البلاغه ----- ۲۷
مقدّمه المؤلّف ----- ۲۹
شرح خطبه الرّضی ----- ۵۶
اشاره ----- ۵۶
ما قاله الشارح المعتزلی فی فضائله علیه السّلام: ----- ۸۸
الفصل الأوّل: فی التوحید ----- ۱۵۵
اشاره ----- ۱۵۵
۱ ----- ۱۵۸
۲ ----- ۱۷۰
۳ ----- ۱۷۵
۴ ----- ۱۷۶
اشاره ----- ۱۷۶
مناظره ابن أبی العوجاء مع الصادق علیه السّلام: ----- ۱۸۴
۵ ----- ۱۸۹
۶ ----- ۱۹۹
۷ ----- ۲۰۲
۸ ----- ۲۱۱
۹ ----- ۲۲۱

۱۰ ---------- ۲۲۴
۱۱ ---------- ۲۲۹
۱۲ ---------- ۲۳۶
۱۳ ---------- ۲۳۹
۱۴ ---------- ۲۴۷
۱۵ ---------- ۲۵۵
۱۶ ---------- ۲۵۹
۱۷ ---------- ۲۶۸
۱۸ ---------- ۲۷۲
۱۹ ---------- ۲۷۹
۲۰ ---------- ۲۹۱
۲۱ ---------- ۲۹۴
۲۲ ---------- ۲۹۵
۲۳ ---------- ۲۹۹
۲۴ ---------- ۳۰۷
۲۵ ---------- ۳۱۴
۲۶ ---------- ۳۵۴
۲۷ ---------- ۳۵۶
۲۸ ---------- ۳۶۰
۲۹ ---------- ۳۶۴
۳۰ ---------- ۳۸۶
۳۱ ---------- ۳۸۷
۳۲ ---------- ۳۹۲
۳۳ ---------- ۳۹۷
۳۴ ---------- ۴۰۱
۳۵ ---------- ۴۰۴

۳۶ ---- ۴۰۶
۳۷ ---- ۴۱۱
۳۸ ---- ۴۱۱
۳۹ ---- ۴۱۴
۴۰ ---- ۴۱۶
۴۱ ---- ۴۱۸
۴۲ ---- ۴۲۲
۴۳ ---- ۴۲۷
۴۴ ---- ۴۲۸
۴۵ ---- ۴۳۰
۴۶ ---- ۴۳۴
۴۷ ---- ۴۳۶
۴۸ ---- ۴۳۸
۴۹ ---- ۴۴۴
۵۰ ---- ۴۵۱
۵۱ ---- ۴۵۳
۵۲ ---- ۴۶۶
۵۳ ---- ۴۶۷
الفصل الثانی: فی خلق السّماء و الأرض و الشمس و القمر و النّجوم و العرش و الکرسیّ ---- ۴۷۸
اشاره ---- ۴۷۸
۱ ---- ۴۸۰
۲ ---- ۴۹۲
۳ ---- ۵۰۹
۴ ---- ۵۳۱
۵ ---- ۵۴۳
۶ ---- ۵۴۹

الفصل الثالث: فی خلق الملائکه ----- ۵۵۳
اشاره ----- ۵۵۳
۱ ----- ۵۵۵
۲ ----- ۵۶۹
۳ ----- ۵۹۶
الفصل الرابع: فی خلق آدم علیه السّلام ----- ۶۰۰
اشاره ----- ۶۰۰
۱ ----- ۶۰۲
۲ ----- ۶۲۱
تعریف مرکز ----- ۶۲۵

بهج الصباغه فی شرح نهج البلاغه علی بن ابی طالب (ع): المجلد ۱

اشاره

سرشناسه:شوشتری ، محمدتقی ، ۱۳۷۴ - ۱۲۸۲

عنوان و نام پدیدآور:بهج الصباغه فی شرح نهج البلاغه [علی بن ابی طالب (ع)]/ المصنف محمدتقی التستری

مشخصات نشر:دار امیرکبیر للنشر- بیروت - لبنان- ۱۳۷۶.

وضعیت فهرست نویسی:فهرستنویسی قبلی

عنوان دیگر:نهج البلاغه

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول ، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول ، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه . شرح

رده بندی کنگره:BP۳۸/۰۲ /ش ۹

رده بندی دیویی:۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: م ۷۲-۸۰۹

ص :۱

بهج الصباغه فی شرح نهج البلاغه [علی بن ابی طالب (ع)]

المصنف محمدتقی التستری

ص :۳

فهرس المطالب

العنوان رقم الصفحه

فهرس المطالب ۵

كلمه فی حیاه المؤلّف ۹

دلیل القارئ ۱۳

مقدّمه مؤسّسه نهج البلاغه ۱۵

مقدّمه المؤلف ۱۷

ذکر ما فی شرح ابن أبی الحدید من المعایب ۲۳

ردّ المؤلّف علی ابن میثم و السیّد الخوئی ۲۴

وجه تسمیه الکتاب ببهج الصّباغه ۴۲

شرح خطبه الرّضیّ ۴۳

ما قال معاویه ردّا لمحفن فی فصاحه علیّ علیه السّلام ۵۹

رؤیه إبراهیم المهدیّ علیّا فی المنام و ما جری بینهما ۶۰

اعترافات الفصحاء بأنّ علیّا علیه السّلام أفصح النّاس ۶۴

حدیث من أراد أن ینظر إلی آدم فی علمه ۷۳

نقل کلام شارح المعتزلیّ فی فضائله علیه السّلام ۷۵

نسب الرّضیّ ۹۶

ما قال ابن أبی الحدید فی ردّ من نسب النّهج إلی الرّضیّ ۹۹

الإشاره إلی الموارد التی ذکرها المؤرّخون فی شجاعته علیه السّلام و قول النبیّ صلّی اللّه علیه و آله له:

لا فتی إلّا علیّ ۱۰۹

الإشاره إلی طرف من زهده علیه السّلام ۱۱۱

فی أنّه جمعت الاضداد فی صفاته علیه السّلام ۱۱۳

الإشاره إلی کرائم کلامه علیه السّلام ۱۲۰

ما نقل عنه علیه السّلام فی معنی البلاغه ۱۳۱

ص:۵

خطبه عمر بالجابيه و إيراد القسّ عليه ۱۳۵

ما قاله عليه السّلام فى جواب من سأله أنّ الحرب أ كان بقضاء من اللّه و قدره؟۱۳۷

الفضل الأوّل-فى التّوحيد ۱۴۳

العنوان ۱ من الخطبه ۱:«الحمد للّه الّذى لا يبلغ مدحته القائلون...»۱۴۴

-من الخطبه ۹۴:«الحمد للّه الأوّل فلا شىء قبله...»۱۴۴

-من الخطبه ۹۲:«فتبارك اللّه الّذى لا يبلغه بعد الهمم...»۱۴۵

العنوان ۲ من الخطبه ۱:«أوّل الدّين معرفته...»۱۵۶

العنوان ۳ من الخطبه ۱:«كائن لا عن حدث...»۱۶۱

العنوان ۴ من الخطبه ۴۹:«الحمد للّه الّذى بطن خفيّات الأمور...»۱۶۶

العنوان ۵ من الخطبه ۶۳:«الحمد للّه الّذى لم يسبق له حال حالا...»۱۷۵

العنوان ۶ من الخطبه ۸۳:«و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له...»۱۸۵

العنوان ۷ من الخطبه ۸۸:«الحمد للّه المعروف من غير رؤيه...»۱۸۸

العنوان ۸ من الخطبه ۸۹:«الحمد للّه الّذى لا يفره المنع و الجمود...»۱۹۷

العنوان ۹ من الخطبه ۸۹:«و لو وهب ما تنفّست عنه معادن الجبال...»۲۰۷

العنوان ۱۰ من الخطبه ۸۹:«و انظر أيّها السّائل،فما دلّك القرآن عليه...»۲۱۰

العنوان ۱۱ من الخطبه ۸۹:«هو القادر الّذى إذا ارتمت الأوهام...»۲۱۵

العنوان ۱۲ من الخطبه ۸۹:«الّذى ابتدع الخلق على غير مثال...»۲۲۲

العنوان ۱۳ من الخطبه ۸۹:«فاشهد أنّ من شبّهك بتباين أعضاء خلقك...»۲۲۵

العنوان ۱۴ من الخطبه ۸۹:«قدّر ما خلق فألطف تقديره...»۲۳۳

العنوان ۱۵ من الخطبه ۱۰۶:«الحمد للّه المتجلّى لخلقه بخلقه...»۲۴۱

العنوان ۱۶ من الخطبه ۱۰۷:«کلّ شیء خاضع له...»۲۴۵

العنوان ۱۷ من الخطبه ۱۳۱:«و انقادت له الدّنیا و الآخره بازمّتها...»۲۵۴

العنوان ۱۸ من الخطبه ۱۵۰:«الحمد للّه الدّالّ علی وجوده بخلقه...»۲۵۸

العنوان ۱۹ من الخطبه ۱۶۱:«الحمد للّه خالق العباد...»۲۶۵

العنوان ۲۰ من الخطبه ۱۷۶:«لا یشغله شأن...»۲۷۵

العنوان ۲۱ من الخطبه ۱۷۰:«الحمد للّه الّذی لا توارى عنه سماء سماء...»۲۷۸

العنوان ۲۲ من الخطبه ۱۹۶:«یعلم عجیج الوحوش فی الفلوات...»۲۷۹

العنوان ۲۳ من الخطبه ۱۷۷:«...أ فأعبد ما لا أری...»۲۸۳

العنوان ۲۴ من الخطبه ۱۸۳:«الحمد للّه الّذی لا تدرکه الشّواهد...»۲۹۱

العنوان ۲۵ من الخطبه ۱۸۴:«ما وحّده من کیّفه...»۲۹۸

العنوان ۲۶ من الخطبه ۱۹۳:«الحمد للّه الّذی أظهر من آثار سلطانه...»۳۳۶

العنوان ۲۷ من الخطبه ۱۵۳:«الحمد للّه الّذی انحسرت الأوصاف...»۳۳۸

العنوان ۲۸ من الخطبه ۱۸۹:«الحمد للّه الفاشی حمده...»۳۴۲

العنوان ۲۹ من الخطبه ۱۸۰:«الحمد للّه الّذی إلیه مصائر الخلق...»۳۴۶

العنوان ۳۰ من الخطبه ۱۱۰:«هل تحسّ به إذا دخل منزلا...»۳۶۸

العنوان ۳۱ من الخطبه ۱۶۵:«أیّها المخلوق السّویّ...»۳۶۹

العنوان ۳۲ من الخطبه ۱۵۸:«أمره قضاء و حکمه...»۳۷۴

العنوان ۳۳ من الکتاب ۳۱:«و اعلم یا بنیّ أنّه لو کان لربّک شریک...»۳۷۹

العنوان ۳۴ من الحکمه ۲۵۰:«عرفت اللّه سبحانه بفسخ العزائم و حلّ العقود...»۳۸۳

العنوان ۳۵ الحکمه ۳۵۱:«عند تناهی الشّدّه تکون الفرجه...»۳۸۶

العنوان ۳۶ من الخطبه ۸۱:«الحمد للّه الّذی علا بحوله...»۳۸۸

العنوان ۳۷ الحکمه ۱۳:«من ضیّعه الأقرب أتیح له الأبعد...»۳۹۳

العنوان ۳۸ الحکمه ۸۴:«بقیّه السّیف أبقی عددا و أکثر ولدا...»۳۹۳

العنوان ۳۹ الحکمه ۱۳۹:«تنزل المعونه علی قدر المئونه...»۳۹۶

العنوان ۴۰ الحکمه ۱۴۴:«ینزل الصّبر علی قدر المصیبه...»۳۹۸

العنوان ۴۱ الحکمه ۱۵:«تذلّ الامور للمقادیر حتّی یکون الحتف فی التدبیر...»۴۰۰

-الحکمه ۴۵۹:«یغلب المقدار علی التّقدیر حتّی تکون الآفه فی التّدبیر...» ۴۰۰

العنوان ۴۲ الحکمه ۷:«أعجبوا لهذا الإنسان ینظر بشحم...» ۴۰۴

العنوان ۴۳ الحکمه ۳۰۲:«ما المبتلی الّذی قد اشتدّ به البلاء بأحوج إلی الدّعاء...» ۴۰۹

العنوان ۴۴ من الخطبه ۱۹۷:«إنّ اللّه سبحانه و تعالی لا یخفی علیه ما العباد...» ۴۱۰

العنوان ۴۵ الحکمه ۲۷۳:«اعلموا علما یقینا أنّ اللّه لم یجعل للعبد...» ۴۱۲

العنوان ۴۶ الحکمه ۸۴:«قد علم السّرائر،و خبر الضّمائر...» ۴۱۶

العنوان ۴۷ من الخطبه ۹۹:«الأوّل قبل کلّ أوّل...» ۴۱۸

العنوان ۴۸ من الخطبه ۱۸۱:«فعظّموا منه سبحانه ما عظّم من نفسه...» ۴۲۰

العنوان ۴۹ من الخطبه ۱۹۳:«و اعلموا عباد اللّه أنّه لم يخلقكم عبثا...» ۴۲۶

العنوان ۵۰ من الخطبه ۸۹:«و قدّر الأرزاق فكثّرها و قلّلها...» ۴۳۳

العنوان ۵۱ من الخطبه ۸۹:«عالم السّرّ من ضمائر المضمرين...» ۴۳۵

العنوان ۵۲ الحكمه ۴۷۰:«...التّوحيد أن لا تتوهّمه...» ۴۴۷

العنوان ۵۳ من الخطبه ۲۱۲:«و اشهد أنّه عدل عدل و حكم فصل» ۴۴۸

الفصل الثانى-فى خلق السّماء و الأرض و الشّمس و القمر و النّجوم و العرش و الكرسى ۴۵۹

العنوان ۱ من الخطبه ۱:«ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء...» ۴۶۱

العنوان ۲ من الخطبه ۸۹:«و نظم بلا تعليق رهوات فرجها...» ۴۷۲

العنوان ۳ من الخطبه ۸۹:«كبس الأرض على مور أمواج مستفحله...» ۴۸۹

العنوان ۴ من الخطبه ۲۰۹:«و كان من اقتدار جبروته...» ۵۰۸

العنوان ۵ من الخطبه ۱۶۹:«اللّهمّ ربّ السّقف المرفوع...» ۵۱۹

العنوان ۶ من الخطبه ۱۵۸:«فمن فرّغ قلبه،و اعمل فكره...» ۵۲۵

الفصل الثّالث-فى خلق الملائكه ۵۲۹

العنوان ۱ من الخطبه ۱:«تمّ فتق ما بين السّماوات العلى...» ۵۳۱

العنوان ۲ من الخطبه ۸۹:«ثمّ خلق سبحانه لإسكان سماواته...» ۵۴۵

العنوان ۳ من الخطبه ۱۰۷:«من ملائكه أسكنتهم سماواتك...» ۵۶۹

العنوان الرّابع-فى خلق آدم عليه السّلام ۵۷۳

العنوان ۱ من الخطبه ۱:«ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض و سهلها...» ۵۷۵

العنوان ۲ من الخطبه ۸۹:«فلمّا مهّد أرضه،و أنفذ أمره...»۵۹۴

الفهرس الكامل لموضوعات الكتاب(الأربعه عشر مجلّدا)۵۹۹

المجلد الأول

ص:۸

بسم اللّه الرحمن الرحيم

كلمه فی حياه المؤلف

فی بلده تستر فقيه عالم و محقق بارع،منقطع عن علائق الدنيا و زخارفها متوجها إلی اللّه تعالی.لقد أمضی حياته الشريفه فی سبيل إرشاد الناس،و بثّ المعارف الإسلاميه إنّه والدی المعظّم الحاج الشّيخ محمّد تقی الشيخ التّستری(الشوشتری).ولد فی النجف الأشرف سنه(۱۳۲۰ ه ق) و عاش فی تلک البلده المباركه حتی السنه السابعه من عمره،فلمّا أتم والده العلامه آيه اللّه الحاج الشّيخ محمد كاظم التستری دراساته العلميه الاسلاميه عند أساطين العلم و نال درجه الاجتهاد،عاد الی تستر و التحق بعد قليل والدی بأبيه المحترم مع والدته و خاله فی تستر و اشتغل بتعلّم القراءه و الكتابه و القرآن الكريم،ثمّ واصل دراسته بكلّ جدّ،فأقبل يدرس العلوم الإسلاميه عند أساتذه تلک البلده،مثل السيّد حسين النوری و السيّد محمد علی الإمام و السيّد علی أصغر الحكيم،ثمّ أتمّ دراساته العاليه فی العلوم الاسلاميه عند كبار العلماء مثل السيّد محمّد تقی شيخ الاسلام،و السيّد مهدی آل طيّب و والده المعظم،فنال درجه الاجتهاد.

و فی سنه(۱۳۱۴ ه ش)غادر مولده تستر مع عائلته مناهضا رفع

حجاب النساء،الّذی فرضه رضاشاه البهلوی علی ایران،و أقام فی بلده کربلاء المبارکه و واصل دراساته العلمیه الإسلامیه فی العتبات العالیات، و هناک التحق بالعالم النحریر الجلیل المرحوم الحاج الشیخ آقا بزرگ الطهرانی و نال منه إجازه نقل الحدیث.

و بعد ما عزل رضاشاه عن منصبه عاد الی تستر سنه(۱۳۲۱ ه ش)و أقام فی تلک البلده و اشتغل بالتدریس و التحقیق و الإرشاد و التألیف.لقد جاء بترجمه لحیاته و نشاطاته العلمیه العلاّمه النّحریر الشیخ آقا بزرگ الطهرانی فی کتابه طبقات أعلام الشیعه (۱)و هذا نصه:

هو الشیخ محمد تقی بن کاظم بن الشیخ محمد علی بن الشیخ جعفر التستری الشهیر،عالم بارع ولد فی النجف(۱۳۲۰ ه ش)و نشأ بها علی حب العلم و الفضیله اللّذین ورثهما عن آبائه و عن جدّه الأعلی الشیخ جعفر الغنی عن الوصف،فاشتغل علی الأعلام الأفاضل مجدّا مجتهدا حتّی برع و صنّف، فله:

۱-تحقیق المسائل(شرح علی الروضه البهیه) (۲).

۲-رساله سهو النبی صلی اللّه علیه و آله (۳).

۳-الرّساله المبصره فی أحوال أبی بصیر (۴).

۴-شرح تنقیح المقال (۵).

۵-قضاء أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام (۶).

۱- ۱) طبقات أعلام الشیعه ۱:۶۵. [۱]

۲- ۲) هذا الکتاب شرح للمعه الدّمشقیه فی مجلّدات کثیره،خرج إلی الآن منها ستّ مجلّدات.

۳- ۳) طبعت هذه الرّساله فی ملحق قاموس الرّجال:الجزء(۱۱).

۴- ۴) طبعت هذه الرّساله فی ملحق قاموس الرّجال:الجزء(۱۱).

۵- ۵) طبع هذا الکتاب باسم قاموس الرجال فی أربعه عشر مجلّدا.

۶- ۶) طبع هذا الکتاب مرّات عدیده فی النجف و بیروت و قم،و ترجمته باللغه الفارسیه و سمّیته(قضاوت های علی علیه السّلام)و طبعت هذه الترجمه أیضا عدّه مرّات.

۶-الأربعینیات الثلاث (۱).

۷-جوامع أحوال الأئمه علیهم السّلام.و انتهی.و تلوا یذکر بعض ما لم یقف علیها العلّامه الطهرانی (۲).

۸-بهج الصباغه فی شرح نهج البلاغه،و هو هذا الکتاب الذی بین یدیک (۳).

۹-الأوائل (۴).

۱۰-البدائع (۵).

۱۱-آیات بیّنات فی حقیقه بعض المنامات (۶).

۱۲-الأخبار الدّخیله (۷).

و فی الختام أهدی أطیب تحیاتی إلی مؤسسه نهج البلاغه التی عنیت بتجدید طبع هذا الکتاب،(بهج الصباغه فی شرح نهج البلاغه)و أرجو من اللّه تعالی التوفیق لهذه المؤسسه فی سبیل نشر المعارف الإسلامیه،و السلام علیکم و رحمته و برکاته محمد علی شیخ ابن المؤلف ۱۰-۹-۱۳۶۷ ه.ش

۱- ۱) طبع هذا الکتاب باسم الأربعین حدیثا.

۲- ۲) طبعت هذه الرساله فی ملحق قاموس الرجال:الجزء(۱۱).

۳- ۳) طبع فی أربعه عشر مجلدا.

۴- ۴) طبع فی مطبعه جامعه طهران فی مجلد واحد.

۵- ۵) عنیت بطبعه و نشره مکتبه الصدوق.

۶- ۶) عنیت بطبعه و نشره مکتبه الصدوق.

۷- ۷) خرج من الکتاب الی الآن أربع مجلّدات،عنیت بنشرها مکتبه الصدوق.

دليل القارئ

١-ضمّ«بهج الصّباغه فی شرح نهج البلاغه»(٦٠)فصلا وزّعت علی ١۴ مجلّدا حازت تلک الفصول علی أسماء خاصّه بها،و أدرجت وفقا لهیکل ارتاه المؤلّف نفسه.

٢-اشتمل کلّ فصل علی عدد من نصوص النّهج المراد شرحها،کتبت بالغامق، و انتظمت استنادا إلی ترابطها الموضوعی بعناوین منحت أرقاما بارزه أعلاها تمثّل تسلسلها فی الفصل،إضافه إلی رقم خاص بین قوسین یشیر إلی موقعها فی النّهج.

٣-قد تحتوی بعض العناوین علی أکثر من نصّ یراد توضیحه فتشترک نصوص العنوان برقم واحد أعلاها،و یمیّز کلّ نصّ برقمه الخاص فی نهج البلاغه.

۴-یبتدأ الشّرح باقتطاع کلمات أو فقرات متتالیه حسب أولویّتها فی النصّ -غالبا-و تحصر بین قوسین و تمیّز بالغامق فی أوّل مورد أتت به لشرحها.

۵-غالبا ما یکون الشّرح لغویّا أوّل الأمر،ثمّ ینطلق منه إلی وقائع تأریخیّه و قصص أدبیّه معزّزه بأنواع الشّواهد شعرا و نثرا.

۶-لم تحصر النصوص المنقوله-من غیر نهج البلاغه-بین قوسین لکثرتها،و اکتفی لتمییز أوّلها بذکر اسم الکتاب المأخوذه منه-و یقع أوّل السّطر فی أحیان کثیره-بین قوسین،و نهایتها بهامش یشیر إلی استخراجها و یبدأ النصّ الآخر برأس سطر جدید.

٧-عند ما یتمّ شرح کلّ نص من العنوان ینتقل إلی عنوان آخر یلیه وفقا لرقم تسلسله فی الفصل،فتشرح نصوصه و ینتقل إلی عنوان بعده،و هکذا تشرح الفصول متتابعه.

٨-إنّ العبارات التی تقع بین خطّین،هی عبارات اعتراضیّه توضیحیّه.

٩-أضیف فی نهایه کلّ مجلّد فهرست للخطب و الکتب و الحکم الوارده فی ذلک المجلّد.

١٠-و ختاما نرجو من القراء الأعزاء أرسال ما لدیهم من ملاحظات أو اقتراحات بناءه حول الکتاب.کما نعتذر عن السهو و الخطأ إن وجد.

نتمنی للجمیع التسدید و الصواب،و من اللّه الأجر و الثواب و السّلام علیکم و رحمه اللّه و برکاته الناشر

مقدّمه مؤسسه نهج البلاغه

على مدار ألف سنه مرّت من عمر هذا السّفر القيّم«نهج البلاغه»دوّن عليه أكثر من(۳۰۰) شرح و ترجمه بأساليب و محتويات علميه و أذواق متباينه،اختلفت درجه تقبّل القرّاء لها باختلاف تطلّعاتهم و رؤاهم.

و بالرغم من تلك الشروح الكثيره فقد بقيت امكان متهلهله فيها،تشير إلى خلوّها من شرح موضوعى،إلى أن تصدّى المرحوم العلاّمه آيه اللّه الحاج الشيخ محمد تقى التسترى لإحكام نسج جديد،فشرع بكتابه شرح موضوعى نفيس باللّغه العربيه فى(۱۴)مجلدا ل(۶۰)موضوعا، فجزاه اللّه خير الجزاء،و شكر مساعيه العلميه الجليله،و تغمّده برحمته،و أسكنه فسيح جنّاته.

إنّ أهميّه الشرح الموضوعى من منظار علمى أمر لا يقبل المناقشه،لأنّ كل علم إذا لم تبحث قضاياه بهذه المنهجيه فسوف تبقى النظره الواقعيه له أو لمؤلف الكتاب عائمه فى أمواج من الغموض، تلك المنهجيه التى اتخذها الفقهاء الأفذاذ فى رصد و جمع الموارد ذات العلاقه و دراستها،لابداء آرائهم الدقيقه فى المسائل الفقهيه الكثيره.

و تأسيسا على ذلك ينبغى لمن يتطلّع إلى آفاق نظر الإمام عليه السّلام أن يسلك اسلوب الشرح الموضوعى،و يحتوى كل الموارد دراسه و تحليلا،فليس من الصحيح أن نقتطع كلمه أو كتابا من بين عشرات الكلمات و الكتب،و نشيّد عليها وجهه نظر المؤلف،لأنّه لا يمكن بيان كلّ الموارد فى جمله واحده،بل إنّ تحرّى و تجميع الجزئيات المتقارنه و المتباينه بعين شموليه فاحصه،و بمطالعه تحليليه دقيقه،و تعرّف لغه و ثقافه المقال و الكتاب،تزيح ستارا كثيفا عن الحقيقه،و تمنح دفقه اطمئنان لعرض مدروس لآراء مؤلفه.

و قد صادقت مؤسسه نهج البلاغه-ضمن خططها-على مشروع لتفسير نهج البلاغه موضوعيا، و تقرّر أن تبدأ مجاميع علميه مهامّها فى هذا المجال.

فشرعت نخبه من المحققين أعمالها بدقّه و تنسيق متبادل،لرصد الموضوعات عن طريق نظام

البطاقات التی بلغت ما یقارب(۵۰۰۰)بطاقه،استلّ منها(۳۰۰)عنوان رئیسی و فرعی،و بعد دراسات و بحوث متعدّده،و تصحیح و إکمال موارد النقص،صدر«نهج البلاغه»المنقّح بإشراف و طبع و نشر مؤسسه نهج البلاغه.

و جدیر بالذکر أنّ من المصادر المستفاده فی ذلک المشروع هی المجموعه النادره ل«بهج الصباغه فی شرح نهج البلاغه»،و إن کانت موضوعاتها منحصره ب(۶۰)موضوعا،إلّا أنّها تصب فی إطار هدفنا العام.

لکنّ لغه تدوین هذا الکتاب هی العربیه،و مقتضیات أهداف المؤسسه ترتبط-أوّلا- بالذات- بالرفد الثّقافی للناطقین باللغه الفارسیه،الأمر الذی دعا إلی ترجمته.

و هنا نری من الضروره أن نعرب عن شکرنا لجمیع الأخوه الذین ساهموا فی إعداد و تنظیم و تهیئه هذه المجموعه النادره،و عن تقدیرنا لمساعیهم المخلصه،و تحمّلهم للمصاعب العلمیه و الفنّیه باذلین وقتا غالیا لاخراج هذا السفر علی أکمل صوره،إنّ تلک الجهود لوحه رائعه تعبّر عن علاقتهم الوثیقه بسیّد الأولیاء،و حبّهم الکبیر لمولی الموحّدین علیه السّلام.

نسأل اللّه أن یتقبّل من الجمیع هذا العمل بأحسن القبول،و أن یکون أمیر المؤمنین و إمام العارفین شفیعهم(«یَوْمَ لا یَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ إِلاّ مَنْ أَتَی اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ»).

و اللّه ولی التوفیق سید جمال الدین دین پرور رئیس مؤسسه نهج البلاغه

مقدّمه المؤلّف

بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه ربّ العالمين،و الصلاه على محمّد و آله الطاهرين.

و بعد فإنّ علماء الإسلام الخاصّ منهم و العامّ،و إن صنّفوا من الصّدر الأول فى كلّ فنّ إلاّ أنّه لم يؤلّف أحد مثل كتاب الشريف الرضىّ هذا،فإنّ أهمّيه كلّ كتاب بمقدار فائدته،و قيمته بقدر عائدته،و لم يبلغ bكتابه هذا بعد كتاب اللّه تعالى كتاب،فإنّه تاليه فى الفصاحه و البلاغه،و فى الاشتمال على كلّ نصح و حكمه،و لقد أجاد من قال فيه:

كتاب كأنّ اللّه رصّع لفظه بجوهر آيات الكتاب المنزّل

حوى حكما كالدرّ ينطق صادقا فلا فرق إلاّ أنّه غير منزل

(۱)و يأتى فى العنوان(۲۳)من الفصل الأوّل خبر أنّ ذعلبا لمّا أجابه أمير المؤمنين عليه السّلام سؤاله«هل رأيت ربّك؟»خرّ مغشيا عليه،ثمّ قال:تاللّه ما سمعت بمثل هذا الجواب (۲)و يأتى فى خطبه المتّقين أنّ همّاما لمّا سمع

۱- ۱) نقل البيتين الخوئى فى ديباجه شرحه ۱:۸۰.

۲- ۲) بهج الصباغه:الفصل(۱) [۱]العنوان(۲۳).

كلامه عليه السّلام فى وصف أهل التّقوى صعق صعقه كانت نفسه فيها (۱).

و يأتى فى العنوان(۱۱)من الفصل الثلاثين أنّ قوله عليه السّلام:«إنّ الحقّ لا يعرف بالرّجال»و قوله عليه السّلام:«انظر الى ما قال،و لا تنظر الى من قال»بلا قيمه (۲).

و قال الجاحظ:أجمعوا على أنّهم لم يجدوا كلمه أقلّ حرفا،و لا أكثر ريعا،و لا أعمّ نفعا،و لا أحثّ على تبيين،و لا أهجى لمن ترك التفهّم و قصّر فى الافهام من قول على عليه السّلام:«قيمه كل امرئ ما يحسنه» (۳).

و قال الخليل:أحثّ كلمه على طلب علم قول علىّ بن أبى طالب عليه السّلام:«قدر كلّ امرئ ما يحسن» (۴).

و قال الرضىّ فى(خصائصه):قوله عليه السّلام:«كلمه حقّ يراد بها باطل»فى ردّ قول الخوارج:«لا حكم إلاّ للّه»أبلغ عباره من أمر الخوارج لما جمعوا من حسن الاعتراء و الشّعار،و فتح الإبطان و الإضمار (۵).

و قال أيضا فيه فى قوله عليه السّلام:«لم يذهب مالك ما وعظك»:سبحان اللّه!ما أقصر هذه الكلمه من كلمه،و أطول شأو بدرها فى مضمار الحكمه! (۶)و قال فى(نهج البلاغه)فى قوله عليه السّلام:«فلئن أمر الباطل لقديما فعل»:إنّ فى هذا الكلام الأدنى من مواقع الإحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان،و إنّ

۱- ۱) بهج الصباغه:الفصل(۴۰) [۱]العنوان(۱۳).

۲- ۲) بهج الصباغه:الفصل(۳۰) [۲]العنوان(۱۱).

۳- ۳) صرح الشارح فى العنوان(۱۶)من الفصل الثامن عشر أنّه نقله من كتاب البيان و التّبيين للجاحظ،و أورد الجاحظ الحديث فى ۲:۸۰ بلا كلام حوله.

۴- ۴) نقله أبو على الطوسى فى أماليه ۲:۱۰۸،المجلس ۱۷ [۳] باسناد عن خليل.

۵- ۵) خصائص الأئمه للشريف الرضى:۸۸. [۴]

۶- ۶) المصدر نفسه. [۵]

حظّ العجب منه أكثر من حظّ العجب به،و فيه مع الحال الّتى وصفنا زوائد من الفصاحه لا يقوم بها لسان،و لا يطّلع فجّها إنسان،و لا يعرف ما أقول إلّا من ضرب فى هذه الصناعه بحقّ،و جرى فيها على عرق،و ما يعقلها إلّا العالمون (۱).

و قال فى قوله عليه السّلام:«فإنّ الغايه أمامكم...»:إنّ هذا الكلام لو وزن بعد كلام اللّه سبحانه،و بعد كلام رسوله صلّى اللّه عليه و آله بكلّ كلام لمال به راجحا،و برّز عليه سابقا.فأمّا قوله عليه السّلام:«تخفّفوا تلحقوا»فما سمع كلام أقلّ منه مسموعا و لا أكثر محصولا،و ما أبعد غورها من كلمه و أنقع نطفتها من حكمه (۲).

و قال فى الخطبه(۲۸):لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزّهد فى الدنيا و يضطرّ الى عمل الآخره لكان هذا الكلام،و كفى به قاطعا لعلائق الآمال، و قادحا زناد الاتّعاظ،و الازدجار (۳).

و قال فى الخطبه(۸۰):إذا تأمّل المتأمّل قوله عليه السّلام:«من أبصر بها بصرّته»وجد تحته من المعنى العجيب و الغرض البعيد ما لا تبلغ غايته،و لا يدرك غوره،و لا سيّما إذا قرن إليه قوله عليه السّلام:«و من أبصر اليها أعمته»فإنّه يجد الفرق بين أبصر بها و أبصر إليها واضحا نيّرا و عجيبا باهرا (۴).

و قال فى قوله عليه السّلام:«لا تكن ممّن يرجو الآخره بغير عمل...»:لو لم يكن فى هذا الكتاب إلّا هذا الكلام لكفى به موعظه ناجعه و حكمه بالغه،و بصيره

۱- ۱) نهج البلاغه ۱:۴۸،الخطبه(۱۶).

۲- ۲) نهج البلاغه ۱:۵۸، [۱]الخطبه(۲۱). قال الشريف فى خصائص الأئمه:۸۷ بعد نقل قوله عليه السّلام:«تخفّفوا تلحقوا»:ما أقلّ هذه الكلمه و أكثر نفعها و أعظم قدرها و أبعد غورها و أسطع نورها.

۳- ۳) نهج البلاغه ۱:۷۲. [۲]

۴- ۴) نهج البلاغه ۱:۱۳۱. [۳]

لمبصر،و عبره لناظر مفكّر (۱).

إلى غير ذلك من كلماتهم فى كلامه عليه السّلام،ممّا لو استقصيت لصارت كتابا،فللّه درّه فى جمعه هذا الكتاب،فكم اهتدى به من يوم تأليفه إلى يومنا هذا،و كم يهتدى به إلى الأبد،مع أنّه أتقن به لغه العرب،و أمتن به قواعد الأدب، فشكر اللّه سعيه و أعطاه خير جزاء.

لكنّه-عفا اللّه عنه-لمّا كان متهالكا على نقل كلّ كلام فصيح منسوب إليه عليه السّلام،لم يتفطّن أنّ الخصم قد يحتال و يزوّر على لسانه عليه السّلام بتزويق كلامه،كما ترى ذلك فى الخطبه(۹۰ و ۱۶۶ و ۲۶۶)و فى نقله الخطبه(۶)لمّا أشير عليه بأن لا يتّبع طلحه و الزبير،و قد تكلمنا عنها فى موضعها (۲).

كما أنّه-عفا اللّه عنه-لمّا كان نظره فى اختياره من كلامه عليه السّلام على الكلمه الفصيحه،فقد يقتصر من نقل كلامه عليه السّلام على مثل الاقتصار على قوله تعالى:(لا تقربوا الصلاه)بدون(و أنتم سكارى) (۳)كما تراه فى الحكمه (۴۶۷)،و قد بحثناها فى موضعها (۴).

كما أنّه-عفا اللّه عنه-لكون مراجعته الى كتب العامّه و رواياتهم فقط، غالبا قد ينقل ما تكذّبه روايات الخاصّه كما تراه فى الخطبه(۵۷)،و قد

۱- ۱) نهج البلاغه ۴:۳۸، [۱]الحكمه(۱۵۰).

۲- ۲) نهج البلاغه ۱:۱۸۱، [۲]الخطبه(۹۰)شرحها فى بهج الصباغه الفصل(۳۰) [۳]العنوان(۸).و ۲:۸۰،الخطبه(۱۶۶) شرحها فى بهج الصباغه:الفصل(۲۹) [۴]العنوان(۲۴) و ۲:۲۲۲،الخطبه(۲۲۶)شرحها فى بهج الصباغه:الفصل (۲۹) [۵]العنوان(۲۶)و ۱:۴۱،الخطبه(۶)شرحها فى بهج الصباغه:الفصل(۳۱) [۶]العنوان(۳).

۳- ۳) الآيه بتمامها:(يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاه و [۷]أنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون و لا جنبا إلّا عابرى سبيل حتى تغتسلوا و إن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحدكم من الغائط أو لا مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيّبا فامسحوا بوجوهكم و أيديكم إن اللّه كان عفوّا غفورا).النساء:۴۳. [۸]

۴- ۴) نهج البلاغه ۴:۱۰۷،الحكمه(۴۶۷)شرحها فى بهج الصباغه:الفصل(۲۹) [۹]العنوان(۲۷).

شرحناه فی محلّه (۱).

کما أنّه-عفا اللّه عنه-قد ینسب إلیه علیه السّلام ما لغیره،کما تراه فی الحکمه (۲۸۹)فاتفقت الروایات علی أنّه لابنه الحسن علیه السّلام (۲).و ما تراه فی الحکمه (۲۲۷)فاتفقت الروایات علی أنّه علیه السّلام نقله عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله،و قد أوضحناهما فی محلّهما (۳).

کما أنّه قد ینسب إلیه علیه السّلام ما روی عنه علیه السّلام فی المنام،کما تراه فی الحکمه(۴۰۶)و قد بحثنا ذلک فی محلّه (۴).

کما أنّه قد ینسب الشیء إلی غیر محلّه،فقال فی الکتاب(۶۲):و من کتاب له علیه السّلام إلی أهل مصر مع مالک الأشتر.مع أنّه روی الثقفی فی(غاراته)،و ابن قتیبه فی(خلفائه)،و الکلینی فی(رسائله)،و ابن جریر الطبریّ فی(مستر شده) أنّه کانت خطبه له علیه السّلام فی التحریض علی الجهاد لمّا فتحت مصر و قتل محمّد بن أبی بکر (۵).

کما أنّه قد یحرّف لعدم تدبّره أو لسقم نسخه مستنده،فنقل فی الکتاب (۵۷):«خرجت من حیی هذا»فإنه محرّف:«خرجت مخرجی هذا».کما شرحناه فی محلّه (۶).

و نقل فی الحکمه(۳۷۱):«و الشرّ جامع لمساوی العیوب»فإنّه محرّف

۱- ۱) نهج البلاغه ۱:۱۰۵،الخطبه(۵۷)شرحها فی بهج الصباغه:الفصل(۹) [۱]العنوان(۱۵).

۲- ۲) نهج البلاغه ۴:۶۹،الحکمه(۲۸۹)شرحها فی بهج الصباغه:الفصل(۴۰) [۲]العنوان(۱۵).

۳- ۳) نهج البلاغه ۴:۵۰،الحکمه(۲۲۷)شرحها فی بهج الصباغه:الفصل(۴۰) [۳]العنوان(۵).

۴- ۴) نهج البلاغه ۴:۹۵، [۴]الخطبه(۴۰۶)شرحها فی بهج الصباغه:الفصل(۶). [۵]العنوان(۲۵).

۵- ۵) نهج البلاغه ۳:۱۱۸،الکتاب(۶۲)شرحه فی بهج الصباغه:الفصل(۸) [۶]العنوان(۱۵)،و الغارات للثقفی ۱:۳۰۲، و [۷]تاریخ الخلفاء و هو کتاب الإمامه و السیاسه لا بن قتیبه ۱:۱۵۴،و کشف المحجّه لابن طاوس:۱۷۳ نقلا عن رسائل الکلینی،و المسترشد للطبری:۹۵.

۶- ۶) نهج البلاغه ۳:۱۱۴، [۸]شرحه فی بهج الصباغه:الفصل(۳) [۹]العنوان(۷).

»و البخـل جامع لمساوی العیوب»،کما نقله نفسه فی الحکمه(۳۷۸) (۱)،و نقل فی الخطبه(۶۳):«و لا وقف به عجز عمّا خلق»،فإنّ الظاهر أنّه محرّف«و لا ۲ وقف به عجز عمّا لم یخلق».و قد شرحنا الکل فی موضعه (۲).

و نقل فی الخطبه(۴۹):«فلا عین من لم یره تنکره،و لا قلب من أثبته یبصـره»، فإنّه محرّف«فلا قلب من لم یره ینکره،و لا عین من أثبته تبصره» (۳)و قد نقله بعضهم من الروایه (۴).

و قد صـنّف قبل المصـنّف جمع فی خطبه علیه السّـلام،ذکرهم(فهرست الشّـیخ) و(فهرست النجاشـی)،و منهم:إبراهیم بن الحکم الفزاری (۵)،و اسـماعیل بـن مهران (۶)،و زیـد بـن وهب (۷)،و عبـد العظیم الحسـنی (۸)،و مسـعده بن صـدقه (۹)، و المـدائنی (۱۰)،و عبد العزیز الجلودی (۱۱)،إلّا أنّ کتبهم لم تصل إلینا.

ص:۲۲

۱- ۱) نهـج البلاغه ۴:۸۷، [۱]الحکمه(۳۷۱)شـرحها فی بهج الصباغه:الفصل(۶۰) [۲]العنوان(۸۳)،و ۴:۹۰،الحکمه(۳۷۸) شرحها فی بهج الصباغه:الفصل(۴۴) [۳]العنوان(۶).

۲- ۲) نهج البلاغه ۱:۱۱۲ [۴] الخطبه(۶۳)شرحها فی بهج الصباغه:الفصل(۱) [۵]العنوان(۵).

۳- ۳) نهج البلاغه ۱:۹۸ [۶] الخطبه(۴۹)شرحها فی بهج الصباغه:الفصل(۱) [۷]العنوان(۴).

۴- ۴) نقله ابن أبی الحدید فی شرحه ۱:۲۹۲.

۵- ۵) الفهرست للطوسی:۴. [۸]

۶- ۶) الفهرست للنجاشی:۱۹،و الفهرست للطوسی:۱۱. [۹]

۷- ۷) الفهرست للطوسی:۷۲،و [۱۰]المعالم لابن شهر آشوب:۵۱، [۱۱]نقله الأردبیلی عن الاسترآبادی عن النجاشـی أیضا،لکن لم أجده فی فهرست النجاشی،و جامع الرواه ۱:۳۴۴. [۱۲]

۸- ۸) الفهرست للنجاشی:۱۷۳.

۹- ۹) الفهرست للنجاشی:۲۹۵. [۱۳]

۱۰- ۱۰) قال ابن النـدیم فی الفهرست:انّ له کتاب خطب علی علیه السّـلام.فهرست ابن الندیم:۱۱۴،و أمّا فهرست الطوسی ففی بعض نسـخه کتاب«الخونه»لأمیر المؤمنین و بعض نسـخه«الحوز».فهرست الطوسی:۹۵،و [۱۴]فی موضع آخر «الحروب».فهرسـت الطوسی:۱۹۲،و [۱۵]امّا المعالم لابن شـهر آشوب ففی بعض نسـخه«الخوله»،و بعضـها الآخر «الولاء»لأمیر المؤمنین،المعالم:۱۳۶. [۱۶]

۱۱- ۱۱) الفهرست للنجاشی:۱۶۷. [۱۷]

و أظنّ أنّ أوّل من صنّف فيها الحارث الأعور الّذى كان من خواصّه عليه السّلام،و قال عليه السّلام له:«أما إنّه لا يموت عبد يحبّنى فتخرج نفسه حتّى يرانى حيث يحبّ،و لا يموت عبد يبغضنى فتخرج نفسه حتّى يرانى حيث يكره»كما رواه الكشى (۱).و قال عليه السّلام له:أبشّرك يا حارث لتعرفنى عند الممات و عند الصّراط و عند الحوض و عند المقاسمه.قال الحارث:و ما المقاسمه؟ قال:«مقاسمه النار،أقاسمها قسمه صحيحه،أقول:هذا وليّ فاتركيه،و هذا عدوى فخذيه».كما رواه أمالى الشّيخين (۲)،و قد نظم الحميرىّ فى قوله:يا حار همدان-الأبيات المعروفه-مضمون الخبرين (۳).

و روى الكلينى و الصدوق باسنادهما عن أبى اسحاق السبيعى عن الحارث أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام خطب خطبه بعد العصر فعجب الناس من حسن صفته و ما ذكره من تعظيم اللّه تعالى.قال أبو إسحاق:فقلت للحارث:

أو ما حفظتها؟قال:كتبتها-قال السبيعىّ-فأملأها علينا الحارث من كتابه...

ثمّ زيد بن وهب الّذى كان من أصحابه عليه السّلام أيضا (۴).

و قد شرح الكتاب جمع كثير،من أراد الوقوف عليها فليراجع (الذريعه) (۵)،و لكن أبسطها و أمتنها(شرح ابن أبى الحديد)ثمّ(شرح ابن ميثم)، ثمّ(شرح الخوئى)و لكن لم يكن أحد منها جامعا مع أنّ الأخير غير تام،فإنّه

۱- ۱) أخرجه الكشّى اختيار معرفه الرجال:۸۸و [۱]ابن شهر آشوب فى المناقب ۳:۲۲۳ [۲] عن الحارث،و أخرجه الكلينى فى الكافى ۲:۱۳۲ ح ۵،و [۳]أحمد بن محمّد بن عيسى فى نوادره عنه البحار ۶:۱۹۹ ح ۵۲ [۴] عن عبايه الأسدى.

۲- ۲) أخرجه المفيد فى أماليه:۳ ح ۳ المجلس(۱)،و أبو جعفر الطوسى فى أماليه ۲:۲۳۸ المجلس(۱۲)،و [۵]الطبرى فى بشاره المصطفى:۴ و [۶]الإربلى فى كشف الغمه ۲:۳۸ و [۷]الديلمى فى إرشاد القلوب:۲۹۷. [۸]

۳- ۳) نقل الأبيات فى ذيل الحديث فى المصادر المذكوره و البيت بتمامه: يا حار همدان من يمت يرنى من مؤمن أو منافق قبلا

۴- ۴) الكافى ۱:۱۴۱ ح ۷،و التوحيد للصدوق:۳۱ ح ۱.

۵- ۵) الذريعه لآقا بزرك الطهرانى ۱۴:۱۱۳-۱۶۰.

إلی الخطبه(۲۲۸).و أمّا شرح الراوندی المسمّی(منهاج البراعه)کما یفهم من (طرائف ابن طاوس) (۱)،فلم یوجد منه إلّا نسخ فی بعض المکتبات،و منها نسخه فی المکتبه الرضویه کشرح أبی الحسن الکیذری الّذی ینقل عنه کثیرا ابن میثم،و منها فی الشقشقیّه فی کتاب رجل من أهل السواد (۲)،فلم یوجد إلّا فی بعض المکتبات،و منها نسخه فی المکتبه الأمیریّه،و هو جمع بین شرح الراوندی و شرح البیهقی کما نقل (۳).

و(شرح ابن أبی الحدید)و إن ادّعی أنّه تاریخیّ أدبیّ إلّا أنّ فیه معایب، ففی بعض الموارد یفرط فی نقل التاریخ حتی یمکن أن یجعل ما نقل تاریخا مستقلا،و کان علیه أن یقتصر علی المقدار المناسب للعنوان،و فی بعض الموارد لا ینقل شیئا أصلا،کما أنّه فی الأدب کذلک قد یفرط و قد یفرّط،بل ینقل کثیرا ما لا ربط له أصلا،کما تری عند شرحه لقوله علیه السّلام فی الإخبار عن الخوارج:«کلّا و اللّه انّهم نطف فی أصلاب الرجال و قرارات النساء» (۴).

و قد یغفل عن شیء فی محلّه و یذکره فی غیره،کما تراه فی أوّل فصل الجمل فی قوله علیه السّلام:«ربّ عالم قد قتله جهله،و علمه معه لا ینفعه» (۵).

و له أوهام کثیره،فنسب الخطبه(۳۹)الی کونه فی غاره النّعمان مع أنّه کان فی قتل محمّد بن أبی بکر (۶)،و نسب الخطبه(۲۹)إلی کونه فی غاره

۱- ۱) الطرائف لابن طاوس ۲:۴۸۳. [۱]

۲- ۲) شرح ابن میثم ۱:۲۶۹.

۳- ۳) قال الکیذری نفسه فی مقدّمه شرحه ۱:۸۷ انّه استفاد من هذین الشّرحین.

۴- ۴) شرح ابن أبی الحدید ۱:۴۲۸-۴۴۷ [۲] شرح الخطبه(۵۹).

۵- ۵) شرح ابن أبی الحدید ۴:۲۸۷-۲۸۸ [۳] شرح الحکمه(۱۰۷)،و بهج الصباغه:الفصل(۳۱) [۴]العنوان(۱).

۶- ۶) شرح ابن أبی الحدید ۱:۲۱۳،و بهج الصباغه:الفصل(۳۴) [۵]العنوان(۶).

الضحّاك مع أنّه كان بعد النهر فی الشخوص إلی معاویه (۱)،و نسب الکتاب (۳۶)إلی کونه فی غاره بسر مع أنّه کان فی غاره الضحّاک (۲)،کما أوضحنا ذلک فی فصل الغارات،و نسب قوله علیه السّلام فی الثانی من فصل غریب النهج«هذا الخطیب الشحشح»إلی أنّه قاله فی صعصعه،مع أنّه قاله فی رجل من أهل الجمل من أصحاب عائشه،کما بیّناه فی الفصل السّتین (۳).و له تفسیرات باطله کما ستقف علیها فی المطاوی کرارا.

و هو و إن نقل فی شرحه أشیاء حسنه و ذکر فیه أمورا مهمّه،إلّا أنّه لم یراع المناسبه فی الغالب.

و أمّا ابن میثم فمذاقه مذاق الفلاسفه،یرتکب کثیرا تأویلات غیر صحیحه و یعلّل بعلل علیله،کما فی شرحه لقوله علیه السّلام:«و أنا لکم وزیرا خیر لکم منّی أمیرا» (۴)،و یخبط کثیرا فی فهم المراد،کما فی شرحه لقوله علیه السّلام فی الخطبه(۱۰۴):«و ایم اللّه لو فرّقوکم تحت کلّ کوکب لجمعکم اللّه لشرّ یوم لهم» (۵).

مع قلّه اطّلاعه علی التاریخ فیخبط فیه،کما تری ذلک عند شرحه لقوله علیه السّلام مشیرا إلی الکوفه فی الخطبه(۴۷):«ما أراد بک جبّار سوءا» (۶)، و عند شرحه لقوله علیه السّلام فی الخطبه(۲۱۷):«أدرکت و تری من بنی عبد مناف

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ۱:۱۵۳،و [۱]بهج الصباغه:الفصل(۳۴) [۲]العنوان(۵).

۲- ۲) شرح ابن أبی الحدید ۴:۵۶،و [۳]بهج الصباغه:الفصل(۳۴) [۴]العنوان(۱۲).

۳- ۳) شرح ابن أبی الحدید ۴:۳۵۵،و بهج الصباغه:الفصل(۶۰)العنوان(۶۴).

۴- ۴) شرح ابن میثم ۲:۳۸۵ [۵] شرح الخطبه(۹۰)،و بهج الصباغه الفصل(۳۰) [۶]العنوان(۸).

۵- ۵) شرح ابن میثم ۳:۳۶،و [۷]بهج الصباغه:الفصل(۹) [۸]العنوان(۲۸).

۶- ۶) شرح ابن میثم ۲:۱۲۴،و بهج الصباغه:الفصل(۹) [۹]العنوان(۱۴).

و أفلتنى أعيان بنى جمح» (۱).و عند شرحه لقوله عليه السّلام فى الخطبه القاصعه:

«و إنّ فيكم من يطرح فى القليب...» (۲).

و أغرب فى شرح قوله عليه السّلام فى الكتاب(۲۸):«منّا النبىّ و منكم المكذّب» (۳)،و شرح قوله عليه السّلام فى الكتاب(۵۸):«فمن تمّ على ذلك» (۴)،و شرح قوله عليه السّلام:«من أعمام و أخوال»فى الكتاب(۶۴) (۵)،و شرح قوله عليه السّلام فى الكتاب (۶۲):«الذى قد شرب فيكم الحرام و جلد حدّا فى الإسلام» (۶).و قد ذكرنا الكل فى مواضعه.

و من العجب أنّه مع عدّه نفسه من الفلاسفه يأتى باللّجاج،ففى كثير من تلك الموارد ترى أنّ ابن أبى الحديد قال:إنّ الراوندىّ خبط فيها،و انّه استهزأ به لعدم اطّلاعه على التاريخ،و مع ذلك أصرّ على متابعه الراوندىّ،فلو كان الراوندى وقف على ما خطّئ فيه لرجع،كما أنّه تبع الكيذرى فى أوهامه.

و(شرح الخوئى)ليس فيه سوى الإكثار من الأخبار الضعيفه،مع اقتصاره على ما ورد من طريقنا الّذى لا يكون حجّه على غيرنا،مع قلّه اطّلاعه على التاريخ،فتبع ابن ميثم فى كثير من خبطاته المتقدّمه.

فرأيت أن أكتب بعون اللّه تعالى شرحا جامعا فيه من التاريخ و الأدب و الأخبار القويّه و الآثار الّتى تكون حجّه بقدر الحاجه،و فى محلّ يكون فيه مناسبه،مع ذكر مدارك عناوين الكتاب بقدر الوسع.

۱- ۱) شرح ابن ميثم ۴:۵۱،و [۱]بهج الصباغه:الفصل(۳۱) [۲]العنوان(۱۱).

۲- ۲) شرح ابن ميثم ۴:۳۱۹،و [۳]بهج الصباغه:الفصل(۶) [۴]العنوان(۴۲).

۳- ۳) شرح ابن ميثم ۴:۴۴۰،و بهج الصباغه:الفصل(۷) [۵]العنوان(۱۱).

۴- ۴) شرح ابن ميثم ۵:۱۹۶،و [۶]بهج الصباغه:الفصل(۲۹) [۷]العنوان(۲۵).

۵- ۵) شرح ابن ميثم ۵:۲۱۱،و [۸]بهج الصباغه:الفصل(۸) [۹]العنوان(۸).

۶- ۶) شرح ابن ميثم ۵:۲۰۳،و [۱۰]بهج الصباغه:الفصل(۲۹) [۱۱]العنوان(۲۹).

و أمّا الشّراح المتقدّمون فلم يقفوا فى كثير منها على مداركها أصلا، و فى يسير منها لم يقفوا غالبا إلّا على بعضها.

و اقتصرت فى شرح الفقرات من الإعراب و اللّغه و التفسير على المشكلات التى تحتاج إلى ذلك،لا فى كلّ فقره كما فعله بعضهم لكونه لغوا، كما أنّه ذكرت اللغه عند كلّ فقره و كلمه،و لم أجمعها بعد العنوان كما فعل الشّرّاح لئلّا يكون الفهم فى محلّ الحاجه صعبا.

و ذكر ابن ميثم فى أوّل كتابه مقدارا من مباحث علم البيان و تبعه الخوئى،و هو لغو،فتجنّبته لأنّه صنّف فى ذاك الفنّ كتب،فكان عليهما حيث ذكرا مباحث البيان أن يذكرا مباحث الصّرف و النّحو و اللّغه.

و ليس دأبى دأب أكثر الشّرّاح يذكر اللاحق ما قاله السابق فى صوره الإنشاء منه،فانه نوع سرقه،فما كان من غيرى أنسبه إليه،و ما فيه بلا نسبه فهو منّى.و حيث إنّ ترتيب المصنّف للكتاب بالخطب و الكتب و الكلمات القصار ترتيب لفظىّ أحببت ترتيبه بالمعنى،فجمعت ما يكون راجعا الى التوحيد مثلا فى موضع،و ما يكون راجعا إلى النّبوّه فى موضع،و إلى الإمامه فى موضع،و هكذا كلّ موضوع،و هاك تفصيل فصولها:

الأوّل:فى التوحيد،و فيه(۵۳)عنوانا.

الثانى:فى خلق السماء و الأرض و الشمس و القمر و النجوم و العرش و الكرسى و فيه(۶)عناوين.

الثالث:فى خلق الملائكه،و فيه(۳)عناوين.

الرابع:فى خلق آدم عليه السّلام،و فيه(۴)عناوين.

الخامس:فى النبوّه العامّه،و فيه(۹)عناوين.

السادس:فى النبوّه الخاصّه،و فيه(۴۷)عنوانا.

السابع:فی الإمامه العامّه،و فیه(۳۴)عنوانا.

الثامن:فی الإمامه الخاصه،و فیه(۳۳)عنوانا،و فی أواخرها کلامه علیه السّلام فی الشقشقیّه (۱)و فی دفن سیّده النساء (۲)و فی فدک (۳).

التاسع:فی إخباره علیه السّلام بالملاحم و ما یقع فی المستقبل،و فیه(۳۷) عنوانا.

العاشر:فی علمه علیه السّلام و صفحه و مکارم أخلاقه،و فیه(۶)عناوین.

الحادی عشر:فی تفسیراته علیه السّلام للآیات و غیرها،و فیه(۷)عناوین.

الثانی عشر:فی قضایاه علیه السّلام،و فیه عنوانان.

الثالث عشر:فی أجوبته التمثیلیّه و أدب السّؤال و الجواب،و فیه(۱۰) عناوین.

الرابع عشر:فی زهده و إعراضه عن الدنیا و عدله و تواضعه و ذکر الحقوق،و فیه(۱۵)عنوانا.

الخامس عشر:فی التزامه علیه السّلام بالحقّ و العدل و حثّه علیهما قولا و عملا، و فیه(۸)عناوین.

السادس عشر:فی أدعیته علیه السّلام،و فیه(۹)عناوین.

السابع عشر:فی عجائب خلقه تعالی،و فیه(۳)عناوین.

الثامن عشر:فی العلوم،مذمومها و ممدوحها،و فیه(۲۵)عنوانا.

التاسع عشر:فی إرشاد الثانی(عمر)فی مصالح الاسلام،و فیه عنوانان.

۱- ۱) العنوان(۳۰)من الفصل الثامن.

۲- ۲) العنوان(۳۱)من الفصل الثامن.

۳- ۳) العنوان(۳۲)من الفصل الثامن.

العشرون:فی حبّه و بغضه،و فیه عنوانان.

الحادی و العشرون:فی شجاعته علیه السّلام و مهابته و مناعته،و فیه(۴) عناوین.

الثانی و العشرون:فی أولیائه و أعدائه،و فیه(۱۲)عنوانا.

الثالث و العشرون:فی عتاباته لعمّاله و غیرهم،و فیه(۱۱)عنوانا.

الرابع و العشرون:فی حلفه و تقیّته،و فیه(۳)عناوین.

الخامس و العشرون:فی شکایته من أهل عصره،و فیه(۶)عناوین.

السادس و العشرون:فی نقص الناس و اختلافهم و عجائب قلوبهم و صفات أراذلهم،و فیه(۹)عناوین،و منها قوله علیه السّلام لمن سأله أن یعظه (۱).

السابع و العشرون:فی القضاء و القدر و فیه عنوانان.

الثامن و العشرون:فی الجامع لأمر الدین و الدنیا،و فیه(۸)عناوین، و منها وصیته علیه السّلام لابنه الحسن علیه السّلام (۲)و عهده للأشتر لمّا ولّاه مصر.

التاسع و العشرون:فی ما یتعلّق بعمر و عثمان،و فیه(۲۷)عنوانا.

الثلاثون:فی بیعته علیه السّلام،و فیه(۱۵)عنوانا.

الحادی و الثلاثون:فی وقعه الجمل،و فیه(۱۵)عنوانا.

الثانی و الثلاثون:فی وقعه صفین،و فیه(۱۲)عنوانا.

الثالث و الثلاثون:فی وقعه النهروان،و فیه(۱۰)عناوین.

الرابع و الثلاثون:فی الغارات،و فیه(۱۲)عنوانا.

الخامس و الثلاثون:فی مقتله و وصایاه علیه السّلام،و فیه(۸)عناوین.

السادس و الثلاثون:فی الموت،و فیه(۳۴)عنوانا،و فی آخرها

١- ١) العنوان(٨)من الفصل السادس و العشرين.

٢- ٢) العنوان(٢)من الفصل الثامن و العشرين.

«سبحانک خالقا و معبودا» (۱).

السابع و الثلاثون:فی ذمّ الدنیا و فنائها،و فیه(۴۳)عنوانا.

الثامن و الثلاثون:فی القیامه و الجنّه و النّار،و فیه(۲۲)عنوانا.

التاسع و الثلاثون:فی ما یجب علی العبد لربّه،و فیه(۱۸)عنوانا.

الأربعون:فی الاسلام و الایمان و التقوی و الکفر و النّفاق،و فیه(۳۰) عنوانا.

الحادی و الأربعون:فی القرآن،و فیه(۱۳)عنوانا.

الثانی و الأربعون:فی العبادات و المعاملات و الخیر و الشرّ،و فیه(۳۱) عنوانا.

الثالث و الأربعون:فی مکارم الأخلاق،و فیه(۲۷)عنوانا.

الرابع و الأربعون:فی ذمائم الصفات و محامدها،و فیه(۳۳)عنوانا.

الخامس و الأربعون:فی آداب المعاشره،و فیه(۱۰)عناوین.

السادس و الأربعون:فی الأصدقاء،و فیه(۱۴)عنوانا.

السابع و الأربعون:فی التّعازی و التّهانی،و فیه(۶)عناوین.

الثامن و الأربعون:فی آداب الحرب،و فیه(۱۶)عنوانا.

التاسع و الأربعون:فی ذمّ الشام و مدح الکوفه،و فیه عنوانان.

الخمسون:فی الأنصار و طوائف قریش و تمیم و الشعراء،و فیه(۴) عناوین.

الحادی و الخمسون:فی الاستسقاء و الأضحیحه،و فیه(۴)عناوین.

الثانی و الخمسون:فی الأقبال و الإدبار،و فیه(۵)عناوین.

الثالث و الخمسون:فی الفتن و الشبه و البدع،و فیه(۷)عناوین.

۱- ۱) العنوان(۳۴)من الفصل السادس و الثلاثین.

الرابع و الخمسون:فی العقل،و فیه(۸)عناوین.

الخامس و الخمسون:فی القلوب،و فیه(۵)عناوین.

السادس و الخمسون:فی الحقائق،و فیه(۱۴)عنوانا.

السابع و الخمسون:فی الفقر،و فیه(۴)عناوین.

الثامن و الخمسون:فی النّساء،و فیه(۷)عناوین.

التاسع و الخمسون:فی إبلیس،و فیه(۳)عناوین.

الستون:فی موضوعات مختلفه،و فیه(۱۰۴)عناوین.

ثم إنّ النّسخ المطبوعه من النهج أحسنها نشر مطبعه الاستقامه المشتمله علی الأرقام فی أبوابه الثلاثه،و مع ذلک فهی مشحونه من التصحیف فی العناوین و المتون و المواضع،کما یظهر من تطبیقها علی نقل ابن أبی الحدید و ابن میثم و علی النسخ الخطیّه المصححّه،و منها عندی نسخه مؤرّخه بسنه(۱۰۷۵)و إن کان ناشرها قال:تمتاز هذه عن المطبوعات السابقه بتمام العنایه بضبطها و تصحیحها،فقد سقط منها قول المصنّف بعد الخطبه(۱۹):یرید علیه السّلام أنّه أسر فی الکفر مرّه و فی الإسلام مرّه،و أمّا قوله علیه السّلام:«دلّ علی قومه السّیف»:فأراد به حدیثا کان للأشعث مع خالد بن الولید بالیمامه غرّ فیه قومه و مکر بهم حتّی أوقع بهم خالد،و کان قومه بعد ذلک یسمّونه عرف النار،و هو اسم للغادر عندهم (۱).و بعد الخطبه(۴۶)و ابتداء هذا الکلام مروی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و قد قفّاه أمیر المؤمنین علیه السّلام بأبلغ کلام و تمّمه بأحسن تمام من قوله:«و لا یجمعهما غیرک»إلی آخر الفصل (۲).و بعد قوله:و من کلام له علیه السّلام فی الخطبه(۱۳۳)،و قد وقعت مشاجره بینه و بین

۱- ۱) فی شرح ابن أبی الحدید ۱:۹۷ [۱] کلّه،و شرح ابن میثم ۱:۳۲۲ بعضه.

۲- ۲) شرح ابن أبی الحدید ۱:۲۷۶،و [۲]لکن شرح ابن میثم ۲:۱۲۱ خال منه.

عثمان فقال المغيره بن الأخنس لعثمان:أنا أكفيكه.فقال أمير المؤمنين عليه السّلام للمغيره (۱).

و سقط منها قوله فی الخطبه(۸۹):روی مسعده بن صدقه... (۲)، و خلطت الحواشی بالمتن،ففيها فی آخر الخطبه(۱۳)و فی روايه أخری:

«بلادكم أنتن بلاد اللّه تربه،أقربها من الماء،و أبعدها من السماء،و بها تسعه أعشار الشرّ،المحتبس فيها بذنبه،و الخارج بعفو اللّه،كأنّی أنظر الی قريتكم هذه قد طبّقها الماء حتّی ما يری منها إلّا شرف المسجد كأنّه جؤجؤ طير فی لجّه بحر» (۳).فليس فی(ابن أبی الحديد و ابن ميثم و الخطيه)أثر منه،و إنّما أخذه بعض المحشّين من نقل ابن ميثم فی روايه طويله أخذ المصنّف منها كلامه،فيها ذاك الكلام (۴).

و فيها فی الحكمه(۴۸۰)و هی آخر الحكم:قال الرضی:يقال حشمه و أحشمه إذا أغضبه،و قيل أخجله،و احتشمه طلب ذلك له،و هو مظنّه مفارقته (۵).

و بعد الحكمه(۴۷۹)قال الرضیّ:لأنّ التكليف مستلزم للمشقّه،و هو شرّ لازم عن الأخ المتكلّف له،فهو شرّ الإخوان (۶).

و ليس واحد منهما كلام الرضیّ،بل من حواش مختلطه لخلو(ابن أبی

۱- ۱) شرح ابن أبی الحديد ۲:۱۷۱،و [۱]شرح ابن ميثم ۳:۱۶۳.

۲- ۲) شرح ابن أبی الحديد ۲:۱۳۸،و شرح ابن ميثم ۲:۳۲۲.

۳- ۳) الزياده فی شرح ابن أبی الحديد ۱:۸۳ [۲] كلّها،و فی شرح ابن ميثم ۱:۲۹۰ [۳] بعضها.

۴- ۴) الزياده فی شرح ابن ميثم عقيب الخطبه،و ليس فی الروايه الطويله أثر منها.

۵- ۵) لا يوجد فی شرح ابن أبی الحديد ۴:۵۲۹،و [۴]أمّا شرح ابن ميثم ۵:۴۶۷ فقال فيه بعد أصل الحكمه:«حشمه أحشمه بمعنی أغضبه،و قيل أخجله».و لم ينسبه إلی الرّضیّ.

۶- ۶) لا يوجد فی شرح ابن أبی الحديد ۴:۵۲۹،و شرح ابن ميثم ۵:۴۶۷.

الحدیـد و ابن میثم و الخطیه)من الکلامین،و لأنّ الرضـی رضـی اللّه عنه أجلّ من أن یتکلّم بمثل ذاک الکلام الساقط المـذکور فیهما،و لأنّه لا یفسّر إلّا المشکل،لا مثله.

و أیضـا زادت فی مـا نقل کلاما للمصـنّف من الأوّل إلی الآخر جمله:«قال الرضـیّ»مع أنّه لیس کلام المصـنّف حتّی یجعل جزء النهج،و إنّما هو إنشاء الشرّاح:ابن أبی الحدید و ابن میثم و غیرهما،فالخطیّه خالیه منها،و ابن میثم غالبا یقول:قال السیّد،و ابن أبی الحدید یعبّر مختلفا (۱).

و خلطـت فی عهـده علیـه السّـلام للأشـتر لمّـا ولاّـه علی مصـر فی الکتـاب(۵۳) حـواش مـأخوذه مـن روایـه(تحف العقول)للعهـد،بـالمتن،منهـا:«و لیس یخرج الوالی من حقیقه ما ألزمه اللّه من ذلک إلّا بالاهتمام و الاسـتعانه باللّه،و توطین نفسـه علی لزوم الحقّ و الصـبر علیه فی مـا خف علیه أو ثقـل»خلطه بین«و لکـلّ علی الوالی حقّ بقـدر مـا یصـلحه»و«فولّ من جنودک أنصحهم فی نفسک» (۲).

و منها:«و إنّ أفضل قرّه عین الولاه استقامه العدل فی البلاد و ظهور مودّه الرعیّه،و انّه لا تظهر مودّتهم إلّا بسلامه صدورهم»خلطه بین«فإنّ عطفک علیهم یعطف قلوبهم علیک»و«و لا تصحّ نصیحتهم إلّا بحیطه علی ولاه أمورهم» (۳).

و منها:«ریاضه منک لنفسک و رفقا برعیّتک»خلطه بین«فإنّ فی ذلک»و «أعذارا تبلغ به حاجتک» (۴).

فإنّ النهج کان خالیا من الفقرات الثّلاث بدلیل خلوّ(ابن أبی الحدید و ابن

۱- ۱) ذکر اسم مصنّف الکتاب من قبل النّسّاخ و الرّاوین أمر شائع فی الکتب القدیمه.

۲ - ۲) شـرح ابـن میثم ۵:۱۵۰ [۱] خـال من هـذه القطعه،لکن توجـد فی شـرح ابن أبی الحدیـد ۴:۱۲۷،و [۲]کذلک فی تحف العقول: ۱۳۲.

۳- ۳) شرح ابن أبی الحدید ۴:۱۲۸،و [۳]شرح ابن میثم ۵:۱۵۱،و [۴]کذلک فی تحف العقول:۱۳۳.

۴- ۴) شرح ابن أبی الحدید ۴:۱۴۵،و [۵]شرح ابن میثم ۵:۱۷۴ [۶] بفرق یسیر فی تحف العقول:۱۴۵.

میثم و الخطیه)منها،و إن فرض کونها من کلامه علیه السّلام و جزء العهد (۱).

و قدّمت و أخّرت و حرّفت العناوین عن مواضعها،ففی(ابن أبی الحدید و ابن میثم)العنوان«و من کلام له علیه السّلام قاله لعبد اللّه بن العبّاس و قد جاءه برساله من عثمان،و هو محصور...»قبل العنوان«و من کلام له علیه السّلام اقتصّ فیه ذکر ما کان منه علیه السّلام بعد هجره النبیّ صلّی اللّه علیه و آله...» (۲).و إن کان الراوندی قال فی شرحه و تاریخ فراغه منه(۵۵۶):ذاک العنوان زیاده من نسخه کتبت علی عهد المصنف (۳).و فی(المصریه)العنوان الأوّل تحت الرقم(۲۳۵)و الثانی تحت الرقم(۲۳۱).

و فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم)العنوان«إنّ هذه القلوب تملّ»بعد العنوان«أوضع العلم ما وقف علی اللسان» (۴)،و فی(المصریه)بالعکس، الأوّل الحکمه(۹۱)و الثانی الحکمه(۹۲).

کما أنّها قد تجعل جزء العنوان عنوانا مستقلّا،ففی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیّه)الحکمه(۹۵)من رقم(المصریّه)جزء الحکمه(۹۴) منه (۵)،و فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم)الحکمه(۱۲۳)من رقم(المصریه) جزء الحکمه(۱۲۲)منه (۶)،و فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیّه)«طوبی لمن ذکر المعاد»الحکمه(۴۴)من المصریّه جزء«یرحم اللّه خباب بن الارت»

۱- ۱) مع ما ذکرت لا یبقی وجه لنسبه هذه الألفاظ إلی الأخذ من تحف العقول.

۲- ۲) شرح ابن أبی الحدید ۳:۲۸۶،۲۸۸،و [۱]شرح ابن میثم ۴:۳۲۲،۳۲۴.و [۲]هما الخطبتان ۲۳۴،۲۳۸.

۳- ۳) شرح ابن أبی الحدید ۴:۲۸۲،و شرح ابن میثم ۵:۲۸۶،و [۳]هما الحکمتان ۹۱،۹۲.

۴- ۴) شرح ابن أبی الحدید ۴:۲۸۳،و [۴]شرح ابن میثم ۵:۲۸۷. [۵]

۵- ۵) شرح ابن أبی الحدید ۴:۳۰۱،و شرح ابن میثم ۵:۳۰۶.

۶- ۶) فی شرح ابن میثم ۵:۲۶۵ [۶] جمعهما،و فی شرح ابن أبی الحدید ۴:۲۶۳ شرحهما معا فقط،لکن فصّل بینهما بقوله: «و قال علیه السّلام».

الحكمه(۴۳) (۱)،و لم تكتف(المصريه)بالخلط،بل زادت فقرتين من الثانى فى الأوّل أيضا.

كما أنّها قد تفعل بالعكس،فتجعل المستقلّ جزءا،ففى(المصريه)«إنّ الدنيا و الآخره عدوّان متفاوتان»جزء الحكمه(۱۰۳)«و رئى عليه عليه السّلام إزار خلق مرقوع».و فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيّه)مستقلّ ليس جزءه (۲).

كما أنّها نقلت أشياء تفرّد بنقلها من النهج ابن أبى الحديد،و نبّهت على ذلك بجعلها بين قوسين،لكنّها و همت فى محلّ نقلها منها:«الغنى الأكبر اليأس عمّا فى أيدى الناس»،ففى(ابن أبى الحديد)هو بعد الحكمه(۳۳۳)، و(المصريه)جعلته بعد الحكمه(۳۴۱).

و منها:«المسئول حرّ حتّى يعد»فإنّه فى(ابن أبى الحديد)قبل الحكمه (۳۳۴)،و(المصريه)جعلته الحكمه(۳۳۶) (۳).

و منها قوله عليه السّلام:«نعم الطيب المسك»،و قوله:«ضع فخرك»جعلتهما (المصريه)الحكمه(۳۹۷)و(۳۹۸)مع أنّهما فى(ابن أبى الحديد)قبل(۳۹۳) (۴).

و ما جعلته المصريّه(۳۸۹)هو فى(ابن أبى الحديد)قبل(۳۸۶ (۵)،و ما جعلته(۳۳۹)و(۴۰۰)هما فى(ابن أبى الحديد)بعد(۳۹۶) (۶)،الى غير ذلك من تحريفاتها.

و لو أردنا استقصاء ما فيها من التصحيف و التحريف و التغيير

۱- ۱) شرح ابن أبى الحديد ۴:۲۸۵-۲۸۶،و [۱]شرح ابن ميثم ۵:۲۹۲. [۲]

۲- ۲) شرح ابن أبى الحديد ۴:۳۹۴.

۳- ۳) شرح ابن أبى الحديد ۴:۳۹۵.

۴- ۴) شرح ابن أبى الحديد ۴:۴۲۱،۴۲۴.

۵- ۵) شرح ابن أبى الحديد ۴:۴۱۹.

۶- ۶) شرح ابن أبى الحديد ۴:۴۲۷،۴۲۸،۴۳۰.

و التبديل و الزياده و النقصان لطال الكلام،حيث إنّه قلّ عنوان منها من أوّلها إلى آخرها لم يكن بمحرّف،و منها كلام المصنّف فى آخر الكتاب،فلم يكن بعد الحكمه(۴۸۰)كما فى(المصريه)،بل بعد(۴۶۲) (۱)،كما ستقف عليه فى ذكر اختلاف نسخ النهج (۲).

ثم(إنّ)نسخ النهج كانت مختلفه من الصّدر الأوّل.قال(ابن ميثم)بعد خطبه همّام المذكوره تحت الرقم(۱۸۸)من المصريّه:من هاهنا اختلفت نسخ النهج،فكثير منها تكون هذه الخطبه فيها أوّل المجلّد الثانى منه بعد الخطبه المسمّاه بالقاصعه،و يكون عقيب كلامه للبرج بن مسهّر الطائى قوله عليه السّلام:

«الحمد للّه الذى لا تدركه الشّواهد و لا تحويه المشاهد»،و كثير من النسخ تكون هذه الخطبه فيها متّصله بكلامه عليه السّلام للبرج بن مسهّر،و تتأخّر تلك الخطبه فتكون بعد قوله:«و من كلام له عليه السّلام و هو يلى غسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله» و يتصل ذلك إلى تمام الخطبه المسمّاه بالقاصعه،ثمّ يليه قوله:«باب المختار من كتب أمير المؤمنين و رسائله»،و عليه جماعه الشّارحين،كالامام قطب الدين أبى الحسن الكيذرى،و الفاضل عبد الحميد بن أبى الحديد،و وافقتهم هذا الترتيب لغلبه الظنّ باعتمادهم على النسخ الصحيحه (۳).

قلت:و المفهوم منه أنّ نسخته لم تكن كنسخه ابن أبى الحديد و نسخه

۱- ۱) كما فى شرح ابن أبى الحديد ۴:۵۰۶،و شرح ابن ميثم ۵:۴۶۰.

۲- ۲) يأتى فى الصفحات الآتيه من المقدمه.

۳- ۳) شرح ابن ميثم ۳:۴۱۳،و خطبه همّام رقمها(۱۹۱)و [۱]القاصعه رقمها(۱۹۰)و قوله للبرج رقمه(۱۸۲)و قوله«الحمد للّه الذى»رقمه(۱۸۳)و كلامه عند غسل الرسول صلّى اللّه عليه و آله رقمه(۲۳۳)بأرقامنا.و ما قاله ابن ميثم:«هذه الخطبه»أراد به خطبه همّام و:«تلك الخطبه»يعنى بها خطبه«الحمد للّه الّذى».و فى شرحى الكيذرى و ابن أبى الحديد و بالتّبع شرح ابن ميثم جاء كلامه عليه السّلام للبرج بلا فاصل قبل خطبه همّام،ثم بفاصل كلامه عند غسل الرسول صلّى اللّه عليه و آله،ثمّ بعده بلا فاصل خطبه«الحمد للّه الذى».ثم بعده بفاصل خطبه القاصعه،ثمّ بعده بفاصل باب الكتب.

الكيذرى،فتبعهما لما قاله من غلبه ظنّه باعتمادهما على النسخ الصحيحه، لكن ذلك منه عجيب،فصرّح فى مواضع من كتابه بأنّ نسخته من النهج بخطّ مصنّفه،و منها فى القاصعه،فقال فى قوله عليه السّلام:«و لا لزمت الأسماء معانيها»:

«و فى نسخه الرّضى»برفع الأسماء (۱).

و قال أيضا فى قوله:«لا يدرى أ من سنى الدنيا»،ففى نسخه الرّضىّ «يدرى»بالبناء للفاعل (۲).

و منها فى الخطبه(۱۸۸)فى الفقره:«و كان ليلهم فى دنياهم نهارا»،و فى نسخه الرّضىّ بخطّه«كأنّ»،و التّرجيح إنّما يعقل بين نسخ غير المصنّف، و أمّا المصنّف فلا يعقل التّرجيح بينه و بين غيره (۳).

و فى شرح الراوندى خطبه همّام قبل الخطبه(۱۸۱):«الحمد للّه المعروف من غير رؤيه،الخالق من غير منصبه» (۴)،و فى نسختنا خطبه همّام بعد القاصعه،كما قاله ابن ميثم أوّلا (۵).

و كيف كان،فوجه الاختلاف-ظاهرا-أنّ المصنّف كتب النهج فى نسخ متعدده،و زاد و نقص و قدّم و أخّر فى النّسخ الأخيره،حسب شأن المصنّفين فى ما لو كتبوا نسخا من كتاب،فلو فرض أنّ مصنّفا كتب كتابه مائه مرّه لغيّر فى كلّ من المائه بحسب ما يراه أحسن،و يشهد لما قلنا أنّ ابن أبى الحديد قال فى العنوان:«و قال عليه السّلام و قد جاءه نعى الأشتر»الحكمه(۴۴۳):

يقال:إنّ الرضى ختم كتاب نهج البلاغه بهذا الفصل،و كتبت به نسخ متعدده،

۱- ۱) شرح ابن ميثم ۴:۲۷۵. [۱]

۲- ۲) شرح ابن ميثم ۴:۲۴۷.

۳- ۳) شرح ابن ميثم ۴:۲۰۹. [۲]

۴- ۴) شرح الراوندى كما فى سائر النسخ.

۵- ۵) مرّ آنفا.

ثمّ زاد علیه إلی أنّ و فی الزیادات التی نذکرها فیما بعد (۱).

و قال فی العنوان«ربّ مفتون بحسن القول فیه»،الحکمه(۴۶۲):و اعلم أنّ الرضی قطع کتاب نهج البلاغه علی هذا الفصل،و هکذا وجدت النسخه بخطّه،و قال:«و هذا حین انتهاء الغایه بنا»إلی«و نعم الوکیل،نعم المولی و نعم النّصیر» (۲).

و قال ابن میثم فی الحکمه(۴۶۲):قال السیّد:و هذا حین انتهاء الغایه بنا الی قطع المختار من کلام أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب صلوات اللّه علیه، حامدین للّه سبحانه علی ما منّ به من توفیقنا لضمّ ما انتشر من أطرافه و تقریب ما بعد من اقطاره،و تقرّر العزم-کما شرطنا أوّلا-علی تفضیل أوراق من البیاض فی آخر کلّ باب من الأبواب،لیکون لاقتناص الشارد و استلحاق الوارد،و ما عساه أن یظهر لنا بعد الغموض و یقع الینا بعد الشذوذ،و ما توفیقنا إلّا باللّه،علیه توکّلنا،و هو حسبنا و نعم الوکیل.

أقول:إنّه-رضوان اللّه علیه-بلغ فی اختیار کلامه علیه السّلام إلی هذه الغایه و قطعه علیها،ثمّ کتبت علی عهده زیاده من محاسن الکلمات،إمّا باختیاره هو أو بعض من کان یحضره من أهل العلم.و تلک الزیاده تاره توجد خارجه عن المتن و تاره موضوعه فیه ملحقه بمنقطع اختیاره،و روی أنّها قرئت علیه و أمر بالحاقها بالمتن،و أوّلها:«و قال علیه السّلام:الدنیا خلقت لغیرها و لم تخلق لنفسها» (۳).

و قال الراوندی بعد کلامه علیه السّلام فی الاستغفار،الحکمه(۴۱۷):قال السیّد:

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ۴:۴۷۸. [۱]

۲- ۲) شرح ابن أبی الحدید ۴:۵۰۶. [۲]

۳- ۳) شرح ابن میثم ۵:۴۶۱. [۳]

و هذا حين انتهاء الغايه بنا-إلى أن قال-و ذلک من رجب سنه أربعمائه، و الحمد للّه و صلاته على رسوله محمّد و آله و سلامه.

ثمّ قال الراوندی:زياده من نسخه کتبت على عهد المصنّف رحمه اللّه قال عليه السّلام:«الدّنيا خلقت لغيرها و لم تخلق لنفسها»،ثمّ ذکر العناوين إلى«إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه» (۱).

و قال أيضا فی کلامه عليه السّلام الّذی قاله لعبد اللّه بن عباس برقم(۲۳۸):

زياده فی نسخه کتبت على عهد المصنّف (۲).

و قال فی الخطبه(۲۳۷):و کان فی نسخه بغداديه زياده و هی:«و من خطبه له عليه السّلام يذکر فيها آل محمّد عليهم السّلام-إلى-و رعاته قليل»ثمّ قال:و قد مضى مثل ذلک فی ما تقدّم،و زاد الرّاوندی فی بيان المصنّف فی الشّقشقيّه کما يأتی فيها (۳).

و فی(ابن ميثم)فی آخر الباب الأوّل:هذا آخر الخطب و الأوامر،و يتلوه المختار من الکتب و الرسائل،إن شاء اللّه تعالى بعونه و عصمته و توفيقه و هدايته (۴).

و فی(الخطيّه)«و الحمد للّه کثيرا»،و ليس فی(ابن أبی الحديد)شیء أصلا (۵)،کما أنّ فی(المصريه)«و صلّى اللّه على سيّدنا محمّد النبی الامّیّ و على آله مصابيح الدّجى و العروه الوثقى و سلّم تسليما کثيرا»،کما أنّ بين (ابن أبی الحديد)و(ابن ميثم)اختلافات،فممّا تفرّد به ابن أبی الحديد نقله

۱- ۱) قال الراوندی:و ليس فيه قوله:«زياده من نسخه کتبت...»شرح الراوندی ۳:۴۳۵، [۱]شرح الحکمه(۴۸۰).

۲- ۲) ليس هذا من کلام الراوندی،بل نقله فی هامش الشرح ۲:۳۵۲ عن هامش نسخه خطيه من نهج البلاغه.

۳- ۳) لا توجد هذه الخطبه فی شرح الراوندی أصلا.

۴- ۴) شرح ابن ميثم ۴:۳۳۷.

۵- ۵) شرح ابن أبی الحديد ۳:۲۹۳.

ضمن عنوان الخطبه(۵۲)عن الرضیّ:و قد تقدّم مختارها بروایه،و نذکر ما یذکره هاهنا بروایه أخری لتغایر الروایتین (۱).

و مما تفرّد به أیضا نقل الخطبه الأخیره برقم(۲۳۹):«و اللّه مستأدیکم شکره...»بعد الخطبه(۲۱۸):«قد أحیا عقله» (۲).

و تفرّد فی جعل«و نعم القرین الرضا»أوّل الحکمه(۴)آخر الحکمه(۳) (۳)، و جعل«و من رضی عن نفسه کثر الساخط علیه»آخر الحکمه(۵)أوّل(۶) (۴)، و جعل الحکمه(۱۷)بعد(۱۱) (۵)،و جعل الحکمه(۹۲)قبل(۹۱) (۶)،و جعل جزء الحکمه(۱۲۷):«و لا حاجه للّه فی من لیس للّه فی ماله و نفسه نصیب» مستقلّا (۷)،و جعل الحکمه(۱۵۴)بعد(۱۵۱) (۸)،و جعل(۱۵۵)و(۱۵۶) بعد(۱۸۸) (۹)،و جعل(۱۵۷)بعد(۱۸۴) (۱۰)،و جعل کلاّ من:«و من لم یعط قاعدا لم یعط قائما»و«و الدهر یومان»،و هما جزء الحکمه(۳۹۶):«المنیه و لا الدّنیه»،مستقلّا (۱۱).

و تفرّد أیضا بنقل عناوین فی أواخر الباب الثالث،مرّ بعضها و یأتی

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ۱:۳۳۱. [۱]

۲- ۲) شرح ابن أبی الحدید ۳:۴۲،۴۷.

۳- ۳) شرح ابن أبی الحدید ۴:۲۴۰،و جعل ابن أبی الحدید صدر الحکمه الثالثه و ذیل الثالثه مع صدر الرابعه رابعه و ذیلها الخامسه.

۴- ۴) شرح ابن أبی الحدید ۴:۲۴۳. [۲]

۵- ۵) شرح ابن أبی الحدید ۴:۲۴۶،۲۴۷.

۶- ۶) شرح ابن أبی الحدید ۴:۲۸۲.

۷- ۷) شرح ابن أبی الحدید ۴:۳۰۳.

۸- ۸) شرح ابن أبی الحدید ۴:۳۱۶.

۹- ۹) شرح ابن أبی الحدید ۴:۳۱۸،۳۱۹.

۱۰- ۱۰) شرح ابن أبی الحدید ۴:۳۱۹.

۱۱- ۱۱) شرح ابن أبی الحدید ۴:۴۲۷،۴۲۸. [۳]

باقیها فی آخر الکتاب (۱)،و یأتی فی العنوان(۱۲)من الفصل الأربعین تصریح ابن میثم بتفرّد(ابن أبی الحدید)بنقل الفقره:«و منه ما یکون عوارىّ فی القلوب» (۲)،و تفرّد أیضا بنقل القطعه:«و اللّه ما تنقم منّا قریش...»فی الخطبه(۳۳)،و یأتی بحثها فی موضعه (۳).

و ممّا تفرّد به(ابن میثم)عدم نقل کلام المصنّف فی آخر الشقشقیّه، و عدم نقل ما فی الخطبه(۵)من(لما)إلی(بالخلافه)و عدم نقل کلام المصنّف فی الخطبه(۳۹ و ۴۲ و ۶۸ و ۱۶۳)و الحکمه(۸۱) (۴).

و تفرّد فی الخطبه(۸۹)فی زیاده فی العنوان،کما یأتی فی محله (۵)، و تفرّد فی جعل(و منها)الثانیه فی الخطبه(۲۶)مستقلّا،فقال بدل(و منها):

و من خطبه له علیه السّلام یذکر فیها عمرو بن العاص (۶).

و تفرّد بعدم ذکر الکتاب(۴۰):«أمّا بعد فقد بلغنی عنک أمر...»رأسا (۷).

و جعل(ابن میثم و الخطیّه)من الحکمه(۲)إلی(۶)تحت عنوان واحد (۸)،و جعلا الحکمه(۴۴)جزء(۴۳) (۹)،و جعلا الحکمه(۳۴۳)بعد

۱- ۱) بهج الصباغه: [۱]خاتمه الکتاب.

۲- ۲) بهج الصباغه:الفصل(۴۰) [۲]العنوان(۱۲)،و شرح ابن میثم ۴:۱۹۴، [۳]أقول:ما زاد ابن أبی الحدید ۳:۲۱۵ [۴] هذه الفقره فی أصل الخطبه لکن شرحها عند الشرح ۳:۲۱۶.

۳- ۳) شرح ابن أبی الحدید ۱:۱۷۶،و بهج الصباغه:الفصل(۸) [۵]العنوان(۲).

۴- ۴) شرح ابن میثم ۱:۲۵۱،۲۷۶،و ۲:۹۹،۱۰۷،و ۳:۳۱۳،و ۵:۲۸۱،و کلام الرضی فی شرح ابن میثم ۲:۱۹۱.

۵- ۵) شرح ابن میثم ۳:۳۲۲،و بهج الصباغه:الفصل(۱)العنوان(۸).

۶- ۶) فی شرح ابن میثم ۲:۲۷ أیضا«و منها».

۷- ۷) موضعه فی شرح ابن میثم ۵:۸۷،و لیس فیه.

۸- ۸) شرح ابن میثم ۵:۲۳۸.

۹- ۹) شرح ابن میثم ۵:۲۶۵.

الحکمه(۳۴۱) (۱)،و جعلا الحکمه(۱۴۲)و(۱۴۳)جزء(۱۴۱)بزیاده حرف عطف فی أوّلهما (۲)،إلی غیر ذلک ممّا تفرّد به کل من ابن أبی الحدید و ابن میثم، لو أرید استقصاؤه لطال الکلام.

ثم لو اتّفقا فی شیء علی خلاف نسخنا یکون ما فی نسخنا تصحیفا قطعا لصحّه نسخهما دون نسخنا،و أمّا لو تفرّد کلّ واحد منهما فیشکل الترجیح،و لا یبعد ترجیح نقل ابن میثم لما عرفت من کون نسخته بخطّ المصنّف،و إن کان هو رجّح عند خطبه همّام ترتیب نسخه ابن أبی الحدید (۳)، و لأن کثیرا ممّا تفرّد بزیادته یبعد اختیار الرضیّ له لعدم کونه بتلک البلاغه.

و الإشکال إنّما هو فی ما لو وافقت نسخنا أحدهما،و أمّا لو خالفتهما- کما فی الحکمه(۲-۶)علی ما عرفت-فلا اعتبار بها لکونها علی خلاف ما،من قبیل الإجماع المرکّب.

هذا و لکون شرحی علی صوغ بهج علی ما منّ اللّه تعالی،سمّیته ببهج الصباغه فی شرح نهج البلاغه.قال ابن درید:یقال:أبهجنی هذا الأمر و بهجنی،إذا سرّک (۴).

۱- ۱) جعل ابن میثم الحکمتین(۳۴۳،۳۴۴)حکمه واحده أوردها بعد الحکمه(۳۴۱)،شرح ابن میثم ۴۱۰،۴۰۹:۵.

۲- ۲) شرح ابن میثم ۳۱۹:۵.

۳- ۳) شرح ابن میثم ۴۱۳:۳.

۴- ۴) جمهره اللغه لابن درید ۲۱۵:۱. [۱]

شرح خطبه الرّضی

اشاره

ص:۴۳

بسم اللّه الرحمن الرحيم قال المصنّف قدّس سرّه:

روى(العيون)عن الرضا عليه السّلام:أنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم أقرب الى اسم اللّه الأعظم من سواد العين إلى بياضها (۱).

و روى العياشى عن الصادق عليه السّلام:ما أنزل اللّه من السماء كتابا إلّا و فاتحته بسم اللّه الرّحمن الرّحيم،و إنّما كان يعرف انقضاء السوره بنزول بسم اللّه الرّحمن الرحيم ابتداء للأخرى (۲).

«أمّا بعد» فى(تاريخ الطبرى)عن الهيثم بن عدى:أوّل من قال:«أمّا بعد»

۱- ۱) رواه عن الرضا عليه السّلام الصّدوق فى العيون ۲:۵ ح ۱۱،و [۱]العياشىّ فى تفسيره ۱:۲۱ ح ۱۳،و [۲]ابن طاوس فى مهج الدعوات:۳۱۶،و أيضا [۳]رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره،و الحاكم فى المستدرك،و [۴]البيهقى فى الشّعب،و أبو ذرّ الهروىّ فى فضائله،و الخطيب فى التاريخ عنهم الدرّ المنثور ۱:۸،و [۵]ابن النجار فى التاريخ،عنه منتخب كنز العمّال ۱:۳۷۱، و ابن طاوس فى مهج الدعوات:۳۱۹ [۶] عن ابن عباس عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله،و رواه عاصم بن حميد فى أصله:۲۸ عن على عليه السّلام،و الطوسى فى التهذيب عن الباقر عليه السّلام ۲:۲۸۹ ح ۱۵،و ابن شعبه فى تحف العقول:۴۸۷،و الإربلى فى كشف الغمّه ۳:۲۱۰،و ابن طاوس فى مهج الدّعوات:۳۱۷،و [۷]المسعودى فى اثبات الوصيه:۲۱۲ [۸] عن العسكرى عليه السّلام.

۲- ۲) أخرجه العياشى فى تفسيره ۱:۱۹ ح ۵،و [۹]السيّارى فى التنزيل و التحريف،عنه المستدرك ۱:۲۷۵ ح ۹ [۱۰] عن الصادق عليه السّلام،و أخرج معناه البرقىّ فى المحاسن:۴۰ ح ۴۹،و السّيّارى فى التنزيل و التحريف،عنه المستدرك ۱: ۲۷۶ ح ۱۰ [۱۱] عن الصادق عليه السّلام،و الكلينى فى الكافى ۳:۳۱۳ ح ۳ [۱۲] عن الباقر عليه السّلام.

قسّ بن ساعده الإيادى (۱).

و عن أبى موسى الأشعرى:أوّل من قال:«أمّا بعد»داود النبى عليه السّلام، و هى فصل الخطاب الّذى ذكره اللّه تعالى عنه فى ما آتاه (۲).

و روى الصولى فى(أدب الكاتب)أن أوّل من قاله كعب بن لؤى (۳).

«حمد اللّه» أتى بلفظ الإضافه تنبيها على كمال اختصاص الحمد به تعالى،و إلّا فالمناسب لقوله بعد«و الصّلاه على رسوله»:الحمد للّه.

«الَّذى جَعَلَ الْحَمْدَ ثَمَناً لِنَعْمائِهِ» روى الصّدوق عن الصّادق عليه السّلام:من قال فى كلّ يوم سبع مرّات:الحمد للّه على كلّ نعمه كانت أو هى كائنه،فقد أدّى شكر ما مضى و شكر ما بقى (۴).

و عنه عليه السّلام:من قال أربع مرّات إذا أصبح«الحمد للّه ربّ العالمين»فقد أدّى شكر يومه،و من قالها إذا أمسى فقد أدّى شكر ليلته (۵).و عنه عليه السّلام:ما أنعم اللّه على عبد بنعمه صغرت أو كبرت فقال:«الحمد للّه»إلّا أدّى شكرها (۶).

«و مَعَاذاً مِنْ بلائِهِ» المستتبع لترك حمده و شكره،قال تعالى:(... «وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِى لَشَدِيدٌ») (۷).

۱- ۱) رواه الطبرى فى تاريخه ۵:۲۴، [۱]سنه(۷۲).و الكراجكى فى كنز الفوائد:۲۵۴. [۲]

۲ - ۲) أخرجه الطبرى فى تاريخه ۵:۲۴، [۳]سنه(۷۲).و ابن أبى حاتم فى تفسيره،و الديلمى عنهما الدر المنثور ۵:۳۰۰، و [۴]أخرج معناه الثعلبى فى العرائس:۲۷۷،و سعيد بن منصور فى السنن،و ابن أبى شيبه فى مسنده،و ابن سعد و عبد بن حميد فى مسنده،و ابن المنذر عنهم الدر المنثور ۵:۳۰۰ [۵] عن زياد.

۳- ۳) رواه الصولى فى أدب الكاتب:۳۶.

۴- ۴) أخرجه الصدوق فى ثواب الأعمال:۲۴ ح ۱.

۵ - ۵) أخرجه الكلينى فى الكافى ۲:۵۰۳ ح ۵،و [۶]الصدوق فى ثواب الأعمال:۲۸،و رواه ابن فهد فى عدّه الداعى، [۷]عنه البحار ۹۳:۲۱۶ ح ۲۱ [۸] عن الصادق عليه السّلام.

۶- ۶) أخرجه الكلينى فى الكافى ۲:۹۶ ح ۱۴ [۹] عن الصادق عليه السّلام.

۷- ۷) إبراهيم:۷. [۱۰]

«وَ سَبیلاً»هکذا فی(المصریه)،و الصواب: (و وسیلا) کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیّه) (۱)،و الوسیل مفرد کالواسل و لغه فی الوسیله کما نقله(المصباح) (۲)،لا جمع وسیله کما توهّمه(الصحاح) (۳)،و تبعه ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخوئی (۴)،و لو کان جمعا لصار المعنی:جعل الحمد وسائل إلی جنانه.و لا معنی له،و المصنّف أیضا جعله مفردا کما یشهد له قوله قبل:«ثمنا و معاذا»،و بعد:«سببا».

«إلی جِنانِهِ» عن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:لمّا أسری بی إلی السماء دخلت الجنّه فرأیت فیها قیعانا یقتا من مسک،و رأیت فیها ملائکه یبنون لبنه من ذهب و لبنه من فضّه،و ربّما أمسکوا،فقلت لهم:مالکم و لأیّ شیء تبنون مرّه و تمسکون أخری؟قالوا:حتّی تأتینا النّفقه.قلت:و ما نفقتکم؟قالوا:قول المؤمن:«سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه و اللّه أکبر»فاذا قالهنّ بنینا،و إذا سکت أمسکنا (۵).

و فی خبر آخر:إذا أصبحت و أمسیت فقل:«سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه و اللّه أکبر»فإنّ لک بذلک إن قلته بکلّ تسبیحه عشر شجرات فی الجنّه

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ۱:۱۴،و شرح ابن میثم ۱:۸۹.

۲- ۲) فی المصباح المنیر للفیومی ۲:۳۸۰«الوسیل قیل جمع وسیله،و قیل لغه فیها».

۳- ۳) صحاح اللغه للجوهری ۵:۱۸۴۱ ماده(وسل).

۴- ۴) شرح ابن أبی الحدید ۱:۱۴،و شرح ابن میثم ۱:۹۲،و [۱]شرح الخوئی ۱:۸۳.

۵- ۵) أخرجه أبو علی الطوسی فی أمالیه ۲:۸۸،المجلس(۱۷)،و [۲]علی بن ابراهیم فی تفسیره بطریقین ۱:۲۱،و ۲:۵۳، و النعمانی و [۳]ابن قولویه فی التفسیر المنسوب إلی کلیهما:۸۳،و روی معناه علی بن ابراهیم فی تفسیره ۱:۲۱، و [۴]الصدوق فی أمالیه:۳۶۴ ح ۲،المجلس(۶۹)،و النعمانی و [۵]ابن قولویه فی التفسیر المنسوب الی کلیهما:۸۲، و الراوندی فی الدعوات عنه البحار ۹۳:۱۷۴ ح ۲۱،و [۶]الترمذی فی السنن ۵:۵۱۰ ح ۳۴۶۲،و ابن مردویه بثلاث روایات،و الطبرانی عنهما الدرّ المنثور ۴:۱۵۳ [۷] کلّهم عن النبی صلّی اللّه علیه و آله.

من أنواع الفاكهه،و هنّ من الباقيات الصالحات (۱).

«وَ سَبَباً لزِيادَهِ إحسانِهِ» قال تعالى: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ » (۲).

«وَ الصَّلاهُ عَلى رَسُولِهِ نَبىّ الرَّحمَهِ» قال تعالى: «وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَهً لِلْعالَمِينَ» (۳).

«وَ امامِ الأئمَّهِ وَ سِرَاجِ الأُمّهِ» قال تعالى: «يا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً وَ داعِياً إِلَى اللّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجاً مُنِيراً » (۴).

«المنتجب من طينه الكرم و سلاله المجد الأقدم،و مغرس الفخار المعرق و فرع العلاء المثمر المورق» الفقرات الأربع مأخوذه من زياره جامعه مرويه عن الهادى عليه السّلام (۵).و السلاله ما يستخرج من الشىء باللّطف و الخفاء،قال تعالى:

«وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ طِينٍ» (۶).

و قال الشاعر:

و ما هند إلاّ مهره عربيّه سليله أفراس تجلّلها بغل

(۷)و منه قوله تعالى: «يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً» (۸)،و لذا يقال للسرقه

۱- ۱) أخرجه الصدوق فى أماليه:۱۶۹ ح ۱۶،المجلس(۳۶)و [۱]البرقى فى المحاسن:۳۷ ح ۳۸،و [۲]الكلينى فى الكافى ۲:۵۰۶ ح ۴ [۳]عن الباقر عليه السّلام عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله.

۲- ۲) إبراهيم:۷. [۴]

۳- ۳) الأنبياء:۱۰۷. [۵]

۴- ۴) الأحزاب:۴۵-۴۶. [۶]

۵- ۵) أخرج الزياره الجامعه الصدوق فى العيون ۲:۲۷۷،و الفقيه ۲:۳۷۰ ح ۲،و الطوسى فى التهذيب ۶:۹۵ ح ۱،كلّهم مسندا،و رواها الكفعمى فى البلد الأمين:۲۹۷ [۷] مجرده عن الهادى عليه السّلام،و صاحب الكتاب العتيق فيه،عنه البحار ۱۰۲: ۱۴۶ ح ۵ [۸] بلا عزو،و ما أدرى لم ذهب ظن الشارح الى أنّ الفقرات الأربع أخذت من هذه الزياره.

۶- ۶) المؤمنون:۱۲. [۹]

۷- ۷) نقل البيت لسان العرب ۱۱:۳۳۹، [۱۰]ماده(سلل)و هو منسوب إلى هند بنت النعمان.

۸- ۸) النور:۶۳. [۱۱]

الخفيّه السلّه.

قال ابن أبی الحديد:سلاله المجد فرعه (۱)،و هو كما ترى.و الفخار بالفتح اسم مصدر من فخر كما قاله(المصباح) (۲)،لا مصدره كما قال ابن أبی الحديد،لعدم صحّه معنى المصدر هنا،و لأنّ قبله و بعده أسماء لا مصادر كالطّينه و السّلاله و العلاء،و ما قاله ابن أبی الحديد:من أنّ الفعل إذا كان(عينه) أو(لامه)حرف حلق يكون مصدره فعالا بالفتح،نحو:ذهب و سمح (۳)،لا يوجب أن يكون كلّ فعال بالفتح مصدرا لأعمّيته،مع أنّه ليس لأصله كليّه،فإنّ (سأل)ليس مصدره بالفتح (۴).

«و على أهل بيته مصابيح الظلم،و عصم الأمم،و منار الدّين» قال ابن أبی الحديد:المنار الأعلام واحدها مناره (۵).

و قال الخوئی:لم يصرّح أحد من اللّغويين بكون المنار جمعا لها(أی:

للمناره)،فهذا(القاموس و المصباح)قالا:جمع المناره المناور و المنائر (۶).

قلت:لم لم يراجع(النهايه)؟فإنّه قال فی الحديث:«لعن اللّه من غيّر منار الأرض» (۷).المنار جمع مناره و هی العلامه تجعل بين الحدّين،و منار الحرم أعلامه التی ضربها الخليل عليه السّلام على أقطاره و نواحيه،و(الميم)زائده،و منه

۱- ۱) شرح ابن أبی الحديد ۱:۱۴.

۲- ۲) المصباح المنير للفيومی ۲:۱۳۶.

۳- ۳) شرح ابن أبی الحديد ۱:۲۲. [۱]

۴ - ۴) لم يدّع ابن أبی الحديد كليّته،فإنّه قال:«فقد جاء المصدر الثلاثی إذا كان عينه أو لامه حرف حلق على فعال بالفتح،نحو:سمع سماعا،و ذهب ذهابا».

۵- ۵) شرح ابن أبی الحديد ۱:۱۴. [۲]

۶- ۶) شرح الخوئی ۱:۸۳،و القاموس المحيط ۲:۱۴۹،ماده(نور)،و المصباح المنير ۲:۳۴۲ ماده(نور).

۷- ۷) أخرجه مسلم فی صحيحه ۳:۱۵۶۷ ح ۴۳،و النسائی فی سننه ۷:۲۳۲ فی ذيل حديث عن على عليه السّلام عن النبیّ صلّى اللّه عليه و آله،و روى الحديث بألفاظ أخرى.

حدیث أبی هریره:«إنّ للإسلام ضوی و منارا» (۱).أی:علامات و شرائع یعرف بها (۲).

و لم لم یراجع(الأساس)؟فقال:و اهتدوا بمنار الأرض،أی:بأعلامها، و هدم فلان منار المساجد،منار جمع مناره (۳).

و لم لم یراجع(تهذیب الأزهری)؟فقال کما فی(اللسان):المنار جمع مناره،و هی العلامه تجعل بین الحدّین و منار الحرم أعلامه التی ضربها إبراهیم الخلیل علیه السّلام علی أقطار الحرم و نواحیه،و بها تعرف حدود الحرم من حدود الحلّ (۴).

و لم خصّ اعتراضه ب(ابن أبی الحدید)،و الأصل فیه المصنّف حیث جعله وصفا لأهل بیته کمصابیح و عصم قبلها و مثاقیل بعدها؟ «الواضحه» صفه المنار و هو أیضا شاهد لکون المنار جمعا،و یشهد لقول المصنّف قول الشاعر:

لعکّ فی مناسمها منار إلی عدنان واضحه السّبیل

(۵) «و مثاقیل» الأصل فی مثقال الشیء لغه:وزانه من مثله،و هو من الأسماء اللازمه الإضافه بحسب المعنی،قال تعالی: «فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ» (۶)،و قال تعالی: «وَ إِنْ کانَ مِثْقالَ»

۱- ۱) أخرجه الحاکم فی المستدرک عن أبی هریره،و له شاهد أخرجه الطبرانی فی معجمه الکبیر عن أبی الدّرداء عنهما الجامع الصغیر ۱:۹۵.

۲- ۲) النهایه لابن الأثیر ۵:۱۲۷، [۱]ماده(نور).

۳- ۳) أساس البلاغه:۴۷۶، [۲]مادّه(نور).

۴- ۴) لسان العرب ۵:۲۴۱، [۳]مادّه(نور).

۵- ۵) نقله لسان العرب ۵:۲۴۱، [۴]مادّه(نور).

۶- ۶) الزلزله:۷-۸. [۵]

«حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَ كَفى بِنا حاسِبِينَ» (۱).

ثم نقل بالعرف العام إلى وزن الدينار،فيقال:هذا مثقال،أى مثقال دينار.فيقطع عن الإضافه و ينوى المضاف إليه المعهود.و إذا ذكر المضاف إليه-كما هو أصله و كما استعمله المصنّف-ينسب إلى كلّ شىء.

«الفضل الراجحه» على فضل العالمين.

«صلّى اللّه عليهم أجمعين صلاه تكون ازاء» أى:وفاقا.

«لفضلهم» أى:فضائلهم النفسانيّه.

«و مكافأه» أى:جزاء.

«لعملهم» أى:أعمالهم الصالحه .

«و كفاء» أى:كفأ و نظيرا،قال حسّان:

و روح القدس ليس له كفاء

(۲).

«لطيب فرعهم و أصلهم» روى(الكافى)عن معاويه بن وهب عن الباقر عليه السّلام فى علائم الإمام:طهاره الولاده و حسن المنشأ و لا يلهو و لا يلعب (۳).

و فى خبر آخر:إنّ الإمام لا يستطيع أحد أن يطعن عليه فى فم و لا بطن و لا فرج (۴).

«ما أنار فجر ساطع» أى:مرتفع.

«و خوى نجم طالع» أى:سقط و غرب .

«فإنّى» جواب أمّا.

۱- ۱) الأنبياء:۴۷. [۱]

۲- ۲) نقله لسان العرب ۱:۱۳۹، [۲]ماده(كفا).

۳- ۳) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۲۸۴ ح ۴. [۳]

۴- ۴) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۲۸۴ ح ۳ [۴] فى ذيل حديث.

«کنت فی عنفوان السّنّ» أی:أوّله.

«و غضاضه الغصن» أی:طراوته،و غضاضه الغصن کنایه عن أیّام الشباب،کما أن نعومه الأظفار کنایه عن أیّام الطفوله .

«ابتدأت بتألیف کتاب فی خصائص الأئمّه علیهم السّلام» إنّ المصنّف مع أنّه لم یصل إلی حدّ الشیخوخه لأنّ تولده کما قال الثعالبی (۱)کان فی سنه (۳۹۵)و توفی سادس المحرم سنه(۴۰۶)کما قال هو و الخطیب و النجاشی و الجزری (۲)،و قول ابن أبی الحدید:مات سنه(۴۰۴) (۳)فیکون توفی عن سبع و أربعین سنه،و لذا قال أخوه المرتضی فی رثائه:

للّه عمرک من قصیر طاهر و لربّ عمر طال بالأرجاس

(۴)کانت له کتب نفیسه غیر(الخصائص)الذی أشار الیه و غیر نهجه هذا، و منها:کتاب(حقائق التنزیل)الذی قال فی حقّه شیخه ابن جنی (۵)و أحمد بن عمر بن روح (۶):یتعذّر وجود مثله.و کتاب(مجاز القرآن)و کتاب(مجازات

۱- ۱) یتیمه الدهر للثعالبی ۳:۱۳۱.

۲- ۲) قاله الخطیب فی تاریخ بغداد ۲:۲۴۷،و النجاشی فی الفهرست:۲۸۳،و ابن الأثیر فی الکامل ۹:۲۶۱ سنه(۴۰۶)، و کذا قال ابن خلکان فی وفیات الأعیان ۴:۴۱۹،و العلاّمه الحلّی فی الخلاصه:۱۶۴،و ابن میثم فی شرحه ۱:۸۹، و السید الحسنی فی عمده الطالب:۲۱۰،لکن الثعالبی کان معاصرا للرضیّ و لم یتعرّض الی تاریخ وفاته فی یتیمه الدهر ۳:۱۳۱.

۳- ۳) قاله ابن أبی الحدید فی شرحه ۱:۱۳،و نقله أیضا الطریحی فی مجمع البحرین ۱:۱۸۹ ماده(رضا)نقلا عن جامع الأصول،و نقله الخوانساری فی الروضات ۶:۱۹۷ [۱] عن مجمع البحرین،و المحدث النوری فی المستدرک ۳:۵۱۰ عن الروضات،و الظاهر انه من سهو الطریحی لأن ابن الأثیر فی جامع الأصول ۱۲:۲۲۲ ذکر الرضی لکن لم یتعرّض لتاریخ وفاته.

۴- ۴) فی دیوان الشریف المرتضی ۲:۱۳۳. و امّا لعمرک من قصیر طاهر و لربّ عمر طال بالأرجاس

۵- ۵) نقله عن ابن جنّی فی بعض مجامیعه ابن خلکان فی وفیات الأعیان ۴:۴۱۶. [۲]

۶- ۶) نقله عن ابن روح الخطیب فی تاریخ بغداد ۲:۲۴۶.

الآثار النبویه)و قد وصل إلینا جزء من الأوّل،و تمام الأخیرین (۱)،و منها یظهر مقام أدبیّته کما یظهر من بیاناته فی النهج،و کتاب(تعلیق خلاف الفقهاء)، و کتاب تعلیقه علی إیضاح أبی علی الفارسی،و کتاب(الجید من شعر ابن الحجّاج) (۲)،و(کتاب مختار شعر أبی إسحاق الصابی)،و کتاب(ما دار بینه و بین الصابی من الرسائل) (۳)،و لم تصل هذه إلینا،و کتاب دیوان شعره،و قد وصل إلینا (۴).و منه یظهر صدق ما قیل:إنّ الرضیّ أشعر الطالبیین بل أشعر قریش أجمعین (۵).فقالوا:لیس فی قریش مجید مکثر سوی الرضیّ رضوان اللّه علیه (۶).

«یشتمل علی محاسن أخبارهم و جواهر کلامهم» یعنی:جعل ذلک موضع کتابه .

«حدانی» أی:بعثنی.

«علیه» أی:علی تألیف ذاک الکتاب.

۱- ۱) الأوّل طبع باسم حقائق التأویل فی متشابه التنزیل بتحقیق آل کاشف الغطاء،و امّا الثانی فقد طبع باسم تلخیص البیان فی مجازات القرآن بطهران فالقاهره ثم بغداد،و امّا الثالث فقد طبع باسم المجازات النبویه [۱]ببغداد ثمّ القاهره.

۲- ۲) سمّی نفسه هذا الکتاب:الحسن من شعر الحسین،کما ذکر السیّد الحسنی فی عمده الطالب:۲۰۸،و الشیخ الحرّ فی أمل الآمل ۲:۲۶۳ [۲] لأنّ اسم ابن الحجّاج الحسین.قال محمّد عبد الغنی:حسن.فی مقدمه تلخیص البیان:۱۰۰ و [۳]قد ذکر ذلک فی دیوانه المطبوع به بیروت سنه(۱۳۰۷)و نقله المستشرق(متز)فی کتابه:الحضاره الاسلامیه فی القرن الرابع الهجری ۱:۴۴۹.

۳- ۳) قال عبد الحسین الحلی فی مقدّمه حقائق التأویل:۹۱ بعنی بذلک الرسائل الشعریه الموجود کثیر منها فی دیوانه لا رسائل النثر،و قال أیضا فی هذه المقدمه:۹۱ کتاب رسائله(النثریه)ثلاثه مجلدات،ذکر فی الدرجات الرفیعه [۴]بعضها، و نشرت مجله العرفان شیئا منها.

۴- ۴) طبع دیوان شعره مکرّرا.

۵- ۵) أوّل من قال ذلک الثعالبی المعاصر للرّضیّ فی یتیمه الدهر ۳:۱۳۱ [۵] قال:هو أشعر الطالبیین.ثمّ قال:و لو قلت إنّه أشعر قریش لم أبعد عن الصدق.

۶- ۶) نقله الخطیب فی تاریخ بغداد ۲:۲۴۶ عن ابن محفوظ،و عنه ابن خلکان فی وفیات الأعیان ۴:۴۱۹. [۶]

«غرض» أی:مقصد،و الأصل فی معنی الغرض الهدف.

«ذکرته» أی:ذکرت ذاک الغرض.

«فی صدر الکتاب» ذاک.

«و جعلته أمام الکلام» فی المقاصد،و غرضه الّذی ذکره ثمّه دفاعه عن رمی مخالفیه له بالواقفیه،و هذا نصّه ثمه:«سألتنی أن أصنّف لک کتابا یشتمل علی خصائص أخبار الأئمّه الاثنی عشر علی ترتیب أیّامهم و تدریج طبقاتهم (۱)...فعاقنی عن إجابتک إلی ملتمسک ما لا یزال یعوق من نوائب الزمان و معارضات الأیّام،إلی أن أنهضنی إلی ذلک اتّفاق اتّفق لی فاستثار حمیتی،و قوّی نیّتی و استخرج نشاطی و قدح زنادی،و ذلک أنّ بعض الرؤساء ممّن غرضه القدح فی صفاتی،و الغمز لقناتی،و التغطیه علی مناقبی،و الدلاله علی مثلبه إن کانت لی،لقینی و أنا متوجّه عشیّه عرفه من سنه ثلاث و ثمانین (و ثلاثمائه)هجریه إلی مشهد مولانا أبی الحسن موسی بن جعفر و أبی جعفر محمّد بن علیّ بن موسی علیهما السّلام للتعریف هناک،فسألنی عن متوجهی،فذکرت له إلی أین قصدی،فقال لی:متی کان ذلک؟یعنی أنّ جمهور الموسویین جارون علی منهاج واحد فی القول بالوقف و البراءه ممّن قال بالقطع،و هو عارف بأنّ الإمامه مذهبی و علیها عقدی و معتقدی،و إنّما أراد التبکیت لی و الطعن علی دینی.فأجبته فی الحال بما اقتضاه کلامه و استدعاه خطابه، و عدت و قد قوی عزمی علی عمل هذا الکتاب إعلانا لمذهبی،و کشفا عن مغیّبی،و ردّا علی العدوّ الّذی یتطلّب عیبی،و یروم ذمی و قصبی ...» (۲).

«و فرغت» فی ذاک الکتاب.

۱- ۱) خصائص الأئمه:۱. [۱]

۲- ۲) خصائص الأئمه:۳. [۲]

«من الخصائص الّتی تخصّ أمیر المؤمنین علیّا علیه السّلام» فی فواتح المیبدی سمّاه أبوه علیّا و قال:

سمّیته بعلیّ کی یدوم له عزّ العلوّ و خیر العزّ أدومه

و فیه روی أبو حمراء عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قال:رأیت لیله المعراج مکتوبا علی العرش:لا إله إلّا اللّه محمّد رسول اللّه أیّدته بعلیّ.و قال:

اسم علی العرش مکتوب کما نقلوا من یستطیع له محوا و ترقینا

و قال المیبدی بالفارسیّه:

از مهر علی کسی که یابد عرفان نامش همه دم نقش کند بر دل و جان

این نکته طرفه بین که ارباب کمال یابند ز بیّنات نامش ایمان

(۱) «و عاقت» أی:حبست.

«عن إتمام بقیّه الکتاب» فی خصائص باقی الأئمه علیهم السّلام.

«محاجزات» أی:ممانعات.

«الزمان» هکذا فی(المصریّه)،و الصواب:(الأیّام)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطّیه) (۲).

---

۱ - ۱) الحدیث مشهور رواه ابن عساکر و ابن الجوزی فی الواهیات،و الطبرانی فی معجمه الکبیر عنهم منتخب کنز العمال ۵:۳۵،و الحسکانی فی شواهد التنزیل ۱:۲۲۷،و [۱]الصدوق فی أمالیه:۱۷۹ ح ۵ المجلس(۳۸)،و [۲]الخوارزمی فی المناقب:۲۲۹،و المحب الطبری فی ذخائر العقبی عنه ینابیع الموده:۲۰۷،و [۳]الحسن بن سلیمان فی المختصر عنه البحار ۲۷:۱۱ ح ۲۶،و [۴]رواه أیضا غیر هؤلاء بطرق متعدده عنه و عن علی علیه السّلام و أبی ذرّ و جابر بن عبد اللّه و ابن عباس و أنس و أبی هریره،و رواه أیضا عن أبی الحمراء ابن قانع و الطبرانی و ابن مردویه إلی محمّد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عنهم الدّرّ المنثور ۴:۱۵۳. [۵]

۲- ۲) شرح ابن أبی الحدید ۱:۱۴،و شرح ابن میثم ۱:۸۹.

«و مماطلات» أی:مدافعات.

«الأیّام» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(الزّمان)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیّه) (۱).

«و کنت قد بوّبت ما خرج من ذلک» فی خصائص أمیر المؤمنین علیه السّلام.

«أبوابا،و فضّلته فضولا،فجاء فی آخرها» أی:آخر الفصول.

«فصل یتضمّن محاسن ما نقل عنه علیه السّلام من الکلام القصیر فی الحکم» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(فی المواعظ و الحکم)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطّیه (۲)).

«و الأمثال و الأدب» و ما فی ذاک الفصل هو الّذی جعله فی النهج الباب الثالث منه.

«دون الخطب الطویله،و الکتب المبسوطه» کما هو موضوع البابین الأوّلین من النهج .

«فاستحسن جماعه من الأصدقاء» له.

«و الإخوان» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:زیاده الکلمه لعدم وجودها فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطّیه) (۳).

«ما اشتمل علیه الفصل المقدّم ذکره» المتضمّن ما نقله عنه علیه السّلام من الکلام القصیر فی المواعظ و الحکم و الأمثال و الأدب .

«معجبین ببدایعه و متعجّبین» الفرق بین الإعجاب و التعجّب:أنّ الإعجاب بشیء الاستحسان له،و التعجّب من شیء:استغرابه،سواء کان من حسن أو

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ۱:۱۴،و [۱]شرح ابن میثم ۱:۸۹.

۲- ۲) شرح ابن أبی الحدید ۱:۱۵،و شرح ابن میثم ۱:۸۹.

۳- ۳) شرح ابن أبی الحدید ۱:۱۵،و [۲]شرح ابن میثم ۱:۸۹.

قبح،و الاسم من الأوّل العجب بالضم فالسكون،و من الثانی العجب بفتحتين.

قال الشاعر:

و آل ما كان من عجب إلی عجب

(۱)أی:انقلب عجبه بشبابه بتعجّبه من شيبته.

«من نواصعه» أی:سواطعه.قال:

و لم يأتك الحقّ الّذی هو ناصع

(۲) «و سألونی عند ذلك» أی:استحسانهم لذاك الفصل من كتاب الخصائص.

«أن أبتدئ بتأليف كتاب يحتوی علی مختار كلام» لا كلی كلام نقل عنه عليه السّلام.

«مولانا» هكذا فی(المصريه)،و الكلمه زائده لعدم وجودها فی(ابن أبی الحديد و ابن ميثم و الخطيّه) (۳).

«أمير المؤمنين عليه السلام فی جميع فنونه و متشعّبات غصونه» و لا يختص بشیء دون شیء.

«من خطب» خطب بها الناس.

«و كتب» كتبها إلی أوليائه و أعدائه و عمّاله.

«و مواعظ» الوعظ:التذكير بالعواقب.

«و آداب» هكذا فی(المصريه)،و الصواب:(و أدب)كما فی(ابن أبی الحديد و ابن ميثم و الخطّيه) (۴).

«علما» مفعول له لقوله قبل«و سألونی».

۱- ۱) أورده ابن أبی الحديد ۱:۱۵ و [۱]نسبه الی أبی تمام،و صدره: أبدت أسی اذ رأتنی مخلس القصب

۲- ۲) أورده أساس البلاغه:۴۵۹ [۲] ماده(نصع)و الشاعر:النابغه.

۳- ۳) شرح ابن أبی الحديد ۱:۱۵،و شرح ابن ميثم ۱:۸۹.

۴- ۴) فی شرح ابن أبی الحديد ۱:۱۱،لكن فی شرح ابن ميثم ۱:۹۰«آداب».

«أنّ ذلک» أی:کتاب من کلامه علیه السّلام فی کلّ فنّ.

«یتضمّن من عجائب البلاغه،و غرائب الفصاحه» و الأصل فی الفصاحه انطلاق اللسان خالصا من اللکنه،کما أنّ الأصل فی البلاغه بلوغ المراد فی بیانه،ثمّ نقلا عند أهل البیان بما اشتهر.

«و جواهر العربیّه،و ثواقب الکلم الدّینیّه» أی:متلالآتها من قولهم:کوکب ثاقب.أی شدید التلألؤ،و یقال:درّ مثقّب،و برقع مثقّب.و سمّی شاعر مثقّبا بقوله:

أرین محاسنا و کننّ أخری و ثقّبن الوصاوص للعیون

(۱) «و الدّنیویّه» هکذا فی(المصریه)،و الصواب(و الدنیاویّه)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیّه) (۲)و إن کان الأوّل أیضا صحیحا،قال الجوهری:النسبه إلی الدنیا دنیاوی.و یقال دنیوی و دنیی (۳).

«ما لا یوجد مجتمعا فی کلام،و لا مجموع الأطراف فی کتاب» فإنّ الکلام إنّما یحسن لفظه أو معناه،فکیف إذا کان جامعا بین الحسنین،ککلامه علیه السّلام؟! فلیقل فی ألفاظ کلامه علیه السّلام،و فی معانی کلماته ما قیل:

ألفاظ کغمزات الألحاظ.و معان کأنّها فکّ عان.ألفاظ کما نوّرت الأشجار.و معان کما تنفّست الأسحار.ألفاظ قد استعارت حلاوه العتاب بین الأحباب،و معان استلانت کتشکی العشّاق یوم الفراق.ألفاظ کالبشری مسموعه أو أزاهیر الریاض مجموعه،و معان کأنفاس الریاح تعبق بالریحان و الراح.ألفاظ هی خدع الدهر،و معان هی عقد السّحر.ألفاظ تأنّق الخاطر فی

۱- ۱) أورده أساس البلاغه:۴۵ [۱] ماده(ثقب).

۲- ۲) شرح ابن أبی الحدید ۱:۱۱،لکن فی شرح ابن میثم ۱:۹۰«الدنیویّه».

۳- ۳) صحاح اللّغه للجوهری ۶:۲۳۴۱ [۲] ماده(دنو).

تذهیبها،و معان عنی الفهم بتهذیبها.ألفاظ حسبتها من رقتها منسوخه فی صحیفه الصّبا،و معان ظننتها من سلاستها مکتوبه فی نحر الهوی.ألفاظ أنوار،و معان ثمار.

و کیف لا یکون کلامه علیه السّلام کذلک و کلامه دون کلام الخالق و فوق کلام المخلوق،و کلامه من ملوک الکلام؟! و قال أبو أحمد العسکری فی(زواجره)بعد نقل وصیّته علیه السّلام لابنه:لو کان من الحکمه ما یجب أن یکتب بالذهب لکانت هذه (۱).

«إذ کان أمیر المؤمنین علیه السّلام مشرع» الأصل فی المشرع:شرع الماء، و به سمّیت الشرائع،و قالوا:الشّرائع نعم الشّرائع،من وردها روی،و إلّا دوی.

«الفصاحه» فی(أمالی الشیخ)سئل أمیر المؤمنین علیه السّلام:من أفصح الناس؟قال:المجیب المسکت عند بدیهه السؤال (۲).

«و موردها» الأصل فی المورد ورود الماء،کالمصدر الصدور عنه .

«و منشأ البلاغه و مولدها» فی خلفاء ابن قتیبه:فرّ محفن منه علیه السّلام إلی معاویه،فقال له معاویه:من أین جئت؟قال:من عند أعیا الناس.فقال له معاویه:ویحک ما سنّ الفصاحه لقریش غیر علیّ (۳).

و فی(الخصال)عن الشعبی قال:تکلّم أمیر المؤمنین(علیّ)علیه السّلام بتسع کلمات ارتجلهنّ ارتجالا،فقأن عیون البلاغه،و أیتمن جواهر الحکمه،و قطعن

۱- ۱) رواه عن المواعظ للعسکریّ ابن طاوس فی کشف المحجّه:۱۵۷. [۱]

۲- ۲) أخرجه أبو جعفر الطوسی فی أمالیه ۲:۳۱۴،المجلس(۲۲). [۲]

۳- ۳) فی تاریخ الخلفاء و هو الإمامه و السیاسه لابن قتیبه ۱:۱۱۴ [۳] ما لفظه:«و ذکروا أنّ عبد اللّه بن أبی محجن الثقفی قدم علی معاویه فقال:یا أمیر المؤمنین!إنّی أتیتک من عند الغبیّ الجبان البخیل ابن أبی طالب.فقال معاویه:للّه أنت! أ تدری ما قلت؟أمّا قولک الغبیّ،فو اللّه لو أنّ ألسن الناس جمعت لسانا واحدا لکفاها لسان علیّ»و لکن ذکر لفظ الکتاب ابن أبی الحدید ۱:۸،و غیره عن محفن بن أبی محفن و معاویه.

جمیع الأنام عن اللحاق بواحده منهنّ،ثلاث منها فی المناجاه،و ثلاث منها فی الحکمه،و ثلاث منها فی الأدب،فأمّا اللاتی فی المناجاه فقال:اللّهمّ کفی بی عزّا أن أکون لک عبدا،و کفی بی فخرا أن تکون لی ربّا.أنت کما أحب فاجعلنی کما تحبّ.و أمّا اللاتی فی الحکمه فقال:قیمه کلّ امرئ ما یحسنه،و ما هلک امرؤ عرف قدره،و المرء مخبوء تحت لسانه.و أمّا اللاتی فی الأدب فقال:امنن علی من شئت تکن أمیره،و احتج الی من شئت تکن أسیره،و استغن عمّن شئت تکن نظیره (۱).

و قال ابن أبی الحدید عند قوله علیه السّلام:«سلکوا فی بطون البرزخ...»:لو اجتمع فصحاء العرب قاطبه فی مجلس و تلی علیهم هذا الکلام،ینبغی أن یسجد و اله کما سجد الشعراء لقول عدیّ بن الرقاع:

قلم أصاب من الدواه مدادها فلمّا قیل لهم فی ذلک،قالوا:إنّا نعرف مواضع السجود فی الشعر کما تعرفون مواضع السجود فی القرآن (۲).

هذا،و فی(الأغانی):کان إبراهیم بن المهدی شدید الانحراف عن علیّ علیه السّلام فقال یوما للمأمون:إنّی رأیت علیّا فی النوم،فقلت له:من أنت؟فقال:

علیّ.فمشینا حتّی جئنا قنطره،فذهب یتقدّمنی لعبورها فأمسکته،و قلت له:

إنّما أنت رجل تدّعی هذا الأمر بامرته،و نحن أحقّ به منک.فما رأیت له فی الجواب بلاغه کما یوصف عنه.فقال له المأمون:و أی شیء قال لک؟فقال:ما زادنی علی أن قال:سلاما سلاما.فقال له المأمون:قد و اللّه أجابک أبلغ جواب.

قال:و کیف؟قال:عرّفک أنّک جاهل لا یجاوب مثلک،قال تعالی: «وَ إِذا»

۱- ۱) أخرجه الصدوق فی الخصال:۴۲۰ ح ۱۴.

۲- ۲) شرح ابن أبی الحدید ۳:۵۱[۱] شرح الخطبه(۲۱۹).

«خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً» (۱)فخجل ابراهیم،و قال للمأمون:لیتنی لم أحدّثک بهذا الحدیث (۲).

«و منه علیه السّلام ظهر مکنونها» أی:مستورها.

«و عنه أخذت قوانینها» مرّ أن معاویه قال:ما سنّ الفصاحه لقریش غیر علیّ (۳).

«و علی أمثلته» أمثله جمع المثال.

«حذا» من حذوت النعل بالنعل إذا قطعتها مماثله.

«کلّ قائل خطیب» فی(مروج المسعودی):و الّذی حفظ الناس عنه (علیّ)علیه السّلام من خطبه فی سائر مقاماته أربعمائه خطبه و نیّف و ثمانون خطبه یوردها علی البدیهه،و تداول الناس ذلک عنه قولا و عملا (۴).

«و بکلامه استعان کلّ واعظ بلیغ» قال ابن نباته الواعظ المعروف و هو استاذ المصنّف:حفظت من الخطابه کنزا لا یزیده الانفاق إلّا سعه و کثره، حفظت مائه فصل من مواعظ علیّ بن أبی طالب علیه السّلام (۵).

و کذا استعان بکلامه علیه السّلام کلّ کاتب مجید،قال عبد الحمید الکاتب- کاتب مروان بن محمّد،و هو الّذی قیل فیه:إنّ الکتابه فتحت به-:حفظت سبعین خطبه من خطب الأصلع،ففاضت ثمّ فاضت (۶).

۱- ۱) الفرقان:۶۳. [۱]

۲- ۲) الأغانی ۱:۱۲۶. [۲]

۳- ۳) مرّ فی شرح فقره:«و منشأ البلاغه»نقلا عن ابن قتیبه.

۴- ۴) مروج الذهب للمسعودی ۲:۴۱۹. [۳]

۵- ۵) نقل هذا عن ابن نباته،و عبد الحمید ابن أبی الحدید فی شرحه ۱:۸ [۴] بهذا اللّفظ،و یأتی قول عبد الحمید بلفظ آخر عن الجهشیاری فی الوزراء:۸۲و [۵]أمّا قراءه الرضی علی ابن نباته فقد ذکرها السید علی خان فی الدرجات الرفیعه:۴۵۹. [۶]

۶- ۶) المصدر نفسه.

و فی(صناعه أبی هلال العسکری):أخذ إبراهیم بن العباس الصولی قوله:«إذا کان للمحسن من الثواب ما یقنعه،و للمسیء من العقاب ما یقمعه ازداد المحسن فی الإحسان رغبه،و انقاد المسیء للحقّ رهبه»من قول علی بن أبی طالب علیه السّلام:«یجب علی الوالی أن یتعهّد أموره،و یتفقّد أعوانه،حتّی لا یخفی علیه إحسان محسن،و لا إساءه مسیء» (۱).

و قال الجاحظ:کان جعفر بن یحیی البرمکی من أبلغ الناس و أفصحهم للقول و الکتابه،یضمّ اللّفظه إلی أختها،و سمعته یقول:ناهیک حسنا بقول علیّ بن أبی طالب علیه السّلام:«هل من مناص أو خلاص أو معاذ أو ملاذ أو قرار أو مجاز».و کان یتعجّب من قول علیّ علیه السّلام:«أین من جدّ و اجتهد،و جمع و احتشد، و بنی و شیّد،أو فرش فمهّد،أو زخرف فنجّد».قال:ألا تری أنّ کلّ لفظه منها أخذت بعنق قرینتها،جاذبه إیّاها إلی نفسها،دالّه علیها بذاتها (۲).

و قال محمّد بن یعقوب الکلینی فی(کافیه)بعد ذکر خطبه له علیه السّلام فی باب جوامع التوحید:هذه الخطبه هی کافیه لمن طلب علم التوحید إذا تدبّرها، و فهم ما فیها.فلو اجتمع ألسنه الجنّ و الإنس-لیس فیها لسان نبیّ-علی أن یبیّنوا التوحید بمثل ما أتی علیه السّلام به-بأبی و أمّی-ما قدروا علیه،و لو لا إبانته علیه السّلام ما علم الناس کیف یسلکون سبل التّوحید (۳).

قلت:هو علیه السّلام مصداق ما قیل:

إذا نهضت فأنت نجم ثاقب و إذا جلست فأنت لیث رابض

فبک التمثّل حین ینعت فاضل و الیک یرجع حین یشکل غامض

۱- ۱) الصناعتین للعسکری:۲۱۴. [۱]

۲- ۲) جاء ذکر جعفر بن یحیی البرمکیّ فی البیان و التبیین ۱:۱۲۸ بغیر هذه الألفاظ.

۳- ۳) الکافی ۱:۱۳۶. [۲]

و ممّن استعان بكلامه عليه السّلام عبد الملك بن صالح العبّاسى-و كان من خطبائهم-فى وصاياه لابنه-و نقلها الجاحظ فى بيانه (۱)-أخذها من وصاياه عليه السّلام لابنه،و كذلك طاهر بن الحسين ذو اليمينين الّذى كتب وصيّه طويله لابنه عبد اللّه بن طاهر،فأمر المأمون بحفظها و كتابتها (۲)،أخذها من الوصيه الجامعه له عليه السّلام،بل كان بعض الخطباء يخطب بعين خطبه عليه السّلام، كخطبه يوسف بن عمر الثقفى عامل هشام بن عبد الملك على الكوفه:«اتّقوا اللّه عباد اللّه فكم من مؤمّل أملا لا يبلغه،و جامع مالا لا يأكله،و مانع ما سوف يتركه،و لعلّه من باطل جمعه،و من حقّ منعه...» (۳).

و كخطبه قطرى بن فجاءه أحد أمراء الخوارج:«أمّا بعد فإنّى أحذّركم الدنيا فإنّها حلوه خضره،حفّت بالشهوات،و راقت بالقليل،و تحبّبت بالعاجله، و حليت بالآمال،و تزيّنت بالغرور.لا تدوم حبرتها،و لا تؤمن فجعتها...» (۴).

ذكر خطبتيهما الجاحظ فى بيانه.

و كخطبه المأمون يوم الجمعه،ذكرها ابن قتيبه فى(عيونه) (۵)،و أخذ فضيل بن عياض المعروف بالزهد كلامه عليه السّلام لشريح القاضى لمّا اشترى دارا،فقاله بعينه لفيض بن إسحاق لمّا اشترى دارا،كما نقله(الحليه) (۶)،و أخذ

۱- ۱) نقل الجاحظ فى البيان و التبيين ۲:۱۲۲،و ۳:۴۰۸ وصاياه لابنه،لكن المقايسه ليست من الجاحظ.

۲- ۲) نقل وصيّه طاهر الطبرى فى التاريخ ۷:۱۶۰،سنه(۲۰۶)و نقل أمر المأمون أيضا الطبرى فى التاريخ ۷:۱۶۸،سنه (۲۰۶).

۳- ۳) نقلها الجاحظ فى البيان و التبيين ۲:۱۶۳. [۱]

۴- ۴) نقلها الجاحظ فى البيان و التبيين ۲:۱۴۴،و [۲]نفى ابن أبى الحديد فى شرحه ۲:۲۴۲ شرح الخطبه(۱۰۹)كون الخطبه لقطرى.

۵- ۵) رواه ابن قتيبه فى عيون الأخبار ۲:۲۵۳.

۶- ۶) رواه أبو نعيم فى حليه الأولياء ۸:۱۰۱.

تفسیره علیه السّلام لقوله تعالی: «إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَیْهِ راجِعُونَ» (۱)أبو یزید البسطامی کما نقله أیضا (۲).

و فی(وزراء الجهشیاری)قیل لعبد الحمید بن یحیی:ما الّذی مکّنک من البلاغه و خرّجک؟فقال:حفظ کلام الأصلع.یعنی أمیر المؤمنین علیه السّلام (۳).

و قال(ابن أبی الحدید)فی شرح قوله علیه السّلام:«ألا و إنّ اللّسان بضعه من الإنسان»:قد أخذ هذه الألفاظ بعینها أبو مسلم الخراسانی،فخطب بها فی خطبه مشهوره من خطبه (۴).

«و مع ذلک فقد سبق و قصّروا و تقدّم و تأخّروا» أی:فی ما أخذوا من کلماته علیه السّلام فی کلامهم و فی ما استعانوا بجملاته علیه السّلام فی مقالاتهم،قال ابن أبی الحدید عند قوله علیه السّلام:«أمّا بعد،فإن الجهاد باب من أبواب الجنّه»:إنّ التحریض علی الجهاد،و الحضّ علیه قد قال فیه الناس فأکثروا،و کلّهم أخذوا من کلام أمیر المؤمنین علیه السّلام،فمن جیّد ذلک ما قاله ابن نباته الخطیب:أیّها الناس إلی کم تسمعون الذّکر فلا تعون-الی أن قال ابن أبی الحدید-هذه آخر خطبه ابن نباته.فانظر الیها و إلی خطبته علیه السّلام(أی المتقدّمه)بعین الانصاف تجدها بالنسبه إلیها کمخنّث بالنسبه إلی فحل،أو کسیف من رصاص بالنسبه الی سیف من حدید.و انظر ما علیها من أثر التولید،و شین التکلّف، و مجاجه کثیر من الألفاظ،ألا تری إلی فجاجه قوله:کأنّ أسماعکم تمجّ و دائع الوعظ،و کأنّ قلوبکم بها استکبار عن الحفظ-الی أن قال-إنّی أضرب لک مثلا تتّخذه دستورا فی کلام أمیر المؤمنین علیه السّلام و کلام الکتّاب و الخطباء بعده

۱- ۱) البقره:۱۵۶. [۱]

۲- ۲) رواه أبو نعیم فی حلیه الأولیاء ۱۰:۳۹.

۳- ۳) الوزراء للجهشیاری:۸۲،و [۲]النقل بتصرّف یسیر.

۴- ۴) شرح ابن أبی الحدید ۳:۱۸۴، [۳]شرح الخطبه(۲۳۱).

كابن نباته و الصابئ و غيرهما،انظر نسبه شعر أبى تمام،و البحترى،و أبى نواس،و مسلم إلى شعر امرئ القيس و النابغه و زهير و الأعشى-الى أن قال بعد ذكر تضمين ابن نباته جمله قوله عليه السّلام:«ما غزى قوم فى عقر دارهم إلّا ذلّوا»-انظر كيف تصيح من بين الخطبه صياحا،و تنادى على نفسها نداء فصيحا،و تعلم سامعها أنّها ليست من المعدن الذى خرج باقى الكلام منه،و لا من الخاطر الّذى صدر ذلك السجع عنه.و لعمر اللّه لقد جملت الخطبه و حسنتها و زانتها،و ما مثلها فيها إلّا كآيه من الكتاب العزيز،يتمثل بها فى رساله أو خطبه (۱).

«و لأنّ» هكذا فى(المصريه)،و الصواب:(لأنّ)بدون العاطف كما فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطّيه) (۲).

«كلامه عليه السّلام الكلام الّذى عليه مسحه من العلم الالهى» المسحه أن يبقى أثر المسح على الممسوح عليه،قال ذو الرّمه:

على وجه ميّه مسحه من ملاحه

(۳)و لنعم ما قال الميبدى فى شرح الديوان المنسوب اليه عليه السّلام:

شاهد كه مهش غلام و مهر است كنيز ناطق بكمال اوست قرآن عزيز

گر قدر كلام او رفيع است چه دور در خانه به كدخداى ماند همه چيز

«و فيه عبقه» من عبق به الطيب لزمه.

۱- ۱) شرح ابن أبى الحديد ۱:۱۴۲-۱۴۴ شرح الخطبه(۲۷).

۲- ۲) شرح ابن أبى الحديد ۱:۱۵،و شرح ابن ميثم ۱:۹۰.

۳- ۳) لسان العرب ۲:۵۹۶ [۱] ماده(مسح).

«من الكلام النبوىّ» و كيف لا يكون كذلك و قد قال النبى صلّى اللّه عليه و آله:«أنا مدينه العلم و علىّ بابها»؟! (۱)فى(فهرست منتجب الدّين):الشيخ القاضى جمال الدّين محمّد بن الحسين بن محمّد بن القريب قاضى قاشان فاضل فقيه،كان يكتب نهج البلاغه من حفظه،و له رساله العبقه فى شرح قول السيّد الرضىّ فى خطبه النّهج:«عليه مسحه من العلم الإلهى،و فيه عبقه من الكلام النبوىّ» (۲).

و قال ابن أبى الحديد عند الكلام فى خطبه الجهاد المتقدّمه:إنّ الناس قد اتفقوا على أن القرآن فى أعلى طبقات الفصاحه،و تأمّله تأملا شافيا،و انظر إلى ما خصّ به من مزيّه الفصاحه،و البعد عن التقعّر و التعقيد،و الكلام الوحشى الغريب،و انظر كلام أمير المؤمنين عليه السّلام فإنّك تجده مشتقّا من ألفاظه،و مقتضبا من معانيه و مذاهبه،و محذوّا به حذوه،و مسلوكا به فى منهاجه،فهو و إن لم يكن نظيرا و لا ندّا يصلح أن يقال:إنّه ليس بعده كلام أفصح منه،و لا أجزل،و لا أعلى،و لا أفخم،و لا أنبل،إلّا أن يكون كلام ابن

---

۱ - ۱) رواه العقيلى فى الضعفاء،و ابن عدى فى الكامل،و الطبرانى فى معجمه الكبير،و الحاكم فى المستدرك عنهم الجامع الصغير ۱:۱۰۸،و ابن المغازلى فى المناقب بثلاث طرق:۸۱-۸۳،و الخوارزمى فى المناقب ۴۰، و الحسكانى بطرق متعدده فى شواهد التنزيل ۱:۸۱ ح ۱۱۸،و ابن أخى تبوك فى مسنده،منتخب السند:۴۲۶ ح ۲، و الديلمى فى الفردوس،و الجوينى فى فرائد السمطين عنهما ينابيع الموده:۷۲ [۱] عن ابن عبّاس،و رواه ابن عدى فى الكامل،و الحاكم فى المستدرك عنهما الجامع الصغير ۱:۱۰۸،و ابن المغازلى فى المناقب بطريقين:۸۴،۸۰، و البزاز فى مسنده،و الطبرانى فى معجمه الأوسط عنهما ينابيع الموده:۲۸۲ [۲] عن جابر بن عبد اللّه،و أخرجه أحمد فى الفضائل عنه تذكره الخواصّ:۴۸،و [۳]ابن المغازلى بطريقين:۸۵،۸۲،و الحسكانى فى شواهد التنزيل ۱:۳۳۴ ح ۴۵۹،و أبو جعفر الطوسى فى أماليه ۲:۱۹۰،المجلس(۵)،و [۴]الصدوق فى العيون ۲:۶۶ ح ۲۹۸ [۵] عن على عليه السّلام، و فى الباب أحاديث بهذا اللفظ عن الثلاثه و أبى سعيد الخدرى و حذيفه بن اليمان و كعب بن عجره و أنس و ابن مسعود و الحسن عليه السّلام و الصادق عليه السّلام و الصنابجى و سلمه و غيرهم،و روى أيضا بألفاظ أخرى لم يسعها المقام.

۲- ۲) الفهرست لمنتجب الدين:۱۷۶. [۶]

عمّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (۱).

و قال أيضا عند قوله عليه السّلام:«عالم السرّ من ضمائر المضمرين...»:لو سمع النّضر بن كنانه هذا الكلام لقال لقائله:ما قاله علىّ بن العباس بن جريح لإسماعيل بن بلبل:

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم كلّا و لكن لعمرى منه شيبان

و كم أب قد علا بابن ذرى شرفا كما علا برسول اللّه عدنان

إذ كان يفخر به على عدنان و قحطان،بل كان يقرّ به عين أبيه إبراهيم خليل الرحمن،و يقول النضر له:لم يعف ما شيّدت من معالم التوحيد،بل أخرج اللّه تعالى لك من ظهرى ولدا ابتدع من علوم التوحيد فى جاهليه العرب ما لم تبتدعه أنت فى جاهليه النّبط،بل لو سمع هذا الكلام أرسطا طاليس- القائل بأنّه تعالى لا يعلم الجزئيات- (۲)لخشع قلبه،و قفّ شعره،و اضطرب فكره.ألا ترى ما عليه من الرواء و المهابه،و العظمه و الفخامه،و المتانه و الجزاله مع ما قد أشرب من الحلاوه و الطلاوه،و اللّطف و السّلاسه؟لا أرى كلاما يشبه هذا إلّا أن يكون كلام الخالق سبحانه،فإنّ هذا الكلام نبعه من تلك الشجره،و جدول من ذلك البحر،و جذوه من تلك النار (۳).

و قال فى شرح قوله عليه السّلام:«و منها فى صفه الأرض»من الخطبه(۸۹):فى بيان أنّه عليه السّلام إمام أرباب صناعه البديع،و ذلك لأن هذا الفن لا يوجد منه فى كلام غيره ممن تقدّمه إلا ألفاظ يسيره غير مقصوده،و لكنها واقعه بالاتّفاق،

۱- ۱) شرح ابن أبى الحديد ۱:۱۴۳ [۱] شرح الخطبه(۲۷).

۲- ۲) قال الفارابى فى كتاب الجمع بين رأيى الحكيمين:۱۰۶ فى تفسير قول أرسطو بهذا القول مجملا،و نسبه إلى افلاطون و أرسطو،و الظاهر اشتراك جمهور الحكماء فيه،كما نقله الغزالى فى المنقذ من الضّلال:۵۱،و العلاّمه الحلّى فى كشف المراد:۲۲۲،و غيرهما.

۳- ۳) شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۶۷ [۲] شرح الخطبه(۸۹).

كما وقع التجنيس فی القرآن العزیز اتفاقا غیر مقصود،و ذلک نحو قوله:

«یا أَسَفی عَلی یُوسُفَ» (۱)،و کما وقعت المقابله أیضا غیر مقصوده فی قوله: «وَ السَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ الْمِیزانَ» (۲)،علی أنّها لیست مقابله فی المعنی،بل من اللفظ خاصّه.و لما تأمّل العلماء شعر امرئ القیس-و وجدوا فیه من الاستعاره بیتا أو بیتین،نحو قوله یصف اللیل:

فقلت له لمّا تمطّی بصلبه و أردف اعجازا و ناء بکلکل

و قوله:

و إن یک قد ساءتک منّی خلیقه فسلّی ثیابی من ثیابک تنسل

(۳)و لم ینشدوا مثل ذلک فی أشعار الجاهلیه-حکموا له بأنّه إمام الشعراء و رئیسهم.

و هذا الفصل من کلام أمیر المؤمنین علیه السّلام قد اشتمل من الاستعاره العجیبه و غیرها من أبواب البدیع علی ما لو کان موجودا فی دیوان شاعر مکثر،أو مترسّل مکثر،لکان مستحقّ التقدیم بذلک،ألا تراه کیف وصف الأمواج بأنّها مستفحله،و أنها ترغو رغاء فحول الإبل.ثم جعل الماء جماحاً ثمّ وصفه بالخضوع،و جعل للأرض کلکلا،و جعلها واطئه للماء به،و وصف الماء بالذلّ و الاستخذاء،لمّا جعل الأرض متمعّکه علیه کما یتمعّک الحمار أو الفرس،و جعل لها کواهل،و جعل للذلّ حکمه،و جعل الماء فی حکمه الذلّ منقادا أسیرا،و ساجیا مقهورا،و جعل الماء قد کان ذا نخوه و بأو و اعتلاء، فردّته الأرض خاضعا مسکینا،و طأطأت من شموخ أنفه،و سموّ غلوائه،

۱- ۱) یوسف:۸۴. [۱]

۲- ۲) الرحمن:۷. [۲]

۳- ۳) أورده کذلک فی المعلّقات السبع:۲۰،لکن فی الدیوان:۱۸،و لسان العرب ۱۱:۵۹۷ [۳] مادّه(کلل)بدل(صلبه): (جوزه).

و جعلها كاعمه له،و جعل الماء ذا كظّه بامتلائه،كما تعترى الكظّه المستكثر من الأكل،ثم جعله هامدا بعد أن كانت له نزقات،و لابدا بعد أن كانت له و ثبات، ثم جعل للأرض أكتافا و عرانين،و أنوفا و خياشيم،ثم نفى النوم عن وميض البرق،و جعل الجنوب ماريه درر السحاب،ثم جعل للسّحاب صدرا و بوانا،ثم جعل الأرض مبتهجه مسروره مزدهاه،و جعل لها ريطا من لباس الزهور، و سموطا تحلّى بها.فيا للّه و للعجب من قوم زعموا أن الكلام إنما يفضل بعضه بعضا لاشتماله على أمثال هذه الصنعه،فإذا وجدوا فى مائه ورقه كلمتين أو ثلاثا منها،أقاموا القيامه،و نفخوا فى الصّور و ملئوا الصحف بالاستحسان لذلك و الاستظراف،ثم يمرّون على هذا الكلام المشحون كله بهذه الصنعه على ألطف وجه،و أرصع وجه،و أرشق عباره،و أدقّ معنى،و أحسن مقصد، ثم يحملهم الهوى و العصبيه على السكوت عن تفضيله إذا أجملوا و أحسنوا، و لم يتعصبوا لتفضيل غيره عليه.على أنه لا عجب،فإنه كلام علىّ عليه السّلام،و حظّ الكلام حظّ المتكلّم،و أشبه امرأ بعض بزّه! (۱).

قلت:ما قاله ابن أبى الحديد ليس يحسن على إطلاقه،فإنّ أمير المؤمنين عليه السّلام هو «النَّبَإِ الْعَظِيمِ اَلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» (۲)،فإذا كان أعداؤه كذلك فإنّ أولياءه يعترفون بالعجز عن وصف محاسنه،و أنّ كلامه تالى القرآن الّذى قال جل و علا فيه: «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً» (۳).و لا يحطّ

۱- ۱) أورده الزمخشرى فى المستقصى ۱:۱۸۷ [۱] ثم قال يضرب فى مماثله الشيء صاحبه.

۲- ۲) شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۵۹ شرح الخطبه(۸۹)و قد جاء فى الأخبار أنّ عليّا عليه السّلام هو النبأ العظيم،أخرجه علىّ بن إبراهيم فى تفسيره ۲:۴۰۱،و [۲]الفرات الكوفى فى تفسيره:۲۰۲ و [۳]الحسكانى فى شواهد التنزيل ۲:۳۱۷،۳۱۸ [۴]بطرق متعدّده:و ذلك فى تفسير قوله تعالى: «عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ اَلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» النبأ:۲-۳. [۵]

۳- ۳) الاسراء:۸۸. [۶]

علوّه عمل أعدائه،و لنعم ما قيل بالفارسيه:

شب پره گر وصل آفتاب نخواهد رونق بازار آفتاب نكاهد

(۱)و قال سبط ابن الجوزى فى(تذكرته):كان علىّ عليه السّلام ينطق بكلام قد حف بالعصمه و يتكلّم بميزان الحكمه.كلام ألقى اللّه عليه المهابه،فكلّ من طرق سمعه راعه فهابه،و قد جمع اللّه له بين الحلاوه و الملاحه،و الطلاوه و الفصاحه.لم يسقط منه كلمه،و لا بارت له حجّه.أعجز الناطقين،و حاز قصب السبق فى السابقين.ألفاظ يشرق عليها نور النبوّه،و يحير الافهام و الألباب (۲).

قلت:و لا غرو أن يكون على كلامه عليه السّلام مسحه من العلم الإلهى،و كان كرارا يقول:«أنا أعلم بطرق السماء منّى بطرق الأرض» (۳).

و كان عليه السّلام يقول:«لو ثنيت لى الوساده لأفتيت أهل التوراه بتوراتهم، و أهل الإنجيل بإنجيلهم،و أهل الفرقان بفرقانهم،حتّى ينطق كلّ منها و يقول:

إنّ عليّا قضى فىّ بما أنزل اللّه تعالى فىّ» (۴).

و كيف لا يكون فى كلامه عبقه من الكلام النبوى،و قد جعلهما الله تعالى فى آيه المباهله نفسا واحده (۵)؟!و كان عليه السّلام يقول:«أنا من النبى صلّى اللّه عليه و آله

---

۱ - ۱) أورده دهخدا فى أمثال و حكم ۲:۱۰۱۳ و [۱]الشاعر:سعدى،و ترجمه البيت:«ان كان الخفاش لا يريد وصال الشمس فليس ذلك بقادح فى منزلتها».

۲- ۲) تذكره الخواصّ:۱۱۹. [۲]

۳- ۳) رواه الإربلى فى كشف الغمه ۱:۱۳۰،و [۳]الآمدى فى غرر الحكم،الفصل(۳۹)ح ۸۵،و [۴]شاذان فى الفضائل:۹۸. [۵]

۴ - ۴) أخرجه الصفار فى بصائر الدرجات:۱۵۳ ح ۴،و الثعلبى فى تفسيره عنه تذكره الخواص:۱۶،و الفرات الكوفى فى تفسيره:۶۹،و الحسكانى بروايتين فى شواهد التنزيل ۱:۲۸۰،۲۸۱ ح ۳۸۴،۳۸۵،و الجوينى فى فرائد السمطين عنه ينابيع الموده:۷۴ [۶]عن زاذان عن على عليه السّلام،و روى بطرق عديده حاضره عندى عن الامامين الباقر و الصادق عليهما السلام و زاذان و أبى البحترى و الأصبغ بن نباته و سلمه بن كهيل و عمرو بن أبى المقدام و سليم بن قيس و غيرهم.

۵- ۵) إشاره الى قوله تعالى: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ» .آل عمران:۶۱. [۷]

كالصّنو من الصّنو،و الذّراع من العضد» (۱).و كان كلامه عليه السّلام أولى من كلام قيل فيه:و كلام لا تمجّه الاذان،و لا تبليه الأزمان.كلام قريب شاسع،و مطمع مانع،كالشمس تقرب ضياء،و تبعد علاء،أو كالماء يرخص موجودا،و يغلو مفقودا.كلام سهل متسلسل كالمدام بماء غلام،يقرب أذنه على الأفهام.كلام كبرد الشراب على الأكباد الأحرار،و برد الشباب فى خلع العذار.كلام كثير العيون،سلس المتون،رقيق الحواشى،سهل النواحى.كلام هو السّحر الحلال،و الماء الزّلال،و البرود و الحبر،و الأمثال و العبر،و النعيم الحاضر، و الشباب الناضر.نظرت منه الى صوره الظرف بحتا،و صوره البلاغه سبكا و نحتا.كلام يسرّ المحزون،و يسهّل الحزون،و يعطّل الدرّ المخزون.كلام بعيد من الكلف،نقى من الكلف،كما ينفس السحر عن نسيمه،و يبسم الدرّ عن نظيمه.كلام كالبشرى بالولد الكريم،قرع به سمع الشيخ العقيم،كلام أنسى حلاوه الأولاد بحلاوته،و طلاوه الربيع بطلاوته.كلام قرب حتى أطمع،و بعد حتى امتنع،قرب حتّى صار قاب قوسين أو أدنى،ثم علا حتّى صار بالمنزل الأعلى،رقيق المزاج،حلو السماع،نقى السبك،مقبول اللفظ.قرأت لفظا جليّا، حوى معنى خفيّا،و كلاما قريبا،رمى غرضا بعيدا.كلام أنس المقيم الحاضر، و زاد الراحل المسافر.كلام يصغى إليه المقبور و ينتفض له العصفور.كلام يقضى حقّ البيان،و يملك رق الحسن و الاحسان.كلام منه يجتنى الدرّ،و به يعقد السحر،و عنده يغيب الدهر،و له ينشرح الصدر.كلام كما هبّ نسيم السحر على صفحات الزهر .

«فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع» ينتفع به جميع

۱- ۱) أخرجه الشريف الرضى فى نهج البلاغه ۳:۷۳ [۱] ضمن الكتاب(۴۵).

البشر الموحّد منهم ممّا فيه من ذكر الثواب و العقاب،و الملحد منهم ممّا فيه من الحكم و الآداب،و مع ذلك فهو معجزه للإسلام ككتاب اللّه تعالى و شاهد للنبوّه و الإمامه.

«و منشور الذكر» إنّ الرضى انقرض نسله كأخيه المرتضى،إلاّ أنّه انتشر ذكره فى العالم بجمعه هذا الكتاب،فكثير من الكتب لم يشتهر أمرها أصلا،و بعضها إنّما اشتهر فى عصر أو قطر،و أمّا هذا الكتاب فاشتهر اشتهار الشمس فى رابعه النهار.

و ينبغى لمن فتح هذا الكتاب أن يخاطب الرضىّ بخطاب أبى تمام الشّاعر للحسن بن وهب الكاتب لمّا قرأ كتابا له:

لقد جلّى كتابك كلّ بثّ جو و أصاب شاكله الرميّ

فضضت ختامه فتبلجت لى غرائبه عن الخبر الجليّ

و كان أغضّ فى عينى و أندى على كبدى من الزهر الحليّ

و أحسن موقعا عندى و منّى من البشرى أتت بعد النعىّ

و ضمّن صدره ما لم تضمّن صدور الغانيات من الحليّ

فكائن فيه من معنى بديع و كائن فيه من لفظ بهىّ

و قال بعضهم فى الرضىّ و فى كتابه:

إنّ الرضىّ الموسوىّ لمائه هو مائح

لاقت به و بجمعه عدد القطاط مدائح

(۱) «و مذخور الأجر» فمن هدى شخصا يكون خيرا له ممّا طلعت عليه الشمس،و قد هدى الرضىّ بتأليفه نهجه هذا من لا يحصيهم إلاّ اللّه تعالى .

«و اعتمدت به» أى:قصدت بجمع هذا الكتاب.

۱- ۱) نقله ضمن أبيات الخوئى فى شرحه ۱:۸۰ عن السيّد عزّ الدين بن ضياء الدين.

«أن أبيّن» من الإبانه.

«من عظيم» هكذا فی(المصريه)،و الصواب:(عن عظيم)كما فی(ابن ميثم،و الخطيّه) (۱)و لأنّ الإبانه إنّما تتعدّی ب(عن).

«قدر أمير المؤمنين عليه السّلام فی هذه الفضيله» أی:فضيله النطق،قال تعالی: «فَلَمّا كَلَّمَهُ قالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ» (۲).

و قال عليه السّلام:«تكلّموا تعرفوا،فإنّ المرء مخبوء تحت لسانه» (۳).

«مضافه» هذه الفضيله.

«إلی المحاسن الدّثره» أی:الكثيره العاليه،قال ابن مقبل:

أصاخت له فدر اليمامه بعد ما تدثّرها من وبله ما تدثّرا

(۴) «و الفضائل الجمّه» أی:المجتمعه،قال الشاعر:

إن تغفر اللّهم تغفر جمّا و أیّ عبد لك لا ألمّا

(۵)و قد وصف النبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم محاسن أمير المؤمنين عليه السّلام و فضائله،فقال:

«لو أنّ البحار كانت مدادا،و الأشجار أقلاما،و الجنّ و الإنس كتّابا،لما أحصوا فضائل علیّ بن أبی طالب» (۶).

و روی العكبری كما فی(مناقب الكنجی الشافعی)مسندا عن ابن عباس قال:بينما النبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم جالس فی جماعه من أصحابه،إذ أقبل علیّ عليه السّلام،فلمّا

۱- ۱) كذا فی شرح ابن ميثم ۱:۹۰،و لكن فی شرح ابن أبی الحديد ۱:۱۵«من عظيم»أيضا.

۲- ۲) يوسف:۵۴. [۱]

۳- ۳) نهج البلاغه ۴:۹۳ [۲] الحكمه(۳۹۲).

۴- ۴) لسان العرب ۴:۲۷۷ [۳] ماده(دثر).

۵- ۵) أورده لسان العرب ۱۲:۱۰۴ [۴] ماده(جمم)،و الشاعر:أبو خراش الهذلیّ.

۶- ۶) رواه الديلمی فی الفردوس عنه البحار ۴۰:۷۵ ح ۱۱۲،و [۵]المطرزی عنه البحار ۴۰:۷۴ ح ۱۱۰،و [۶]سبط ابن الجوزی فی تذكره الخواص:۱۳،و [۷]الكراجكی فی كنز الفوائد:۱۲۸،و [۸]فی التفضيل:۴۰،و [۹]الديلمی فی إرشاد القلوب:۲۰۹. [۱۰]

بصر به النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قال:«من أراد منکم أن ینظر إلی آدم فی علمه،و إلی نوح فی حکمه،و إلی إبراهیم فی حلمه،فلینظر إلی علیّ بن أبی طالب علیه السّلام» (۱).قال الکنجی:و تشبیهه بآدم فی علمه لقوله تعالی فی آدم: «وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ کُلَّها» (۲)،و بنوح فی حکمه لشدّته علی الکفّار لقوله: «رَبِّ لا تَذَرْ عَلَی الْأَرْضِ مِنَ الْکافِرِینَ دَیّاراً» (۳)،و بإبراهیم فی حلمه لقوله تعالی: «إِنَّ إِبْراهِیمَ لَأَوّاهٌ حَلِیمٌ» (۴)، (۵)و لقد أجاد شباب التستری حیث قال فیه علیه السّلام بالفارسیّه:

کتاب فضل ترا آب بحر کافی نیست که تر کنند سر انگشت و صفحه بشمارند

(۶)و هو علیه السّلام أولی ممّن قیل فیه:

لیس علی اللّه بمستنکر أن یجمع العالم فی واحد

(۷)

۱- ۱) رواه الکنجی فی کفایه الطالب:۴۶،و [۱]أیضا الحسکانی فی شواهد التنزیل ۱:۱۰۶ ح ۱۴۷،و [۲]المحب الطبری فی ذخائر العقبی [۳]عنه ینابیع الموده:۲۱۴ [۴] عن ابن عباس،و رواه الدیلمی فی الفردوس عنه البحار ۴۰:۷۸،و [۵]الحسکانی فی شواهد التنزیل [۶]بطریقین ۱:۷۹،۸۰ ح ۱۱۶،۱۱۷،و الخوارزمی بطریقین:۲۱۹،۴۰،و المحبّ الطبریّ فی ذخائر العقبی [۷]عنه ینابیع الموّده:۲۱۴ [۸] عن أبی الحمراء،و أخرجه ابن المغازلی فی المناقب:۲۱۲،و [۹]الکراجکی فی التفضیل:۳۱ [۱۰] عن أنس، و رواه الکراجکی فی التفصیل:۳۱ عن أبی سعید الخدری،و نقله ابن أبی الحدید فی شرحه ۲:۴۲۹ ح ۴ عن أحمد فی مسنده و البیهقی فی السنن،و روی معناه الخوارزمی:۴۵ [۱۱] عن الحارث الأعور عن جمع من أصحاب النبی صلّی اللّه علیه و آله،و بین الألفاظ اختلاف.

۲- ۲) البقره:۳۱. [۱۲]

۳- ۳) نوح:۲۶. [۱۳]

۴- ۴) التوبه:۱۱۴. [۱۴]

۵- ۵) کفایه الطالب:۴۶ و [۱۵]النقل بتصرّف یسیر.

۶- ۶) أورده دهخدا فی أمثال و حکم ۳:۱۱۹۱ و [۱۶]نسبه الی الأسدی،و ذیله فیه«که ترکنی سرانگشت و صفحه بشماری» و ترجمه البیت:«لا یکفی کتاب فضلک ماء البحر أن ترطّب بنانک و تعدّد صفحاته».

۷- ۷) أورده ابن أبی الحدید فی شرحه ۲:۲۳۱،و غیره.

ما قاله الشارح المعتزلی فی فضائله علیه السّلام:

قال ابن أبی الحدید فی أوّل کتابه:فأمّا فضائله علیه السّلام فانّها قد بلغت من العظم و الجلال و الانتشار و الاشتهار مبلغا یسمج معه التعرّض لذکرها و التصدّی لتفصیلها،فصارت کما قال أبو العیناء لعبید اللّه بن یحیی بن خاقان وزیر المتوکل و المعتمد:رأیتنی فی ما أتعاطی من وصف فضلک کالمخبر عن ضوء النهار الباهر و القمر الزاهر الّذی لا یخفی علی الناظر،فأیقنت أنّی حیث انتهی بی القول منسوب إلی العجز،مقصّر عن الغایه،فانصرفت عن الثناء علیک إلی الدعاء لک،و وکلت الإخبار عنک إلی علم الناس بک.

و ما أقول فی رجل أقرّ له أعداؤه و خصومه بالفضل و لم یمکنهم جحد مناقبه و لا کتمان فضائله،فقد علمت أنّه استولی بنو أمیّه علی سلطان الاسلام فی شرق الأرض و غربها،و اجتهدوا بکلّ حیله فی إطفاء نوره و التحریف علیه،و وضع المعائب و المثالب له،و لعنوه علی جمیع المنابر، و توعّدوا مادحیه،بل حبسوهم و قتلوهم،و منعوا من روایه حدیث یتضمّن له فضیله أو یرفع له ذکرا،حتّی حظروا أن یسمّی أحد باسمه،فما زاده ذلک إلاّ رفعه و سموّا،و کان کالمسک،کلّما ستر انتشر عرفه،و کلّما کتم تضوّع نشره،و کالشمس لا تستر بالراح،و کضوء النّهار إن حجبت عنه عین واحده أدرکته عیون کثیره.

و ما أقول فی رجل تعزی إلیه کلّ فضیله،و تنتهی إلیه کلّ فرقه، و تتجاذبه کلّ طائفه،فهو رئیس الفضائل و ینبوعها و أبو عذرها و سابق مضمارها و مجلّی حلبتها،کلّ من بزغ فیها بعده فمنه أخذ،و له اقتفی،و علی مثاله احتذی.

و قد عرفت أنّ أشرف العلوم هو العلم الإلهى،لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم،و معلومه أشرف الموجودات،فكان هو أشرف العلوم،و من كلامه عليه السّلام اقتبس،و عنه نقل،و إليه انتهى،و منه ابتدئ.

فإنّ المعتزله-الذين هم أهل التوحيد و العدل و أرباب النظر،و منهم تعلّم الناس هذا الفن-تلامذته و أصحابه،لأنّ كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبى هاشم عبد اللّه بن محمّد بن الحنفيه،و أبو هاشم تلميذ أبيه،و أبوه تلميذه عليه السّلام.

و أمّا الأشعريه فإنّهم ينتمون إلى أبى الحسن على بن بشر الأشعرى و هو تلميذ أبى على الجبائى،و أبو على أحد مشايخ المعتزله،فالأشعريه ينتهون بأخره إلى أستاذ المعتزله و معلّمهم،و هو على بن أبى طالب عليه السّلام.

و أمّا الإماميه و الزيديه فانتماؤهم إليه ظاهر.

و من العلوم:علم الفقه،و هو عليه السّلام أصله و أساسه،و كلّ فقيه فى الإسلام فهو عيال عليه و مستفيد من فقهه.أمّا أصحاب أبى حنيفه كأبى يوسف، و محمّد،و غيرهما فأخذوا عن أبى حنيفه،و أمّا الشافعى فقرأ على محمّد بن الحسن،فيرجع فقهه أيضا إلى أبى حنيفه،و أمّا أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعى،فيرجع فقهه أيضا إلى أبى حنيفه،و أبو حنيفه قرأ على جعفر بن محمّد عليه السّلام و قرأ جعفر على أبيه،و ينتهى الأمر إلى على عليه السّلام،و أمّا مالك بن أنس فقرأ على ربيعه الرّأى،و قرأ ربيعه على عكرمه،و قرأ عكرمه على عبد اللّه بن عباس،و قرأ عبد اللّه بن عباس على علىّ،و إن شئت رددت إليه فقه الشافعى بقراءته على مالك كان لك ذلك،فهؤلاء الفقهاء الأربعه،و أمّا فقه الشيعه فرجوعه إليه ظاهر.

و أيضا فإنّ فقهاء الصحابه كانوا عمر بن الخطاب و عبد اللّه بن عباس، و كلاهما أخذا عن علىّ عليه السّلام،أمّا ابن عباس فظاهر،و أمّا عمر فقد عرف كلّ

أحد رجوعه إليه فی کثیر من المسائل التی أشکلت علیه و علی غیره من الصحابه،و قوله غیر مرّه:«لو لا علیّ لهلک عمر» (۱)،و قوله:«لا بقیت لمعضله لیس لها أبو الحسن» (۲)،و قوله:«لا یفتینّ أحد فی المسجد و علیّ حاضر» (۳).فقد عرف بهذا الوجه أیضا انتهاء الفقه إلیه.و قد روت العامّه و الخاصّه قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«أقضاکم علیّ» (۴)و القضاء هو الفقه،فهو إذن أفقههم، و روی الکلّ أیضا أنّه صلّی اللّه علیه و آله قال له و قد بعثه الی الیمن قاضیا:«اللّهم اهد قلبه، و ثبّت لسانه».قال:فما شککت بعدها فی قضاء بین اثنین (۵).و هو علیه السّلام الّذی أفتی فی المرأه التی وضعت لستّه أشهر (۶)،و هو الّذی أفتی فی الحامل

۱- ۱) رواه ابن عیّاش و السمعانی عنهما مناقب ابن شهر آشوب ۲:۳۱،و [۱]الخوارزمی فی المناقب:۳۹،و المحب الطبری فی ذخائر العقبی عنه ینابیع الموده:۲۱۱،و [۲]صاحب مسند زید بن علی فیه:۳۳۵،و الفضل بن شاذان فی الایضاح: ۱۰۱،۹۹،۹۸ و [۳]جمع آخر.

۲- ۲) رواه البلاذری فی أنساب الأشراف،و ابن بطه فی الابانه،و الزمخشری فی الفائق عنهم مناقب ابن شهر آشوب ۲: ۳۱،و [۴]ابن سعد فی الطبقات،و المحب الطبری فی ذخائر العقبی عنهما ینابیع الموده:۲۸۶،۲۱۱،و [۵]ابن عبد البر فی الاستیعاب ۳:۳۹،و [۶]الخوارزمی فی المناقب:۵۱،و ابن الأثیر فی أسد الغابه ۴:۲۲،و [۷]المفید فی الارشاد:۱۰۹،و [۸]نقله ابن البطریق فی العمده ۲:۱۳۴ عن مسند أحمد.

۳- ۳) نقله مقاتل بن عطیه فی المؤتمر:۴۷.

۴- ۴) رواه الخوارزمی بطریقین فی المناقب:۳۹،۴۱ [۹] عن أبی سعید الخدری،و الصدوق فی أمالیه:۴۴۰ ح ۲۰ المجلس (۸۱)عن سلمان،و المفید فی الارشاد:۲۲ [۱۰] عن ابن عباس،و المحب الطبری فی ذخائر العقبی عنه ینابیع الموده: ۲۱۱ [۱۱] عن أنس،و ابن بطه فی الإبانه عنه مناقب ابن شهر آشوب ۲:۳۳ [۱۲] عن أبی امامه،و أبو یعلی فی مسنده عنه المطالب العالیه ۴:۸۵ ح ۴۰۳۱ عن ابن عمر،و ابن شهر آشوب مجرّدا فی المناقب ۲:۳۳ [۱۳] عن الصادق علیه السّلام، و القاضی الصعدی فی درر الأحادیث:۱۴۵ عن الهادی الی الحق،کلّهم عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله،و روی بلا رفع عن علی علیه السّلام و ابن عباس و ابن مسعود و عمر.

۵- ۵) أخرجه أبو داود فی سننه ۳:۳۰۱ ح ۳۵۸۲،و [۱۴]ابن ماجه فی سننه ۲:۷۷۴ ح ۲۳۱۰،و صاحب مسند زید بن علی فیه:۲۹۴،و أحمد فی مسنده ۱۳۶،۱۱۱،۸۳:۱،و [۱۵]المفید فی الإرشاد:۱۰۵،و [۱۶]جمع آخر.

۶- ۶) القصّه:أنّ عمر أتی بامرأه وضعت لسته أشهر فأمر برجمها،فاستدلّ علیّ علیه السّلام بآیتین علی أنّ أقل الحمل ستّه أشهر فخلّی سبیلها.أخرجها جمع،منهم:البیهقی،و ابن أبی حاتم عنهما الدّر المنثور ۱:۲۸۸،و [۱۷]الفضل بن شاذان فی الایضاح:۹۸،و المفید فی الإرشاد:۱۱۰،و [۱۸]روی نحو هذه القصه بین علی علیه السّلام و عثمان،أخرجه عدّه منهم: مالک فی الموطّا:۶۸۶،و الثعلبی فی تفسیره،عنه عین العبره:۳۲،و [۱۹]روی نحوها بین ابن عباس و عمر،و بین ابن عباس و عثمان،قال ابن عبد البر فی الاستیعاب ۳:۳۹:«و [۲۰]عن علیّ أخذها ابن عباس،و اللّه أعلم».

الزانیه (۱)،و هو الّذی قال فی المنبریّه:«صار ثمنها تسعا» (۲)و هذه المسأله لو فکر الفرضیّ فیها فکرا طویلا لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب،فما ظنّک بمن قاله بدیهه و اقتضبه ارتجالا.

و من العلوم علم تفسیر القرآن،و عنه أخذ و منه فرّع،و إذا رجعت إلی کتب التفسیر علمت صحّه ذلک،لأنّ أکثره عنه و عن عبد اللّه بن عبّاس،و قد علم الناس حال ابن عبّاس فی ملازمته و انقطاعه إلیه،و أنّه تلمیذه و خرّیجه،و قیل له:أین علمک من علم ابن عمّک؟فقال:کنسبه قطره من المطر إلی البحر المحیط (۳).

و من العلوم علم النحو و العربیه،و قد علم الناس کافّه أنّه هو الّذی ابتدعه و أنشأه،و أملی علی أبی الأسود الدؤلی جوامعه و أصوله من جملتها:

الکلام کلّه ثلاثه أشیاء:اسم و فعل و حرف.و من جملتها تقسیم الکلمه إلی

---

۱ - ۱) فی ذلک قصّتان،الاولی:أتی عمر بحامله زانیه فأمر برجمها،فأثبت له علیّ علیه السّلام أن تمهل حتی تضع.أخرجها صاحب مسند زید بن علیّ فیه:۳۳۵،و الفضل بن شاذان فی الایضاح:۹۹،و المفید فی الإرشاد:۱۰۹،و [۱]المرتضی فی الذریعه ۲:۷۶۵،و جمع آخر.و القصه الثانیه:أنّ خادمه لآل الرّسول زنت و هی حبلی،فحکم بذلک علیّ علیه السّلام و أمضی حکمه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله.أخرجه أبو یعلی فی مسنده عنه مجمع الزوائد ۶:۲۵۲،و ابن أبی شیبه فی مسنده عنه المطالب العالیه ۲:۱۱۵ ح ۱۸۰۷،و قد جاء فی الباب أحکام عن النبی صلّی اللّه علیه و آله قولا و فعلا.

۲ - ۲) رواه سبط ابن الجوزی فی تذکره الخواص:۱۲۰،و ابن شهر آشوب فی المناقب ۲:۴۴،و [۲]الإربلی فی کشف الغمّه ۱:۱۳۲،و [۳]ابن أبی الحدید فی زوائد نهج البلاغه:۵۴۴ ح ۲۵۱.

۳- ۳) رواه المفید فی أمالیه:۲۳۶ ح ۶ المجلس(۲۷)،و أبو علی الطوسی فی أمالیه ۱:۱۱،و النّقاش فی تفسیره عنه مناقب ابن شهر آشوب ۲:۳۰،و [۴]الجوینی فی فرائد السمطین عنه ینابیع الموده:۷۰،و [۵]الإربلی فی کشف الغمه ۲:۵ بفرق یسیر،و قد أسقط الشارح منها قول ابن أبی الحدید:«و من العلوم علم الطریقه و الحقیقه و أحوال التصوّف...».

معرفه و نکره،و تقسیم وجوه الإعراب الی الرّفع و النصب و الجرّ و الجزم (۱)، و هذا یکاد یلحق بالمعجزات،لأنّ القوّه البشریه لا تفی بهذا الحصر و لا تنهض بهذا الاستنباط،و إن رجعت إلی الخصائص الخلقیّه و الفضائل النفسانیه و الدینیه و جدته ابن جلاها و طلاع ثنایاها.

و أما الشّجاعه فإنّه أنسی الناس فیها ذکر من کان قبله و محا اسم من یأتی بعده،و مقاماته فی الحرب مشهوره تضرب بها الأمثال الی یوم القیامه، و هو الشجاع الّذی ما فرّ قطّ و لا ارتاع من کتیبه،و لا بارز أحدا إلّا قتله،و لا ضرب ضربه قطّ فاحتاجت الأولی إلی الثانیه،و فی الحدیث کانت ضرباته وترا (۲).

و لمّا دعا معاویه الی المبارزه لیستریح الناس من الحرب بقتل أحدهما قال له عمرو:لقد أنصفک.فقال معاویه:ما غششتنی مذ نصحتنی إلّا الیوم، أ تأمرنی بمبارزه أبی الحسن،و أنت تعلم أنّه الشجاع المطرق،أراک طمعت فی إماره الشام بعدی (۳).

و کانت العرب تفتخر بوقوفها فی الحرب فی مقابلته،فأمّا قتلاه فافتخار رهطهم بأنّه علیه السّلام قتلهم أظهر و أکثر،قالت أخت عمرو بن عبد ود ترثیه:

لو کان قاتل عمرو غیر قاتله بکیته أبدا ما دمت فی الأبد

لکنّ قاتله من لا نظیر له و کان یدعی أبوه بیضه البلد

(۴)

۱- ۱) رواه المرتضی فی الفصول المختاره ۱:۵۹،و ابن شهر آشوب فی المناقب ۲:۴۷ و [۱]الحدیث کثیر الاشتهار.

۲- ۲) رواه بروایات متعدده ابن شهر آشوب فی المناقب ۲:۸۳.

۳- ۳) نقل القصه الطبری فی التاریخ ۴:۲۹، [۲]سنه(۳۷)،و المسعودی فی مروج الذهب ۲:۳۸۶،و [۳]ابن قتیبه فی الإمامه و السیاسه ۱:۱۰۶.

۴- ۴) هذه الروایه مشهوره لکن بین ألفاظها اختلاف،نقلها المفید فی الإرشاد:۵۷،و [۴]المرتضی فی الفصول:۲۳۷،و [۵]ابن شهرآشوب فی المناقب ۱:۱۹۹،و [۶]الإربلی فی کشف الغمه ۱:۶۸،و [۷]غیرهم.

و انتبه معاویه یوما فرأی عبد اللّه بن الزبیر جالسا تحت رجلیه علی سریره،فقعد،فقال له عبد اللّه یداعبه:یا أمیر المؤمنین لو شئت أن أفتک بک لفعلت.فقال:لقد شجعت بعدنا یا ابا بکر.قال:و ما الّذی تنکره من شجاعتی و قد وقفت فی الصفّ إزاء علی بن أبی طالب؟قال له معاویه:لا جرم أنّه قتلک و أباک بیسری یدیه،و بقیت الیمنی فارغه یطلب من یقتله بها.

و جمله الأمر أن کلّ شجاع فی الدّنیا إلیه ینتهی و باسمه ینادی فی مشارق الأرض و مغاربها.

و أما القوّه و الأید فبه یضرب المثل فیهما،قال ابن قتیبه فی معارفه:ما صارع أحدا قطّ إلّا صرعه (۱)،و هو الّذی قلع باب خیبر و اجتمع علیه عصبه من الناس لیقلبوه فلم یقلبوه،و هو الّذی اقتلع هبل من أعلی الکعبه و کان عظیما کبیرا جدّا،فألقاه إلی الأرض،و هو الّذی اقتلع الصخره العظیمه فی أیّام خلافته بیده بعد عجز الجیش کلّه عنها،فأنبط الماء من تحتها.

و أمّا السّخاء و الجود فحاله فیه ظاهره،کان یصوم و یطوی و یؤثر بزاده،و فیه أنزل: «وَ یُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلی حُبِّهِ مِسْکِیناً وَ یَتِیماً وَ أَسِیراً إِنَّما نُطْعِمُکُمْ لِوَجْهِ اللّهِ لا نُرِیدُ مِنْکُمْ جَزاءً وَ لا شُکُوراً» (۲).

و روی المفسّرون أنّه لم یکن یملک إلّا أربعه دراهم،فتصدّق بدرهم لیلا،و بدرهم نهارا،و بدرهم سرّا،و بدرهم علانیه،فانزل فیه: «الَّذِینَ یُنْفِقُونَ»

۱- ۱) المعارف لا بن قتیبه:۲۱۰. [۱]

۲ - ۲) روی هذا الشأن الواحدی فی أسباب النزول:۲۹۶،و الخوارزمی فی المناقب:۱۹۲،و ابن الأثیر بروایتین فی أسد الغابه ۵:۵۳۰،و [۲]الحسکانی بطرق فی شواهد التنزیل ۲:۲۹۹-۳۱۰،و [۳]ابن مردویه عنه الدرّ المنثور ۶:۲۹۹ [۴] عن ابن عباس، و روی بطرق عن علی علیه السّلام نفسه و عن أهل بیته علیهم السّلام.و الآیتان(۸،۹)من سوره الانسان. [۵]

«أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيَةً» (۱).

و روی عنه أنّه کان یسقی بیده نخل قوم من یهود المدینه حتّی مجلت یده،و یتصدّق بالأجره،و یشدّ علی بطنه حجرا (۲).

و قال الشعبی-و قد ذکر علیه السّلام-:کان أسخی الناس،کان علی الخلق الّذی یحبّه اللّه،السخاء و الجود،ما قال:(لا)لسائل قط (۳).

و قال عدوّه و مبغضه الذی یجتهد فی وصمه و عیبه معاویه لمحفن الضبیّ-لمّا قال له:جئتک من عند أبخل الناس-:و یحک!کیف تقول:إنّه أبخل الناس،و هو الّذی لو ملک بیتا من تبر و بیتا من تبن لأنفد تبره قبل تبنه؟! (۴)و هو الّذی کان یکنس بیوت الأموال و یصلّی فیها (۵)،و هو الذی قال:«یا صفراء و یا بیضاء غرّی غیری» (۶)،و هو الّذی لم یخلّف میراثا،و کانت الدّنیا کلّها بیده،إلّا ما کان من الشام.

و أمّا الحلم و الصّفح،فکان أحلم الناس عن مذنب و أصفحهم عن

۱- ۱) روی هذا الأمر الواحدی فی أسباب النزول:۵۸،و الخوارزمی فی المناقب:۱۹۸،و ابن المغازلی فی المناقب:۲۸۰ ح ۳۲۵،و ابن الأثیر بثلاث طرق فی أسد الغابه ۴:۲۵،و [۱]عبد الرزاق فی الجامع،و عبد بن حمید فی مسنده،و ابن جریر و ابن المنذر و ابن أبی حاتم فی تفسیره،و الطبرانی و ابن عساکر فی التاریخ عنهم الدرّ المنثور ۱:۳۶۳ [۲] عن ابن عباس،و روی بطرق أخری أیضا عن ابن عباس و غیره.و الآیه(۲۷۴)من سوره البقره. [۳]

۲- ۲) حدیث استقاء علی علیه السّلام للیهودی بالتّمر جاء بألفاظ مختلفه،أقربها ما أخرجه ابن ماجه فی السنن ۲:۸۱۸ ح ۲۴۴۶،و ما روی الإربلی فی کشف الغمّه ۱:۱۷۵.

۳- ۳) رواه ابن قتیبه فی الإمامه و السیاسه ۱:۱۱۴ بفرق یسیر.

۴- ۴) رواه ابن عبد البر فی الاستیعاب ۳:۴۹،و غیره،فی باب زهده علیه السّلام.

۵- ۵) رواه المحب الطبری فی ذخائر العقبی،عنه ینابیع الموده:۲۱۷،و [۴]ابن شهر آشوب فی المناقب ۲:۹۵،و [۵]الإربلی فی کشف الغمّه ۱:۱۶۵،و [۶]غیرهم،فی باب زهده علیه السّلام.

۶- ۶) رواه الکلینی فی الکافی ۸:۱۲۹ ح ۱۰۰،و المسعودی فی مروج الذهب ۲:۴۱۴،و [۷]ابن قتیبه فی الإمامه و السیاسه ۱:۱۶۲،و [۸]الشریف الرضی فی خصائص الأئمه:۵۴ و أنّه علیه السّلام ما ورث بیضاء و لا صفراء إلّا سبعمائه درهم فضلت من عطایاه.و رواه الطبری فی التاریخ ۴:۱۲۱،سنه(۴۰)،و ابن عبد البر فی الاستیعاب ۳:۴۸ متردّدا بین سبعمائه و ثمانمائه.

مسیء،و قد ظهرت صحّه ما قلناه یوم الجمل حیث ظفر بمروان بن الحکم- و کان أعدی الناس له و أشدّهم بغضا-فصفح عنه،و کان عبد اللّه بن الزبیر یشتمه علی رءوس الأشهاد،و خطب یوم البصره فقال:قد أتاکم الوغب اللئیم علی بن أبی طالب (۱).و کان علی علیه السّلام یقول:ما زال الزبیر رجلا منّا أهل البیت حتّی شبّ عبد اللّه (۲)،فظفر به یوم الجمل فأخذه أسیرا،فصفح عنه،و قال:

«اذهب فلا أرینّک»لم یزده علی ذلک.و ظفر بسعید بن العاص بعد وقعه الجمل بمکّه-و کان له عدوّا-فأعرض عنه و لم یقل له شیئا.

و قد علمتم ما کان من عائشه فی أمره،فلمّا ظفر بها أکرمها،و بعث معها الی المدینه عشرین امرأه من نساء عبد القیس،عمّمهنّ بالعمائم و قلّدهن السیوف،فلمّا کانت ببعض الطریق ذکرته بما لا یجوز أن یذکر به و تأفّفت و قالت:هتک سترک برجاله و جنده الّذین و کلهم بی.فلمّا وصلت المدینه ألقت النساء عمائمهنّ،و قلن لها:إنّما نحن نسوه.

و حاربه أهل البصره و ضربوا وجهه و وجوه أولاده بالسیف و سبّوه و لعنوه،فلمّا ظفر بهم رفع السیف عنهم،و نادی منادیه فی أقطار العسکر:ألا لا یتبع مولّ،و لا یجهز علی جریح،و لا یقتل مستأسر،و من ألقی سلاحه فهو آمن،و من تحیّز إلی عسکر الإمام فهو آمن.و لم یأخذ أثقالهم،و لا سبی ذراریّهم،و لا غنم شیئا من أموالهم،و لو شاء أن یفعل کلّ ذلک لفعل،و لکنّه أبی إلّا الصفح و العفو،و تبع سنّه النبی صلّی اللّه علیه و آله یوم فتح مکه،فإنّه عفا و الأحقاد لم

۱- ۱) نقل خطبه ابن الزبیر المفید فی الجمل:۱۷۴،لکن هذا اللفظ لا یوجد فیه،بل یوجد معناه.

۲- ۲) هذا مما تفرّد به ابن أبی الحدید فی شرحه ۴:۴۸۰ شرح الحکمه(۴۵۳)من روایه نهج البلاغه،و [۱]أخرجه أیضا الجوهری فی السقیفه و فدک:۶۰،و [۲]عاصم بن حمید فی أصله:۲۳،و ابن قتیبه فی الإمامه و السیاسه ۱:۱۰،و [۳]ابن عبد البر فی الاستیعاب ۲:۳۰۲،و [۴]الصدوق فی الخصال:۱۵۷ ح ۱۹۹،و المفید فی الجمل:۲۰۸. [۵]

تبرد و الإساءه لم تنس (۱).

و لمّا ملک عسکر معاویه علیه الماء و أحاطوا بشریعه الفرات،و قالت رؤساء الشام له:اقتلهم بالعطش کما قتلوا عثمان عطشا،سألهم علیّ علیه السّلام و أصحابه:أن یسوغوا لهم شرب الماء.فقالوا:لا و اللّه و لا قطره حتی تموت ظمأ کما مات ابن عفّان.فلمّا رأی علیه السّلام أنّه الموت لا محاله تقدّم بأصحابه و حمل علی عساکر معاویه حملات کثیفه،حتّی أزالهم عن مراکزهم،بعد قتل ذریع سقطت منه الرءوس و الأیدی،و ملکوا علیهم الماء،و صار أصحاب معاویه فی الفلاه لا ماء لهم،فقال له أصحابه و شیعته:امنعهم الماء یا أمیر المؤمنین کما منعوک،و لا تسقهم منه قطره،و اقتلهم بسیوف العطش، و خذهم قبضا بالأیدی،فلا حاجه لک إلی الحرب.فقال:«لا و اللّه،لا أکافئهم بمثل فعلهم،افسحوا لهم عن بعض الشریعه،ففی حدّ السیف ما یغنی عن ذلک» (۲).

فهذه إن نسبتها الی الحلم و الصفح فناهیک بها جمالا و حسنا،و إن نسبتها إلی الدین و الورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله.

و أمّا الجهاد فی سبیل اللّه فمعلوم عند صدیقه و عدوّه أنّه سیّد المجاهدین،و هل الجهاد لأحد من الناس إلّا له؟!و قد عرفت أنّ أعظم غزاه غزاها النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و أشدّها نکایه فی المشرکین:بدر الکبری،قتل فیها سبعون من المشرکین،قتل علیّ علیه السّلام نصفهم،و قتل المسلمون و الملائکه النصف الآخر.

۱- ۱) روی سیره علی علیه السّلام فی أهل الجمل الطبری فی التاریخ ۳:۵۴۳ سنه(۳۶)،و المسعودی فی مروج الذهب ۲:۳۶۸،و ابن قتیبه فی الإمامه و السیاسه ۱:۷۷،و المفید فی الجمل:۲۱۶،و غیرهم من أهل التاریخ و الأثر.

۲- ۲) نقله نصر بن مزاحم فی وقعه صفین:۱۶۰،و الطبری فی التاریخ ۳:۵۶۶ [۱] سنه(۳۶)،و المسعودی فی مروج الذهب ۲: ۳۷۵،و ابن قتیبه فی الإمامه و السیاسه ۱:۱۰۵.

و إذا رجعت إلى(مغازى)محمّد بن عمر الواقدى و(تاريخ الأشراف) ليحيى بن جابر البلاذرى و غيرهما (۱)علمت صحّه ذلك،دع من قتله فى غيرها كأحد و الخندق و غيرهما،و هذا الفصل لا معنى للإطناب فيه لأنّه من المعلومات الضروريه كالعلم بوجود مكّه و مصر و نحوهما... (۲).

و أمّا سجاحه الأخلاق و بشر الوجه و طلاقه المحيّا و التبسّم فهو المضروب به المثل فيه،حتّى عابه بذلك أعداؤه،قال عمرو بن العاص لأهل الشام:إنّه ذو دعابه شديده.و قال على عليه السّلام فى ذاك:«عجبا لابن النابغه يزعم لأهل الشام أنّ فىّ دعابه،و أنى امرؤ تلعابه:أعافس و امارس» (۳).و عمرو بن العاص إنّما أخذها عن عمر بن الخطاب لقوله له لمّا عزم على استخلافه:«للّه أبوك،لو لا دعابه فيك» (۴)إلاّ أنّ عمر اقتصر عليها و عمرو زاد فيها و سمّجها.

قال صعصعه بن صوحان و غيره من شيعته و أصحابه:«كان فينا كأحدنا لين جانب و شدّه تواضع و سهوله قياد،و كنّا نهابه مهابه الأسير المربوط للسيّاف الواقف على رأسه».

و قال معاويه لقيس بن سعد:رحم اللّه أبا الحسن،فلقد كان هشّا بشّا ذا فكاهه.قال له قيس:نعم،كان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يمزح و يبتسم إلى أصحابه،و أراك تسرّ حسوا فى ارتغاء رفعه،و تعيبه بذلك.أمّا و اللّه لقد كان مع تلك الفكاهه و الطلاقه أهيب من ذى لبدتين قد مسّه الطوى،تلك هيبه التقوى،ليس كما يهابك طغام أهل الشام.

۱- ۱) كذا نقل الواقدى فى مغازيه ۱:۱۴۷،و البلاذرى فى أنساب الأشراف ۱:۲۹۷، [۱]ذكر من قتله بيده عليه السّلام فى يوم بدر ابن هشام فى السيره ۲:۲۵۱،و المفيد فى الإرشاد:۳۹. [۲]

۲- ۲) قال ابن أبى الحديد بعده:«و أمّا الفصاحه...».

۳- ۳) رواه الشريف الرضى فى نهج البلاغه ۱:۱۴۷ [۳] الخطبه(۸۲).

۴- ۴) رواه ثعلب فى أماليه عنه شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۱۴،و [۴]الفضل بن شاذان فى الإيضاح:۱۲۸،۱۲۹.

و قد بقی هذا الخلق متوارثا متناقلا فی محبیّه و أولیائه إلی الآن،کما بقی الجفاء و الخشونه و الوعوره فی الجانب الآخر،و من له أدنی معرفه بأخلاق الناس و عدوائدهم یعرف ذلک.

و أمّا الزّهد فی الدّنیا فهو سیّد الزّهاد و بدل الأبدال و إلیه تشدّ الرّحال و عنده تنفض الاحلاس.ما شبع من طعام قطّ،و کان أخشن الناس مأکلا و ملبسا،قال عبد اللّه بن أبی رافع:دخلت إلیه یوم عید،فقدّم جرابا مختوما، فوجدنا فیه خبز شعیر یابسا مرضوضا.فقدّم فأکل،فقلت یا أمیر المؤمنین! کیف تختمه؟قال:خفت هذین الولدین أن یلتّاه بسمن أو زیت.و کان ثوبه مرقوعا بجلد تاره و بلیف أخری،و نعلاه من لیف،و کان یلبس الکرباس الغلیظ،فإذا وجد کمّه طویلا قطعه بشفره و لم یخطه،فکان لا یزال متساقطا علی ذراعیه حتّی یبقی سدی لا لحمه له،و کان یأتدم-إذا ائتدم-بخلّ أو بملح، فإنّ ترقّی عن ذلک فببعض نبات الأرض،فإن ارتفع عن ذلک فبقلیل من ألبان الإبل،و لا یأکل اللحم إلّا قلیلا،و یقول:لا تجعلوا بطونکم مقابر الحیوان.و کان مع ذلک أشدّ الناس قوه و أعظمهم أیدا،لم ینقص الجوع قوّته،و لا یخور الاقلال منّته،و هو الّذی طلّق الدنیا،و کانت الأموال تجبی إلیه من جمیع بلاد الإسلام إلّا من الشام،فکان یفرّقها و یمزّقها،ثم یقول:هذا جنای و خیاره فیه إذ کلّ جان یده إلی فیه (۱).

و أمّا العباده فکان أعبد الناس و أکثرهم صلاه و صوما،و منه تعلّم الناس صلاه اللیل و ملازمه الأوراد و قیام النافله،و ما ظنّک برجل یبلغ من

---

۱ - ۱) هذه المعانی رواها جمع کثیر فی باب زهده علیه السّلام،منهم:ابن عبد البر فی الاستیعاب ۳:۴۹،و [۱]الخوارزمی فی المناقب:۶۶، و ابن شهر آشوب فی المناقب ۲:۹۳،و [۲]ابن الأثیر فی أسد الغابه ۴:۲۲،و الإربلی فی کشف الغمّه ۱:۱۶۲،و [۳]القندوزی فی ینابیع الموده:۱۴۳. [۴]

محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفّين ليله الهرير فيصلّى عليه ورده و السهام تقع بين يديه و تمرّ على صماخيه يمينا و شمالا (۱)،فلا يرتاع لذلك و لا يقوم حتّى يفرغ من وظيفته!و ما ظنّك برجل كانت جبهته كثفنه البعير لطول سجوده (۲)و أنت إذا تأمّلت دعواته و مناجاته (۳)،و وقفت على ما فيها من تعظيم اللّه سبحانه و إجلاله و ما يتضمّنه من الخضوع لهيبته و الخشوع لعزّته و الاستخذاء له عرفت ما ينطوى عليه من الإخلاص،و فهمت من أىّ قلب خرجت و على أىّ لسان جرت،و قيل لعلىّ بن الحسين عليه السّلام-و كان الغايه فى العباده-:أين عبادتك من عباده جدّك؟قال:عبادتى عند عباده جدّى كعباده جدّى عند عباده النبى صلّى اللّه عليه و آله (۴).

و أمّا قراءه القرآن و الاشتغال به فهو المنظور إليه فى هذا الباب،اتّفق الكلّ على أنّه كان يحفظ القرآن على عهد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و لم يكن غيره يحفظه،ثمّ هو أوّل من جمعه،نقلوا كلّهم أنّه تأخّر عن بيعه أبى بكر،فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعه من أنّه تأخّر مخالفه للبيعه،بل يقولون:تشاغل بجمع القرآن.فهذا يدلّ على أنّه أوّل من جمع القرآن،لأنّه لو كان مجموعا فى حياه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لما احتاج الى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته صلّى اللّه عليه و آله.

و إذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمه القرّاء كلّهم يرجعون إليه، كأبى عمرو بن العلاء،و عاصم بن أبى النجود،و غيرهما،لأنّهم يرجعون إلى

۱- ۱) هذا المعنى نقله نصر بن مزاحم فى وقعه صفين:۴۷۷.

۲- ۲) نقله الشريف الرضى فى نهج البلاغه ۲:۱۰۳ الخطبه(۱۸۰)عن نوف البكالى،و له شاهد أخرجه زيد الزّراد فى أصله:۳ عن على عليه السّلام قال:«إنى لأكره للرجل أن تكون جبهته جلحا ليس فيها شىء من أثر السجود».

۳- ۳) ضبط الشارح هذه الكلمه«مناجاتاته»و هذا غلط،و أثبتنا الصحيح.

۴- ۴) روى حديثا بهذا المعنى المفيد فى الإرشاد:۲۵۵،و [۱]القاضى النعمان فى شرح الأخبار ۱۳:۱۲۷،و ابن شهر آشوب فى المناقب ۴:۱۴۹،و بفرق الكلينى فى الكافى ۸:۱۲۹ ح ۱۰۰.

أبی عبد الرحمن السلمی القارئ،و أبو عبد الرحمن کان تلمیذه،و عنه أخذ القرآن (۱)،فقد صار هذا الفن من الفنون التی تنتهی إلیه أیضا مثل کثیر ممّا سبق.

و أمّا الرّأی و التّدبیر فکان من أسدّ الناس رأیا و أصحّهم تدبیرا،و هو الّذی أشار علی عمر لمّا عزم علی أن یتوجّه بنفسه الی حرب الرّوم و الفرس بما أشار (۲)،و هو الّذی أشار علی عثمان بأمور کان صلاحه فیها،و لو قبلها لم یحدث علیه ما حدث،و إنّما قال أعداؤه:لا رأی له،لأنّه کان مقیّدا بالشریعه لا یری خلافها و لا یعمل بما یقتضی الدّین تحریمه،و قد قال علیه السّلام:«لو لا الدّین و التّقی لکنت أدهی العرب» (۳).و غیره من الخلفاء کان یعمل بمقتضی ما یستصلحه و یستوقفه سواء أ کان مطابقا للشرع أم لم یکن.و لا ریب أنّ من یعمل بما یؤدّی إلیه اجتهاده،و لا یقف مع ضوابط و قیود یمتنع لأجلها ممّا یری الصلاح فیه تکون أحواله الدنیاویّه إلی الانتظام أقرب،و من کان بخلاف ذلک تکون أحواله الدنیاویّه إلی الانتشار أقرب.

و أمّا السیاسه فإنّه کان شدید السیاسه،خشنا فی ذات اللّه،لم یراقب ابن عمّه فی عمل کان ولّاه إیّاه،و لا راقب أخاه عقیلا فی کلام جبهه به،و أحرق قوما بالنّار،و نقض دار مصقله بن هبیره،و دار جریر بن عبد اللّه البجلی، و قطع جماعه و صلب آخرین (۴).

و من جمله سیاسته حروبه فی أیّام خلافته بالجمل و صفّین و النهروان،و فی أقلّ القلیل منها مقنع،فإنّ کلّ سائس فی الدّنیا لم یبلغ فتکه

۱- ۱) قوله:کلّهم یرجعون إلیه.لا یخلو من الإشکال،فلیراجع التّیسیر لأبی عمرو الدانیّ:۸-۱۰ و غیره [۱]من کتب القراءه.

۲- ۲) نقله الشریف الرضی فی نهج البلاغه ۲:۲۹ الخطبه(۱۴۴).

۳- ۳) نقله الشریف الرضی فی نهج البلاغه ۲:۱۸۰ الخطبه(۱۹۸)بفرق.

۴- ۴) کل ذلک نقله أهل التاریخ و الآثار،و لم یسع المقام لذکره.

و بطشه و انتقامه مبلغ العشر ممّا فعل علیه السّلام فی هذه الحروب بیده و أعوانه.

فهذه هی خصائص البشر و مزایاهم،قد أوضحنا أنّه فیها الإمام المتّبع فعله و الرّئیس المقتفی أثره.

و ما أقول فی رجل یحبّه أهل الذمّه علی تکذیبهم بالنّبوه،و تعظّمه الفلاسفه علی معاندتهم لأهل الملّه،و تصوّر ملوک الفرنج و الروم صورته فی بیعها و بیوت عباداتها حاملا سیفه،مشمرا لحربه،و تصوّر ملوک الترک و الدیلم صورته علی أسیافها!کان علی سیف عضد الدوله ابن بویه و سیف أبیه رکن الدوله صورته،و کان علی سیف ألب أرسلان و ابن ملکشاه صورته،کأنّهم یتفاءلون به النّصر و الظفر.

و ما أقول فی رجل أحبّ کلّ واحد أن یتکثّر به،و ودّ کلّ أحد أن یتجمّل و یتحسّن بالانتساب إلیه؟حتی الفتوّه التی أحسن ما قیل فی حدّها:ألّا تستحسن من نفسک ما تستقبحه من غیرک،فإنّ أربابها نسبوا أنفسهم إلیه، و صنّفوا فی ذلک کتبا،و جعلوا لذلک إسنادا أنهوه إلیه،و قصروه علیه،و سمّوه سیّد الفتیان،و عضّدوا مذهبهم إلیه بالبیت المشهور المرویّ،أنه سمع من السماء یوم أحد:

لا سیف إلّا ذو الفقا ر و لا فتی إلّا علیّ

(۱)و ما أقول فی رجل أبوه أبو طالب سیّد البطحاء،و شیخ قریش و رئیس

۱- ۱) جمله«لا سیف إلّا ذو الفقار و لا فتی إلّا علی»رویت فی غزوات بدر و أحد و خیبر،و رویت بلا ذکر شأن،فأمّا غزوه أحد فأخرجها الصدوق فی معانی الأخبار:۱۱۹ ح ۱،و أمالیه:۱۶۷ ح ۱۰ المجلس(۳۶)،و المفید بروایتین فی الإرشاد:۴۶،۴۷ [۱] عن النبی صلّی اللّه علیه و آله،و أخرجها المفید فی الإرشاد:۴۷ [۲] عن الباقر علیه السّلام،و أخرجها الکلینی فی الکافی ۸:۱۱۰ ح ۹۰،و [۳]الصدوق فی علل الشرائع ۱:۷ ح ۳ [۴] عن الصادق علیه السّلام،و فی العیون ۱:۷۰ ح ۹ عن الکاظم علیه السّلام،و أخرجها ابن هشام فی السیره ۳:۴۳ [۵] عن ابن أبی نجیح،و الفرات الکوفی فی تفسیره:۳۵ عن حذیفه بن الیمان،و ابن المغازلی فی المناقب:۱۹۷ ح ۲۳۴،و المفید فی الارشاد:۴۷ [۶] عن ابن رافع،و أبو علی الطوسی فی أمالیه ۱:۱۴۲،المجلس(۵)عن محمّد بن إسحاق.

مكّه،قالوا:قلّ أن يسوّد فقير،و ساد أبو طالب و هو فقير لا مال له،و كانت قريش تسمّيه الشّيخ.

و فى حديث عفيف الكندى،لما رأى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يصلّى فى مبدأ الدعوه، و معه غلام و امرأه،قال:فقلت للعباس:أىّ شىء هذا؟قال:هذا ابن أخى يزعم أنّه رسول من اللّه الى الناس،و لم يتّبعه على قوله إلّا هذا الغلام-و هو ابن أخى أيضا-و هذه الامرأه،و هى زوجته.قال:فقلت:ما الذى تقولونه أنتم؟قال:

ننتظر ما يفعل الشيخ.يعنى:أبا طالب (۱).و أبو طالب هو الذى كفل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله صغيرا،و حماه و حاطه كبيرا،و منعه من مشركى قريش،و لقى لأجله عنتا عظيما،و قاسى بلاء شديدا،و صبر على نصره و القيام بأمره،و جاء فى الخبر أنّه لما توفى أبو طالب أوحى إليه عليه السّلام و قيل له:اخرج منها،فقد مات ناصرك (۲).

و له مع شرف هذه الابوّه أنّ ابن عمّه محمّد سيد الأولين و الآخرين، و أخاه جعفر ذو الجناحين،الذى قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:«أشبهت خلقى و خلقى» (۳)فمر يحجل فرحا،و زوجته سيّده نساء العالمين،و ابنيه سيّدا شباب أهل الجنّه،فآباؤه آباء رسول اللّه،و أمّهاته أمّهات رسول اللّه،و هو مسوط بلحمه و دمه،لم يفارقه منذ خلق اللّه آدم،إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين:عبد اللّه و أبى طالب،و أمّهما واحده،فكان منهما سيد الناس،هذا الأول و هذا التّالى،و هذا المنذر و هذا الهادى! و ما أقول فى رجل سبق الناس إلى الهدى و آمن باللّه و عبده،و كلّ من فى

۱- ۱) حديث عفيف أخرجه الطبرى بثلاث روايات فى التاريخ ۲:۵۶،۵۷ و غيره بفرق يسير.

۲- ۲) هذا المعنى أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۴۴۹ ح ۳۱،و غيره. [۱]

۳- ۳) أخرجه الترمذى فى سننه ۵:۶۵۴ ح ۳۷۶۵،و أحمد فى مسنده ۴:۳۴۲،و الخطيب فى التاريخ عنه منتخب كنز العمّال ۵: ۱۵۴،و روى أيضا ضمن أحاديث.

الأرض يعبد الحجر-إلى أن قال-و قد قال هو عليه السّلام:«أنا الصدّيق الأكبر،و أنا الفاروق الأول،أسلمت قبل إسلام النّاس و صلّيت قبل صلاتهم» (۱)!و من وقف على كتب أصحاب الحديث تحقّق ذلك و علمه واضحا،و إليه ذهب الواقدى و ابن جرير الطبرى (۲)،و هو القول الذى رجّحه و نصره صاحب كتاب (الاستيعاب) (۳).

و فى(صناعه أبى هلال العسكرى):سئل صعصعه عن على عليه السّلام فقال:

لم يقل فيه مستزيد:لو أنّه،و لا مستقصر:إنّه،جمع العلم و الحلم و السلم و القرابه القريبه و الهجره القديمه و البصر بالأحكام و البلاء العظيم فى الإسلام (۴).

و فيه:لمّا بلغ كلامه عليه السّلام فى بيان حكمه اللّه تعالى فى خلط لذّات الدنيا بآلامها إلى الجاحظ قال:هو جماع الكلام الّذى دوّنه الناس فى كتبهم و تحاوروه بينهم.فسمع بذلك أبو علىّ الجبائى فقال:صدق الجاحظ،هذا ما لا يحتمله الزياده و النقصان (۵).

و قال ابن أبى الحديد فى كتابه عليه السّلام إلى ابن عبّاس بعد مقتل محمّد بن أبى بكر«فعند اللّه نحتسبه ولدا ناصحا،و عاملا كادحا،و سيفا قاطعا،و ركنا دافعا»:انظر إلى الفصاحه كيف تعطى هذا الرجل قيادها و تملّكه زمامها،

۱- ۱) أخرجه ابن ماجه فى سننه ۱:۴۴ ح ۱۲۰،و النسائى فى الخصائص:۴۶،و الطبرى فى التاريخ ۲:۵۶،و ابن أبى شيبه فى مسنده،و ابن أبى عاصم فى السنّه،و العقيلى فى الضعفاء،و الحاكم فى المستدرك،و أبو نعيم فى المعرفه عنهم منتخب كنز العمّال ۵:۴۰،و الثعلبى فى تفسيره عنه ينابيع المودّه:۶۰،و [۱]الصدوق فى الخصال:۴۰۱ ح ۱۱۰،و له شاهد قوىّ من الحديث النبوىّ.

۲- ۲) رواه الطبرى فى تاريخه ۱:۵۵.

۳- ۳) قاله ابن عبد البر فى الاستيعاب ۳:۲۷،و شرح ابن أبى الحديد ۱:۵-۱۰. [۲]

۴- ۴) الصناعتين:۱۸۶ و [۳]النقل بتصرف يسير.

۵- ۵) لم أجده فى الصناعتين.

و أعجب لهذه الألفاظ المنصوبه يتلو بعضها بعضا كيف تؤاتيه و تطاوعه سلسله سهله،تتدفّق من غير تعسّف و لا تكلّف،حتّى انتهى إلى آخر الفصل.

فقال:يوما واحدا و لا التقى بهم أبدا.و أنت و غيرك من الفصحاء إذا شرعوا فى كتاب أو خطبه جاءت القرائن و الفواصل تاره مرفوعه و تاره مجروره و تاره منصوبه،فإنّ أرادوا قسرها بإعراب واحد ظهر منها فى التكلّف أثر بيّن و علامه واضحه،و هذا الصنف من البيان أحد أنواع الإعجاز فى القرآن،ذكره عبد القاهر،قال:انظر إلى سوره النساء و بعدها سوره المائده:الأولى منصوبه الفواصل،و الثانيه ليس فيها منصوب أصلا،و لو مزجت إحدى السورتين بالأخرى لم تمتزجا،و ظهر أثر التركيب و التأليف بينهما.ثم إنّ فواصل كلّ واحده منهما تنساق سياقه بمقتضى البيان الطبيعى لا الصناعه التكليفيه.

ثم انظر إلى الصفات و الموصوفات فى هذا الفصل كيف قال:«ولدا ناصحا،و عاملا كادحا،و سيفا قاطعا،و ركنا دافعا»،لو قال:«ولدا كادحا و عاملا ناصحا»و كذلك ما بعده لما كان صوابا و لا فى الموقع واقعا،فسبحان من منح هذا الرجل بهذه المزايا النفيسه و الخصائص الشريفه،أن يكون غلام من أبناء عرب مكّه ينشأ بين أهله لم يخالط الحكماء،و خرج أعرف بالحكمه و دقائق العلوم الإلهيّه من افلاطون و أرسطو،و لم يعاشر أرباب الحكم الخلقيه و الآداب النفسانيه،لأنّ قريشا لم يكن أحد منهم مشهورا بمثل ذلك، و خرج أعرف بهذا الباب من سقراط،و لم يربّ بين الشجعان لأن أهل مكّه كانوا ذوى تجاره و لم يكونوا ذوى حرب،و خرج أشجع من كلّ بشر مشى على الأرض،قيل لخلف الأحمر:أيّما أشجع عنبسه و بسطام أم على بن أبى طالب؟فقال:إنّما يذكر عنبسه و بسطام مع البشر و الناس،لا مع من يرتفع عن

هـذه الطبقه.فقيـل له:فعلى كلّ حال.قال:و اللّه لو صاح عليّ عليه السّـلام فى وجوههما لماتا قبل أن يحمل عليهما.و خرج أفصـح من سـبحان و قسّ و لم تكن قريش بأفصـح العرب كـان غيرهـا أفصـح منها.قالوا:أفصـح العرب جرهم و إن لم تكن لهم نباهه.و خرج أزهـد النـاس فى الـدّنيا و أعفّهم مع أنّ قريشا ذوو حرص و محبّه للـدّنيا و لا غرو فى من كان محمّـد صـلّى اللّه عليه و آله مربّيه و مخرجه و العنايه الإلهيه تمدّه و ترفده أن يكون منه ما كان (۱).

«و أنّه عليه السّلام انفرد ببلوغ غايتها» أى:غايه فضيله النّطق.

«عن جميع» متعلق بقوله«انفرد».

«السّلف الأوّلين الّذين إنّما يؤثر» أى:يروى.

«عنهم منها» أى:من تلك الفضيله.

«القليل النادر و الشاذّ» و الأصل فى معنى الشاذّ:التفرّق.

«الشّارد» يقال:بعير شارد،و يأتى فى الكلام استعاره،قال الشاعر:

شرود إذا الرّاوون حلّوا عقالها محجّله فيها كلام محجّل

(۲)قال ابن أبى الحديد عند شـرح قوله عليه السّـلام فى صـفه الملائكه:«ثمّ خلق سـبحانه لإسـكان سماواته»:هذا موضع المثل«إذا جـاء نهر اللّه بطـل نهر معقل» (۳).إذا جاء هـذا الكلام الربانىّ و اللّفظ القدسـىّ بطلت فصاحه العرب، و كانت نسـبه الفصـيح من كلام العرب إلى كلامه نسـبه التراب إلى النّضار الخالص،و لو فرضـنا أنّ العرب تقدر على الألفاظ الفصـيحه المناسبه أو المقاربه لهذه الألفاظ،من أين لهم هذه الماده التى عبّرت هذه الألفاظ عنها؟

۱- ۱) شرح بن أبى الحديد ۴:۵۴ [۱] شرح الكتاب(۳۵)،و ما نقل عن عبد القاهر فهو فى دلائل الاعجاز:۳۹۹.

۲- ۲) نقله أساس البلاغه:۲۳۲ [۲] ماده(شرد)،و لسان العرب ۳:۲۳۷ [۳] ماده(شرد).

۳- ۳) نقله الميدانى فى مجمع الأمثال ۱:۸۸ [۴] ضمن الأمثال المولّده. [۵]

و من أين تعرف الجاهليه بل الصحابه المعاصرون للنبىّ هذه المعانى الغامضه،ليتهيّأ لهم التعبير عنها؟ أمّا الجاهليّه فإنّهم إنّما كانت تظهر فصاحتهم فى صفه بعير أو فرس أو حمار وحش أو ثور فلاه أو صفه جبال أو فلوات و نحو ذلك،و أمّا الصحابه فالمذكورون منهم بفصاحه إنّما كان منتهى فصاحه أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثّلاثه:إمّا فى موعظه تتضمن ذكر الموت أو ذمّ الدنيا،أو ما يتعلّق بحرب و قتال من ترغيب أو ترهيب،فأمّا الكلام فى الملائكه و صفاتها و عبادتها و تسبيحها و معرفتها بخالقها و حبّها له و ولهها إليه،و ما جرى مجرى ذلك ممّا تضمّنه هذا الفصل على طوله،فإنّه لم يكن عندهم معروفا بهذا التفصيل.نعم ربما علموا جمله غير مقسّمه هذا التقسيم و لا مرتّبه بهذا الترتيب،بما سمعوه من ذكر الملائكه فى القرآن العظيم،و أمّا من عنده من هذه الماده،كعبد اللّه بن سلام و أميّه بن أبى الصلت و غيرهما فلم تكن لهم هذه العباره و لا قدروا على هذه الفصاحه،فثبت أنّ هذه الأمور الدقيقه لم تحصل إلاّ لعلىّ عليه السّلام وحده (۱).

و قال أيضا فى شرح كلامه عليه السّلام فى صفه الاحتضار و سقوط الناطقه ثمّ السامعه ثمّ الباصره:هذا موضع المثل«فى كلّ شجره نار و استمجد المرخ و الغفار» (۲).الخطب الوعظيه الحسان كثيره،و لكن هذا حديث يأكل الأحاديث، فإنّ نسبه هذه الخطبه إلى كلّ فصيح من الكلام-عدا كلام اللّه تعالى و رسوله- نسبه الكواكب المنيره الفلكيّه إلى الحجاره الأرضيّه المظلمه،ثم لينظر الناظر

۱- ۱) شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۵۰ [۱] شرح الخطبه(۸۹)و نقله الشارح بتصرف.

۲- ۲) نقله الميدانى فى مجمع الأمثال ۲:۷۴،و [۲]الزمخشرى فى المستقصى ۲:۱۸۳ [۳] قال الزمخشرى:«يضرب فى تفضيل القوم على بعض اذا كانوا كلّهم ذوى خير،و لبعضهم مزيه و تقدّم ليس للآخرين».

إلى ما عليها من البهاء و الجلاله و الرواء و الديباجه،و ما تحدثه من الرّوعه و الرهبه و المخافه و الخشيّه،حتّى لو تليت على زنديق ملحد مصمّم على اعتقاد نفى البعث و النشور لهدّت قواه،و رعب قلبه،و اصعقت على نفسه، و زلزلت اعتقاده،فجزى اللّه قائلها عن الإسلام أفضل ما جزى به وليّا من أوليائه،فما أبلغ نصرته له تاره بيده و سيفه و تاره بلسانه و نطقه و تاره بقلبه و فكره،إن قيل،جهاد و حرب،فهو سيّد المجاهدين،و إن قيل:وعظ و تذكير، فهو أبلغ الواعظين و المذكرين،و إن قيل:فقه و تفسير،فهو رئيس الفقهاء و المفسرين،و إن قيل:عدل و توحيد فهو إمام العدل و الموحّدين،و:

ليس على اللّه بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

(۱) «و أمّا كلامه عليه السّلام فهو من البحر» هكذا فى(المصريه)،و الصواب:

(البحر)بدون(من)كما فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيّه) (۲).

«الّذى لا يساجل» هكذا فى(المصريّه)بالجيم،و الصواب:(لا يساحل) بالحاء (۳)،فلا ربط للمساجله-و هى المباراه-فى الاستقاء من البئر هنا،و إنّما هو من ساحل فلان إذا أتى السّاحل،و المراد أنّ كلامه عليه السّلام بحر لا ساحل له.

«و الجمّ» أى:المجتمع،من استجم البئر إذا تركها حتّى يجتمع ماؤها.

«الّذى لا يحافل» أى:لا يظهر فيه نقصان،من حفل الشاه إذا جمع اللّبن فى ضرعها ليرى فيه لبن كثير،و ليس كذلك،و نهى عن بيع المحفله.قال البحترى فى وصف كلام:

فى نظام من البلاغه ما شكّ امرؤ أنّه نظام فريد

۱- ۱) شرح ابن أبى الحديد ۲:۲۳۰ شرح الخطبه(۱۰۷)نقله الشارح بتصرّف.

۲- ۲) شرح ابن أبى الحديد ۱:۱۵،و شرح ابن ميثم ۱:۹۰.

۳- ۳) فى شرح ابن أبى الحديد ۱:۱۵،و [۱]شرح ابن ميثم ۱:۹۰«يساجل»أيضا،لكن جعل ابن أبى الحديد«يساحل»بالحاء، روايه.

و بديع كأنّه الزهر الضّاحك فى رونق الرّبيع الجديد

مشرق فى جوانب السمع ما يخلفه عوده على المستعيد

حجج تخرس الألدّ بألفاظ فرادى كالجواهر المعدود

و معان لو فصّلتها القوافى هجّنت شعر جرول و لبيد

«و أردت أن يسوغ» أى:يجوز.و الأصل فيه:سوغ الطعام و الشراب من الحلق.

«لى التمثّل فى الافتخار به عليه السّلام بقول الفرزدق» و هو همّام بن غالب ابن صعصعه،من بنى تميم مخاطبا لجرير :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع

(۱)و جرير من كليب بن يربوع،كان بينهما التفاخر و المهاجاه مدّه حياتهما،و كان يتعصّب لكلّ منهما طائفه،حتّى يقع بينهما التشاجر،و لم يكن لجرير بيت و كان أبوه خاملا-و أمّا بنو تميم بيت الفرزدق فكانوا معروفين فى الجاهليه و الإسلام.كان صعصعه جدّه اشترى فى الجاهليه ثلاثين موءوده و أنجاهنّ من الموت (۲)،و فرّق أبوه غالب إبلا له كثيره فى حمالات الناس فى الإسلام،و كان الفرزدق جعل على نفسه أن يجير كلّ من استجار بقبر أبيه و يسعى فى نجح حاجته،و قصّه حبيش أو خنيس فى ذلك معروفه،و لسائر آبائه و عشيرته مكارم أثبتها لهم التاريخ،و البيت من قصيده يفاخر جريرا بآبائه،و الإشاره فى قوله: «أولئك» فى البيت إلى الّذين عدّهم فى أبيات قبل البيت و ذكر مكارمهم،و هى:

و منّا الذى اختير الرجال سماحه و خيرا إذا هبّ الرياح الزّعازع

۱- ۱) ديوان الفرزدق ۱:۴۱۸.

۲- ۲) المصدر نفسه.

و منّا الّذی أحیا الوئید و غالب و عمرو و منّا حاجب و الأقارع

(۱)و نظیر شعره هذا(أولئک آبائی)شعر آخر له:

أولئک أحلاسی فجئنی بمثلهم و أعبد أن أهجو کلیبا بدارم

(۲)و له قصیده أخری یفاخره أیضا فیها بآبائه،و هی:

و إن تک کلبا من کلیب فإننی من الدار میّین الطوال الشقاشق

هم الداخلون البیت لا تدخلونه علی الملک و الحامون عند الحقائق

(۳)هذا،و قال الخوئی بعد نقل قول المصنّف:و أردت أن یسوغ لی التمثل فی الافتخار به علیه السّلام بقول الفرزدق:«أولئک...»:و أنا أیضا أتمثّل بذلک و أفتخر به کالسید،لکوننا فرع أصل واحد و غصن دوحه واحده (۴).

قلت:إنّ الرضی رضوان اللّه علیه لم یرد الافتخار به علیه السّلام بانتسابه إلیه و کونه علویّا،لأنّه لیس کلامه فی قبال رجل غیر علویّ،بل أراد الافتخار به علیه السّلام بائتمامه به فی قبال العامّه المؤتمین بأولئک الثلاثه،بأنّه هل الإمام من یکون له مثل هذه المناقب أو من یکون له تلک المثالب،و من یکون له مثل هذه الفصاحه الخارجه عن طوق البشر،أو من عجز عن التکلم بکلمات یسیره؟ قال أبو عبیده:قال عمر:«ما تصعدتنی خطبه کما تصعدتنی خطبه

۱- ۱) أخرج ذلک ابن منده و ابن أبی الدّنیا و ابن عساکر،عنهم شواهد المغنی ۱:۱۶ عن مغیره،قال:«لم یکن أحدا من أشراف العرب بالبادیه کان أحسن دینا من صعصعه جدّ الفرزدق،و هو الّذی أحیا ألف موءوده،و حمل علی ألف فرس».

۲- ۲) کثیرا ما یفتخر الفرزدق بدارم،لکن لم أجد هذا البیت فی دیوانه،و لعلّه من المنسوبات إلیه،و نقل ابن منظور فی لسان العرب ۳:۲۷۵ [۱] ماده(عبد)بیتا عن الفرزدق مصراعه الثانی کذلک،و صدره: أولئک قوم إن هجونی هجوتهم .

۳- ۳) یوجد البیت الأول فی دیوان الفرزدق ۲:۵۴،لکن الثانی لم أجده فیه.

۴- ۴) شرح الخوئی ۱:۹۰ قال الخوئی عقیب کلامه هذا:«و انتهاء نسبی و نسب السید الی العبد الصالح موسی بن جعفر علیه السّلام».

النكاح (۱).و قال الجاحظ فی بیانه:صعد عثمان المنبر فارتجّ علیه،فقال:إنّ أبا بکر و عمر کانا یعدّان لهذا المقام مقالا،و أنتم إلی إمام عادل أحوج منکم إلی إمام خطیب و ستأتیکم الخطب علی وجهها (۲).

قلت:و حیث إنّ عثمان-و هو ذو نوریهم-لم یقدر علی خطابه مختصره،و اعتذر باحتیاج الناس الی عدل الامام لا خطابته،لیته وفّی لهم و لم یعمل من الجور ما یضطرّ الناس الی قتله،و حینئذ،فتمثّل الرضی رحمه اللّه فی معنی قوله تعالی مشیرا إلی قضیه العقول: «أَ فَمَنْ یَهْدِی إِلَی الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ یُتَّبَعَ أَمَّنْ لا یَهِدِّی إِلاّ أَنْ یُهْدی فَما لَکُمْ کَیْفَ تَحْکُمُونَ» (۳).و حینئذ،یمکن أن یتمثّل به کلّ امامیّ و شیعی،فکلّ امامی علویّ،و کان مصطلحا«فلان علویّ، و فلان عثمانی»یریدون بالأوّل الإمامیّ و بالثّانی المخالف.مع أنّ للرضیّ خصوصیّه فی انتسابه إلیه علیه السّلام،و هی کون انتسابه إلیه علیه السّلام من قبل الأب و الأمّ مع قلّه الوسائط،فأبوه الحسین بن موسی بن محمّد بن موسی بن إبراهیم بن موسی الکاظم علیه السّلام،و أمّه فاطمه بنت الحسن الناصر الصغیر ابن أحمد بن الحسن الناصر الکبیر ابن علیّ بن الحسین بن علیّ بن عمر الأشرف ابن علی السجاد علیه السّلام،کما ذکر ذلک أخوه المرتضی فی أوّل(ناصریاته) (۴).

و أمّا قول ابن أبی الحدید:أمه فاطمه بنت الحسین بن الحسن بن علی

۱- ۱) نقله الجاحظ فی البیان و التبیین ۱:۱۶۱. [۱]

۲- ۲) نقله الجاحظ فی البیان و التبیین ۱:۳۵۹. [۲]

۳- ۳) یونس:۳۵. [۳]

۴- ۴) فی الناصریات:۱۷۸ [۴] فاطمه بنت أبی محمّد الحسن،و فی نسخه أبی الحسن بن أحمد أبی الحسین أحمد صاحب جیش أبیه الناصر الکبیر أبی محمد الحسین بن أحمد بن الحسین بن الحسن بن علیّ بن الحسین بن علی بن عمر،و فی نسخه أبی محمد الحسین بن علی بن الحسن ابن علی بن عمر بن علی السجّاد زین العابدین.

بن الحسن بن على بن عمر (۱)فوهم،فأهل البيت أدرى بما فى البيت.

و قد مدح أبو اسحاق الصابى الرّضىّ فى نسبه العالى و شرفه النفسى فى قبال حاسديه و معارضيه بقوله:

ألا أبلغا فرعا نمته عروقه إلى كلّ سام للمفاخر بان

محمّد المحمود من آل أحمد أبا كلّ بكر فى العلى و عوان

أبا حسن قطّعت أحشاء حاسد طواها على البغضاء و الشنآن

يراك بحيث النجم تصدع قلبه بحدّ لسان أو بحدّ سنان

جرى جاهدا و العفو منك يفوته فكان هجينا طالبا لهجان

و أنت سماء فى الذؤابه صاعد و ذاك حضيض فى القراره عان

(۲)و مراده بمحمّد المحمود الرضىّ،كما أنّه هو المراد بقوله:أبا حسن .

«و رأيت كلامه عليه السّلام يدور على أقطاب» و الأصل فى القطب:قطب الرّحى.

«ثلاثه:أوّلها الخطب و الأوامر» و النّواهى.

«و ثانيها:الكتب و الرسائل» و الرّسائل أعمّ من الكتب،فيمكن أن تكون الرسائل برسل يؤدّون المطالب شفاها.

«و ثالثها:الحكم و المواعظ» التى لم تكن فى خطبه أو كتاب و رساله، و بالقيد يكون الثالث قسيما للأوّلين،و إلّا ففى الخطب و الكتب أيضا حكم و مواعظ كثيره،و قد ذكرنا فى أكثر عناوين الأبواب الثلاثه مدارك و أسانيد لكونها كلامه عليه السّلام،فإنكار النّصّاب لكون النّهج كلامه عليه السّلام غير مسموع فى قبال البيّنه،مع أنّ كثيرا منه بل جلّه يصحّح متنه و سنده،لا سيّما الشّقشقيّه

۱- ۱) شرح ابن أبى الحديد ۱:۱۱.

۲- ۲) من قصيده طويله للصابى فى مدح الشريف الرضى،نقلها الثعالبى معاصرهما فى يتيمه الدهر ۲:۳۰۰. [۱]

التی أنکروها خصوصا (۱).

و قال ابن أبی الحدید عند قوله علیه السّلام:«و اعلموا أنّه لیس لهذا الجلد الرقیق صبر علی النار»:إنّ کثیرا من أرباب الهوی یقولون:إنّ کثیرا من نهج البلاغه کلام محدث،صنعه قوم من فصحاء الشیعه.قال:و ربّما عزوا بعضه الی الرّضیّ و غیره.قال:و هؤلاء قوم أعمت العصبیه أعینهم فضلّوا عن النّهج الواضح،و رکبوا بیّنات الطریق ضلالا و قلّه معرفه بأسالیب الکلام.قال:و أنا أوضح لک بکلام مختصر ما فی هذا الخاطر من الغلط.

فأقول:لا یخلو إمّا أن یکون کلّ نهج البلاغه مصنوعا منحولا أو بعضه، و الأوّل باطل بالضّروره،لأنّا نعلم بالتواتر صحّه اسناد بعضه إلیه علیه السّلام،و قد نقل المحدّثون کلّهم أو جلّهم و المؤرّخون کثیرا منه،و لیسوا من الشیعه لینسبوا إلی غرض فی ذلک،و الثانی یدلّ علی ما قلناه،لأنّ من قد أنس بالکلام و الخطابه و شدا طرفا من علم البیان و صار له ذوق فی هذا الباب،لا بدّ أن یفرّق بین الکلام الرّکیک و الفصیح،و بین الفصیح و الأفصح،و بین الأصیل و المولّد، و إذا وقف علی کرّاس واحد یتضمّن کلاما لجماعه من البلغاء أو لاثنین منهم فقط فلا بدّ أن یفرّق بین الکلامین و یمیّز بین الطریقتین،ألا تری أنّا مع معرفتنا بالشعر و نقده لو تصفّحنا دیوان أبی تمام فوجدناه قد کتب فی أثنائه قصائد أو قصیده واحده لغیره،لعرفنا بالذوق مباینتها لشعر أبی تمام و نفسه و طریقته و مذهبه فی القریض،ألا تری أنّ العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد کثیره منحوله الیه،لمباینتها لمذهبه فی الشعر،و کذلک حذفوا من

۱- ۱) أمّا إنکار کلّ نهج البلاغه [۱]فنقله ابن أبی الحدید فی شرحه ۲:۵۲۶ شرح الخطبه(۱۸۱)عن بعض،و أمّا إنکار الشّقشقیّه فنقله ابن أبی الحدید فی شرحه ۱:۶۹ شرح الخطبه(۳)،و ابن میثم فی شرحه ۱:۲۵۱ شرح الخطبه(۳)، و یأتی تفصیل بحثه فی العنوان(۳۰)من الفصل الثامن.

شعر أبی نواس شیئا کثیرا لمّا ظهر لهم أنّه لیس من ألفاظه و لا من شعره؟ و کذلک غیرهما من الشعراء،و لم یعتمدوا فی ذلک إلّا علی الذوق خاصّه.و أنت إذا تأمّلت نهج البلاغه وجدته کلّه ماء واحدا و نفسا واحدا و أسلوبا واحدا، کالجسم البسیط الّذی لیس بعض من أبعاضه مخالفا لباقی الأبعاض فی الماهیه،و کالقرآن العزیز أوّله کأوسطه و أوسطه کآخره،و کلّ سوره منه و کلّ آیه مماثله فی المأخذ و المذهب و الفنّ و الطریق و النظم لباقی الآیات و السور،و لو کان بعض نهج البلاغه منحولا و بعضه صحیحا لم یکن ذلک کذلک.فقد ظهر لک بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أنّ هذا الکتاب أو بعضه منحول إلیه علیه السّلام (۱).

قلت:و ما ذکره فی غایه الجوده لکن یستثنی منه ما أشرنا إلیه فی أوّل الکتاب (۲)،فلیحذف کما حذف من شعر أبی تمام و أبی نواس بالقاعده التی ذکرها،و قد برهنّا علی ما قلنا عند شرح عناوین ما ذکرنا.

هذا،و الذی یظهر من کتب اللغه(کالصحاح و الأساس) (۳)و غیرهما عدم صحّه استعمال(کرّاس واحد)بل(کرّاسه واحده)،و کون الکرّاس جمعا.ثمّ إنّ إخواننا جاوزوا الحدّ فی الحطّ من قدره علیه السّلام اقتداء بسلفهم.فتاره أنکروا بعض کلامه کونه منه کالشقشقیّه و غیرها (۴)،و أخری نسبوا کلامه علیه السّلام إلی غیره،فنسبوا کلامه علیه السّلام:«أیّها الناس إنّا قد أصبحنا فی دهر عنود»إلی

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ۲:۵۲۶ [۱] شرح الخطبه(۱۸۱).

۲- ۲) مرّ فی مقدّمه المؤلّف.

۳- ۳) صحاح اللّغه للجوهریّ ۲:۹۲۷ مادّه(کرس)،و أساس البلاغه:۳۹۰ مادّه(کرس)،و لسان العرب ۶:۱۹۳ ماده (کرس).

۴- ۴) کما سبق فی شرح الفقره.

معاویه (۱)،کلّ ذلک إراده لإطفاء نوره علیه السّلام،(و یأبی اللّه إلّا أن یتمّ نوره).

«فأجمعت» أی:عزمت.

«بتوفیق اللّه تعالی علی الابتداء باختیار محاسن الخطب،ثمّ محاسن الکتب، ثمّ محاسن الحکم و الأدب» لا کلّ خطبه و کتاب و کلام له علیه السّلام .

«مفردا لکلّ صنف من ذلک» الّذی ذکر من الخطب و الکتب و الأدب.

«بابا» و تعبیره فی الأبواب الثلاثه مختلف،ففی الأوّل یقول:و من خطبه له علیه السّلام،أو و من کلام له علیه السّلام،و فی الثّانی فی الأغلب یقول:و من کتاب له علیه السّلام، و قد یقول:و من وصیّه له علیه السّلام کما فی(۱۱ و ۱۲ و ۱۴ و ۲۴ و ۲۵ و ۳۱ و ۴۷ و ۵۶ و ۷۶ و ۷۷) (۲).

و قال فی(۷۴):و من حلف له علیه السّلام کتبه بین ربیعه و الیمن (۳)،و قد یقول:

و من عهد له علیه السّلام کما فی(۲۶ و ۲۷) (۴)،و قد یقول:و کان علیه السّلام یقول،کما فی(۱۵ و ۱۶) (۵)و فی الثالث یقول:قال علیه السّلام.

لکن الغریب أنّه قال فی الخطبه(۵۹):«و قال علیه السّلام لمّا عزم علی حرب الخوارج»،و قال بعده:«و لمّا قتل الخوارج فقیل له:یا أمیر المؤمنین!هلک القوم بأجمعهم.قال علیه السّلام»،و قال بعده:«و قال علیه السّلام فیهم:لا تقتلوا الخوارج، بعدی» (۶).مع أنّ عنوانها عنوان الباب الأخیر،کما أنّ کلّا منها کلام قصیر.

۱- ۱) رواها الجاحظ فی البیان و التبیین ۲:۵۸ [۱] عن معاویه،ثم أنکر کونها له،و رواها عن معاویه أیضا ابن قتیبه فی عیون الأخبار ۲:۲۳۷،و [۲]ابن عبد ربه فی العقد الفرید ۴:۱۵۲ [۳] أشار الی أنّ الرضی نقلها عن معاویه فی نهج البلاغه ۱:۷۹، و [۴]تأتی الخطبه و بحثها فی العنوان(۱)من الفصل الخامس و العشرین فی شرح الخطبه(۳۲).

۲- ۲) نهج البلاغه ۳:۱۲،۱۳،۱۴،۲۲،۲۳،۳۷،۷۶،۱۱۳،۱۳۶. [۵]

۳- ۳) نهج البلاغه ۳:۱۳۴. [۶]

۴- ۴) نهج البلاغه ۳:۲۶،۲۷. [۷]

۵- ۵) نهج البلاغه ۳:(۱۵،۱۶). [۸]

۶- ۶) نهج البلاغه ۱:۱۰۷.

فكـان الواجب نقلهـا فى الأـخير،اللّهمّ إلاّـ أن يقال بأنّها ليست عناوين مستقلّه، بل كلّها عطف على قوله قبلها:و من كلام له عليه السّلام كلّم به الخوارج.

و قال فى الخطبه(۶۸):و قال عليه السّـلام فى سحره اليوم الّذى ضرب فيه (۱).مع أنّه كـان الواجب جعله فى الثالث،و لا يأتى فيه تأويل ذكر لسابقه.

«و مفصّلا» و فى(ابن أبى الحديد و الخطيّه)و«مفضّلا»بالمعجمه (۲).

«فيه أوراقا لتكون» الأوراق.

«مقدّمه» هكذا فى(المصريه)،و الكلمه زائده لعدم وجودها فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (۳).

«لاستدراك ما عساه» أى:لعلّه.

«يشذّ» أى:يتفرّق.

«عنّى» و قد شذ عنه كلام كثير منه عليه السّـلام ممّا يدخل فى موضوع كتابه، ممّا له مزيد بلاغه فى الأبواب الثلاثه،و لا سيّما فى الأول و الأخير.

«عاجلا» أى:فى الحال.

«و يقـع إلىّ آجلاـ» أى:بعـد،و قـد عرفـت مـن(ابـن أبى الحديـد و ابـن ميثـم)أنّ المصـنّف ختـم الكتـاب بعنـوان«رب مفتون»الحكمه(۴۶۲)ثم ألحق به ثمانيه عشر عنوانا،و عرفت من الراوندى أنّه زاد فى أوّل(۲۳۴ و ۲۳۵) (۴).

«و إذا جاء شىء من كلامه عليه السّلام الخارج فى أثناء» جمع ثنى،بالكسر.

«حوار» مصدر حاور،كالمحاوره،مثل نقله ردّه عليه السّلام اعتراض الأشعث

۱- ۱) نهج البلاغه ۱:۱۱۸. [۱]

۲- ۲) فى شرح ابن أبى الحديد ۱:۱۶،و شرح ابن ميثم ۱:۹۰«مفصّلا»أيضا بالصّاد المهمله.

۳- ۳) لا يوجد فى شرح ابن ميثم ۱:۹۰،لكنه فى شرح ابن أبى الحديد ۱:۱۶.

۴- ۴) قد مرّ فى مقدّمه المؤلف.

علیه فی أثناء خطبته (۱).

«أو جواب سؤال» کنقله کلامه علیه السّلام فی جواب من سأله:کیف دفعکم قومکم عن هذا المقام و أنتم أحقّ به (۲)؟ «أو غرض» أی:مقصد.

«آخر من الاغراض» کنقله کلامه علیه السّلام فی هرب مصقله (۳)،و فی عدم غناء بیعه مروان بکفّه (۴)،و فی إشارته علیه السّلام علی عمر بعدم خروجه بنفسه فی حرب الفرس و کذا الروم (۵).

«فی غیر الانحاء» أی:الأقسام.

«الّتی ذکرتها،و قرّرت القاعده علیها» من الخطب و الأوامر،و الکتب و الرسائل،و الحکم و المواعظ.

«نسبتها إلی ألیق الأبواب به» فی مقصده.

«و أشدّها ملامحه» یقال:لمح البرق،إذا لمع من بعید.

«لغرضه» فنقل جمیع ما مرّ فی الباب الأوّل لکون کلامه علیه السّلام فیها کالخطب و الأوامر،کما نقل وصیته علیه السّلام لجیشه (۶)،و وصایاه علیه السّلام فی أمواله (۷)،و وصیته علیه السّلام-بعد ضرب ابن ملجم علیه اللّعنه-للحسن و الحسین علیهما السّلام،و وصیّته علیه السّلام لابنه الحسن علیه السّلام (۸)،و وصیّته لابن عباس لمّا

۱- ۱) نهج البلاغه ۱:۵۶ [۱] الخطبه(۱۹).

۲- ۲) نهج البلاغه ۲:۶۳ [۲] الخطبه(۱۶۰).

۳- ۳) نهج البلاغه ۱:۹۴ الخطبه(۴۴).

۴- ۴) نهج البلاغه ۱:۱۲۳ الخطبه(۷۱).

۵- ۵) نهج البلاغه ۲:۲۹ [۳] الخطبه(۱۴۴).

۶- ۶) نهج البلاغه ۳:۱۲ [۴] الکتاب(۱۱).

۷- ۷) نهج البلاغه ۳:۲۲ [۵] الکتاب(۲۴).

۸- ۸) نهج البلاغه ۳:۷۶ [۶] الکتاب(۴۷).

ولّاه (۱)،و وصیته علیه السّلام له لمّا بعثه الی الخوارج (۲)،و نحوها فی الباب الثانی لکونها کالکتب و الرسائل،کما نقل غریب کلماته علیه السّلام فی الباب الثالث لکونها کالحکم و الأدب،لکنّه قد یخرج عمّا قرّر،فنقل تحریضا له علیه السّلام لأصحابه فی الثانی (۳)،مع أنّه بالأوّل ألیق،و قد نقل تحریضا آخر له علیه السّلام فی الأوّل (۴)،علی أصله و نقله کلامه علیه السّلام فی معنی الأنصار فی السقیفه فی الأوّل (۵)مع أنّه بالثالث ألیق،و نقل کلاما آخر له علیه السّلام فی المعنی فی الثالث (۶)علی أصله.

و أمّا نقله أدعیته علیه السّلام فی الأبواب الثلاثه،فلکون نسبتها إلیها علی السّواء،و إن کان نقل جمیعها فی الثالث أولی،حیث إنّه أعمّ،لأنّه قال فیه:

و یدخل فیه الکلام القصیر الخارج فی سائر أغراضه بخلاف الأولین (۷).

هذا و قال ابن أبی الحدید فی أوّل الباب الثانی بعد نقل کلام المصنّف:

باب المختار من کتب أمیر المؤمنین علیه السّلام،و قد أورد فی هذا الباب ما هو بالباب الأوّل أشبه،نحو کلامه علیه السّلام لشریح القاضی لمّا اشتری دارا (۸)،و کلامه علیه السّلام لشریح بن هانی لمّا جعله علی مقدّمته الی الشام (۹)،لکنّه اعتراض ساقط،أمّا کلامه علیه السّلام لشریح القاضی،فقال:و من کتاب له علیه السّلام کتبه لشریح،فکیف ینقله فی الخطب،و لو لا کونه کتابا،و إن کان کتاب شراء دار لکان بالباب الأخیر

۱- ۱) نهج البلاغه ۳:۳۷ [۱] الکتاب(۳۱).

۲- ۲) نهج البلاغه ۳:۱۳۶ [۲] الکتاب(۷۶).

۳- ۳) نهج البلاغه ۳:۱۳۶ الکتاب(۷۷).

۴- ۴) الظاهر أنّ کلیهما کلامان فی نهج البلاغه ۲:۲ الخطبه(۱۲۱)،و ۲:۲۳۲ الخطبه(۲۳۹).

۵- ۵) نهج البلاغه ۱:۱۱۶ [۳] الخطبه(۶۵).

۶- ۶) نهج البلاغه ۴:۴۳ الحکمه(۱۹۰). [۴]

۷- ۷) نهج البلاغه ۴:۳ باب الحکم. [۵]

۸- ۸) نهج البلاغه ۳:۴، [۶]الکتاب(۳).

۹- ۹) نهج البلاغه ۳:۱۱۳، [۷]الکتاب(۵۶)و شرح ابن أبی الحدید ۳:۲۹۴. [۸]

أشبه،لأنّه فی الحکم و المواعظ،و أمّا کلامه علیه السّلام لشریح بن هانی،فعنوان المصنّف له:و من وصیّه له علیه السّلام وصّی بها شریح بن هانی،و قد قال فی أوّل الباب الثانی:و یدخل فی ذلک ما اختیر من عهوده الی عمّاله و وصایاه لأهله و أصحابه (۱).فهل هو إلاّ من عهوده علیه السّلام إلی عمّاله؟!و إن شئت قلت:هو من وصایاه الی أصحابه.و مفاسد قلّه التدبّر کثیره .

«و ربّما جاء فی ما أختاره من ذلک» فی الأبواب الثلاثه من کلامه.

«فصول غیر متّسقه» الثالث مع الثانی،و الثانی مع الأوّل.

«و محاسن کلم غیر منتظمه» فی مقصد واحد .

«لأنّی أورد النّکت» جمع النکته و الأصل فی النّکت:أن تنکت فی الأرض بقضیب و نحوه،أی:تضرب فتؤثّر فیها.

«و اللمع» جمع اللّمعه،و الأصل فیها قطعه من النّبت إذا أخذت فی الیبس.

«و لا أقصد التتالی و النّسق» و الأصل فی النّسق الاستواء.و المصنّف و إن کان یختار فصولا غیر متّسقه و محاسن کلم غیر منتظمه إلاّ أنّه ینبّه علی عدم اتّساقها و انتظامها بقوله:«منها،و منها،منه،و منه»،کقوله فی أول الباب الأوّل:«منها فی ذکر الحج» (۲).و فی ثانیه:«و منها یعنی آل النبی صلّی اللّه علیه و آله» (۳)،و أتی بلفظه«منها»فی الخطبه(۸۱) (۴)،و فی خطبه«فاتّعظوا عباد اللّه» (۵)،و فی خطبه الأشباح (۶)،و فی خطبه«فتبارک

۱- ۱) نهج البلاغه ۳:۲ باب الکتب. [۱]

۲- ۲) نهج البلاغه ۱:۲۷ الخطبه-۱.

۳- ۳) نهج البلاغه ۱:۲۷ الخطبه(۲).

۴- ۴) نهج البلاغه ۱:۱۳۲. [۲]

۵- ۵) نهج البلاغه ۱:۱۴۸،۱۴۹ الخطبه(۸۲)أوّلها:«عجبا لابن النّابغه».لیس فیها لفظه«منها»أصلا.

۶- ۶) نهج البلاغه الخطبه ۱:۱۶۰(۸۹). [۳]

اللّه» (۱)،و فی خطبه«انظروا الی الدّنیا» (۲)،و فی خطبه«الحمد للّه الذی شرع الإسلام» (۳)،و فی خطبه الملاحم (۴)،و فی خطبه«کلّ شیء خاشع له» (۵)،و فی خطبه«أرسله داعیا الی الحق» (۶)،و فی«و من کلام له علیه السلام قال لأصحابه فی ساحه الحرب» (۷)،و فی خطبه ملاحم البصره (۸)،و فی خطبه «نحمده علی ما أخذ و أعطی» (۹)،و فی کلامه علیه السّلام«و انقادت له الدّنیا و الآخره» (۱۰)،و فی کلام له علیه السّلام فی معنی طلحه و الزبیر (۱۱)،و فی خطبه «و أستعینه» (۱۲)،و فی خطبه«الحمد للّه الدالّ علی وجوده» (۱۳)،و فی خطبه «و ناظر قلب اللّبیب» (۱۴)،و فی کلام فی الملاحم (۱۵)،و فی خطبه«أرسله علی حین فتره» (۱۶)،و فی خطبه«أمره قضاء و حکمه» (۱۷)،فی بعضها مرّه و فی

۱- ۱) نهج البلاغه ۱:۱۸۴ [۱] الخطبه(۹۲).

۲- ۲) نهج البلاغه ۱:۱۹۷ [۲] الخطبه(۱۰۱).

۳- ۳) نهج البلاغه ۱:۲۰۳ [۳] الخطبه(۱۰۴).

۴- ۴) نهج البلاغه ۱:۲۰۶ [۴] الخطبه(۱۰۶).

۵- ۵) نهج البلاغه ۱:۲۰۹ [۵] الخطبه(۱۰۷).

۶- ۶) نهج البلاغه ۱:۲۲۹ الخطبه(۱۱۴).

۷- ۷) نهج البلاغه ۲:۲ [۶] الخطبه(۱۲۱).

۸- ۸) نهج البلاغه ۲:۹ [۷] الخطبه(۱۲۶).

۹- ۹) نهج البلاغه ۲:۱۴ [۸] الخطبه(۱۳۰).

۱۰- ۱۰) نهج البلاغه ۲:۱۶ [۹] الخطبه(۱۳۱).

۱۱- ۱۱) نهج البلاغه ۲:۱۹ [۱۰] الخطبه(۱۳۵).

۱۲- ۱۲) نهج البلاغه ۲:۳۷ [۱۱] الخطبه(۱۴۹).

۱۳- ۱۳) نهج البلاغه ۲:۳۹ [۱۲] الخطبه(۱۵۰).

۱۴- ۱۴) نهج البلاغه ۲:۴۳ [۱۳] الخطبه(۱۵۲).

۱۵- ۱۵) نهج البلاغه ۲:۴۷ [۱۴] الخطبه(۱۵۴).

۱۶- ۱۶) نهج البلاغه ۲:۵۳ [۱۵] الخطبه(۱۵۶).

۱۷- ۱۷) نهج البلاغه ۲:۵۵ الخطبه(۱۵۸).

بعضها مرّتين و فى بعضها ثلاث أو أكثر.

و كقوله فى الباب الثانى فى(۶)«منه» (۱)،و فى(۲۴)«منها» (۲)،و فى(۲۷) «و منه» (۳)،و فى(۴۵)«و من هذا الكتاب» (۴)،و فى(۶۲)«و منه» (۵).

و حمل كلامه على أنّ مراده أنّه قد يسرد خطبه أو كتابا،و يكون فيها فقرات غير متّسقه كما فهمه ابن أبى الحديد،فيقول فى مطاوى كتابه كثيرا:إنّ كلام الرضىّ ملتقط من فصول مختلفه (۶)،بعيد،حيث انّه خارج عن أصل المقصود من الاستفاده،و غايه ما وقفنا عليه مثل خلطه بين كلامه عليه السّلام فى خرّيت الناجى و أصحابه من قوله:«آمنوا فقطنوا»،و بين كتابه عليه السّلام فيهم من قوله:«فحسبهم بخروجهم» (۷)،إلّا أنّه ككلام واحد.

و أمّا ما ترى من اختلاف ما نقل مع ما وقفنا عليه من أصول كلامه، فالظّاهر كونه من اختلاف الروايات،مثلا قوله عليه السّلام فى الخطبه(۴۳)فى عنوان كلامه عليه السّلام بعد إرساله جرير بن عبد اللّه البجلى الى معاويه:«و لقد ضربت أنف هذا الأمر و عينه...» (۸)وجدته قاله أيّام صفّين،و قوله عليه السّلام فيه أيضا:«إنّه قد كان على الناس وال أحدث أحداثا» (۹)وجدته فى كتابه عليه السّلام الى أهل مصر،إلى

۱- ۱) ليس فى نهج البلاغه ۳:۷ لفظه«منه».

۲- ۲) نهج البلاغه ۳:۲۲ الكتاب(۲۴).

۳- ۳) نهج البلاغه ۳:۲۷،الكتاب(۲۷).

۴- ۴) ليس فى نهج البلاغه ۳:۷۳،و شرح ابن ميثم ۵:۱۰۱ لفظ«و من هذا الكتاب»،بل فى شرح ابن أبى الحديد ۴:۱۰۸.

۵- ۵) نهج البلاغه ۲:۱۱۸،الكتاب(۶۲).

۶- ۶) قاله ابن أبى الحديد فى شرحه ۱:۲۰۷،۲۱۲،۲۷۲،و ۳:۱۸۸،۳۰۷،۴۱۷ فى شرح الخطب ۳۷،۳۸،۴۵،۲۳۳ و الكتابين ۹،۱۰.

۷- ۷) نهج البلاغه ۲:۱۰۲ [۱] الخطبه(۱۷۹).

۸- ۸) نهج البلاغه ۱:۹۴. [۲]

۹- ۹) ذيل الخطبه(۴۳).

غیر ذلک ممّا ستقف علیه فی مطاوی الکتاب إن شاء اللّه تعالی.و بالجمله قد ینقل المصنّف کلاما فی موضوع وردت أجزاؤه فی أخبار فیجعلها واحدا بجامعها،فکلامه علیه السّلام فی الخطبه(۱۲۲) (۱)مأخوذ من ستّ روایات،إلّا أنّها کلّها فی التحریض علی القتال،و کذلک کلامه علیه السّلام فی الخطبه(۱۲۳)فی التحکیم (۲)مأخوذ من ثلاث روایات .

«و من عجائبه علیه السّلام الّتی انفرد بها،و أمن المشارکه فیها أنّ کلامه علیه السلام الوارد فی الزّهد،و المواعظ،و التّذکیر و الزّواجر،إذا تأمّله المتأمّل،و فکّر فیه المتفکّر،و خلع من قلبه أنّه کلام مثله ممّن عظم قدره و نفذ أمره و أحاط بالرّقاب ملکه، لم یعترضه الشّکّ فی أنّه کلام من لا حظّ له فی غیر الزّهاده،و لا شغل له بغیر العباده» .قد تعجّب الثعالبی (۳)من أبی سهل الحمدونی الّذی کان والی الریّ، و قال أبیاتا یسیره فی الزهد،فکیف لا یتعجّب منه علیه السّلام مع ما وصف ؟! «قد قبع» و الأصل فیه قبع القنفذ:أدخل رأسه فی جسده.

«فی کسر» بالکسر.عن ابن السکیت:الکسر أسفل شقّه البیت الّتی تلی الأرض،من حیث یکسر جانباه من عن یمینک و یسارک (۴).

«بیت» أی:خباء .

«أو انقطع» عن الناس.

«فی»هکذا فی(المصریه)،و الصواب ما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه).

۱- ۱) نهج البلاغه ۲:۲. [۱]

۲- ۲) نهج البلاغه ۲:۵. [۲]

۳- ۳) لم أر ذلک فی یتیمه الدهر.

۴- ۴) نقله عنه الجوهری فی صحاح اللغه ۲:۸۰۶ [۳] ماده(کسر).

«إلى» (۱).

«سفح» أى:أسفل.

«جبل لا يسمع إلّا حسّه» أى:صوته الخفىّ.

«و لا يرى إلّا نفسه» كسقراط الحكيم،ففى(أخبار حكماء القفطى):يعرف بسقراط الحبّ،لأنّه سكن حبّا مدّه عمره،و لم ينزل بيتا،و كان يشتمل بكساء، و لم يتّخذ لنفسه غيره،قتله ملك زمانه إذ زجره عن القبائح و الفحشاء.قال له الملك:أنت لى عبد.قال:بل أنت عبد لعبدى.قال:كيف؟قال:لأنّى رجل أملك شهوتى و ملكك شهوتك (۲).

«و لا يكاد يوقن بأنّه كلام من ينغمس» أى:يرتمس.

«فى الحرب مصلتا» من أصلت سيفه:جرّده من غمده.

«سيفه فيقطّ» أى:يقطع عرضا،من قطّ القلم،و يقال:قط البيطار الحافر إذا نحته.

«الرقاب و يجدّل» أى:يلقى على الجداله،و هى الأرض.

«الأبطال» جمع البطل بفتحتين أى:الشجعان.و فى(صفين)لنصر بن مزاحم:و برز عروه الدمشقى لمّا دعا أمير المؤمنين عليه السّلام معاويه إلى المبارزه،فأبى معاويه،فقال:إن كان معاويه كره مبارزتك يا أبا الحسن فهلمّ إلىّ،فتقدّم اليه علىّ عليه السّلام،فقال له أصحابه:ذر هذا الكلب فإنّه ليس لك بخطر، فقال عليه السّلام:«و اللّه ما معاويه اليوم بأغيظ لى منه دعونى و إيّاه».ثمّ حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين،سقطت إحداهما يمنه و الأخرى يسره،فارتجّ

۱- ۱) شرح ابن أبى الحديد ۱:۱۶،و شرح ابن ميثم ۱:۹۰.

۲- ۲) كذا فى اخبار العلماء بأخبار الحكماء:۱۳۵ و النقل بتصرف. و قال الشهرستانى فى صفه سقراط فى كتاب الملل و النحل ۲:۹۱:«و [۱]كان يخوف بالملك الّذى حبسه انّه يريد قتله، قال:ان سقراط فى حب،و الملك لا يقدر إلّا على كسر الحب،فالحب يكسر و يرجع الماء الى البحر».

العسكران لهول الضربه.ثمّ قال عليه السّلام:اذهب يا عروه فاخبر قومك:أما و الّذى بعث محمّدا بالحق،لقد عاينت النار و أصبحت من النّادمين (۱).

«و يعود به» أى:بسيفه.

«ينطف» أى:يسيل.

«دما و يقطر مهجا» جمع مهجه دم القلب و الروح،و كونه عليه السّلام كذلك من الواضحات،و قد كانوا سمّوه:قتّال العرب،و كان عليه السّلام يقول:«و اللّه لو تظاهرت العرب على قتالى لما وليّت عنها،و لو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت اليها» (۲).و كان عليه السّلام يقول:«ما لقيت رجلا إلّا أعاننى على نفسه» (۳).أى:انخلع قلبه،و انقطعت مريرته من هيبته عليه السّلام.

و فى(تاريخ الطبرى)عن أبى لبيد قال:قتل(علىّ)منّا(يوم الجمل)ألفين و خمسمائه و الشمس ها هنا.أى:فى بعض يوم (۴).و فيه عن ابن أبى يعقوب يقول:قتل علىّ بن أبى طالب عليه السّلام يوم الجمل ألفين و خمسمائه،ألف و ثلاثمائه و خمسون من الأزد،و ثمانمائه من بنى ضبه،و ثلاثمائه و خمسون من سائر الناس (۵).

و فى(صفين نصر)عن جابر بن عمير الأنصارى:لا و اللّه الّذى بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله بالحق نبيّا ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق اللّه السماوات و الأرض أصاب بيده فى يوم واحد ما أصاب عليه السّلام،إنّه قتل فى ما ذكر العادّون زياده

۱- ۱) وقعه صفين:۴۵۸. [۱]

۲- ۲) أخرجه الشريف الرضىّ فى نهج البلاغه ۳:۷۳ [۲] ضمن الكتاب(۴۵).

۳- ۳) أخرجه الشريف الرضى فى نهج البلاغه ۴:۷۵ [۳] الحكمه(۳۱۸).

۴- ۴) تاريخ الطبرى ۳:۵۴۷ [۴] سنه(۳۶)،و نقله عن أبى لبيد أيضا المسعودى فى مروج الذهب ۲:۳۷۱. [۵]

۵- ۵) تاريخ الطبرى ۳:۵۴۷ [۶] سنه(۳۶)،و هناك روايات أخرى فى عدد قتلى وقعه الجمل فى تاريخ الطبرى ۳:۵۴۳،۵۴۷ [۷]سنه(۳۶)،و مروج الذهب ۲:۳۷۱. [۸]

على خمسمائه من أعلام العرب،يخرج بسيفه منحنيا،فيقول:معذره الى اللّه عز و جل و إليكم من هذا،لقد هممت أن أصقله،و لكن حجزنى عنه أنّى سمعت النبىّ صلّى اللّه عليه و آله يقول كثيرا:«لا سيف إلاّ ذو الفقار،و لا فتى إلاّ علىّ،و أنا أقاتل به دونه».قال:فكنّا نأخذه فنقوّمه،ثمّ يتناوله من أيدينا،فيقتحم به فى عرض الصف،فلا و اللّه ما ليث بأشدّ نكايه فى عدوّه منه عليه السّلام (۱).

«و هو مع تلك الحال» من التصدى للقتال و قتال الأبطال.

«زاهد الزّهاد» فقد طلّق عليه السّلام الدنيا ثلاثا و قال لها:«غرّى غيرى» (۲).و كان يقول:«ما لعلى و لنعيم يفنى،و لذّه لا تبقى» (۳).و كان عليه السّلام يقول:«دنياكم هذه أزهد عندى من عفطه عنز» (۴).و كان عليه السّلام ينام على التراب،حتّى كنّاه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بأبى تراب (۵)،و كان أحبّ كناه إليه عليه السّلام (۶).و تضاد روحيات من له تلك الحاله فى الحرب،و من كان بهذه الدرجه من الزهد معلوم.

و قال ابن أبى الحديد عند قوله عليه السّلام:«سلكوا فى بطون البرزخ سبيلا سلّطت الارض عليهم فيه،فأكلت من لحومهم،و شربت من دمائهم»:إنّى لاطيل

۱- ۱) وقعه صفّين:۴۷۷. [۱]

۲- ۲) هذه قطعه من حديث ضرار بن ضمره الضبابى،قالها عند معاويه.أخرج الحديث الشريف الرّضى فى نهج البلاغه ۴: ۱۶ [۲] الحكمه(۷۷).

۳- ۳) أخرجه الشريف الرضىّ فى نهج البلاغه ۲:۲۱۸ [۳] ضمن الخطبه(۲۲۲).

۴- ۴) أخرجه الشريف الرضى فى نهج البلاغه ۱:۳۷ [۴] ضمن الخطبه(۳)المعروفه بالشّقشقيّه.

۵- ۵) الروايه واقعه خاصّه لا أمر مستمرّ،و بين متن الروايات اختلاف،منها:ما أخرجه النسائى فى الخصائص:۱۲۹،و أحمد فى مسنده ۴:۲۶۳،و أبو يعلى فى مسنده عنه المطالب العاليه ۴:۶۴ ح ۳۹۶۹،و أبو الفرج بروايتين فى مقاتل الطالبيين: ۱۴،۱۶،و أبو نعيم فى المعرفه،و الطبرانى فى معجمه الكبير عنهما منتخب كنز العمال ۵:۳۶،و ابن المغازلى فى المناقب:۸ ح ۵،و ابن مردويه بروايتين عنه ألقاب الرسول:۱۷۷،۱۷۸ و بعض الروايات تشتمل على حصول اختلاف بين على و فاطمه عليهما السّلام،لم أخرجها لكثره طرقها مع ضعف متنها.

۶- ۶) أكثر روايات تكنيه النبى صلّى اللّه عليه و آله عليّا بأبى تراب السابقه تشتمل على كونها أحبّ كناه إليه عليه السّلام.

التعجّب من رجل يخطب فی الحرب بكلام يدلّ علی أنّ طبعه مناسب لطباع الأسود و النمور و أمثالهما من السباع الضاريه،ثمّ يخطب فی ذلك الموقف بعينه إذا أراد الموعظه بكلام،يدلّ علی أنّ طبعه مشاكل لطباع الرّهبان لا بسی المسوح الّذين لم يأكلوا لحما،و لم يريقوا دما،فتاره يكون فی صوره بسطام بن قيس الشيبانی،و عتيبه بن الحرث اليربوعی،و عامر بن الطفيل العامری، و تاره يكون فی صوره سقراط الحبر اليونانی،و يوحنّا المعمدان الإسرائيلی،و المسيح بن مريم الإلهی!و أقسم بمن تقسم الامم كلّها به،لقد قرأت هذه الخطبه منذ خمسين سنه و إلی الآن أكثر من ألف مرّه،ما قرأتها قطّ إلاّ و أحدثت عندی روعه و خوفا و عظه،و أثّرت فی قلبی وجيبا،و فی أعضائی رعده،و لا تأمّلتها إلاّ و ذكرت الموتی من أهلی و أقاربی،و أرباب ودّی،و خيّلت فی نفسی أنّی أنا ذلك الشخص الذی وصف عليه السّلام حاله (۱).

«و بدل الأبدال» أی:ولیّ الأولياء،و فی(اللسان):و الأبدال قوم من الصالحين بهم يقيم اللّه الأرض،أربعون فی الشام،و ثلاثون فی سائر البلاد،لا يموت منهم أحد إلاّ قام مكانه آخر،فلذلك سمّوا أبدالا،و واحد الأبدال العبّاد بدل و بدل.و قال ابن دريد:بديل (۲).

و روی ابن شميل بسنده حديثا عن علیّ كرّم اللّه وجهه أنّه قال:الأبدال بالشّام،و النّجباء بمصر،و العصائب بالعراق (۳).قال ابن شميل:الأبدال خيار

۱- ۱) شرح ابن أبی الحديد ۳:۵۱ [۱] شرح الخطبه(۲۱۹).

۲- ۲) جمهره اللّغه لابن دريد ۱:۲۴۷. [۲]

۳- ۳) رواه ابن الأثير فی النهايه ۳:۲۴۳ [۳] ماده(عصب)،و أخرجه بفرق لفظیّ فی شأن أصحاب المهدی عليه السّلام الدانی فی سننه عنه عقد الدّرر:۱۴۹،و ابن عساكر فی تاريخه عنه ينابيع المودّه:۴۳۳،و [۴]المفيد فی أماليه:۳۰ ح ۴ المجلس(۴)،و الطوسی فی الغيبه:۲۸۴،و رواه ابن الأثير فی النهايه ۳:۲۴۳ [۵] مادّه(عصب)،و الأحاديث الوارده فی الأبدال كثيره لا يسعها المقام.

بدل من خیار،و العصائب عصبه و عصائب یجتمعون فیکون بینهم حرب -إلی أن قال-:قال ابن السکّیت:الأبدال جمع بدل و بدل،و جمع بدیل بدلی (۱).

قلت:و أظنّ أنّ الأصل فی اصطلاح الأبدال الصوفیّه وضعوه لمشایخهم،و فی حدیثه الأمویّه،و إلّا فأهل الشام کانوا أطوع الناس للمخلوق، و أعصاهم للخالق،و الأرض لا تخلو من حجّه-منذ خلق الناس-نبیّ أو إمام.

و کیف کان،فعلی قول ابن درید قول المصنّف:«و بدل الأبدال»غیر صحیح،لکن قول ابن درید لیس بصحیح،و الصواب قول ابن السکیت فی واحد الأبدال .

«و هذه من فضائله العجیبه،و خصائصه اللّطیفه الّتی جمع بها بین الأضداد» التی تکون فی غیره من المحالات.

و ما قاله المصنّف من جمعه علیه السّلام بین الأضداد أثبته له القرآن أوّلا فی قوله عز و جل: «أَشِدّاءُ عَلَی الْکُفّارِ رُحَماءُ بَیْنَهُمْ» (۲)،ثم نفسه علیه السّلام ثانیا فی کتابه علیه السّلام إلی عثمان بن حنیف-بعد ذکره کون حصر قوته فی قرصین لا ینافی کون قوّته قوّه تقابل جمیع الناس-فقال علیه السّلام:«و کأنّی بقائلکم یقول:

إذا کان هذا قوت ابن أبی طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران و منازله الشجعان...» (۳).

و قد بلغ علیه السّلام الغایه فی العلم و العباده مع أنّهما کذلک فی غیره علیه السّلام متقابلان،و لذا ورد:العالم کذا و کذا و العابد کذا و کذا.

و بالجمله،وجوده علیه السّلام بتلک الجامعیّه من آیات قدرته تعالی.

۱- ۱) لسان العرب ۱۱:۴۹ [۱] ماده(بدل)،و قال قریبا من قوله ابن درید فی جمهره اللغه ۱:۲۴۷.

۲- ۲) الفتح:۲۹. [۲]

۳- ۳) نهج البلاغه ۳:۷۰ [۳] الکتاب(۴۵).

ليس على اللّه بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

(۱) «و ألّف بين الأشتات» أى:المتفرقات فى غيره،قال ابن سينا:لم يكن شجاعا فيلسوفا قط إلّا على بن أبى طالب عليه السّلام (۲).

و قال الثعالبى للمتنبى:إنّك قلت:

يرى الجبناء أنّ العجز حزم و تلك خديعه الطبع اللئيم

و كلّ شجاعه فى المرء تغنى و لا مثل الشجاعه فى الحكيم

و أنّى يكون الشجاع حكيما؟فقال:هذا على بن أبى طالب كرّم اللّه وجهه (۳).

و فى(فواتح الميبدى):قيل للشافعى:ما تقول فى علىّ بن أبى طالب؟ فقال:ما أقول فى شخص اجتمعت له ثلاثه مع ثلاثه لم تجتمع لأحد من بنى آدم:الجود مع الفقر،و الشجاعه مع الرأى،و العلم مع العمل،و أنشد:

إنّى عبد لفتى أنزل فيه هل أتى (۴)

الى متى أكتمه أكتمه إلى متى

و جمع عليه السّلام بين الشجاعه و الجود،قال ابن أبى الحديد إنّا:ما رأينا شجاعا جوادا قط،كان عبد اللّه بن الزبير شجاعا،و كان أبخل الناس،و كان الزبير أبوه شجاعا،و كان شحيحا.قال له عمر:لو ولّيتها لظلت تلاطم الناس فى البطحاء على الصاع و المدّ.و أراد علىّ عليه السّلام أن يحجر على عبد اللّه بن جعفر لتبذيره المال،فاحتال عبد اللّه لنفسه فشارك الزبير فى أمواله و تجاراته،فقال على عليه السّلام:«أمّا إنّه قد لاذ بملاذ...» (۵).

۱- ۱) أورده ابن أبى الحديد فى شرحه ۲:۲۳۱،و غيره.

۲- ۲) نقله ابن شهر آشوب فى المناقب ۲:۴۹. [۱]

۳- ۳) قاله الثعالبى فى يتيمه الدهر ۱:۲۰۸. [۲]

۴- ۴) الانسان:۱.

۵- ۵) شرح ابن أبى الحديد ۱:۱۷،و [۳]واصل كلامه بضرب أمثله أخرى.

قلت:ما ذكره فى غايه السقوط،و كيف لم يوجد شجاع جوادا،و قد أكثر الشعراء فى وصف ممدوحيهم بجميعهم بين الشجاعه و السماحه،قال شاعر:

كفاك كف ما تليق درهما جوادا و أخرى يعط بالسيف الدما

و قال آخر:

علّم الغيث الندى حتّى إذا ما حكاه علّم الناس الأسد

فله الغيث مقرّ بالندى و له الليث مقرّ بالجلد

و قال آخر:

سماؤك تمطر الذّهبا و حربك يلتظى لهبا

و أى كتيبه لاقتك لم تستحسن الهربا

و افتخروا بالجمع بينهما،قال حسّان:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضّحى و أسيافنا يقطرن من نجده دما

و يحكى أن النّابغه لمّا سمعه قال له:فللت جفانك و سيوفك.

و كيف لم ير شجاعا جوادا و قد كان أبو دلف العجلى فى غايه الجود و نهايه الشجاعه؟! أمّا جوده فكان إذا أتته الأموال بسطها على الإنطاع و يأمر الشعراء بنهبها،فيأخذ كلّ بقدر قوّته و قد قيل فيه:

إنّما الدّنيا أبو دلف بين باديه و محتضره

فإذا ولّى أبو دلف ولّت الدنيا على أثره

و قد غضب المأمون عليه و على مادحه بهما بأنّه لم يبق له بعد البيتين شىء.

و أمّا شجاعته فكان قد خرج فى قافله الى مكّه،فلمّا تجاوزوا الكوفه حضرت الأعراب و كثرت تريد اغتيالهم،فلمّا سمعوا بأنّ أبا دلف فيهم

انهزموا من غير حرب،و كان يضرب المثل بشجاعته.

ذكر عند المبرّد الحظوظ،فقال:قال شاعر،و لم يكن أراد مدح أبى دلف:

أم هل حسبت سواد الليل شجّعنى أو أنّ قلبى فى جنبى أبى دلف

فبلغ شعره أبا دلف فوجّه إليه أربعه آلاف درهم بلا انتظاره.

و كان حاتم الطائى فى الجاهليه و معن بن زائده الشيبانى فى الإسلام جامعين بين السخاوه و الشجاعه،إلاّ أنّ أشهريّه سخاوتهما أخملت شجاعتهما،قال ابن قتيبه فى(شعرائه)فى حاتم:كان حاتم إذا قاتل غلب و إذا غنم أنهب (۱).

و فى خطبه جناس قلب بعض الكفعمى فى(مصباحه):أين من فاق قسّا فى فصاحته و حصافته،و شأى حاتما فى سماحته و حماسته (۲).

وجود معن لا يحتاج إلى بيان،حتّى قال الشاعر فى رثائه مخاطبا لقبره:

و يا قبر معن كيف واريت جوده و قد كان منه البرّ و البحر مترعا

و يكفى فى شجاعته استنقاذه منصورا من جند أبى مسلم لمّا قتله (۳)، و كانوا يعتقدون فى أبى مسلم الألوهيه،و كانوا أحاطوا بالمنصور و كان أشرف على الهلاك.

و يزيد بن المهلب كان يضرب المثل بشجاعته و سخاوته،قال كعب الأشقرى فيه:

يداك إحداهما تسقى العدوّ بها سمّا و أخرى نراها لم يزل ديما

و حكايات جوده فى السير مسطوره،و أرتج عليه على المنبر،فضربه

۱- ۱) قاله ابن قيبه فى الشعر و الشعراء:۷۰ و [۱]النقل بتصرف يسير.

۲- ۲) المصباح للكفعمى:۷۵۹ الفصل(۴۹)و [۲]الخطبه إنشاء نفس المؤلّف.

۳- ۳) روى القصه المسعودى فى مروج الذهب ۳:۲۸۶.

برجله و قال:«فتى حروب لا فتى منابر».

و يزيد بن مزيد الشيبانى من أمراء هارون كان أيضا جامعا بينهما،قال سلم الخاسر فيه:

إنّ للّه فى البريّه سيفين يزيدا و خالد بن الوليد

ذاك سيف النبى فى سالف الدهر و هذا سيف الإمام الرّشيد

ما مقامى على النّدىّ و قد فاضت بحور النّدى بكفّى يزيد

و لمّا قدم عليه شاعر باليمين و قال فيه:

يوماه يوم للمواهب و النّدى خضل و يوم دم و خطف منيه

و لقد أتيتك واثقا بك عالما أن لست تسمع مدحه بنسيّه

قال:صدقت لست أسمع مدحه بنسيّه،أعطوه ألف دينار.

و فى(ذيل الطبرى):كان عبيد اللّه بن العباس سيّدا شجاعا سخيّا،كان ينحر كلّ يوم جزورا... (۱)،و كان عامّه بنى هاشم جامعين بين السّخاوه و الشجاعه.

ثمّ إن لم يكن الشّجاع سخيّا،فمن أين يكون بخيلا حتما،كما يفهمه ابن أبى الحديد،فأىّ استلزام بينهما؟فخالد بن الوليد و مالك الأشتر و هاشم المرقال و جمع آخر لا يحصى كانوا من الشجعان و لم يصفهم أحد بالبخل.

و أمّا من نقل بخله مع شجاعته كالزبير و ابن الزبير و كذا طلحه و عبد الملك،و قد ذكرهم ابن أبى الحديد فى ذيل كلامه،فكان جمع الشحّ و الشّجاعه فيهم على حسب الاتفاق،مع أنّهم لم يكونوا ذوى شجاعه فائقه،و لا سيّما الأخيران،بل الأخير لم يعلم مبارزته لأحد،و انّما كان قسيّا ذبح ابن عمّه

۱- ۱) المنتخب من ذيل المذيل للطبرى:۳۸. [۱]

الأشدق بيده و كان مكتوفا (۱).

و كيف يكون تناف بين الشجاعه و السّخاوه و لا يكون شخص كاملا إلاّ بالجمع بينهما.قال البحترى فى أبى عيسى بن صاعد:

نصيبك فى الأكرومتين فإنّما يسود الفتى من حيث يسخو و يشجع

كما أنّ ما قاله من أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أراد الحجر على عبد اللّه بن جعفر فاحتال بشركه الزبير،لم أقف عليه،و إنّما روى الخطيب فى أبى يوسف أنّ عبد اللّه بن جعفر أتى الزبير،فقال:إنّى اشتريت كذا و كذا،و إنّ عمّى يريد أن يأتى عثمان-و ذكر حديث الحجر-فقال عثمان:كيف أحجر على رجل فى بيع شريكه فيه الزّبير؟ قال أحمد بن حنبل:لم أسمع هذا إلاّ من حديث أبى يوسف (۲).

و بالجمله ما قاله من تضادّ الشجاعه و السخاوه بلا حقيقه،نعم أدخله بعض الشعراء فى التضادّ بتخيّلات شعريه بأنّ بسخاوه ممدوحه يحيى جمع من مواليه،و بشجاعته يموت جمع من أعاديه،فقال:

يحيا الأنام به فى الجدب إن قحطوا جودا و يشقى به يوم الوغى الهام

حالان ضدّان مجموعان فيه فما ينفكّ بينهما بؤس و إنعام

كالمزن يجتمع الضدّان فيه معا ماء و نار و إرهام و إضرام

و للشّعراء نظير ذلك كثير،فيخترعون تضادّا بالتخيّل الشعرى فى أشياء،قال بعضهم:

۱- ۱) رواه الطبرى فى التاريخ ۴:۵۹۹ سنه(۶۹)،و ابن قتيبه فى الإمامه و السياسه ۲:۲۶،و المسعودى فى مروج الذهب ۳: ۱۰۴،و جاءت روايات تخالف هذه.

۲- ۲) تاريخ بغداد ۱۴:۲۴۲ و [۱]النقل بتصرف.

و من عجب أن الصوارم فی الوغی تحیض بأیدی القوم و هی ذکور

و أعجب من ذا أنّها فی أکفّهم تؤجّج نارا و الأکفّ بحور

(۱) «و کثیرا ما أذکر» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(أذاکر)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه) (۲).

«الإخوان بها» أی:بهذه العجیبه.

«و أستخرج عجبهم» المرکوز فی جبلتهم من مثلها.

«منها.و هی موضع للعبره بها،و الفکره فیها» بأنه علیه السّلام کان غیر البشر المتعارفی،و أنّ اجتماع ذلک فیه علیه السّلام من آیات اللّه تعالی شاهدا لإمامته .

«و ربّما جاء فی أثناء هذا الاختیار» فی الأبواب الثلاثه.

«اللّفظ المردّد» أی:المرجّع.

«و المعنی المکرّر» و لو بلفظ آخر .

«و العذر فی ذلک» أی:الترديد و التکرار.

«أنّ روایات کلامه علیه السّلام تختلف اختلافا شدیدا» حسب اختلاف نقل کثیر من المطالب .

«فربّما اتّفق» أی:وقع.

«الکلام المختار فی روایه فنقل علی وجهه» فی تلک الروایه .

«ثمّ وجد بعد ذلک فی روایه أخری موضوعا غیر وضعه الأوّل» أی:کیفیّته.

«إمّا بزیاده مختاره» أیّ:ینبغی أن تختار.

«أو بلفظ» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(أو لفظ)کما فی(ابن أبی

۱- ۱) للمزید راجع الأغانی لأبی الفرج،و العقد الفرید لابن عبد ربّه،و غیرهما.

۲- ۲) شرح ابن أبی الحدید ۱:۱۶،و شرح ابن میثم ۱:۹۱.

الحديد،و ابن ميثم،و الخطيه)عطفا على(زياده) (۱).

«أحسن عباره» من الأوّل.

«فتقتضى الحال أن يعاد» لكونه من موضوع الكتاب .

«استظهارا» مفعول له لقوله:«يعاد»،أى:تكميلا.

«للاختيار» من كلامه عليه السّلام.

«و غيره» بالفتح،من غار الرجل على أهله.

و أمّا الغيره بالكسر فقال الجوهرى:إنّها الميره،من غار أهله،أى:

مارهم و نفعهم (۲).

و قال الزمخشرى:إنّها الدّيه،و جمعها الغير،قال الشاعر:

لنجدعنّ بأيدينا أنوفكم بنى أميّه إن لم تقبلوا الغيرا

(۳) «على عقائل الكلام» أى:كرائمه،من أن تفوته.

و ممّا أعاده لزياده مختاره أنّه قال فى الخطبه(۱۴۷):من كلام له قبل موته (۴).

و قال فى الكتاب(۲۳):و من كلام له عليه السّلام قاله قبل موته على سبيل الوصيه (۵).

و قال فى آخر الثانى:قد مضى بعض هذا الكلام فى ما تقدّم من الخطب، إلاّ أنّ فيه ها هنا زياده أوجبت تكريره.

۱- ۱) كذا فى شرح ابن ميثم ۱:۹۱،و لكن فى شرح ابن أبى الحديد ۱:۱۷.«بلفظ»أيضا.

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهرى ۲:۷۷۵ [۱] ماده(غير).

۳- ۳) أساس البلاغه:۳۳۱ [۲] ماده(غير).

۴- ۴) نهج البلاغه ۲:۳۳.

۵- ۵) نهج البلاغه ۳:۲۱. [۳]

و کرّر قوله علیه السّلام فی الحکمه(۱۴۸):«المرء مخبوء تحت لسانه» (۱)فی (۳۹۲)مع زیاده (۲)،لکنّه غفل عن تکراره،حیث لم یشر إلیه کما فی الأول.

ثمّ من الغریب أنّه کرّر قوله علیه السّلام فی الحکمه(۱۱۶):«کم من مستدرج بالإحسان إلیه،و مغرور بالسّتر علیه،و مفتون بحسن القول فیه،و ما ابتلی اللّه أحدا بمثل الإملاء له» (۳)فی(۲۶۰)قبل فصل الغریب،و قال:و قد مضی هذا الکلام فی ما تقدّم،إلّا أنّ فیه ها هنا زیاده (۴).مع أنّه لیس فی الثانی زیاده أصلا، إلاّ أنّ التکرار علی نقل(ابن أبی الحدید و الخطیّه) (۵)(کالمصریّه)،و أمّا(ابن میثم)فلیس الثانی فیه (۶)،کما أنّه کرّر الحکمه(۲۲) (۷)فی(۳۸۹)مع زیاده علی نقل(ابن أبی الحدید)دون(ابن میثم) (۸)،لکن نسختی من(ابن میثم)بعد الحکمه(۸۱)کثیره التّصحیف،فلیلحظ النّسخ الأخری.

و ممّا أعاده بلفظ آخر قوله فی الخطبه(۳۳):«أما و اللّه إن کنت لفی ساقتها حتّی ولّت بحذا فیرها،ما ضعفت و ما جبنت،و إنّ مسیری هذا لمثلها، فلأنقبنّ الباطل حتّی یخرج الحقّ من جنبه» (۹)فی جمله الخطبه(۱۰۲) (۱۰)،لکنّه غفل عن الأوّل لعدم إشارته إلی التکرار،کما هو دأبه فی الاعتذار.

۱- ۱) نهج البلاغه ۴:۳۸.

۲- ۲) نهج البلاغه ۴:۹۳،و ذیله:«تکلّموا تعرفوا».

۳- ۳) نهج البلاغه ۴:۲۷. [۱]

۴- ۴) نهج البلاغه ۴:۵۷. [۲]

۵- ۵) شرح ابن أبی الحدید ۳۵۵،۴:۲۹۱. [۳]

۶- ۶) لا یوجد فی شرح ابن میثم ۵:۳۰۷،لکن ورد فیه فی:۳۰۳ کما قال الشارح.

۷- ۷) نهج البلاغه ۴:۶.

۸- ۸) کرّر فی شرح ابن أبی الحدید ۴:۴۱۹،لکن لا یوجد فی شرح ابن میثم ۵:۴۱۹ کما قال الشارح.

۹- ۹) نهج البلاغه ۱:۸۱. [۴]

۱۰- ۱۰) نهج البلاغه ۱:۱۹۹. [۵]

و أعاد قوله عليه السّلام فى الخطبه(۱۷۰):«اللّهمّ إنّى أستعينک على قريش و من أعانهم،فإنّهم قطعوا رحمى،و صغّروا عظيم منزلتى،و أجمعوا على منازعتى أمرا هو لى،ثمّ قالوا:ألا إنّ فى الحقّ أن تأخذه و فى الحقّ أن تتركه» (۱)فى الخطبه(۲۱۵)بلفظ آخر (۲)،و الظاهر غفلته هنا أيضا لما يأتى فى الآتى.

و أعاد أيضا بلفظ آخر قوله عليه السّلام فى الخطبه(۲۶):«فنظرت فإذا ليس لى معين إلاّ أهل بيتى،فضننت بهم عن الموت،و أغضيت على القذى،و شربت على الشّجى،و صبرت على أخذ الكظم،و على أمرّ من طعم العلقم» (۳)فى آخر الخطبه(۲۱۵)بلفظ«فنظرت فإذا ليس لى رافد،و لا ذابّ و لا مساعد،إلاّ أهل بيتى،فضننت بهم عن المنيه،فأغضيت على القذى،و جرعت ريقى على الشّجى،و صبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم،و آلم للقلب من حزّ الشّفار».ثم قال:و قد مضى هذا الكلام فى أثناء خطبه متقدّمه،إلاّ أنّى كرّرته هنا لاختلاف الروايتين (۴).

ثمّ إنّ المصنّف و إن كرّر فى الخطبه(۲۱۵)معنى ما ورد فى الخطبه (۱۷۰) (۵)أيضا كما مرّ قبل هذا،إلاّ أنّ قوله:«و قد مضى...»إشاره الى ما فى الخطبه(۲۶)،و لا يمكن أن يكون إشاره إليهما،لآباء قوله:«هذا الكلام»،و قوله:

«خطبه متقدّمه»عن ذلک.

و أعاد أيضا قوله فى الخطبه(۳۳):«إنّ اللّه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه

۱- ۱) نهج البلاغه ۲:۸۵. [۱]

۲- ۲) نهج البلاغه ۲:۲۰۲. [۲]

۳- ۳) نهج البلاغه ۱:۶۷. [۳]

۴- ۴) نهج البلاغه ۲:۲۰۲. [۴]

۵- ۵) نهج البلاغه ۲:۸۵ و [۵]مراد الشارح من المعنى:«اللّهم إنّى استعينک على قريش...».

و آله و سلّم و لیس أحد من العرب یقرأ کتابا...» (۱)فی الخطبه(۱۰۲)،و قال:و قد تقدّم مختارها بخلاف هذه الروایه (۲).

و أعاد أیضا قوله فی الحکمه(۱۱۷):«هلک فیّ رجلان:محبّ غال، و مبغض قال» (۳)فی(۴۶۹)بلفظ«یهلک فیّ رجلان:محبّ مفرط،و باهت مفتر».و قال:الثانی مثل الأوّل (۴).

و أعاد أیضا قوله فی الخطبه(۷۰)فی الصلاه علی النبی صلّی اللّه علیه و آله:«حتّی أوری قبس القابس...» (۵)فی الخطبه(۱۰۴)،و قال:«و قد مضی هذا الکلام فی ما تقدّم،إلّا أننا کرّرناه ها هنا لما فی الروایتین من الاختلاف» (۶).

و أعاد أیضا قوله:«یا ابن آدم:لا تحمل همّ یومک...»من الحکمه (۲۶۷) (۷)فی(۳۷۹)و قال:«و قد مضی هذا الکلام...» (۸).

و أعاد أیضا قوله فی الحکمه(۱۵):«تذلّ الأمور للمقادیر حتی یکون الحتف فی التدبیر» (۹)فی(۴۵۹)بلفظ«یغلب المقدار علی التقدیر حتّی لا تکون الآفه فی التّدبیر»،لکنّه غفل عن تکراره فلم یشر و لم یعتذر (۱۰).

۱- ۱) نهج البلاغه ۱:۸۰. [۱]

۲- ۲) نهج البلاغه ۱:۱۹۹،و [۲]قول الرضی فی روایه شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۹۹ [۳] أبسط من هذا.

۳- ۳) نهج البلاغه ۴:۲۸. [۴]

۴- ۴) نهج البلاغه ۴:۱۰۸،و [۵]قول الرضی:«و هذا مثل قوله علیه السّلام هلک فیّ رجلان:محب غال و مبغض قال».

۵- ۵) نهج البلاغه ۱:۱۲۱. [۶]

۶- ۶) نهج البلاغه ۱:۲۰۴،و [۷]لفظ الخطبه(۱۰۴):«حتّی أوری قبسا لقابس...».

۷- ۷) نهج البلاغه ۴:۴۶. [۸]

۸- ۸) نهج البلاغه ۴:۹۱،و [۹]لفظ الحکمه(۳۷۹):«فلا تحمل همّ سنتک علی همّ یومک».

۹- ۹) نهج البلاغه ۴:۵. [۱۰]

۱۰- ۱۰) الظاهر أنّه من سهو الشارح،لأنّ الشریف الرضی قال بعد تمام الحکمه فی نهج البلاغه ۴:۱۰۵:«و قد مضی هذا المعنی فی ما تقدّم بروایه تخالف هذه الألفاظ».و کذا فی شرح ابن أبی الحدید ۴:۵۰۵، [۱۱]لکن سقط کلام الشریف فی شرح ابن میثم ۵:۴۶۰. [۱۲]

و أعـاد قوله فی الحکمه(۳۴۸):«أشدّ الذنوب ما اسـتهان به صاحبه» (۱)بلفظ«أشد الذنوب ما اسـتخف به صاحبه»فی(۴۷۷) (۲)،و غفل عن تکراره فلم یعتذر .

«و ربّما بعد العهد أیضا بما اختیر أوّلا فأعید بعضه» لا لزیاده أو للفظ أحسن عباره،بل:

«سـهوا أو نسـیانا» هکـذا فی(المصـریه)،و الصواب:(و نسـیانا)،کمـا فی (ابن أبی الحدیـد و ابن میثم و الخطیّه) (۳)،و العطف فیه تفسیری.

«لا قصدا و اعتمادا» أی:تعمّدا،فیکون العطف فیه أیضا تفسیریا.

فأعاد فقره«ما شککت فی الحق مذ أریته»جزء الخطبه(۴) (۴)فی الحکمه(۱۸۴) (۵)نسیانا.

و أعاد فقره«من أبدی صـفحته للحقّ هلک»،و هی جزء الخطبه(۱۶) (۶)فی الحکمه(۱۸۸) (۷)سهوا،و أعاد أیضا قوله:«کلمه حق یراد بها باطل»جزء الخطبه(۴۰) (۸)فی الحکمه(۱۹۸) (۹)نسیانا.

و أعاد أیضا قوله علیه السّلام:«من ظنّ بک خیرا فصدّق ظنّه»جزء وصیّته علیه السّلام

۱- ۱) نهج البلاغه ۴:۸۱. [۱]

۲- ۲) نهج البلاغه ۴:۱۱۰. [۲]

۳- ۳) کذا فی شرح ابن أبی الحدید ۱:۱۷،لکن فی شرح ابن میثم ۱:۹۱«أو»أیضا.

۴- ۴) نهج البلاغه ۱:۳۹. [۳]

۵- ۵) نهج البلاغه ۴:۴۳. [۴]

۶- ۶) نهج البلاغه ۱:۵۰. [۵]

۷- ۷) نهج البلاغه ۴:۴۳. [۶]

۸- ۸) نهج البلاغه ۱:۹۱. [۷]

۹- ۹) نهج البلاغه ۴:۴۵. [۸]

إلى ابنه (۱)فی الکتاب(۳۱)سهوا،فی الحکمه(۲۴۸) (۲).

و أعاد أیضا قوله:«و مفتون بحسن القول فیه»الّذی هو جزء العنوان «کم من مستدرج بالإحسان إلیه»-المذکور فی الحکمه(۱۱۶)بالاتّفاق (۳)، و فی الحکمه(۲۶۰)أیضا بنقل(ابن أبی الحدید و الخطیّه) (۴)-فی الحکمه (۴۶۲) (۵)سهوا.

و أعاد قوله علیه السّلام:«لا خیر فی الصمت عن الحکم،کما أنّه لا خیر فی القول بالجهل»المذکور فی الحکمه(۱۸۲) (۶)فی الحکمه(۴۷۱)بنقل(المصریه)و (ابن میثم) (۷)،و قبل الحکمه(۱۹۲)بنقل(ابن أبی الحدید،و الخطیّه) (۸)أیضا غفله.

و منه یظهر أنّه قد یعید کلّ العنوان سهوا جاعلا له کلّا ثانیا.

و أعاد الخطبه(۲۱)«فإنّ الغایه أمامکم،و إنّ وراءکم السّاعه تحدوکم، تخفّفوا تلحقوا،فإنّما ینتظر بأوّلکم آخرکم» (۹)جزء الخطبه(۱۶۵)«إنّ اللّه تعالی أنزل کتابا هادیا...»بلفظ«فإنّ الناس أمامکم،و إنّ الساعه تحدوکم من خلفکم،تخفّفوا تلحقوا،فإنّما ینتظر بأوّلکم آخرکم» (۱۰).

۱- ۱) نهج البلاغه ۳:۵۴. [۱]

۲- ۲) نهج البلاغه ۴:۵۴. [۲]

۳- ۳) کذا فی نهج البلاغه ۴:۲۷،و [۳]شرح ابن أبی الحدید ۴:۲۹۱،و شرح ابن میثم ۵:۳۰۳. [۴]

۴- ۴) کذا فی شرح ابن أبی الحدید ۴:۳۵۵،و نهج البلاغه ۴:۵۷. [۵]

۵- ۵) نهج البلاغه ۴:۴۳،و [۶]لفظه«ربّ مفتون»،و قال فیه بعد تمام الحکمه:«زیاده عن نسخه کتبت فی عهد المصنّف».

۶- ۶) نهج البلاغه ۴:۴۳ و [۷]لفظ«ربّ مفتون»،و قال فیه بعد تمام الحکمه:«زیاده من نسخه کتبت فی عهد المصنّف».

۷- ۷) شرح ابن میثم ۵:۴۶۵. [۸]

۸- ۸) شرح ابن أبی الحدید ۴:۳۳۰.

۹- ۹) نهج البلاغه ۱:۵۸. [۹]

۱۰- ۱۰) نهج البلاغه ۲:۸۰. [۱۰]

و منه يظهر أنّه قد يعيد كلّ عنوان جزء عنوان آخر غفله مع اختلاف ما.

و أعاد قوله عليه السّلام:«كالفالج الياسر الّذى ينتظر أوّل فوزه من قداحه»جزء الخطبه(۲۳) (۱)فى رقم(۸)من فصل الغريب بلفظ«كالياسر الفالج ينتظر أوّل فوزه من قداحه» (۲)غفله.

و أعاد قوله عليه السّلام:«إنّ هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان،فابتغوا لها طرائف الحكم»من الحكمه(۹۱) (۳)فى(۱۹۷) (۴)سهوا.

و أعاد قوله عليه السّلام فى الخطبه(۱۷۰):«فقدموا على عاملى بها و خزّان بيت مال المسلمين و غيرهم من أهلها،فقتلوا طائفه صبرا و طائفه غدرا»فى الخطبه(۲۱۶) (۵)بلفظ«فقدموا على عمّالى و خزّان بيت مال المسلمين الّذى فى يدى و على أهل مصر كلّهم فى طاعتى و على بيعتى،فشتّتوا كلمتهم و أفسدوا علىّ جماعتهم،و وثبوا على شيعتى فقتلوا طائفه منهم غدرا» (۶)غفله.

و أعاد قوله عليه السّلام فى الخطبه(۲۲):«و اللّه ما أنكروا علىّ منكرا،و لا جعلوا بينى و بينهم نصفا،و إنّهم ليطلبون حقّا هم تركوه،و دما هم سفكوه،فلئن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم لنصيبهم منه،و لئن كانوا ولّوه دونى،فما التبعه إلّا عندهم،و إنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم»فى الخطبه(۱۳۵) (۷)بلفظ«و اللّه ما أنكروا علىّ منكرا،و لا جعلوا بينى و بينهم نصفا،و أنّهم ليطلبون حقّا هم

۱- ۱) نهج البلاغه ۱:۶۰. [۱]

۲- ۲) نهج البلاغه ۴:۶۱. [۲]

۳- ۳) نهج البلاغه ۴:۲۰. [۳]

۴- ۴) نهج البلاغه ۴:۴۵ و [۴]لفظه«طرائف الحكمه».

۵- ۵) نهج البلاغه ۲:۸۵. [۵]

۶- ۶) نهج البلاغه ۲:۲۰۳. [۶]

۷- ۷) نهج البلاغه ۱:۵۹. [۷]

ترکوه،و دما هم سفکوه،فإن کنت شریکهم فیه،فإنّ لهم نصیبهم منه،و إن کانوا ولّوه دونی،فما الطّلبه إلاّ قبلهم،و إنّ أوّل عدلهم للحکم علی أنفسهم» (۱)غفله.

کما أنّه أعاد ما فی الخطبه(۱۰)«ألا و إنّ الشیطان قد جمع حزبه، و استجلب خیله و رجله،و أنّ معی لبصیرتی،ما لبّست علی نفسی،و لا لبّس علیّ،و ایم اللّه لأفرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه!لا یصدرون عنه،و لا یعودون إلیه» (۲)،جزءا منه فی الخطبه(۲۲)«ألا و إنّ الشیطان قد ذمر حزبه،و استجلب جلبه» (۳)،و جزءا منه فی الخطبه(۱۳۵)«إنّ معی لبصیرتی ما لبست،و لا لبس علیّ...و ایم اللّه لا فرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه لا یصدرون عند بریّ،و لا یعبّون بعده فی حسی» (۴)غفله،مع اختلاف ما.

و أعاد الحکمه(۶۸)«العفاف زینه الفقر،و الشکر زینه الغنی» (۵)فی الحکمه(۳۴۰) (۶)سهوا.

و أعاد ذیل الخطبه(۱۲۵)«إنّما اجتمع رأی ملئکم علی اختیار رجلین، أخذنا علیهما أن لا یتعدّیا القرآن،فتاها عنه،و ترکا الحقّ و هما یبصرانه،و کان الجور هواهما فمضیا علیه،و قد سبق استثناؤنا علیهما-فی الحکومه بالعدل، و الصّمد للحق-سوء رأیهما و جور حکمهما» (۷)فی الخطبه(۱۷۵)بلفظ

۱- ۱) نهج البلاغه ۲:۱۹. [۱]

۲- ۲) نهج البلاغه ۱:۴۳.

۳- ۳) نهج البلاغه ۱:۵۹. [۲]

۴- ۴) نهج البلاغه ۲:۲۰. [۳]

۵ - ۵) نقله کذلک ابن أبی الحدید فی شرحه ۴:۲۷۳،۳۹۶ مکرّرا،لکن فی نهج البلاغه ۴:۸۰،و [۴]شرح ابن میثم ۵:۴۰۹ [۵]کامل و [۶]بلا ذیل.

۶- ۶) فی نهج البلاغه ۴:۱۵،و [۷]شرح ابن میثم ۵:۲۷۳. [۸]

۷- ۷) نهج البلاغه ۲:۹. [۹]

«فاجمع رأی ملئکم علی أن اختاروا رجلین،فأخذنا علیهما أن یجعجعا عند القرآن،و لا یجاوزاه،و تکون ألسنتهما معه،و قلوبهما تبعه،فتاها عنه،و ترکا الحق و هما یبصرانه،و کان الجور هواهما،و الاعوجاج دأبهما،و قد سبق استثناؤنا علیهما-فی الحکم بالعدل،و العمل بالحق-سوء رأیهما،و جور حکمهما» (۱)غفله.

و أعاد قوله علیه السّلام:«الناس أعداء ما جهلوا»فی الحکمه(۱۷۲) (۲)غفله فی الحکمه(۴۳۸) (۳).

و أعاد قوله علیه السّلام:«قلیل تدوم علیه أرجی من کثیر مملول» (۴)فی الحکمه (۲۷۸)نسیانا فی الحکمه(۴۴۴)بلفظ«قلیل تدوم علیه خیر من کثیر مملول منه» (۵).

و أعاد قوله علیه السّلام فی الخطبه(۱۴۳):«أیّها الناس!إنّما أنتم فی هذه الدّنیا غرض تنتضل فیه المنایا مع کلّ جرعه شرق،و فی کلّ أکله غصص،لا تنالون منها نعمه إلّا بفراق أخری،و لا یعمّر معمّر منکم یوما من عمره إلّا بهدم آخر من أجله» (۶)غفله فی الحکمه(۱۹۱)بلفظ«إنّما المرء فی الدّنیا غرض تنتضل فیه المنایا،و نهب تبادره المصائب،و مع کلّ جرعه شرق،و فی کلّ أکله غصص،و لا ینال العبد نعمه إلّا بفراق أخری،و لا یستقبل یوما من عمره إلّا

۱- ۱) نهج البلاغه ۲:۹۶. [۱]

۲- ۲) نهج البلاغه ۴:۴۳. [۲]

۳- ۳) نهج البلاغه ۴:۱۰۲. [۳]

۴- ۴) نهج البلاغه ۴:۶۸. [۴]

۵- ۵) نهج البلاغه ۴:۱۰۳. [۵]

۶- ۶) نهج البلاغه ۲:۲۸. [۶]

بفراق آخر من أجله» (۱).

و أعـاد قـوله عليـه السّـلام فى الحكمـه(۲۴۱):«يـوم المظلـوم على الظـالم أشـدّ مـن يـوم الظـالم على المظلـوم» (۲)غفلـه فى الحكمه(۳۴۱)بلفظ«يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم» (۳).

و أعاد قوله عليه السّلام فى الخطبه الأخيره برقم(۲۳۹):«ما أنقص النّوم لعزائم اليوم» (۴)غفله فى الحكمه(۴۴۰) (۵)مستقلّا.

و أعـاد قوله عليه السّـلام:«و كفى أدبـا لنفسـك تجنّبك ما كرهته لغيرك» (۶)و هـو جزء الحكمه(۳۶۵)غفله فى الحكمه(۴۱۲) (۷)مستقلّا.

و أعاد قوله عليه السّلام:«القناعه مال لا ينفد»الحكمه(۵۷) (۸)غفله فى الحكمه (۴۷۵) (۹).

و أعاد قوله عليه السّلام:«أشرف الغنى ترك المنى»الحكمه(۳۴) (۱۰)غفله جزء «الجود حارس الأعراض»الحكمه(۲۱۱) (۱۱).

و أعاد قوله عليه السّلام فى الخطبه(۱۵۴):«و إنّهما لا يقرّبان من أجل،و لا

۱- ۱) نهج البلاغه ۴:۴۴. [۱]

۲- ۲) نهج البلاغه ۴:۵۳. [۲]

۳- ۳) نهج البلاغه ۴:۸۰. [۳]

۴- ۴) نهج البلاغه ۲:۲۳۴. [۴]

۵- ۵) نهج البلاغه ۴:۱۰۲. [۵]

۶- ۶) نهج البلاغه ۴:۸۵. [۶]

۷- ۷) نهج البلاغه ۴:۹۶ و [۷]لفظه«كفاك أدبا لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك».

۸- ۸) نهج البلاغه ۴:۱۴. [۸]

۹- ۹) نهج البلاغه ۴:۱۰۹، [۹]قال فيه بعد تمام الحكمه:«و قد روى بعضهم هذا الكلام لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله».

۱۰- ۱۰) نهج البلاغه ۴:۱۰. [۱۰]

۱۱- ۱۱) نهج البلاغه ۴:۴۸. [۱۱]

ينقصان من رزق» (۱)فی(۳۷۴)بلفظ«و إنّ الأمر بالمعروف،و النهی عن المنکر لا یقرّبان من أجل،و لا ینقصان من رزق» (۲).

و ممّا نقلنا من تکراراته یظهر أنّ الرضی،و ان قال:إنّه قد یعید نسیانا بعض ما مرّ،و ظاهره یعیده بلفظه،إلاّ أنّه قد یفعل کما قال،و قد یعید کلّ ما مرّ، کما قد یعید بعض ما مرّ أو کلّه بلفظ آخر.و مرّ فی شرح قوله فی ما أعاده قصدا لزیاده أو للفظ آخر (۳)جمله ممّا أعادها نسیانا أیضا .

«و لا أدّعی مع ذلک أنّی أحیط باقطار» أی:نواحی «جمیع کلامه علیه السّلام، حتّی لا یشذّ عنّی شاذ» أی:یتفرّق عنّی متفرّق.

«و لا یندّ» أی:یعبد عنّی.

«نادّ» أی:بعید .

«بل لا أبعد» أی:لا أعدّ بعیدا.

«أن یکون القاصر عنّی» أی:الّذی لم یصل إلیّ.

«فوق الواقع» أی:الواصل من کلامه.

«إلیّ،و الحاصل» عطف علی القاصر اسم(یکون).

«فی ربقتی» بالکسر،قال الجوهری:الرّبق:حبل فیه عدّه عری تشدّ به البهم (۴).

«دون» أی:أقلّ،و هو عطف علی(فوق)خبر(یکون)،أی:من عطف الجمله.

«الخارج من یدیّ» الّذی أفلت عنّی،قال الراوندی،کما نقل ابن میثم عنه:

۱- ۱) نهج البلاغه ۲:۴۹. [۱]

۲- ۲) نهج البلاغه ۴:۸۹. [۲]

۳- ۳) قول الرضی:«فاعید بعضه سهوا أو نسیانا لا قصدا و اعتمادا».

۴- ۴) صحاح اللّغه للجوهری ۴:۱۴۸۰. [۳]

سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول:إنّى وجدت بمصر مجموعا من كلام علىّ عليه السّلام فى نيف و عشرين مجلّدا (۱).

«و ما علىّ إلّا بذل الجهد» فى(الصحاح):الجهد و الجهد بالفتح و الضم الطاقه،و قرئ(«وَ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلّا» جهدهم...)و(«جُهْدَهُمْ»).

قال الفرّاء:الجهد بالضم:الطاقه،و الجهد بالفتح من قولك:اجهد جهدك فى هذا الأمر،أى:ابلغ غايتك.و لا يقال:اجهد جهدك (۲).

«و بلاغ الوسع» فى نقل كلامه عليه السّلام .

«و على اللّه سبحانه» أى:المنزّه عن النقائص و عن أن يفوته شىء.

«و تعالى» هكذا فى(المصريه)،و الكلمه زائده لعدم وجودها فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيّه) (۳).

«نهج السّبيل» مأخوذ من قوله تعالى: «وَ عَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ» (۴).

«و رشاد الدّليل» و قال تعالى: «أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ» (۵).

«إن شاء اللّه» ذلك .

«و رأيت من بعد» أى:بعد الحمد و الصلاه،أو بعد ما مرّ فى شرح كلامه عليه السّلام و هو الأظهر.

«تسميه هذا الكتاب بنهج البلاغه» و النهج:هو الطريق الواضح.

و أمّا البلاغه فورد عنهم عليهم السّلام لها تعريفات،و عن الأدباء لها توصيفات، و عن العباسيه فيها بيانات:

۱- ۱) شرح ابن ميثم ۱:۱۰۱.

۲- ۲) صحاح اللّغه للجوهرى ۱:۴۵۷ [۱] ماده(جهد).

۳- ۳) شرح ابن أبى الحديد ۱:۱۷،و شرح ابن ميثم ۱:۹۱.

۴- ۴) النحل:۹. [۲]

۵- ۵) غافر:۳۸. [۳]

أمّا الأوّل:ففی(صناعه أبی هلال العسکری):قال أمیر المؤمنین علیه السّلام:

البلاغه إیضاح الملتبسات،و کشف عوار الجهالات،بأسهل ما یکون من العبارات.و قال الحسن بن علی علیهما السّلام:البلاغه تقریب بعید الحکمه بأسهل العباره.و قال محمّد بن علیّ علیهما السّلام:البلاغه تفسیر عسیر الحکمه بأقرب الألفاظ،و قال:البلاغه قول مفقه فی لطف.فالمفقه:المفهوم،و اللّطیف من الکلام:

ما تعطف به القلوب النافره،و تؤنس به القلوب المستوحشه،و تلین به العریکه الآبیه حتّی تبلغ به الحاجه،و تقام به الحجّه (۱).

و فی(تحف العقول)عن الصادق علیه السّلام:یابن النعمان لیست البلاغه بحدّه اللسان و لا بکثره الهذیان،و لکنّها إصابه المعنی و قصد الحجّه (۲).

و أمّا الثانی:ففی(دلائل إعجاز عبد القاهر)قالوا:لا یکون الکلام یستحقّ اسم البلاغه حتّی یسابق معناه لفظه و لفظه معناه،و لا یکون لفظه أسبق الی سمعک من معناه إلی قلبک،و یدخل فی الأذن بلا إذن (۳).

و فی(بیان الجاحظ):قیل للفارسی:ما البلاغه؟قال:معرفه الفصل من الوصل.و قیل للیونانی:ما البلاغه؟قال:تصحیح الأقسام و اختیار الکلام.

و قیل للرّومی:ما البلاغه؟قال:حسن الاقتضاب عند البداهه،و الغزاره یوم الإطاله.و قیل للهندی ما البلاغه؟قال:وضوح الدّلاله و انتهاز الفرصه و حسن الإشاره.و قال بعض أهل الهند:جماع البلاغه:البصر بالحجّه و المعرفه بمواضع الفرصه،ثم قال:و من البصر بالحجه و المعرفه بمواضع الفرصه:أن تدع الإفصاح بها إلی الکنایه عنها إذا کان الإفصاح أو عر طریقه،و ربّما کان

۱- ۱) الصناعتین للعسکری:۵۲،۵۱. [۱]

۲- ۲) تحف العقول:۳۱۲،و نقل هذا التعریف للبلاغه الهاشمیّ فی جواهر البلاغه:۳۷ [۲] عن خالد بن صفوان.

۳- ۳) دلائل الإعجاز:۲۰۶. [۳]

الإضراب عنها صفحا أبلغ فی الدّرک،و أحقّ بالظّفر.و قال مرّه:جماع البلاغه التماس حسن الموقع،و المعرفه بساعات القول،و قله الخرق بما التبس من المعانی أو غمض،و بما شرد علیک من اللّفظ أو تعذّر (۱).

و قال اعرابیّ:البلاغه التقرّب من البعید و التباعد من الکلفه،و الدلاله بقلیل علی کثیر.و قال اعرابی:البلاغه إیجاز فی غیر عجز و إطناب فی غیر خطل.و قیل لأبی العیناء:ما أبلغ الکلام؟قال:ما أسکت المبطل و حیّر المحقّ.

و أمّا الثالث:فعن ابراهیم المعروف بالإمام:یکفی من حظّ البلاغه أن لا یؤتی السامع من سوء إفهام الناطق،و لا یؤتی الناطق من سوء فهم السامع.

و قال هارون:البلاغه التباعد من الإطاله،و التقرّب من البغیه،و الدلاله بالقلیل من اللفظ علی الکثیر من المعنی.و قال المأمون:ما کنت أتوهم أنّ أحدا یقدر علی هذه البلاغه حتّی قرأت کتاب عمرو بن مسعده إلیّ:کتابی الیک،و من قبلی من القوّاد و الأجناد فی الطاعه و الانقیاد علی أحسن ما یکون،طاعه جند تأخّرت عطیاتهم،و اختلّت أحوالهم.و قال ابن المعتز:البلاغه البلوغ الی المعنی،و لم یطل سفر الکلام (۲).

قلت:و بأیّ معنی فسّرت فالکتاب مصداقه،فالتّسمیه حقّه .

«إذا کان یفتح للنّاظر فیه» أی:فی هذا الکتاب.

«أبوابها» أی:أبواب البلاغه.

«و یقرّب علیه طلابها» قد عرفت فی ما مرّ اعتراف عبد الحمید الکاتب و ابن نباته الخطیب (۳)،و هما علی ما علیه بحصول البلاغه لهما من النّظر فی

۱- ۱) کذا فی البیان و التبیین للجاحظ:۱۱۱،و [۱]ما نقله عن بعض أهل الهند رواه ابن أبی الحدید فی زوائد نهج البلاغه:۵۳۵ ح ۹۲ عن علی علیه السّلام.

۲- ۲) جمع هذه الأقوال و أقوال أخری فی تفسیر البلاغه الجاحظ فی البیان و التبیین،و ابن عبد ربه فی العقد الفرید. [۲]

۳- ۳) مر فی شرح خطبه الرضی فقره:«و بکلامه استعان کلّ واعظ بلیغ».

كلامه عليه السّلام .

«فيه» هكذا فى(المصريه)،و الصواب:(و فيه)كما فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيّه) (۱)و لاقتضاء المقام له.

«حاجه العالم» فى زياده علمه.

«و المتعلم» فى حصول العلم له.

«و بغيه» بضمّ الباء و كسرها،أى:مطلوب.

«البليغ» ليقتدر على الإتيان بالكلام البليغ.

«و الزّاهد» ليرضى بزهده،و يسرّ به،و يجدّ فى ازدياده .

«و يمضى فى أثنائه» أى:أثناء الكتاب.

«من الكلام» هكذا فى(المصريه)،و الصواب:(من عجيب الكلام)كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيّه) (۲).

«فى التوحيد» و لا سيما الخطيه(۱۸۴).الذى قال المصنّف فيه:و من خطبه له عليه السّلام فى التوحيد،و تجمع هذه الخطبه من أصول العلم ما لا تجمعه خطبه (۳).

«و العدل» قال:ابن أبى الحديد فى شرح الخطبه(۸۳):و اعلم أنّ التوحيد و العدل و المباحث الشّريفه الإلهيّه ما عرفت إلّا من كلام هذا الرجل،و إنّ كلام غيره من أكابر الصحابه لم يتضمن شيئا من ذلك أصلا،و لا كانوا يتصوّرونه،و لو تصوّروه لذكروه،و هذه الفضيله عندى أعظم فضائله عليه السّلام (۴).

۱- ۱) شرح ابن أبى الحديد ۱:۱۸،و شرح ابن ميثم ۱:۹۱.

۲- ۲) شرح ابن أبى الحديد ۱:۱۸،و [۱]شرح ابن ميثم ۱:۹۱.

۳- ۳) نهج البلاغه ۲:۱۱۹. [۲]

۴- ۴) شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۲۰. [۳]

قلت:بل كان فاروقه قائلا بعدم عدل اللّه تعالى.ففى(تاريخ بغداد)فى عنوان عثمان بن سعيد:خطب عمر الناس بالجابيّه،فقال:إنّ اللّه يضلّ من يشاء و يهدى من يشاء.فقال قسّ من تلك القسوس:ما يقول أميركم هذا؟ فقالوا:يقول إنّ اللّه يضلّ من يشاء.فقال القسّ:برقشت،اللّه أعدل من أن يضلّ أحدا.فبلغ ذلك عمر،فبعث إليه،فقال:بل اللّه أضلّك،و لو لا عهدك لضربت عنقك (۱).

فإذا كان قائلا بعدم عدله تعالى،كيف ينتظر منه التكلّم فى أوصافه تعالى و عدله فى القرآن؟!و إن ورد باللفظ،إلاّ أنّه تعالى قال بعده: «وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفاسِقِينَ اَلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ» (۲)،مع أنّ العقل و النقل متطابقان على وجوب تأويل المتشابه،لكن الرّجل مصداق قوله تعالى:

«فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ» (۳)،و الرّجل أراد الجواب بالضرب و القتل .

«و تنزيه اللّه سبحانه» عن النقائص.

«و تعالى» هكذا فى(المصريه)،و الصواب:عدم الكلمه،لعدم وجودها فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيّه) (۴).

«عن شبه» متعلق بقوله:«و تنزيه اللّه».

«الخلق» و فى خطبه الأشباح برقم(۸۹):سأله سائل أن يصف اللّه تعالى

۱- ۱) تاريخ بغداد ۱۱:۲۹۰ و [۱]النقل بتصرف يسير.

۲- ۲) البقره:۲۶-۲۷. [۲]

۳- ۳) آل عمران:۷. [۳]

۴- ۴) كذا فى شرح ابن ميثم ۱:۹۱،لكن فى شرح ابن أبى الحديد ۱:۱۸«و تعالى»أيضا.

له حتّی کأنّه یراه عیانا،فغضب علیه السّلام و خطب بها (۱)،و کان علیه السّلام أحسّ منه إرادته وصفه بالتشبیه .

«ما هو بلال» بالکسر،النّدوّه و الرّطوبه،قال الشاعر:

کأنی حلوت الشّعر حین مدحته صفا صخره صمّاء یبس بلالها

(۲)و قال آخر:

و صاحب مرامق داجیته علی بلال نفسه طویته

(۳)و أصله:السقا یطوی و هو مبتلّ فیعفن.قال:

و لقد طویتکم علی بللاتکم (۴)لکن لو کان المصنّف قال:«نقوع»بدل«بلال»کان أقرب الی إفاده المراد،یقال:نقع الماء العطش نقعا و نقوعا سکّنه،و یقال:شرب حتّی نقع، و إنّما یحسن البلال فی المبالغه فی النفی،یقال:ما فی سقائک بلال،أی:ما یبلّ به الحلق.

و قالت لیلی الأخیلیه لابن عمّ توبه حین فرّ عنه حتّی قتل:

فلا و أبیک یابن أبی عقیل تبلّک بعدها فینا بلال

فلو آسیته لخلاک ذمّ و فارقک ابن عمّک غیر قال

(۵) «کلّ غلّه» بالضم،حراره العطش،و زاد(ابن أبی الحدید و الخطیه)بعده:

۱- ۱) نهج البلاغه ۱:۱۶۰. [۱]

۲- ۲) أورده لسان العرب ۱۱:۶۴ [۲] ماده(بلل)،و الشاعر أوس.

۳- ۳) أورده لسان العرب ۱۱:۶۶ [۳] ماده(بلل).

۴- ۴) هذا صدر بیت لحضرمی بن عامر الأسدی،و ذیله:و علمت ما فیکم من الأذراب،أورده أساس البلاغه:۳۰ [۴] ماده (بلل)،و لسان العرب ۱۱:۶۶ [۵] ماده(بلل).

۵- ۵) أورده لسان العرب ۱۱:۶۷ [۶] ماده(بلل).

«و شفاء كلّ علّه» (۱).

«و جلاء كلّ شبهه» أى:زوالها و اضمحلالها،فى(الإرشاد)روى الحسن البصرى قال:جاء رجل إلى أمير المؤمنين بعد انصرافه من حرب صفين،فقال له:يا أمير المؤمنين!خبّرنى عمّا كان بيننا و بين هؤلاء القوم من الحرب،أ كان بقضاء من اللّه و قدر؟فقال أمير المؤمنين عليه السّلام:

ما علوتم قلعه و لا هبطتم و اديا إلّا و للّه فيه قضاء و قدر.فقال الرجل:

فعند اللّه احتسب عنای يا أمير المؤمنين!فقال له:و لم؟قال:إذا كان القضاء و القدر ساقانا الى العمل،فما وجه الثواب لنا على الطاعه،و ما وجه العقاب لنا على المعصيه؟فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام:أو ظننت يا رجل أنّه قضاء حتم و قدر لازم،و لا تظنّ ذلك،فانّ القول به مقال عبده الأوثان و حزب الشيطان و خصماء الرحمن و قدريه هذه الأمه و مجوسها.

إنّ اللّه تعالى أمر تخييرا،و نهى تحذيرا،و كلّف يسيرا،و لم يطع مكرها، و لم يعص مغلوبا،و لم يخلق السماء و الأرض و ما بينهما باطلا(«ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّارِ»).فقال الرجل:فما القضاء و القدر الّذى ذكرته يا أمير المؤمنين؟قال عليه السّلام:الأمر بالطاعه،و النهى عن المعصيه،و التمكين من فعل الحسنه،و ترك السيئه،و المعونه على القربه إليه،و الخذلان لمن عصاه،و الوعد و الوعيد،و الترغيب و الترهيب، كلّ ذلك قضاء اللّه فى أفعالنا و قدره لأعمالنا،فأمّا غير ذلك فلا تظنّه،فإنّ الظنّ له محبط للأعمال.فقال الرجل:فرّجت عنّى يا أمير المؤمنين،فرّج اللّه عنك.و أنشأ يقول:

أنت الإمام الذى نرجو بطاعته يوم المآب من الرحمن غفرانا

۱- ۱) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ۱:۱۸،و زاده أيضا ابن ميثم فى شرحه ۱:۹۱.

أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا جزاك ربّك بالإحسان إحسانا

(۱) «و من اللّه سبحانه أستمدّ التوفيق» لنيل الغرض.

«و العصمه» من الضّلال .

«و استنجز» أى:استنجح.

«التّسديد» أى:الحمل على السّداد،أى:الصّلاح.

«و المعونه» على العمل .

«و أستعيذه من خطاء الجنان» القلب.

«قبل خطاء اللّسان» قال خالد بن جعفر الكلابى لكسرى لمّا أوفده النعمان بن المنذر إليه:

و عثره القول أنكى من عثره الوعث

و الوعث:المكان الذى يشقّ المشى فيه.

«و من زلّه الكلام» هكذا فى(المصريه)،و الصواب:(الكلم)كما فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (۲).

«قبل زلّه القدم» قال ابن السكّيت:

يصاب الفتى من عثره بلسانه و ليس يصاب المرء من عثره الرّجل

فعثرته فى القول تذهب رأسه و عثرته فى الرّجل تبرأ عن مهل

۱- ۱) أخرجه المفيد فى الإرشاد:۱۲۰ [۱] عن الحسن البصرى،و أخرجه الصدوق أيضا فى العيون ۱:۱۱۴ ح ۳۸،و [۲]التوحيد: ۳۸۰ ح ۲۸ [۳] بطريقين،و الكراجكى فى كنز الفوائد:۱۶۹ [۴] عن الحسين عليه السّلام،و أخرجه الصدوق فى العيون و [۵]التوحيد- [۶]الحديث السابق-عن السجاد عليه السّلام،و رواه ابن شعبه فى تحف العقول:۴۶۸،و [۷]الطبرسى فى الاحتجاج:۲۰۸ [۸] ضمن رساله الهادى عليه السّلام،و أخرجه الصدوق فى العيون و [۹]التوحيد- [۱۰]الحديث السابق-عن ابن عباس،و رواه أبو الحسين الخياط فى الغرر عنه شرح ابن أبى الحديد ۴:۲۷۷ [۱۱] عن الاصبغ بن نباته،و أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۱۵۵ ح ۱، و [۱۲]الشريف الرضى فى نهج البلاغه ۴:۱۷ [۱۳] الحكمه(۷۸)،و فى خصائص الائمه:۶۹،و رواه ابن ميثم فى شرحه ۵:۲۷۸ مرسلا و مجردا.

۲- ۲) شرح ابن أبی الحدید ۱:۱۸،و [۱۴]شرح ابن میثم ۱:۹۱.

«و هو حسبی و نعم الوکیل» الأصل فیه قوله تعالی: «وَ قالُوا حَسْبُنَا اللّهُ وَ نِعْمَ الْوَکِیلُ» (۱).

و هذا أوان الشروع فی المقصود بعون الملک المحمود،فنقول:

ص:۱۳۹

۱- ۱) آل عمران:۱۷۳. [۱]

الفصل الأوّل: فی التوحید

اشاره

ص:۱۴۱

و حيث إنّ المصنّف بدأ بخطبه فى التوحيد نبدأ بما بدأ به مع كلامه، فقال :

«باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السّلام و أوامره،و يدخل فى ذلك المختار من كلامه الجارى مجرى الخطب فى المقامات المحصوره،و المواقف المذكوره، و الخطوب الوارده» .

أى:المقاصد العارضه،ككلامه عليه السّلام لمّا خاطبه العباس و أبو سفيان بالبيعه له بعد قبض النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (۱)،و كلامه عليه السّلام لمّا أشير عليه بألاّ يتّبع طلحه و الزبير (۲)،إلى غير ذلك ممّا عبّر فيها غالبا بقوله:و من كلام له عليه السّلام .

«فمن خطبه له عليه السّلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء و الأرض،و خلق آدم» .

و نحن نقتصر من الخطبه هنا على ما يكون فى التوحيد،و أمّا ما فيها فى

۱- ۱) نهج البلاغه ۱:۴۰ [۱] الخطبه(۵).

۲- ۲) نهج البلاغه ۱:۴۱ [۲] الخطبه(۶).

خلق السماء و الأرض،فنذكره فى الفصل الثانى (۱)،كما أنّ ما فيها راجعا إلى خلق آدم نذكره فى الفصل الرابع (۲)على ما عرفت أوّلا فى فهرست فصوله (۳)، و إنّما ذكرنا هنا عنوان المصنّف لئلّا ندع شيئا من كلامه.

«و فيها ذكر الحجّ» هكذا فى(المصريه)،و الجمله بتمامها زائده لعدم وجودها فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (۴)،و لا بدّ أنّها كانت حاشيه من بعض المحشّين،حيث رأى أنّ فى الخطبه فصلا راجعا إلى الحجّ،فخلطت بالمتن.و كيف كان،فنذكر ما فيه من ذكر الحجّ فى فصل العبادات (۵).

۱

من الخطبه(۱)

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لاَ يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ- وَ لاَ يُحْصِى نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ- وَ لاَ يُؤَدِّى حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ- الَّذِى لاَ يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ- وَ لاَ يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ- الَّذِى لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ- وَ لاَ نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَ لاَ وَقْتٌ مَعْدُودٌ- وَ لاَ أَجَلٌ مَمْدُودٌ- فَطَرَ الْخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِهِ- وَ نَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ- وَ وَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ من الخطبه(۹۴) و من خطبه له ع اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلاَ شَىْءَ قَبْلَهُ- وَ الْآخِرِ فَلاَ شَىْءَ بَعْدَهُ- وَ الظَّاهِرِ فَلاَ شَىْءَ فَوْقَهُ- وَ الْبَاطِنِ فَلاَ شَىْءَ دُونَ هُ

۱- ۱) فى العنوان(۱).

۲- ۲) فى العنوان(۱).

۳- ۳) و جاء بعض قطعه فى العنوان(۱)من الفصل الثالث،و كذا الخامس و السادس،و العنوان(۲)من الفصل الثانى و الأربعين.

۴- ۴) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ۱:۱۸،لكن يوجد فى شرح ابن ميثم ۱:۱۰۶.

۵- ۵) فى العنوان(۲).

من الخطبه(۹۲) و من خطبه له ع فَتَبارَکَ اللَّهُ الَّذِی لاَ یَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ- وَ لاَ یَنَالُهُ حُسْنُ الْفِطَنِ- الْأَوَّلُ الَّذِی لاَ غَایَهَ لَهُ فَیَنْتَهِی- وَ لاَ آخِرَ لَهُ فَیَنْقَضِی أقول:نقل الخطبه الأولی ابن طلحه الشافعی فی(مطالبه ابن طلحه الشافعی-مطالب السؤول-ص ۲۷) (۱)،و قال الخوئی:إنّ المجلسی رواه فی(البحار)عن(عیون الحکمه)لمحمّد بن علیّ الواسطی إلی قوله: «إِلی یَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» (۲)،لکن لم أقف فی(البحار) علی نقله عنه (۳).

«الحمد» ظاهر(الصحاح)ترادف الحمد مع المدح،حیث قال:الحمد نقیض الذّم (۴)،و فرّق(المصباح)بینهما،فجعل الحمد للجمیل الاختیاری فقط، و المدح له و للخلقی (۵)،إلّا أنّ الظاهر أنّ کلّا من الحمد و المدح للاختیاری النفسانی،فکما لم نسمع استعمال حمد اللؤلؤ،کذلک لم نسمع استعمال مدحه.

«للّه» روی(المعانی)عن العسکری علیه السّلام:أنّ اللّه هو الّذی یتألّه إلیه عند الحوائج و الشدائد (۶)،و نقل ابن أبی الحدید عن الراوندی:أنّ(اللّه)أخصّ من

۱- ۱) رواه ابن طلحه فی مطالب السؤول:۲۷.

۲- ۲) شرح الخوئی ۱:۹۷.

۳- ۳) بحار الأنوار ۷۷:۳۰۰ ح ۷،و فیه علی بن محمد الواسطی.

۴- ۴) صحاح اللغه للجوهری ۱:۴۶۳ [۱] ماده(حمد).

۵- ۵) المصباح المنیر ۱:۱۸۳ ماده(حمد).

۶- ۶) معانی الأخبار للصدوق ۴:۲.

(الإله) (۱)،و نقل عنه فی موضع آخر:أنّ الإله مصدر بمعنی المألوه (۲)،و ردّه بأنّه لا فرق بینهما فی اللغه،بل فی الاصطلاح،و أنّ الإله اسم جنس-کالرجل- لکلّ معبود بحقّ أو باطل،و غلب علی الحقّ،و أنّ(مألوه)مصدر لا مفعول، و أنّه لم یسمع مألوه فی اللغه،لأنّ أله الرّجل-إذا دهش و تحیّر-لازم لا یبنی منه مفعول (۳).

قلت:حمله و لعله علی الاعتراض علی الراوندی ألّا یراجع اللّغه،و إلّا ففی (الصحاح)أله بالفتح،إلاهه،أی:عبد عباده،و إله فعال بمعنی مفعول،أی:

معبود،کقولنا:إمام علی فعال،بمعنی مفعول،لأنّه مؤتمّ به (۴).

و ما قاله من«أنّ أله الرجل بمعنی:تحیّر لا یبنی منه مفعول»غلط فاحش،فإنّما(و له الرّجل بمعنی:تحیّر)لا یبنی منه مفعول لا(أله)،و لو کان اعترض علیه بأنّ:(إله لیس بمصدر،بل إلاهه،کما قال الجوهری،و أنّه قال:إله فعال بمعنی مفعول)کان له وجه.

ثم لو لم یکن فرق بین(اللّه)و(إله)-کما قال ابن أبی الحدید (۵)-یصیر معنی:(لا إله إلّا اللّه)کقولک:لا رجل إلّا رجل،أو لا زید إلّا زید! و کیف لا یکون بینهما فرق،و قد کان المشرکون-و هم من أهل اللّغه- یطلقون(الإله)علی الأوثان،و لا یطلقون لفظه(اللّه)إلّا علی موجد العالم،قال تعالی: «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَیَقُولُنَّ اللّهُ» . (۶)کما أنّ

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ۱:۲۰. [۱]

۲- ۲) شرح ابن أبی الحدید ۱:۲۱. [۲]

۳- ۳) رد الأول فی الصفحه(۲۰)،و الثانی فی ص(۲۱).

۴- ۴) صحاح اللغه للجوهری ۶:۲۲۲۵ [۳] ماده(اله).

۵- ۵) شرح ابن أبی الحدید الزمر ۱:۲۰.

۶- ۶) :۳۸.

ما قاله من«أنّ الإله كلّ معبود و غلب على الحقّ»ليس كذلك،قال تعالى:

«أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ» (۱)و إنّما غير الحقّ يجب أن ينفى ككلّ باطل،ف (لا إله إلاّ اللّه)،و كذلك قوله:«مألوه مصدر»ليس كذلك،فقد عرفت من (الصحاح)أنّه على أصله.

قال ابن أبى الحديد أيضا:قال الراوندى:(الحمد للّه)دالّ على أنّه عليه السّلام حمد اللّه تعالى،و أنّه ثابت عليه مدّه حياته،و أمر غيره فى فحوى كلامه أن يحمدوه أيضا ثابتين،و لو كان عبّر بلفظ(أحمد اللّه)لم يفهم منه جميع ذلك (۲).

ثمّ ردّه ابن أبى الحديد بأنّه لا فرق بين قولنا:«الحمد للّه»،و قولنا:«أحمد اللّه» (۳).

لت:لم لم يراجع كلمات علماء البيان فى الفرق بين الجمله الاسميه و الجمله الفعليّه؟فإنّما قال الراوندى ما قالوه من أنّ(أحمد اللّه)بلفظ الفعليّه مجرد إخبار بحمده له تعالى،و أمّا(الحمد للّه)بلفظ الاسميه،و تعريف الحمد بلام الجنسيه،فدالّ على الدوام و الاستمرار،و أنّه تعالى مستحقّ للحمد من كلّ حامد،فكما حمده هو عليه السّلام يجب أن يحمده كلّ مخلوق مثله.

و فى الخبر أنّ الباقر عليه السّلام فقد بغله له،فقال:لئن ردّها اللّه تعالى لأحمدنّه بمحامد يرضاها،فما لبث أن أتى بها بسرجها و لجامها،فلمّا استوى عليها و ضمّ إليه ثيابه رفع رأسه الى السماء،فقال:الحمد للّه فلم يزد.ثمّ قال:ما تركت و لا بقيت شيئا،جعلت كلّ أنواع المحامد للّه عز و جل،فما من حمد إلاّ و هو داخل فى ما قلت (۴).

«الّذى لا يبلغ مدحته القائلون» كيف يبلغ القائلون مدحته،و المادح إنّما

۱- ۱)الجاثيه:۲۳. [۱]

۲- ۲) شرح ابن أبى الحديد ۱:۲۰ و [۲]النقل بالمعنى.

۳- ۳) شرح ابن أبى الحديد ۱:۲۰ و النقل بالمعنى.

۴- ۴) رواه الإربلى فى كشف الغمه ۲:۳۳۰،و [۳]الطبرسى فى مكارم الأخلاق:۳۰۷. [۴]

يبلغ مـدح شـخص إذا أحاط علما بكمالاته،فالجاهل لا يقدر أن يصف علم العالم،و لا يمكن الإحاطه بكمالاته تعالى لغيره عزّ و جلّ،فينحصر مدحه تعالى كما ينبغى بذاته المقدّسه،و لذا قال النبى صلّى اللّه عليه و آله:«لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» (۱).و كيف يبلغ مدحته القائلون و قد قال عزّ اسمه:(«قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً ») (۲).

«و لا يحصى نعماءه العادّون» إنّما يمكن الإحصاء فى ماله حصر،و لا حصر لنعمائه تعالى،و فى الخبر:أنّ أبيّ بن كعب قرأ عند النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قوله تعالى: «وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً» (۳)،فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لقوم عنده- و فيهم أبو بكر و عبيده و عمر و عثمان و عبد الرّحمن-قولوا الآن ما أوّل نعمه غرسكم اللّه بها و أبلاكم بها؟فخاضوا من المعاش و الرّياش و الذرّيه و الأزواج،فلمّا أمسكوا،قال لأمير المؤمنين عليه السّلام:يا أبا الحسن قل.فقال عليه السّلام:

إنّ اللّه خلقنى و لم أكن شيئا مذكورا،و أن أحسن بى فجعلنى حيّا لا مواتا،و أن أنشأنى،فله الحمد فى أحسن صوره و أعدل تركيب،و أن جعلنى متفكّرا واعيا لا أبله ساهيا،و أن جعل لى شواعر أدرك بها ما ابتغيت،و جعل فىّ سراجا منيرا،و أن هدانى لدينه و لن يضلّنى عن سبيله،و أن جعل لى مردّا فى حياه لا انقطاع لها،و أن جعلنى ملكا مالكا لا مملوكا،و أن سخّر لى سماءه و أرضه و ما فيهما و ما بينهما من خلقه،و أن جعلنا ذكرانا قوّاما على حلائلنا لا إناثا.و كان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول فى كلّ كلمه:صدقت.ثم قال:فما بعد هذا؟فقال على عليه السّلام:

۱- ۱) أخرجه صاحب مصباح الشريعه [۱]فيه:۵۶،و الدار قطنى فى الافراد عنه منتخب كنز العمال ۱:۳۴۸ عن النبى صلّى اللّه عليه و آله، و نقله ابن أبى الحديد فى شرحه ۱:۱۹،و ابن ميثم فى شرحه ۱:۱۱۱.

۲- ۲) الكهف:۱۰۹. [۲]

۳- ۳) لقمان:۲۰. [۳]

«وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّهِ لا تُحْصُوها» (۱).فتبسّم النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و قال:لیهنئک الحکمه،لیهنئک العلم،یا أبا الحسن!أنت وارث علمی،و المبیّن لأمّتی ما اختلفت فیه من بعدی (۲).

«و لا یؤدّی حقّه المجتهدون» أی:السّارعون فی عبادته،و کیف یمکن لأحد أداء حقّه،و حقوقه غیر محصوره علی حسب نعمائه.

و عن الزهری:دخلت مع علیّ بن الحسین علیه السّلام علی عبد الملک،فاستعظم ما رأی من أثر السجود بین عینیه،فقال له:یا أبا محمّد لقد تبیّن علیک الاجتهاد،و لقد سبق لک من اللّه الحسنی،و أنت بضعه من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله.

فأجابه علیه السّلام فی کلام طویل بأنّه مع ذلک لم یؤدّ حقّه تعالی-الی أن قال علیه السّلام له- :و اللّه لو تقطّعت أعضائی،و سالت مقلتای علی صدری فی قیامی له تعالی،لم أشکر عشر العشیر من نعمه واحده،من جمیع نعمه الّتی لا یحصیها العادّون، و یبلغ حدّ نعمه واحده منها علی جمیع حمد الحامدین له تعالی... (۳).

و قال بعضهم:قوله علیه السّلام: «الّذی لا یبلغ مدحته القائلون» إقرار بالعجز عن الحمد باللسان،و قوله علیه السّلام: «و لا یحصی نعماءه العادّون» اعتراف بالقصور عن الشکر بالجنان،و قوله علیه السّلام: «و لا یؤدّی حقّه المجتهدون» اعتراف بالقصور عن العمل بالأرکان (۴).

«الّذی لا یدرکه بعد الهمم» أی:لا یصل الی کنهه الهمم العالیه الراقیه إلی شوامخ الأمور.

۱- ۱) ابراهیم:۳۴،و [۱]النحل:۱۸. [۲]

۲- ۲) رواه ابن شهر آشوب فی المناقب ۲:۳۵۵،و [۳]الحسکانی فی شواهد التنزیل ۱:۳۲۹ ح ۴۵۵،و ابو علی الطوسی فی أمالیه ۲:۱۰۵،المجلس(۱۷). [۴]

۳- ۳) رواه ابن طاوس فی فتح الأبواب [۵]عنه البحار ۴۶:۵۶ ح ۱۰. [۶]

۴- ۴) القائل هو المجلسی فی شرح الخطبه:بحار الأنوار ۴:۲۴۸.

«و لا يناله غوص الفطن» أى:لا ينتهى إلى هويّته الفطن الغائصه لجج الأفكار.

قال الخوئى:إضافه(بعد الهمم)و(غوص الفطن)ليس من باب إضافه الصفه إلى الموصوف-على ما قيل-لوجوب المطابقه بين الصفه و الموصوف (۱).

قلت:ما قيل سليم،و ما قاله هو عليل،فالمطابقه إنّما فى ما إذا بقيت الصفه على وصفها لا بعد تبديلها،فيقال:زيد بعيد الهمم،و الأصل ذو همم بعيده.

ثمّ مثل قوله عليه السّلام هنا: «الّذى لا يدركه بعد الهمم،و لا يناله غوص الفطن» قوله عليه السّلام فى الثالثه: «فتبارك اللّه الّذى لا يبلغه بعد الهمم و لا يناله حدس الفطن» ،فإنّ الفرق بينهما إنّما فى اللّفظ،و المعنى واحد.

و ما نقلناه(حدس الفطن)إنّما هو فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (۲)فنقل (المصريه)«حسن الفطن»تصحيف.

و فى(الكافى):سأل أبو هاشم الجعفرى الجواد عليه السّلام عن قوله تعالى:

«لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ» (۳)فقال عليه السّلام:يا أبا هاشم!أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون،أنت قد تدرك بوهمك السّند و الهند و البلدان التى لم تدخلها و لا تدركها ببصرك،و أوهام القلوب لا تدركه،فكيف أبصار العيون (۴)؟!

۱- ۱) شرح الخوئى ۱:۱۰۰.

۲- ۲) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۸۰،لكن فى شرح ابن ميثم ۲:۳۹۴«حسن الفطن»أيضا.

۳- ۳) الأنعام:۱۰۳. [۱]

۴- ۴) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۹۹ ح ۱۱،و [۲]الصدوق فى التوحيد:۱۱۳ ح ۱۲،و رواه الطبرسى فى الاحتجاج ۲:۴۴۲ [۳] عن أبى هاشم عن الجواد عليه السّلام،و روى معناه الطبرسى فى الاحتجاج ۲:۳۳۶ [۴] عن الصادق عليه السّلام،و البرقى فى المحاسن:۲۳۹ ح ۲۱۵،و [۵]الكلينى فى الكافى ۱:۹۸ ح ۱۰،و [۶]الصدوق فى التوحيد:۱۱۲ ح ۱۱ [۷] عن طريق أبى هاشم،و الصدوق فى الأمالى:۳۳۴ ح ۲ المجلس(۶۴)،و [۸]صاحب فقه الرضا عنه البحار ۳:۲۶۲ ح ۱۷ [۹] عن غير طريقه عن الرضا عليه السّلام، و البرقى فى المحاسن ۲۳۹ ح ۲۱۵ [۱۰] عن أبى هاشم عن الجواد عليه السّلام،و ابن أبى حاتم و أبو الشيخ و اللاكائى عنهم الدر المنثور ۳:۳۷ [۱۱] عن أبى الحسين القارى موقوفا.

هذا و من المضحک أنّ جمهور متکلّمی العامّه یدّعون أنّهم یعرفون حقیقه ذاته،و أفرطوا فی الوقاحه،فقالوا:إنّه تعالی لا یعلم من ذاته إلّا ما نعلم منها .

«الّذی لیس لصفته» أی:لتوصیفه،فیأتی کلامه علیه السّلام«و کمال الاخلاص له نفی الصفات عنه»،و المراد لیس لذاته:

«حدّ محدود،و لا نعت موجود،و لا وقت معدود،و لا أجل ممدود» لکون هذه الأمور من عوارض الجسمانیات،و هو تعالی منزّه عن ذلک.

و روی(توحید الصدوق)خطبه عنه علیه السّلام فی استنهاضه الناس الی حرب معاویه ثانیه و فیها:«الّذی لیس له وقت معدود،و لا أجل ممدود،و لا نعت محدود » (۱).

«فطر» عن ابن عباس:کنت لا أدری ما «فاطِرِ السَّماواتِ» (۲)حتّی أتانی أعرابیان یختصمان فی بئر،فقال أحدهما:أنا فطرتها،أی:ابتدأتها (۳).

«الخلائق» من الجماد و النبات و الوحش و الطیر و الهوامّ و الأنعام،غیر البشر.

«بقدرته» یمکن أن یکون المراد لإظهار قدرته،فیکون قوله هذا: «فطر

۱- ۱) توحید الصدوق:۴۱ ح ۳. [۱]

۲- ۲) فاطر:۱. [۲]

۳- ۳) أخرجه أبو عبید فی غریب الحدیث و فضائل القرآن [۳]عنهما الکاف الشاف ۲:۹،و ابن جریر و ابن الانباری فی الوقف و الابتداء،و عبد بن حمید فی مسنده،و ابن المنذر،و ابن أبی حاتم،و البیهقی فی شعب الایمان [۴]عنهم الدر المنثور ۳:۷،و ۵:۲۴۴،و [۵]نقله الطوسی فی التبیان ۴:۸۸ [۶] عن ابن عباس،و بین الألفاظ اختلاف یسیر.

الخلائق بقدرته» مساوقا لقوله علیه السّلام الآخر:«عباد مخلوقون اقتدارا»،و یمکن أن یکون المراد أنّ خلقه تعالی للخلائق بنفس قدرته لا- بمعونه أدوات و آلات کعمل المخلوقین،فیکون الکلام إشاره الی قوله تعالی: «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ » (۱).

«و نشر الرّیاح برحمته» یمکن أن یکون المراد بالرّحمه الأمطار،کالرّحمه فی قوله تعالی: «وَ هُوَ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ» (۲)،و یمکن أن یکون المراد بها ترحّمه تعالی علی عباده بنشر الرّیاح،فبالرّیاح یجیء السّحاب-کما عرفت من الآیه-و بالرّیاح تلقّح الأشجار،قال تعالی: «وَ أَرْسَلْنَا الرِّیاحَ لَواقِحَ» (۳)،و بالریاح تسیر السّفن،قال تعالی: «إِنْ یَشَأْ یُسْکِنِ الرِّیحَ فَیَظْلَلْنَ رَواکِدَ عَلی ظَهْرِهِ» (۴)،و لو لا الرّیاح لزویت النباتات و مات الإنسان و الحیوانات و فسدت الجمادات.

و الرّیاح لا تستعمل غالبا إلّا فی الخیر،کما فی الآیات: «وَ هُوَ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ» (۵)، «وَ أَرْسَلْنَا الرِّیاحَ لَواقِحَ» (۶)، «وَ هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّیاحَ بُشْراً» (۷)، «وَ مَنْ یُرْسِلُ الرِّیاحَ بُشْراً» (۸)، «وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ یُرْسِلَ الرِّیاحَ مُبَشِّراتٍ» (۹)، «وَ اللّهُ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ»

۱- ۱) یس:۸۲. [۱]

۲- ۲) الأعراف:۵۷. [۲]

۳- ۳) الحجر:۲۲. [۳]

۴- ۴) الشوری:۳۳. [۴]

۵- ۵) الأعراف:۵۷. [۵]

۶- ۶) الحجر:۲۲. [۶]

۷- ۷) الفرقان:۴۸. [۷]

۸- ۸) النمل:۶۳. [۸]

۹- ۹) الروم:۴۶. [۹]

«سَحاباً» (۱)، «وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ» (۲).

و ممّا جاء للمطلق: «فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ» (۳)لكن فى قراءه:«الرّيح» (۴).

كما أنّ الرّيح الأغلب استعمالها فى الشرّ،كما فى آيات: «إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ» (۵)، «فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ» (۶)، «أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكانٍ سَحِيقٍ» (۷)، «كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِى يَوْمٍ عاصِفٍ» (۸).

و ممّا جاءت للخير: «وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَهً» (۹)، «فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ» (۱۰)، «وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ» (۱۱)، «إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ» (۱۲).

و كذلك ريح بدون اللاّم يأتى لهما،قال تعالى: «إِنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً»

۱- ۱) فاطر:۹. [۱]

۲- ۲) البقره:۱۶۴. [۲]

۳- ۳) الكهف:۴۵. [۳]

۴- ۴) قرأ حمزه و الكسائى و خلف(الريح)بلفظ المفرد،و قرأ باقى القراء العشره(الرياح)بلفظ الجمع،كما فى التيسير:۷۸. و النشر ۲:۲۲۳.

۵- ۵) الذاريات:۴۱. [۴]

۶- ۶) الاسراء:۶۹. [۵]

۷- ۷) الحج:۳۱. [۶]

۸- ۸) ابراهيم:۱۸. [۷]

۹- ۹) الأنبياء:۸۱. [۸]

۱۰- ۱۰) ص:۳۶.

۱۱- ۱۱) سبأ:۱۲. [۹]

۱۲- ۱۲) الشورى:۳۳. [۱۰]

«صَرْصَراً» (۱)، «رِیحٌ فِیها عَذابٌ أَلِیمٌ» (۲)، «وَ تَذْهَبَ رِیحُکُمْ» (۳).

و مما ذکرنا یظهر لک ما فی قول الثعالبی فی(فقه لغته):لم یأت لفظ الرّیح فی القرآن إلّا فی الشرّ،و الرّیاح إلّا فی الخیر،ثمّ ذکر آیات (۴).

«و وتّد بالصّخور» أی:الجبال.

«میدان» أی:اضطراب.

«أرضه» أی:جعل الجبال أوتادا للأرض لئلّا تضطرب،کأوتاد الخیم لئلّا تضطرب،و إلی ذلک أشیر فی الکتاب فی مواضع،منها: «وَ أَلْقی فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِکُمْ» (۵)، «وَ الْجِبالَ أَوْتاداً» (۶).

و فی الصخور،أی:الجبال فوائد أخری غیر منع الأرض من المیدان،من کونها معادن للفلزّات و الأحجار الکریمه،و خزائن میاه،و منابت أشجار و نباتات و أزاهیر و عقاقیر،و معاقل للناس عن أعدائهم،و مساکن الوحوش و الطیور.

قول المصنّف فی الثانیه:

«و من خطبه له علیه السّلام» ،هکذا فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم) (۷)و أمّا ما فی

۱- ۱) القمر:۱۹. [۱]

۲- ۲) الأحقاف:۲۴. [۲]

۳- ۳) الأنفال:۴۶. [۳]

۴- ۴) هذا قول مشهور بین أهل اللغه و التفسیر،قال به الراغب الاصفهانی فی المفردات:۲۱۱ ماده(روح)،ثم ذکر الآیات و غیره منهم،لکن لم أجده فی نسختی من فقه اللغه للثعالبی و لا ملحقه،نعم جاء فی متن فقه اللغه:۲۷۷-۲۷۹ و ملحقه من کتاب الجراثیم لعبد اللّه بن مسلم:۳۵۴-۳۵۵ ذکر الریح و الریاح مفصّلا بأسمائها،و یلوح منه هذا المعنی،لکن لم یذکر آیه.

۵- ۵) النحل:۱۵. [۴]

۶- ۶) النبأ:۷. [۵]

۷- ۷) شرح ابن أبی الحدید ۱:۱۸۲،و شرح ابن میثم ۲:۴۰۰. [۶]

(المصريه)(و من خطبه أخرى)فتحريف،و لا وجه لقوله:«أخرى»،فكلّ خطبه غير سابقتها.

قوله عليه السّلام فيها :

«الحمد للّه الأوّل فلا شيء قبله،و الآخر فلا شيء بعده،و الظّاهر فلا شيء فوقه، و الباطن فلا شيء دونه» الأصل فيه قوله تعالى: «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (۱).

قوله عليه السّلام فى الثالثه :

«الأوّل الذى لا غايه له فينتهى،و لا آخر له فينقضى» روى(توحيد الصدوق):أنّ ابن أبى يعفور قال للصادق عليه السّلام:قوله تعالى «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ» (۲):عرفنا الأوّل،بيّن لنا تفسير الآخر.فقال عليه السّلام له:إنّه ليس شيء إلّا يبيد و يتغيّر أو يدخله الغير و الزوال،أو ينتقل من لون إلى لون،و من هيئه إلى هيئه،و من صفه إلى صفه،و من زياده إلى نقصان،و من نقصان إلى زياده،إلّا ربّ العالمين،فإنّه لم يزل و لا يزال واحدا،هو الأوّل قبل كلّ شيء،و هو الآخر على ما لم يزل،لا تختلف عليه الصفات و الأسماء ما يختلف على غيره،مثل الإنسان الّذى يكون ترابا مرّه و مرّه لحما و مرّه دما و مرّه رفاتا و رميما، و كالتّمر الّذى يكون مرّه بلحا و مرّه بسرا و مرّه رطبا و مرّه تمرا،فيتبدّل عليه الأسماء و الصفات و اللّه عزّ و جلّ بخلاف ذلك (۳).

۱- ۱) الحديد:۳. [۱]

۲- ۲) لم يتعرض الشارح لشرح الفقرتين من أول الثالثه،و قد سبق قريب منهما فى الأولى.

۳- ۳) أخرجه الصدوق فى التوحيد:۳۱۴ ح ۲،و الكلينى فى الكافى ۱:۱۱۵ ح ۵. [۲]

۲

من الخطبه(۱)

بعد ما مر أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ- وَ كَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ- وَ كَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ- وَ كَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ- لِشَهَادَهِ كُلِّ صِفَهٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ- وَ شَهَادَهِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَهِ- فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ- وَ مَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ وَ مَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ- وَ مَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ وَ مَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ- وَ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ- وَ مَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ- وَ مَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ «أوّل الدّين» أى:أوّل ما يجب أن يتديّن به.

«معرفته» أى:بالقلب و الجنان،قال الرضا عليه السّلام فى علل رواها عنه الفضل ابن شاذان:فإن قال قائل:فما أوّل الفرائض؟قيل:الإقرار باللّه و برسوله و حجّته و بما جاء من عند اللّه.فإن قال قائل:لم أمر الخلق بالإقرار باللّه و برسوله و حجّته و بما جاء من عند اللّه؟قيل:لعلل كثيره،منها:أنّ من لم يقرّ باللّه لم يتجنّب معاصيه،و لم ينته عن ارتكاب الكبائر،و لم يراقب أحدا فى ما يشتهى و يستلذّ من الفساد و الظلم،و إذا فعل الناس هذه الأشياء،و ارتكب كلّ إنسان ما يشتهى و يهواه،من غير مراقبه لأحد،كان فى ذلك فساد الخلق أجمعين،و وثوب بعضهم على بعض،فغصبوا الفروج و الأموال،و أباحوا الدماء و السبّى،و قتل بعضهم بعضا من غير حقّ و لا جرم،فيكون فى ذلك خراب الدّنيا،و هلاك الخلق،و فساد الحرث و النسل (۱).

۱- ۱) أخرجه ضمن حديث طويل الصدوق فى علل الشرائع ۱:۲۵۲ ح ۹،و [۱]العيون ۲:۹۷ ح ۱. [۲]

«و كمال معرفته» مضافا إلى معرفته بالقلب.

«التصديق به» أى:الإقرار به باللسان،حتّى لا يكون من الّذين جحدوا بآياته و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوّا،فإنّ أولئك معرفتهم ناقصه غير كامله .

«و كمال التّصديق به توحيده» بنفى الشريك عنه،لأنّ من عرف بقلبه أنّ للعالم صانعا،و أقرّ به بلسانه،لكن جعل له شريكا فى الايجاد كالثنويّه،و من قال:هو ثالث ثلاثه،تصديقه ناقص لا فائده فيه .

«و كمال توحيده الإخلاص له» فى العباده،لأنّ من وحّده فى الايجاد،لكن جعل له شريكا فى العباده،كالوثنيّه الّذين قالوا فى أوثانهم: «ما نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللّهِ زُلْفى» (۱)،توحيده غير كامل .

«و كمال الإخلاص له نفى الصفات» زائده على الذات،كما فى الناس .

«عنه،بشهاده كلّ صفه أنّها غير الموصوف» فعلم زيد غير ذات زيد .

«و شهاده كلّ موصوف أنّه غير الصفه» فذات عمرو غير حلمه،و فى حديث الزّنديق الذى قال للصادق عليه السّلام:«أ تقول:إنّ اللّه سميع بصير؟فقال عليه السّلام:هو سميع بصير،سميع بغير جارحه،و بصير بغير آله،بل يسمع بنفسه،و يبصر بنفسه،و ليس قولى:إنّه سميع بنفسه أنّه شىء و النفس شىء آخر،و لكنّى أردت عباره عن نفسى إذ كنت مسؤولا،و إفهاما لك إذ كنت سائلا،فأقول:

يسمع بكلّه،لا أنّ كلّه له بعض،لأنّ الكلّ لنا له بعض،و لكن أردت إفهامك و التّعبير عن نفسى،و ليس مرجعى فى ذلك كلّه إلاّ أنّه السّميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات،و لا اختلاف المعنى» (۲).

۱- ۱) الزمر:۳. [۱]

۲- ۲) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۱۰۹ ح ۲،و [۲]الصدوق بطريقين فى التوحيد:۱۴۴ ح ۱۰ و ۲۴۵ ح ۱،و روى هذا الحديث الطبرسى فى الاحتجاج ۲:۳۳۲، [۳]لكن لا توجد فيه هذه القطعه.

و قيل للباقر عليه السّلام:«يزعم قوم من أهل العراق أنّه يسمع بغير الّذى يبصر،و يبصر بغير الّذى يسمع،فقال عليه السّلام:كذبوا و ألحدوا و شبّهوا،تعالى اللّه عن ذلك إنّه سميع بصير،يسمع بما يبصر،و يبصر بما يسمع» (۱).

و كلامه عليه السّلام ككلام عترته عليهم السّلام ردّ على الصفاتيّه الّذين يقال لهم اليوم الأشعريه.

قال الشهرستانى فى مللە:اعلم أنّ جماعه كثيره من السّلف كانوا يثبتون للّه تعالى صفات أزليّه من العلم و القدره،و الحياه و الإراده،و السمع و البصر،و الكلام و الجلال و الإكرام و الجود و الإنعام،و العزّه و العظمه،و لا يفرّقون بين صفات الذات و صفات الفعل،بل يسوقون الكلام سوقا واحدا، و كذلك يثبتون صفات خبريّه مثل اليدين و الوجه،و لا يؤوّلون ذلك،إلّا أنّهم يقولون هذه الصفات قد وردت فى الشرع فنسّميها صفات خبريّه،و لمّا كانت المعتزله ينفون الصفات و السلف يثبتون سمّى السلف صفاتيّه،و المعتزله معطّله،فبالغ بعض السلف فى إثبات الصفات إلى حدّ التّشبيه بصفات المحدثات،و اقتصر بعضهم على صفات دلّت الافعال عليها،و ما ورد به الخبر فافترقوا فيه فرقتين:منهم من أوّله على وجه يحتمل اللّفظ ذلك،و منهم من توقّف فى التأويل...ثمّ ان جماعه من المتأخرين زادوا على ما قاله السلف، فقالوا:لا بدّ من اجرائها على ظاهرها و القول بتفسيرها كما وردت،من غير تعرّض للتأويل و لا توقّف فى الظاهر.فوقعوا فى التشبيه الصرف...أمّا السّلف الّذين لم يتعرّضوا للتّأويل و لا تهدّفوا للتشبيه،فمنهم مالك بن أنس،إذ قال:الاستواء معلوم،و الكيفيّه مجهوله،و الايمان به واجب،و السؤال عنه بدعه.و مثل أحمد بن حنبل و سفيان الثورى و داود بن على الاصفهانى و من

۱- ۱) أخرجه ضمن حديث الكلينى فى الكافى ۱:۱۰۸ ح ۱،و [۱]الصدوق فى التوحيد:۱۴۴ ح ۹.

تابعهم،حتّى انتهى الزّمان الى عبد اللّه بن سعيد الكلابى،و أبى العباس القلانسى،و الحرث بن أسد المحاسبى.

و هؤلاء كانوا من جمله السلف أنّهم باشروا علم الكلام و أيّدوا عقائد السلف بحجج كلاميّه و براهين أصوليه و صنّف بعضهم و درّس بعض،حتّى جرى بين أبى الحسن الأشعرى و استاذه مناظره فى مسأله من مسائل الصّلاح و الأصلح،فتخاصما،و انحاز الأشعرى الى هذه الطائفه،فأيّد مقالتهم بمناهج كلاميّه،و صار ذلك مذهبا لأهل السّنه و الجماعه،و انتقلت سمه الصفاتيّه الى الأشعريه،و لمّا كانت المشبهه و الكراميه من مثبتى الصفات عددناهم فرقتين من جمله الصّفاتيه » (۱).

«و من قرنه فقد ثنّاه،و من ثنّاه فقد جزّأه» هكذا فى النسخ (۲)،و لا يبعد أن يكون وقع تحريف،و أنّ الأصل(و من قرنه فقد جزّأه،و من جزّأه فقد ثنّاه)، فإنّ القول بتثنيته أشنع من القول بتجزيته،فبطلان القول بالتثنيه مسلّم عند جميع فرق المسلمين،بخلاف القول بتجزيته،فيدين به المشبّهه منهم و المجسمه .

«و من قال فيم» كمن قال:إنّه فى السماء.

«فقد ضمّنه» أى:جعله فى ضمن شىء .

«و من قال علام» كمن قال إنّه على العرش.

«فقد أخلى منه» أى:غير ذلك الشىء الّذى قال هو عليه،كالكرسىّ مثلا و غيره،قال ابن أبى العوجاء للصادق عليه السّلام:أليس اذا كان فى السماء كيف يكون فى الأرض،و إذا كان فى الأرض كيف يكون فى السماء؟فقال عليه السّلام:إنّما

۱- ۱) الملل و النحل للشهرستانى ۱:۸۴. [۱]

۲- ۲) كذا فى نهج البلاغه ۱:۱۵،و [۲]شرح ابن أبى الحديد ۱:۲۲،و [۳]شرح ابن ميثم ۱:۱۰۶. [۴]

و صفت المخلوق الّذی إذا انتقل عن مکان اشتغل به مکان و خلا منه مکان،فلا یدری فی المکان الّذی صار الیه ما یحدث فی المکان الذی کان فیه،فأمّا اللّه العظیم الشأن الملک الدیّان،فلا یخلو منه مکان و لا یشتغل به مکان،و لا یکون إلی مکان أقرب منه إلی مکان (۱).

هذا،و روی(الإرشاد)هذه الفقرات عن الزهری و عیسی بن زید عن صالح ابن کیسان عنه علیه السّلام هکذا:«أوّل عباده اللّه معرفته،و أصل معرفته توحیده،و نظام توحیده نفی التشبیه عنه،جلّ عن أن تحلّه الصّفات بشهاده العقول أنّ کلّ من حلّته الصفات مصنوع،و شهاده العقول أنّه جلّ جلاله لیس بمصنوع،بصنع اللّه یستدلّ علیه و بالعقول تعتقد معرفته،و بالنظر تثبت حجّته،جعل الخلق دلیلا علیه،فکشف به عن ربوبیّته،هو الواحد الفرد فی أزلیته،لا شریک له فی إلهیّته،و لا ندّ له فی ربوبیّته،بمضادّته بین الأشیاء المتضادّه علم أن لا ضدّ له،و بمقارنته بین الأمور المقترنه علم أن لا قرین له» (۲).

و روی(العیون و التوحید و أمالی المفید و أمالی الشیخ)عن الرضا علیه السّلام خطبه فی المعنی و هی:«أوّل عباده اللّه معرفته،و أصل معرفه اللّه توحیده، و نظام توحید اللّه نفی الصفات عنه،لشهاده العقول أنّ کلّ صفه و موصوف مخلوق،و شهاده کلّ موصوف أنّ له خالقا لیس بصفه و لا موصوف و شهاده کلّ صفه و موصوف بالاقتران،و شهاده الاقتران بالحدوث،

---

۱ - ۱) أخرجه الکلینی فی الکافی ۱:۱۲۶ ح ۳،و [۱]الصدوق فی التوحید:۲۵۴ ح ۴،و رواه الطبرسی فی الاحتجاج ۲:۳۳۵ [۲]ضمن حدیث طویل،و أخرج الحدیث الصدوق فی العلل ۲:۴۰۴ ح ۴ و [۳]الامالی:۴۹۳ ح ۴ المجلس(۹۰)،و [۴]المفید فی الارشاد:۲۸۰،و [۵]الکراجکی فی الکنز:۲۲۰،لکن لیس فی روایه العلل و ما بعدها [۶]هذه القطعه.

۲- ۲) الارشاد للمفید:۱۱۹. [۷]

و شهاده الحدوث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدوث...» (۱).

۳

من الخطبه(۱)

بعد ما مرّ:

كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ- مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ وَ غَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ- فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَ الْآلَةِ- بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ- مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَ لَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً وَ ابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً- بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا وَ لَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا- وَ لَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا وَ لَا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا- أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا وَ لَاءَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا- وَ غَرَّزَ غَرَائِزَهَا وَ أَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا- عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا- مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَ انْتِهَائِهَا عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَ أَحْنَائِهَا «كائن لا عن حدث» لأنّه مكوّن المحدثات .

«موجود لا عن عدم» لأنّه موجد المعدومات .

«مع كلّ شيء لا بمقارنه» قال تعالى: «ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلاّ هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلاّ هُوَ سادِسُهُمْ وَ لا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْثَرَ إِلاّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا» (۲).

«و غير كلّ شيء لا بمزايله» «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » (۳).

«فاعل لا بمعنى الحركات و الآله» «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ»

۱- ۱) أخرجه الصدوق فى العيون ۱:۱۲۳ ح ۵۱،و [۱]التوحيد:۳۴ ح ۲،و [۲]المفيد فى أماليه:۲۵۳ ح ۴ المجلس(۳۰)،و أبو على الطوسى فى أماليه ۱:۲۲ المجلس(۱). [۳]

۲- ۲) المجادله:۷. [۴]

۳- ۳) الشورى:۱۱. [۵]

«إِنّا كُلَّ شَیْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ» (۱).

«عارفا بقرائنها» أی:ما یوافقها فیقرنها.

«و أحنائها» فی الصحاح:الحنو بالکسر:واحد أحناه،السّرج و القتب، و حنو کلّ شیء أیضا اعوجاجه،و منه حنو الجبل (۲).

هذا،و قال المجلسی فی شرح قوله علیه السّلام: «عارفا بقرائنها و أحنائها» إنّه یدلّ علی جواز اطلاق العارف علیه تعالی،و منعه بعضهم (۳).

قلت:إنّما یفهم منه جواز إطلاق عارف مقیّد لا مطلق.

۴

اشاره

من الخطبه(۴۹)

و من خطبه له علیه السّلام:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی بَطَنَ خَفِیَّاتِ الْأُمُوُرِ- وَ دَلَّتْ عَلَیْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ- وَ امْتَنَعَ عَلَی عَیْنِ الْبَصِیرِ- فَلَا عَیْنُ مَنْ لَمْ یَرَهُ تُنْکِرُهُ- وَ لَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ یُبْصِرُهُ- سَبَقَ فِی الْعُلُوِّ فَلَا شَیْءَ أَعْلَی مِنْهُ- وَ قَرُبَ فِی الدُّنُوِّ فَلَا شَیْءَ

۱- ۱) القمر:۴۹. [۱]

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهری ۶:۲۳۲۱ [۲] ماده(حنو).

۳- ۳) بحار الأنوار ۵۷:۱۸۱. [۳]

أَقْرَبُ مِنْهُ- فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ- وَ لَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ- لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ- وَ لَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ- فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ- عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ- تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ- وَ الْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوّاً كَبِيراً «الحمد للّه الذى بطن خفيّات الأمور» أى:صار باطنا لها حتّى كأنّها ظاهره بالنسبه إليه تعالى،كما قال عليه السّلام فى كلام له آخر:«كلّ باطن غيره ظاهر» (۱)و ذلك لإمكان درك ذاتها،و استحاله ذلك فى حقّه تعالى.

و قال ابن أبى الحديد و تبعه ابن ميثم و الخوئى (۲):معنى قوله عليه السّلام:

«بطن خفيّات الأمور» علم بالبواطن و الخفيّات،و هو كما ترى،مع أنّه يأباه قوله عليه السّلام بعد .

«و دلت عليه أعلام الظهور» فإنّه دالّ على أنّ كنهه تعالى و إن كان أخفى الأمور إلّا أنّ وجوده تعالى أجلى الأشياء،و فى غايه الظهور لكثره شواهده، و توفّر أدلّته: «سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» (۳).

و فى كلّ شىء له آيه تدلّ على أنّه واحد

(۴) «و امتنع على عين البصير» أن تبصره و تراه،و عن عاصم بن حميد:

ذاكرت الصادق عليه السّلام فى ما يروون من الرّؤيه،فقال:الشّمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسى،و الكرسى جزء من سبعين جزءا من نور العرش،

۱- ۱) لفظ الفقره:«و كل باطن غيره غير ظاهر»كما فى نهج البلاغه ۱:۱۱۳ [۱] الخطبه(۶۳)،و شرح ابن أبى الحديد ۱:۴۷۱، و [۲]شرح ابن ميثم ۲:۱۶۷،و [۳]الفرق كثير.

۲- ۲) شرح ابن أبى الحديد ۱:۲۹۲،و شرح ابن ميثم ۲:۱۲۷،و شرح الخوئى ۲:۷۸.

۳- ۳) فصلت:۵۳. [۴]

۴- ۴) أورده ابن أبى الحديد فى شرحه ۲:۱۴۴.

و العرش جزء من سبعين جزءا من نور الحجاب،و الحجاب جزء من سبعين جزءا من نور الستر،فإن كانوا صادقين فليملئوا أعينهم من الشمس،ليس دونها سحاب (۱).

و قال المفيد:لا يصحّ رؤيه الباری سبحانه بالأبصار،و بذلك شهد العقل،و نطق القرآن،و تواتر الخبر عن أئمه الهدی عليهم السّلام من آل محمّد صلّی اللّه عليه و آله، و عليه جمهور أهل الامامه و عامّه متكلّميهم،إلّا من شذّ منهم لشبهه عرضت له فی تأويل الأخبار (۲).

«فلا عين من لم يره تنكره،و لا قلب من أثبته يبصره» قال ابن أبی الحديد:

و قد روی هذا الكلام علی وجه آخر،قالوا فی الخطبه:«فلا قلب من لم يره ينكره،و لا عين من أثبته تبصره» (۳).

قلت:هو أنسب جدّا،فالإنكار ينسب الی القلب،و الإبصار الی العين، و الأوّل عكسه،و لا يصحّ إلّا بتأوّل،دخل رجل من الخوارج علی الباقر عليه السّلام و قال له:أی شیء تعبد؟قال:اللّه تعالی.قال:أرأيته؟قال:بلی،و لكن لم تره العيون بمشاهده الأبصار،و لكن رأته القلوب بحقائق الايمان.لا يعرف بالقياس،و لا يدرك بالحواس،و لا يشبّه بالناس،موصوف بالآيات،معروف بالعلامات.لا يجور فی حكمه،ذلك اللّه لا إله إلّا هو.فخرج الرجل و هو يقول:اللّه أعلم حيث يجعل رسالته (۴).

۱- ۱) أخرجه الكلينی فی الكافی ۱:۹۸ ح ۷،و [۱]الصدوق فی التوحيد:۱۰۸ ح ۳.

۲- ۲) أوائل المقالات للمفيد:۶۲. [۲]

۳- ۳) شرح ابن أبی الحديد ۱:۲۹۲. [۳]

۴- ۴) أخرجه الكلينی فی الكافی ۱:۹۷ ح ۵،و [۴]الصدوق فی التوحيد:۱۰۸ ح ۵،و الأمالی:۲۲۹ ح ۴ المجلس(۴۷)،و [۵]رواه الطبرسی فی الاحتجاج ۲:۳۲۱ [۶] عن الباقر عليه السّلام،و رواه الاربلی فی كشف الغمه ۲:۴۱۸ [۷] مترددا عن الباقر أو الصادق عليهما السّلام،و روی هذا المعنی عن علی و الصادق عليهما السّلام كما يأتی فی تحقيق حديث ذعلب فی شرح الخطبه(۱۷۷)، العنوان(۲۳)من هذا الفصل.

«سبق فی العلوّ» لکونه خالقا.

«فلا شیء أعلی منه» لأنّ کلّ شیء مخلوق له تعالی .

«و قرب فی الدنوّ فلا شیء أقرب منه» حتّی إنّ المحتضر مع قرب أقاربه منه-ذاک الحین-و اجتماعهم حوله،هو تعالی أقرب إلیه منهم،حتّی یتوفی تعالی نفسه: «فَلَوْ لا إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَ أَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لا تُبْصِرُونَ» (۱)،و حتّی إنّ الأجزاء الباطنیه للإنسان مع کونها فی غایه القرب من صاحبها هو تعالی أقرب إلیه منها: «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» (۲)، «يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ » (۳).

«فلا استعلاؤه باعده عن شیء من خلقه» کما باعد استعلاء السماء علی الأرض السماء عن الأرض .

«و لا قربه ساواهم فی المکان به» کما ساوی قرب نفرین جارین بینهما فی المکان،لأنّ استعلاءه و قربه لیس کاستعلاء بعض الخلق علی بعض،و کقرب بعضهم من بعض .

«لم یطلع العقول علی تحدید صفته،و لم یحجبها عن واجب معرفته» قال الصادق علیه السّلام للمفضّل بن عمرو:إنّ العقل یعرف الخالق من جهه توجب علیه الإقرار،و لا یعرفه بما یوجب له الإحاطه بصفته.فإن قالوا:فکیف یکلّف العبد الضعیف معرفته بالعقل اللّطیف،و لا یحیط به؟قیل لهم:إنّما کلّف العباد من ذلک فی ما طاقتهم أن یبلغوه،و هو أن یوقنوا به و یقفوا عند أمره و نهیه،و لم یکلّفوا الإحاطه بصفته،کما أنّ الملک لا یکلّف رعیته أن یعلموا أ طویل هو أم

۱- ۱) الواقعه:۸۳-۸۵. [۱]

۲- ۲) ق:۱۶.

۳- ۳) الأنفال:۲۴. [۲]

قصير،أبيض هو أم أسمر،و إنّما يكلّفهم الإذعان لسلطانه و الانتهاء إلى أمره، ألا ترى أنّ رجلا لو أتى الى باب الملك و قال:اعرض علىّ نفسك حتّى أتقصّى معرفتك،و إلّا لم أسمع لك كان قد أحلّ نفسه بالعقوبه؟فكذا القائل:إنّه لا يقرّ بالخالق سبحانه حتّى يحيط بكنهه متعرّضا لسخطه (۱).

«فهو الّذى تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذى الجحود» هو نظير قوله عليه السّلام فى ما يأتى:«المتجلّى لخلقه بخلقه،و الظاهر لقلوبهم بحجّته» (۲).

مناظره ابن أبى العوجاء مع الصادق عليه السّلام:

قال أبو منصور المتطبّب:أخبرنى رجل من أصحابى،قال:كنت أنا و ابن أبى العوجاء و عبد اللّه بن المقفّع فى المسجد الحرام،فقال ابن المقفّع:

ترون هذا الخلق-و أو مأ بيده إلى موضع الطواف-ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانيه إلّا ذلك الشيخ الجالس-يعنى:أبا عبد اللّه جعفر بن محمّد عليه السّلام-فأمّا الباقون فرعاع و بهائم.فقال له ابن أبى العوجاء:و كيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟قال:لأنّى رأيت عنده ما لم أره عندهم.قال:فقال له ابن أبى العوجاء:لا بدّ من اختبار ما قلت فيه منه.فقال له ابن المقفّع:لا تفعل،فإنى أخاف أن يفسد عليك ما فى يدك.فقال:ليس ذا رأيك،و لكن تخاف أن يضعف رأيك عندى فى إجلالك إيّاه المحلّ الّذى و صفت.فقال ابن المقفّع:أمّا إذا توهّمت علىّ هذا،فقم إليه و تحفّظ ما استطعت من الزلل،و لا تثن عنانك إلى استرسال فيسلمك إلى عقال،و سمه مالك أو عليك.

قال:فقام ابن أبى العوجاء و بقيت أنا و ابن المقفّع جالسين،فلمّا رجع

۱- ۱) توحيد المفضل:۱۷۷. [۱]

۲- ۲) نهج البلاغه ۱:۲۰۶ [۲] الخطبه(۱۰۶)،و يأتى فى العنوان(۱۵)من هذا الفصل.

الينا ابن أبى العوجاء،قال:ويلك يا ابن المقفّع!ما هذا ببشر،و إن كان فى الدنيا روحانى يتجسّد إذا شاء ظاهرا،و يتروّح إذا شاء باطنا،فهو هذا.فقال له:

و كيف ذلك؟قال:جلست إليه،فلمّا لم يبق عنده غيرى ابتدأنى،فقال:إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء،-يعنى أهل الطواف-و هو على ما يقولون فقد سلموا و عطبتم،و إن يكن الأمر على ما تقولون،و ليس كما تقولون،فقد استويتم و هم.فقلت له:يرحمك اللّه،و أىّ شىء نقول،و أى شىء يقولون؟ما قولى و قولهم إلّا واحد.فقال:و كيف يكون قولك و قولهم واحدا و هم يقولون:إنّ لهم معادا،و ثوابا و عقابا،و يدينون بأنّ فى السماء إلها و أنّها عمران،و أنتم تزعمون أنّ السماء خراب ليس فيها أحد؟قال:فاغتنمتها منه،فقلت له:ما منعه إن كان الأمر كما يقولون أن يظهر لخلقه،و يدعوهم الى عبادته حتّى لا يختلف منهم اثنان؟و لم احتجب عنهم،و أرسل اليهم الرسل،و لو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الايمان به؟فقال لى:ويلك،و كيف احتجب عنك من أراك قدرته فى نفسك:نشوءك و لم تكن،و كبرك بعد صغرك،و قوّتك بعد ضعفك، و ضعفك بعد قوّتك،و سقمك بعد صحّتك،و صحتك بعد سقمك،و رضاك بعد غضبك،و غضبك بعد رضاك،و حزنك بعد فرحك،و فرحك بعد حزنك،و حبّك بعد بغضك،و بغضك بعد حبّك،و عزمك بعد أناتك،و أناتك بعد عزمك، و شهوتك بعد كراهتك،و كراهتك بعد شهوتك،و رغبتك بعد رهبتك،و رهبتك بعد رغبتك،و رجاءك بعد يأسك،و يأسك بعد رجائك،و خاطرك بما لم يكن فى وهمك،و عزوب ما أنت معتقده عن ذهنك.و ما زال يعدّد علىّ قدرته التى هى فى نفسى التى لا أدفعها حتّى ظننت:أنّه سيظهر فى ما بينى و بينه (۱).

و من الشواهد على ما ذكره عليه السّلام من إقرار قلب ذى الجحود:أنّ كلّ

۱- ۱) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۷۴ ح ۲،و [۱]الصدوق فى التوحيد ح:۱۲۵ ۴. [۲]

جاحد إذا انقطع رجاؤه عن الأسباب الظاهريه،و صار إلى الاضطرار يتوجّه إلى مبدئه بلا اختيار: «فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِی فَطَرَ النّاسَ عَلَیْها» (۱)، «فَإِذا رَکِبُوا فِی الْفُلْکِ دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ فَلَمّا نَجّاهُمْ إِلَی الْبَرِّ إِذا هُمْ یُشْرِکُونَ» (۲).

و حتّی إنّ عمرو بن العاص الّذی عادی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله إلی أن فتح النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مکّه فاستسلم و لم یسلم و أسرّ کفره،ثمّ عادی أمیر المؤمنین علیه السّلام إلی شهادته، کان مقرّا بأنّ ما قدّر اللّه تعالی یقع،و لو علی خلاف الأسباب الظاهریه،ففی (صفین نصر)أنّ معاویه لمّا أعطی عمرو بن العاص مصر لیعینه علی أمیر المؤمنین علیه السّلام و کتب له کتابا،و کتب فیه:علی أن لا ینقض شرط طاعه،و کتب عمرو:علی أن لا تنقض طاعه شرطا،و کاید کلّ واحد منهما صاحبه،و کان مع عمرو ابن عمّ له فتی شاب،و کان داهیا حلیما،فلمّا جاء عمرو بالکتاب مسرورا عجب الفتی،و قال:ألا تخبرنی یا عمرو بأیّ رأی تعیش فی قریش؟ أعطیت دینک و منّیت دنیا غیرک،أری أهل مصر و هم قتله عثمان یدفعونها إلی معاویه و علیّ حیّ،و تراها إن صارت الی معاویه لا یأخذها بالحرف الّذی قدّمه فی الکتاب؟فقال له عمرو:یا بن الأخ إنّ الأمر للّه دون علیّ و معاویه ... (۳).

«تعالی اللّه عمّا یقول المشبّهون به و الجاحدون له علوّا کبیرا» روی عن إبراهیم بن محمد الخزاز و محمد بن الحسین أنّهما حکیا للرضا علیه السّلام:إنّ محمّدا صلّی اللّه علیه و آله رأی ربّه فی صوره الشاب الموفق فی سنّ أبناء ثلاثین سنه-إلی أن قال-فخرّ ساجدا للّه،ثمّ قال:سبحانک ما عرفوک و لا وحّدوک،فمن أجل ذلک و صفوک-إلی أن قال-إن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله حین نظر إلی عظمه ربّه کان فی هیئه

۱- ۱) الروم:۳۰. [۱]

۲- ۲) العنکبوت:۶۵. [۲]

۳- ۳) وقعه صفین:۴۰. [۳]

الشاب الموفّق و سنّ أبناء ثلاثين سنه،يا محمّد!اعظم ربّی عز و جل أن يكون فی صفه المخلوقين.قال:قلت له:جعلت فداك من كانت رجلاه فی خضره؟ قال:ذاك محمّد صلّی اللّه عليه و آله و سلّم،كان إذا نظر الی ربّه بقلبه جعله فی نور مثل نور الحجب حتّی يستبين له ما فی الحجب (۱).

و روی عن داود الرّقیّ،قال:سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل:

«وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَی الْماءِ» (۲)،فقال:ما يقولون؟قلت:يقولون:إنّه العرش علی الماء،و الرّبّ فوقه.فقال:كذبوا،من زعم هذا فقد صيّر اللّه محمولا، و وصفه بصفه المخلوق،و لزمه أنّ الشیء الّذی يحمله أقوی منه (۳).

و أمّا قوله تعالی: «الرَّحْمنُ عَلَی الْعَرْشِ اسْتَوی» (۴)فهو من قبيل قول الشاعر:

قد استوی بشر علی العراق من غير سيف و دم مهراق

(۵)فی كون المراد به مجرد الاستيلاء و السّلطه.

هذا،و فی(كامل الجزری):و فی سنه(۳۲۳)خرج توقيع الراضیّ الخليفه بما يقرأ علی الحنابله،ينكر عليهم فعلهم و يوبّخهم باعتقاد التّشبيه و غيره، فمنه:تاره أنّكم تزعمون أنّ صوره وجوهكم القبيحه السّمجه علی مثال ربّ العالمين،و هيئتكم الرّذله علی هيئته،و تذكرون الكفّ و الأصابع و الرجلين و النّعلين المذهّبين،و الشعر القطط،و الصعود الی السماء،و النزول الی الدنيا.

۱- ۱) أخرجه الكلينی فی الكافی ۱:۱۰۰ ح ۳،و [۱]الصدوق فی التوحيد:۱۱۳ ح ۱۳ ضمن حديث طويل،و أخرج معناه أيضا الكلينی فی الكافی ۱:۱۰۶ ح ۸،و [۲]الصدوق فی التوحيد:۱۷ ح ۱. [۳]

۲- ۲) هود:۷. [۴]

۳- ۳) أخرجه ضمن حديث الكلينی فی الكافی ۱:۱۳۲ ح ۷،و [۵]الصدوق فی التوحيد:۳۱۹ ح ۱.

۴- ۴) طه:۵. [۶]

۵- ۵) أورده لسان العرب ۱۴:۴۱۴ [۷] ماده(سوا).

تبارک اللّه عمّا یقول الظالمون و الجاحدون علوّا کبیرا... (۱).

قلت:و الأصل فی زعمهم قول النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:فإنّ اللّه تعالی خلق آدم علی صورته (۲)،و الضمیر فی(صورته)راجع الی رجل سبّه من قال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله له ذلک،فتوهموا رجوعه إلی(اللّه)،روی(العیون)عن الحسین بن خالد قال:قلت للرضا علیه السّلام:یابن رسول اللّه.إنّ الناس یروون أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قال:إنّ اللّه خلق آدم علی صورته.فقال:قاتلهم اللّه لقد حذفوا أوّل الحدیث:إنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله مرّ برجلین یتسابّان،فسمع أحدهما یقول لصاحبه قبّح اللّه وجهک،و وجه من یشبهک.فقال صلّی اللّه علیه و آله له:یا عبد اللّه لا تقل هذا لأخیک،فإنّ اللّه تعالی خلق آدم علی صورته (۳).

و فی(الکامل)أیضا فی سنه(۴۵۸):ذکر أنّ فیه توفی أبو یعلی الحنبلی مصنّف کتاب(الصفات)،أتی فیه بکلّ عجیبه،و فیه التجسیم،و کان ابن تمیم

۱- ۱) الکامل لابن الأثیر ۸:۳۰۸، [۱]سنه(۳۲۳).

۲- ۲) أخرجه مسلم فی صحیحه ۴:۲۱۸۳ ح ۲۸،و أحمد بطریقین فی مسنده ۲:۳۱۵،۳۲۳،و الطبرانی فی السنه،و الدار قطنی فی الصفات عنهما منتخب کنز العمال ۱:۱۱۳،و أخرج معناه عنه عبد الرزاق فی الجامع،و ابن عساکر فی التاریخ،منتخب کنز العمال ۱:۱۱۳،و أخرجه ابن قتیبه فی تأویل المختلف:۲۲۰ مجردا عن ابن عمر بلفظ«ان اللّه خلق آدم علی صوره الرحمن»،و نحو هذا اللفظ أخرج الطبرانی عنه کنوز الحقائق ۲:۱۵۹،و روی الکشی اختیار الکشی:۲۸۴ ح ۵۰۳ عن هشام بن سالم انّه یقول:«إنّ آدم خلق علی مثال الرب»،و روی الطبرسی فی الاحتجاج ۲:۳۴۴ [۲] ضمن حدیث طویل عن الصادق علیه السّلام نسبه التمسک بهذا الحدیث الی أصحاب التناسخ،و جاء ما یشبه هذا الحدیث فی التوراه الموجوده، العهد العتیق-سفر التکوین-الاصحاح الأول:۲۶، ۲۷ و فی رساله بولس الی أهل افسس،العهد الجدید-الرساله المذکوره-الاصحاح الرابع:۲۴،و ما نقل من صحف ادریس علیه السّلام ابن طاوس فی سعد السعود:۳۳.

۳- ۳) أخرجه الصدوق فی العیون ۱:۹۸ ح ۱۲،و [۳]التوحید:۱۵۲ ح ۱۱،و رواه الطبرسی فی الاحتجاج ۲:۴۱۰ [۴] عن الرضا علیه السّلام،و روی معناه الصدوق فی التوحید [۵]مسندا:۱۵۲ ح ۱۰،و ابن قتیبه فی تأویل المختلف:۲۱۹،و المرتضی فی تنزیه الأنبیاء:۱۲۷،و [۶]ابن خالویه فی الاعراب مجردا:۱۲۹،و جاء فی شرح الحدیث روایات غیر هذه الروایه،منها:ما رواه الصدوق فی التوحید:۱۰۳ ح ۱۸،و الطبرسی فی الاحتجاج ۲:۳۲۳ [۷] عن الباقر علیه السّلام.

الحنبلی یقول:لقد خری أبو یعلی علی الحنابله خریه لا یغسلها ماء (۱).

هذا،و نوّع ابن أبی الحدید القول بالتّشبیه من قائلیه أحد عشر نوعا:

کونه تعالی جسما و جوهرا،و ذا أعضاء،و ذا جهه،و کونه عرضا،و محلّا لشیء آخر،و متّحدا بغیره،و کونه ذا أعراض و لون،و ذا شهوه،و نفره،و ذا تناه،و کونه مرئیا،و نقل فی کلّ نوع أباطیل من قائلیه،إلاّ أنّ فی نقله الغثّ و السمین،فنسب الی جمع من أجلّه الشیعه أضالیل (۲)،کما نقل ما لا ینبغی نقله من ترّهات قصص العامّه،مثل ما نقل عن قاصّ طبری:أنّ فی القیامه یخفی اللّه یزید بن معاویه تحت قوائم عرشه من فاطمه،و یرغّبها فی العفو عنه بإراءته لها قدمه المجروحه من سهم نمرود و عفوه عنه (۳)،و نقل عن معاذ العنبری أنّ له جمیع الأعضاء حتّی الفرج (۴).تعالی اللّه عمّا یقولون علوّا کبیرا.

۵

من الخطبه(۶۳)

و من خطبه له علیه السّلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی لَمْ یَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالاً- فَیَکُونَ أَوَّلاً قَبْلَ أَنْ یَکُونَ آخِراً- وَ یَکُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ یَکُونَ بَاطِناً- کُلُّ مُسَمًّی بِالْوَحْدَهِ غَیْرُهُ قَلِیلٌ- وَ کُلُّ عَزِیزٍ غَیْرُهُ ذَلِیلٌ وَ کُلُّ قَوِیٍّ غَیْرُهُ ضَعِیفٌ- وَ کُلُّ مَالِکٍ غَیْرُهُ مَمْلُوکٌ وَ کُلُّ عَالِمٍ غَیْرُهُ مُتَعَلِّمٌ- وَ کُلُّ قَادِرٍ غَیْرُهُ یَقْدِرُ وَ یَعْجَزُ- وَ کُلُّ سَمِیعٍ غَیْرُهُ یَصَمُّ عَنْ لَطِیفِ الْأَصْوَاتِ- وَ یُصِمُّهُ کَبِیرُهَا وَ یَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا

۱- ۱) الکامل لابن الأثیر ۱۰:۵۲. [۱]

۲- ۲) مقصود الشارح هشام بن الحکم و هشام بن سالم و یونس بن عبد الرحمن و محمد بن النعمان صاحب الطاق و الفضل بن شاذان،و النسب التی نسبها الیهم ابن أبی الحدید رواها جمع من مؤلفی الشیعه و السنه،لم یسع المقام لنقل روایاتهم.

۳- ۳) شرح ابن أبی الحدید ۱:۲۹۵. [۲]

۴- ۴) شرح ابن أبی الحدید ۱:۲۹۴ [۳] نقله الشارح بالمعنی.

وَ كُلَّ بَصِيرٍ غَيْرَهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَ لَطِيفِ الْأَجْسَامِ- وَ كُلَّ ظَاهِرٍ غَيْرَهُ غَيْرُ بَاطِنٍ وَ كُلَّ بَاطِنٍ غَيْرَهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ- لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ- وَ لَا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ- وَ لَا اسْتِعَانَهٍ عَلَى نِدٍّ مُثَاوِرٍ وَ لَا شَرِيكٍ مُكَاثِرٍ وَ لَا ضِدٍّ مُنَافِرٍ- وَ لَكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ وَ عِبَادٌ دَاخِرُونَ- لَمْ يَحْلُلْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالَ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ- وَ لَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالَ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ- لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقُ مَا ابْتَدَأَ- وَ لَا تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ وَ لَا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ- وَ لَا وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَهٌ فِيمَا قَضَى وَ قَدَّرَ- بَلْ قَضَاءٌ مُتْقَنٌ وَ عِلْمٌ مُحْكَمٌ- وَ أَمْرٌ مُبْرَمٌ الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ- الْمَرْجُوُّ مَعَ النِّعَمِ «الحمد للّه» حمده تعالى باعتبار خمسه عشر وصفا،لا يوصف بواحد منها غيره تعالى:

الأوّل: «الذى لم يسبق له حال حالا-فيكون أوّلا- قبل أن يكون آخرا» و غيره تعالى لا- يوصف بالأوّليّه و الآخريه فى زمان واحد،مثل أوّل سلطنه سلطان و آخرها،و أوّل فاكهه و آخرها،و أمّا هو تعالى ففى كلّ وقت أوّل و آخر،و سئل الصادق عليه السّلام عن معنى الأول و الآخر فيه تعالى،فقال:الأوّل:لا عن أوّل قبله و لا عن بدء سبقه،و الآخر:لا عن نهايه كما يعقل من صفه المخلوقين،و لكن قديم أوّل آخر لم يزل و لا يزول بلا بدء و لا نهايه (1).

«و يكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا» هو أيضا كسابقه تفريع على قوله: «لم يسبق له حال حالا» فكما أنّه تعالى فى حين آخريته أوّل،كذلك هو فى حين باطنيته ظاهر،قال تعالى: «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ»

۱- ۱) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۱۱۶ ح ۶،و [۱]الصدوق فى التوحيد:۳۱۳ ح ۱،و معانى الأخبار:۱۲ ح ۱ عن ميمون اللبّان عن الصادق عليه السّلام.

«شَیْءٍ عَلِیمٌ» (۱).

و قال الرضا علیه السّلام فی خبر فی أسمائه تعالی:و أمّا الظاهر فلیس من أجل أنّه علا الأشیاء برکوب فوقها و قعود علیها،و تسنّم لذراها،و لکن ذلک لقهره و لغلبته الأشیاء و قدرته علیها،کقول الرّجل:ظهرت علی أعدائی،و أظهرنی اللّه علی خصمی،یخبر عن الفلج و الغلبه،فهکذا ظهور اللّه علی الأشیاء.و وجه آخر أنّه الظاهر لمن أراده،و لا یخفی علیه شیء،و أنّه مدبّر لکلّ ما برأ،فأیّ ظاهر أظهر و أوضح من اللّه تعالی؟!لأنّک لا تعدم صنعته حیثما توجّهت،و فیک من آثاره ما یغنیک،و الظاهر منّا البارز بنفسه،و المعلوم بحدّه.فقد جمعنا الاسم و لم یجمعنا المعنی.

و أمّا الباطن فلیس علی معنی الاستبطان للأشیاء بأن یغور فیها،و لکن ذلک منه علی استبطانه للأشیاء علما و حفظا و تدبیرا،کقول القائل:أبطنته، یعنی:خبرته،و علمت مکتوم سرّه.و الباطن منّا الغائب فی الشیء المستتر، فقد جمعنا الاسم و اختلف المعنی (۲).

الثانی : «کلّ مسمّی بالوحده غیره قلیل» فی وحدته،روی الفتح بن یزید عن الرضا علیه السّلام فی خبر:فالإنسان واحد فی الاسم لا واحد فی المعنی،و اللّه تعالی واحد لا واحد غیره،و لا اختلاف فیه و لا تفاوت،و لا زیاده و لا نقصان، فأمّا الإنسان المخلوق المصنوع المؤلّف،فمن أجزاء مختلفه و جواهر شتّی، غیر أنّه بالاجتماع شیء واحد (۳).

۱- ۱) الحدید:۳. [۱]

۲- ۲) أخرجه الکلینی فی الکافی ۱:۱۲۰ ح ۲،و [۲]الصدوق فی التوحید:۱۸۹ ح ۲،و العیون ۱:۱۲۲ ح ۵۰،و [۳]رواه الطبرسی فی الاحتجاج ۲:۳۹۸. [۴]

۳- ۳) أخرجه الصدوق فی التوحید:۶۲ ح ۱۸ ضمن حدیث طویل،و أخرجه أیضا الکلینی فی الکافی ۱:۱۳۷ ح ۳، [۵]لکن لیس فی حدیث الکافی [۶]هذه القطعه.

و فی خبر عن الجواد علیه السّلام:فلا یقال:اللّه مؤتلف و لا اللّه قلیل و لا کثیر.

و لکنه القدیم فی ذاته،لأنّ ما سوی الواحد متجزّیء،و اللّه واحد لا متجزّیء،و لا متوهّم بالقلّه و الکثره،و کلّ متجزّیء أو متوهّم بالقلّه و الکثره فهو مخلوق دالّ علی خالق له (۱).

الثالث : «و کلّ عزیز غیره ذلیل» «أَ یَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّهَ فَإِنَّ الْعِزَّهَ لِلّهِ جَمِیعاً » (۲).و العزّه فی غیره تعالی-و إن کان مجازیا-إلاّ أنّها أیضا بیده، فلا ینالها إلاّ من یشاء تعالی: «قُلِ اللّهُمَّ مالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْکَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِیَدِکَ الْخَیْرُ إِنَّکَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ» (۳).

کما أنّه تعالی جعلها بمعنی آخر للمنسوبین إلیه «وَ لِلّهِ الْعِزَّهُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ وَ لکِنَّ الْمُنافِقِینَ لا یَعْلَمُونَ» (۴)و کلتاهما و إن کانت غیر حقیقیه،إلاّ أنّ الأولی ظاهریه و الثانیه باطنیّه.

الرّابع : «و کلّ قوی غیره ضعیف» کیف لا یکون غیره ضعیفا،و الإنسان الّذی سخّر له ما فی السماوات و الأرض،و قال تعالی فیه: «وَ لَقَدْ کَرَّمْنا بَنِی آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلی کَثِیرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِیلاً» (۵)فی غایه الضعف،فقال تعالی: «وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِیفاً» (۶)،و قال علیه السّلام:«مسکین ابن آدم مکتوم الأجل،مکنون العلل،محفوظ

۱- ۱) أخرجه الکلینی فی الکافی ۱:۱۱۶ ح ۷،و [۱]الصدوق فی التوحید:۱۹۳ ح ۷،و رواه الطبرسی فی الاحتجاج ۲:۴۴۲. [۲]

۲- ۲) النساء:۱۳۹. [۳]

۳- ۳) آل عمران:۲۶. [۴]

۴- ۴) المنافقون:۸. [۵]

۵- ۵) الاسراء:۷۰. [۶]

۶- ۶) النساء:۲۸. [۷]

العمل،تؤلمه البقه و تقتله الشرقه،و تنته العرقه» (۱).

الخامس : «و كلّ مالك غيره مملوك» هو تعالى «لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» (۲)،و غيره «وَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً وَ لا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَ لا حَياةً وَ لا نُشُوراً» (۳)، «ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ» (۴).

قال الجوهرى:القطمير الفوفه التى فى النواه،و هى القشره الرقيقه، و يقال:هى النكته البيضاء التى فى ظهر النواه،تنبت منها النخله (۵).

السادس : «و كلّ عالم غيره متعلّم» و أمّا هو تعالى فعلمه من صفات ذاته.

السابع : «و كلّ قادر غيره يقدر» على أشياء معدوده «و يعجز» عن أشياء غير محصوره،و أمّا هو تعالى فقادر على كلّ أمر غير مستحيل،و أمّا المستحيل كإدخال الدنيا فى بيضه مع ابقائهما على حالهما،كما اقترحه جاهل معاند،فخارج عن موضوع القدره،مع أنّه تعالى فعل نظيره.

قال الديصانى لهشام بن الحكم:ألك ربّ؟فقال:بلى.قال:أ قادر هو؟ قال:نعم،قادر قاهر.قال:يقدر أن يدخل الدنيا كلّها البيضه لا تكبر البيضه،و لا تصغر الدنيا؟قال هشام:النظره.فقال له:قد أنظرتك حولا.ثمّ خرج عنه، فركب هشام الى الصادق عليه السّلام فاستأذن عليه،فأذن له،فقال له:يابن رسول اللّه!أتانى عبد اللّه الديصانى بمسأله ليس المعوّل فيها إلاّ على اللّه و عليك،فقال له أبو عبد اللّه عليه السّلام:عن ما ذا سألك؟فقال:قال لى:كيت و كيت.فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام:يا هشام!كم حواسّك؟قال:خمس.قال:أيّها أصغر؟قال:النّاظر.

۱- ۱) نهج البلاغه ۴:۹۸ [۱] الحكمه(۴۱۹).

۲- ۲) الفرقان:۲. [۲]

۳- ۳) الفرقان:۳. [۳]

۴- ۴) فاطر:۱۳. [۴]

۵- ۵) صحاح اللغه للجوهرى ۲:۷۹۷ [۵] ماده(قطمر).

قال:و كم قدر الناظر؟قال:مثل العدسه أو أقل منها.فقال عليه السّلام له:يا هشام! فانظر أمامك و فوقك و اخبرنى بما ترى.فقال:أرى سماء و أرضا و دورا و قصورا و برارى و جبالا و أنهارا.فقال له أبو عبد اللّه عليه السّلام:إنّ الّذى قدر أن يدخل الّذى تراه العدسه أو أقلّ منها قادر أن يدخل الدنيا كلّها البيضه،لا تصغر الدنيا و لا تكبر البيضه.فأكبّ هشام عليه،و قبّل يديه و رأسه و رجليه و قال:حسبى يابن رسول اللّه،و رجع إلى الدّيصانى فأجابه.فقال:ليس هذا من عندك (۱).

الثامن : «و كلّ سميع غيره يصمّ» بالفتح،كنايه عن عدم السّماع «عن لطيف الأصوات و يصمّه» بالضمّ «كبيرها» و أمّا هو تعالى فيسمع السرّ و أخفى،و هو ما خطر بالقلب (۲)، «و يذهب عنه ما بعد منها» بخلافه تعالى،فالقرب و البعد عنده سواء،بل ليس عنده قرب و لا بعد.

التاسع : «و كلّ بصير غيره يعمى» كنايه عن عدم الرؤيه «عن خفىّ الألوان و لطيف الأجسام» الظاهر سقوط ما يؤدّى معنى قوله عليه السّلام فى السابق «و يذهب عنه ما بعد منها» فكما يذهب عن كلّ سميع غيره تعالى ما بعد من الأصوات،كذلك يذهب عن كلّ بصير غيره جلّ و علا ما بعد من الألوان و لو كانت واضحه،و الأجسام و لو كانت عظيمه،فإنّ السّامعه و الباصره منّا محدودتان،و غايه ما قالوا فى القصص التاريخيّه:إنّ زرقاء اليمامه كانت تبصر الراكب من مسيره ثلاثه أيّام،و أنّها قالت لقومها جديس-لمّا بعث ملك

۱- ۱) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۷۹ ح ۴،و [۱]الصدوق فى التوحيد ۱۲۲ ح ۱،و حديث البيضه جاء بألفاظ أخرى،منها: سؤال ابليس عيسى عليه السّلام أخرجه الصدوق فى التوحيد:۱۲۷ ح ۵،و [۲]منها سؤال رجل عليّا عليه السّلام أخرجه بروايتين الصدوق فى التوحيد:۱۳۰ ح ۹،۱۰،و [۳]سؤال رجل الرضا عليه السّلام أخرجه الصدوق فى التوحيد:۱۳۰ ح ۱۱. [۴]

۲- ۲) قول الشارح اشاره الى قوله تعالى: «وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ» طه:۷،و [۵]تفسيره بما خطر بالقلب مروى موقوفا عن على بن ابراهيم و قتاده و الحسن البصرى و عكرمه،يجىء تخريجه فى العنوان(۱۵)من هذا الفصل.

الیمن الیهم لأخذ ثأر طسم منهم،و کانوا خافوا أن تبصرهم فتنذرهم فیستعدّوا و لا یقدروا علیهم،فقطعوا الأشجار و جعل کلّ رجل منهم بین یدیه شجره-:أری أشجارا تقبل الیکم،و أری فیها رجلا معه کتف یأکلها أو نعل یخصفها،ففنّدوها،فصبّحوهم علی غرّه و أبادوهم (۱).

العاشر : «و کلّ ظاهر غیره غیر باطن،و کلّ باطن غیره غیر ظاهر» لأنّ الظاهر و الباطن فی غیره تعالی ضدّان لا یجتمعان بخلافهما فیه جلّ و علا،کما عرفت معناهما فی شرح قوله علیه السّلام«و یکون ظاهرا قبل أن یکون باطنا» (۲).

الحادی عشر : «لم یخلق ما خلقه لتشدید سلطان» «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِیَعْبُدُونِ ما أُرِیدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ ما أُرِیدُ أَنْ » (۳)«و لا تخوّف من عواقب زمان» کالملوک فی أفعالهم.

و فی(تاریخ الطبری):أنّ المنصور بنی الهاشمیه قباله مدینه ابن هبیره التی کانت إلی جانب الکوفه،و بنی أیضا الرّصافه بظهر الکوفه،فلمّا ثارت الراوندیّه فی هاشمیته کره سکناها،لاضطراب من اضطرب أمره علیه من الراوندیّه مع قرب جواره من الکوفه،و لم یأمن أهلها علی نفسه،فأراد أن یبعدهم من جوارهم،فذکر أنّه خرج بنفسه یرتاد موضعا یتخذه مسکنا لنفسه و جنده،فبدأ فانحدر إلی جرجرایا،ثمّ صار الی بغداد،ثمّ مضی الی الموصل،ثمّ عاد إلی بغداد،فقال:هذا موضع معسکر صالح،هذه دجله لیس بیننا و بین الصین شیء،یأتینا فیها کلّ ما فی البحر،و تأتینا المیره من الجزیره و أرمینیه و ما حول ذلک.و هذا الفرات یجیء فیه کلّ شیء من الشام

۱- ۱) نقل القصه بطولها الحموی فی معجم البلدان ۵:۴۴۶.

۲- ۲) هی الفقره الثالثه من هذا العنوان.

۳- ۳) الذاریات:۵۶-۵۷. [۱]

و الرّقه و ما حول ذلک،فنزل و ضرب عسکره علی الصّراط و خطّ المدینه، و وکلّ بکلّ ربع قائدا (۱).

«و لا استعانه علی ندّ» بالکسر:المثل و النظیر.

«مثاور» أی:مواثب .

«و لا شریک مکاثر» کأهل الدنیا «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَیاهُ الدُّنْیا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِینَهٌ وَ تَفاخُرٌ بَیْنَکُمْ وَ تَکاثُرٌ فِی الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ» (۲).

و فی(المروج):کتب ملک الصین الی أنو شیروان:من فغفور ملک الصین صاحب قصر الدرّ و الجوهر الّذی یجری فی قصره نهران یسقیان العود و الکافور الّذی توجد رائحته علی فرسخین،و الّذی تخدمه بنات ألف ملک،و الّذی فی مربطه ألف فیل أبیض إلی أخیه کسری أنو شیروان (۳).

و فیه:و کتب إلیه ملک الهند:من ملک الهند و عظیم أراکنه المشرق، و صاحب قصر الذهب،و أبواب الیاقوت و الدّر إلی أخیه ملک فارس صاحب التاج و الرایه کسری أنو شیروان (۴).

«و لا ضدّ منافر» کالسلاطین فی استحکاماتهم.

و فی(تاریخ الطبری):قیل للمنصور فی ما قیل له فی محاسن موضع بغداد لیتّخذه حصنا:و أنت بین أنهار لا یصل إلیک عدوّک إلّا علی جسر أو قنطره،فإذا قطعت الجسر و أخرجت القناطر لم یصل الیک عدوّک...

و التّدبیر فی المدن أن تتّخذ لها الأسوار و الخنادق و الحصون،و دجله و الفرات

۱- ۱) تاریخ الطبری ۶:۲۳۴ [۱] سنه(۱۴۵)،و نقلها الشارح بتلخیص.

۲- ۲) الحدید:۲۰. [۲]

۳- ۳) مروج الذهب ۱:۲۹۲. [۳]

۴- ۴) مروج الذهب ۱:۲۹۳. [۴]

خنادق لمدينتك (۱).

«و لكن خلائق مربوبون،و عباد داخرون» بالدّال المهمله،أى:صاغرون ذليلون «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ» (۲)،فكيف يعمل عملا لتشديد سلطان أو سائر ما ذكر؟ الثانى عشر : «لم يحلل فى الأشياء فيقال:هو فيها كائن،و لم ينأ» بفتح الهمزه،أى:لم يبعد و لم ينفصل «عنها،فيقال:هو منها بائن» مثلا لا يقال:إنّه تعالى حلّ فى السماء،كما لا يقال:إنّه عزّ و جلّ نأى عن الأرض،بل نسبتهما إليه تعالى على السواء «وَ هُوَ الَّذِى فِى السَّماءِ إِلهٌ وَ فِى الْأَرْضِ إِلهٌ» (۳).

هذا،و(توحيد الشيخ الصدوق-التوحيد-ص ۴۲،۴۳ ح ۳ الصدوق)روى الثانى عشر قبل الحادى عشر (۴)، و الظاهر أصحّيته،فإنّ المناسب أن يكون قوله: «لم يحلل...» بعد قوله «و كلّ باطن غيره غير ظاهر» ،كما أنّ المناسب أن يكون الثالث عشر «لم يؤده...» بعد قوله «لم يخلق...» لكونهما من واد واحد.

كما أنّه زاد بعد قوله«بائن»:«و لم يخل منها فيقال له:أين،لكنّه سبحانه أحاط بها علمه،و أتقنها صنعه،و أحصاها حفظه»فالظاهر وقوع سقط فى النهج لكون الزائد من موضوعه كتقديم و تأخير.

الثالث عشر : «لم يؤده» أى:لم يثقله،من آده الحمل أثقله،أو من آدنى هذا الأمر بلغ منّى المجهود. «خلق ما ابتدأ» «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ » (۵). «و لا تدبير ما ذرأ» فى(الصحاح):

۱- ۱) تاريخ الطبرى ۶:۲۳۶ [۱] سنه(۱۴۵).

۲- ۲) ابراهيم:۱۹. [۲]

۳- ۳) الزخرف:۸۴. [۳]

۴- ۴) التوحيد للصدوق:۴۲،۴۳ ح البقره ۳.

۵- ۵) :۲۵۵.

حکی بعضهم ذرأت الأرض،أی:بذرتها،و زرع ذریّ،علی فعیل،و أنشد:

شققت القلب ثمّ ذرأت فیه هواک فلیم فالتأم الفطور

(۱) «إِنَّ اللّهَ یُمْسِکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَ لَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَکَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ» (۲)، «فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِیا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً قالَتا أَتَیْنا طائِعِینَ فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِی یَوْمَیْنِ وَ أَوْحی فِی کُلِّ سَماءٍ أَمْرَها وَ زَیَّنَّا السَّماءَ الدُّنْیا بِمَصابِیحَ وَ حِفْظاً ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ » (۳).

«و لا وقف به عجز عمّا خلق» هکذا فی النسخ (۴)،و الظاهر وقوع تصحیف، فقولک وقف بی الأمر الفلانی عن الشیء الفلانی إنّما یقال اذا لم تفعله،فلا بدّ أنّ الأصل(و لا وقف به عجز فی ما خلق)أو(و لا وقف به عجز عمّا لم یخلق).

و یشهد له روایه(التوحید)للخطبه:و لا من عجز،و لا من فتره،بما خلق اکتفی،علم ما خلق و خلق ما علم (۵).

الرابع عشر : «و لا ولجت علیه شبهه فی ما قضی و قدّر،بل قضاء متقن،و علم محکم،و أمر مبرم» ،و فی(التوحید):لا بالتفکّر و لا بعلم حادث أصاب ما خلق، و لا شبهه دخلت علیه فی ما لم یخلق،لکن قضاء مبرم... (۶).

«قالُوا أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها وَ یَسْفِکُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ وَ نُقَدِّسُ لَکَ قالَ إِنِّی أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ» ... «فَلَمّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ إِنِّی أَعْلَمُ غَیْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما»

۱- ۱) صحاح اللغه للجوهری ۱:۵۱ [۱] ماده(ذرا).

۲- ۲) فاطر:۴۱. [۲]

۳- ۳) فصلت:۱۱-۱۲. [۳]

۴- ۴) کذا فی نهج البلاغه ۱:۱۱۳،و شرح ابن أبی الحدید ۱:۴۷۱،و شرح ابن میثم ۲:۱۶۸.

۵- ۵) التوحید للصدوق:۴۳ ح ۳.

۶- ۶) المصدر نفسه. [۴]

«كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» (۱).

الخامس عشر «المأمول مع النّقم و المرجوّ مع النّعم» هكذا فی(المصریه)، و الصواب:(و المرهوب مع النّعم)كما فی(ابن میثم،و غیره) (۲).

یدلّ علی كونه تعالی مأمولا مع النقم،و مرهوبا مع النّعم ما ورد أنّه تعالی قال لداود علیه السّلام:بشّر المذنبین،و انذر الصدّیقین.

قال داود:كیف أبشّر المذنبین،و أنذر الصدیقین؟قال:یا داود بشّر المذنبین أنّی أقبل التوبه و أعفو عن الذنب،و أنذر الصدّیقین ألاّ یعجبوا بأعمالهم،فإنّه لیس عبد أنصبه للحساب إلاّ هلك (۳).

هذا،و نقل ابن أبی الحدید (۴)هنا آیات و أبیاتا لا ربط لها بالمقام،كقوله تعالی «فَعَسی أَنْ تَكْرَهُوا شَیْئاً وَ یَجْعَلَ اللّهُ فِیهِ خَیْراً كَثِیراً» (۵)،و كقول الشاعر:

من عاش لاقی ما یسوء من الأنوار و ما یسرّ

۶

من الخطبه(۸۳)

و من خطبه له علیه السّلام:

وَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِیكَ لَهُ- الْأَوَّلُ لاَ شَیْءَ قَبْلَهُ وَ الْآخِرُ لاَ غَایَهَ لَهُ- لاَ تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَی صِفَهٍ- وَ لاَ تُعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَی كَیْفِیَّهٍ- وَ لاَ تَنَالُهُ التَّجْزِئَهُ وَ التَّبْعِیضُ- وَ لاَ تُحِیطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَ الْقُلُوبُ

۱- ۱) البقره:۳۳،۳۰. [۱]

۲- ۲) فی شرح ابن میثم ۲:۱۶۸« [۲]المرجو»أیضا،لكن فی شرح ابن أبی الحدید ۱:۴۷۱«المرهوب»،و لیس قبله واو.

۳- ۳) أخرجه الكلینی فی الكافی ۲:۳۱۴ ح ۸ [۳] فی ذیل حدیث عن الصادق علیه السّلام عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله.

۴- ۴) شرح ابن أبی الحدید ۱:۴۷۵. [۴]

۵- ۵) النساء:۱۹. [۵]

«و أشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له» روى(ثواب الأعمال)عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فى خبر يقول تعالى:فمن لقينى منكم يشهد ألّا إله إلّا أنا،و أنّ محمّدا عبدى و رسولى أدخلته الجنّه برحمتى (۱).

«الأوّل لا شىء قبله،و الآخر لا غايه له» ،و فى الخطبه(۹۹):«الأوّل قبل كلّ أوّل،و الآخر بعد كلّ آخر،بأوّليّته وجب أن لا أوّل له،و بآخريّته وجب أن لا آخر له» (۲)،و فى الخطبه(۹۴):«الحمد للّه الأوّل فلا شىء قبله،و الآخر فلا شىء بعده،و الظّاهر فلا شىء فوقه،و الباطن فلا شىء دونه» (۳).و مرّ فى العنوان(۱) من هذا الفصل .

«لا تقع الأوهام له على صفه» فى حديث الزنديق مع الصادق عليه السّلام:قال الزنديق:فإنّا لم نجد موهوما إلّا مخلوقا.قال أبو عبد اللّه عليه السّلام:لو كان ذلك كما تقول لكان التّوحيد عنّا مرتفعا،لأنّا لم نكلّف أن نعتقد غير موهوم،و لكنّا نقول:كلّ موهوم بالحواسّ مدرك،فما تجده الحواسّ و تمثّله فهو مخلوق، و لا بدّ من إثبات صانع الأشياء خارج من الجهتين المذمومتين:إحداهما:النفى، إذا كان النّفى هو الإبطال و العدم،و الجهه الثانيه:التشبيه،إذا كان التشبيه من صفه المخلوق الظاهر التركيب و التأليف،فلم يكن بدّ من إثبات الصانع لوجود المصنوعين و الاضطرار منهم إليه (۴).

«و لا تقعد» هكذا فى(المصريه)،و الصواب:(و لا تعقد)بتقديم العين،كما فى(ابن ميثم)و غيره (۵).

۱- ۱) أخرجه الصدوق فى ثواب الأعمال:۲۵ ح ۲.

۲- ۲) نهج البلاغه ۱:۱۹۴ [۱] الخطبه(۹۹).

۳- ۳) نهج البلاغه ۱:۱۸۶ [۲] الخطبه(۹۴).

۴- ۴) أخرجه الصدوق فى التوحيد:۲۴۵ ح ۱،و [۳]الكلينى فى الكافى ۱:۸۰ ح ۵، [۴]لكن ليس فى حديث الكافى [۵]هذه القطعه.

۵- ۵) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۲۰،لكن فى شرح ابن ميثم ۲:۲۷۴«تقعد»أيضا.

و من الغريب أنّ محشّی(المصريه)قرّر الغلط،و قال:إنّه مجاز عن استقرار حكمها (۱).

«القلوب منه علی كيفيّه» هو ردّ علی المشبّهه حيث قالوا:كلّ ما لم تعقد القلوب منه علی كيفيّه،و لم ترجع فيه إلی إثبات هيئه لم نعقل منه شيئا.

فردّ عليه السّلام عليهم:أنّه واحد بلا كيفيّه،و أنّ القلوب تعرفه بلا إحاطه.

و قال الصادق عليه السّلام:من نظر فی اللّه:كيف هو هلك (۲).

«و لا تناله التّجزئه و التّبعيض» و ما ورد من مثل «يَدُ اللّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» (۳)و «بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ» (۴)فكنايات و استعارات .

«و لا تحيط به الأبصار و القلوب» قال الصادق عليه السّلام:يا بن آدم!لو أكل قلبك طائر لم يشبعه،و بصرك لو وضع عليه خرق إبره لغطّاه،تريد أن تعرف بهما ملكوت السماوات و الأرض!إن كنت صادقا فهذه الشمس خلق من خلق اللّه، فإن قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول (۵).

هذا،و يناسب كلامه عليه السّلام-فی هذه الخطبه-قول الهادی عليه السّلام:إلهی تاهت أوهام المتوهّمين و قصر طرف الطارفين،و تلاشت أوصاف الواصفين، و اضمحلّت أقاويل المبطلين عن الدّرك لعجيب شأنك،أو الوقوع بالبلوغ إلی علوّك،فأنت فی المكان الّذی لا يتناهی،و لم تقع عليك عيون بإشاره و لا عباره، هيهات ثمّ هيهات،يا أوّلی يا وحدانی يا فردانی،شمخت فی العلوّ بعزّ الكبر،

۱- ۱) المحشی هو الشيخ محمد عبده،كذا قال فی ذيل نهج البلاغه ۱:۱۴۸. [۱]

۲- ۲) أخرجه الكلينی فی الكافی ۱:۹۳ ح ۵،و [۲]البرقی فی المحاسن:۲۳۷ ح ۲۰۸. [۳]

۳- ۳) الفتح:۱۰. [۴]

۴- ۴) المائده:۶۴. [۵]

۵- ۵) أخرجه الكلينی فی الكافی ۱:۹۳ ح ۸،و [۶]الصدوق فی التوحيد:۴۵۵ ح ۵.

و ارتفعت من وراء كلّ غوره و نهايه بجبروت الفخر (۱).

۷

من الخطبه(۸۸)

و من خطبه له عليه السّلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَهٍ وَ الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّهٍ- الَّذِی لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً إِذْ لاَ سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ- وَ لاَ حُجُبٌ ذَاتُ إِرْتَاجٍ وَ لاَ لَيْلٌ دَاجٍ وَ لاَ بَحْرٌ سَاجٍ- وَ لاَ جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ وَ لاَ فَجٌّ ذُو اعْوِجَاجٍ- وَ لاَ أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ وَ لاَ خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ- ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَ وَارِثُهُ وَ إِلَهُ الْخَلْقِ وَ رَازِقُهُ- وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ دَائِبَانِ فِی مَرْضَاتِهِ- يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَ يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ وَ أَحْصَی آثَارَهُمْ وَ أَعْمَالَهُمْ- وَ عَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ وَ خَائِنَهَ أَعْيُنِهِمْ- وَ مَا تُخْفِی صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ- وَ مُسْتَقَرَّهُمْ وَ مُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَ الظُّهُورِ- إِلَی أَنْ تَتَنَاهَی بِهِمُ الْغَايَاتُ هُوَ الَّذِی اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَی أَعْدَائِهِ فِی سَعَهِ رَحْمَتِهِ- وَ اتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِی شِدَّهِ نِقْمَتِهِ- قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ وَ مُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ وَ مُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ- وَ غَالِبُ مَنْ عَادَاهُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَ مَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ- وَ مَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ وَ مَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ «الحمد للّه» حمده علی أوصاف أوجبت حمده:

الأوّل: «المعروف من غير رؤيه» الابصار،بل من رؤيه القلوب،و أملی الرّضا عليه السّلام فی(التوحيد):احتجب بغير حجاب محجوب،و استتر بغير ستر مستور،عرف بغير رؤيه،و وصف بغير صوره،و نعت بغير جسم،لا إله إلاّ

۱- ۱) أخرجه الصدوق فی التوحيد:۶۶ ح ۱۹.

اللّه الكبير المتعال (۱).

الثانی : «و الخالق من غير رويّه» بخلاف باقی الصانعين.

و الثالث : «الّذی لم يزل قائما دائما» قبل أن يكون خلق .

«إذ لا سماء ذات أبراج» قال فی(اللّسان):إنّ الأبراج جمع البرج كالبروج (۲).

قال تعالی: «وَ السَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ» (۳)، «تَبارَكَ الَّذِی جَعَلَ فِی السَّماءِ بُرُوجاً وَ جَعَلَ فِيها سِراجاً وَ قَمَراً مُنِيراً» (۴)، «وَ لَقَدْ جَعَلْنا فِی السَّماءِ بُرُوجاً وَ زَيَّنّاها لِلنّاظِرِينَ وَ حَفِظْناها مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ رَجِيمٍ إِلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبِينٌ» (۵).

و البروج الاثنا عشر معروفه،و عن الفرّاء:اختلفوا فی البروج فقالوا:هی النجوم.و قالوا:هی البروج المعروفه اثنا عشر برجا.و قالوا:هی القصور فی السماء.و اللّه أعلم بما أراد (۶).

«و لا حجب» و فی خبر زيد بن وهب:سئل أمير المؤمنين عليه السّلام عن الحجب.

فقال:أوّل الحجب سبعه،غلظ كلّ حجاب مسيره خمسمائه عام،بين كل حجابين منها مسيره خمسمائه عام،و الحجاب الثالث سبعون حجابا،بين كلّ حجابين منها مسيره خمسمائه عام،و طوله خمسمائه عام،حجبه كلّ حجاب منها سبعون ألف ملك قوّه كلّ ملك منهم قوّه الثقلين،منها ظلمه، و منها نور،و منها نار،و منها دخان،و منها سحاب،و منها برق،و منها مطر،

۱- ۱) أخرجه الصدوق فی التوحيد:۹۸ ح ۵،و العلل ۱:۹ ح ۳. [۱]

۲- ۲) لسان العرب ۲:۲۱۲ [۲] ماده(برج).

۳- ۳) البروج:۱. [۳]

۴- ۴) الفرقان:۶۱. [۴]

۵- ۵) الحجر:۱۶-۱۸. [۵]

۶- ۶) نقله عن الفرّاء لسان العرب ۲:۲۱۲، [۶]ماده(برج).

و منها رعد،و منها ضوء،و منها رمل،و منها جبل،و منها عجاج،و منها ماء، و منها أنهار،و هی حجب مختلفه،غلظ کلّ حجاب مسیره سبعین ألف عام (۱).

«ذات إرتاج» بالکسر بمعنی:الاغلاق .

«و لا لیل داج» فی معنی قوله تعالی: «وَ اللَّیْلِ إِذا یَغْشی» (۲).قال الأصمعی:دجا اللیل إنّما هو ألبس کلّ شیء،و لیس هو من الظلمه،و منه قولهم:«دجا الإسلام»أی:قوی،و ألبس کلّ شیء (۳).

و ممّا ذکرنا یظهر لک ما فی قول الشّراح«لیل داج»أی:مظلم (۴).

«و لا بحر ساج» أی:ساکن،قال الأعشی:

فما ذنبنا أن جاش بحر ابن عمّکم و بحرک ساج لا یواری الدعامصا

(۵)و منه أیضا «وَ اللَّیْلِ إِذا سَجی» (۶)أی:بلغ النهایه فی الظلمه فسکن .

«و لا جبل ذو فجاج» فجاج:جمع فج،قال تعالی: «مِنْ کُلِّ فَجٍّ عَمِیقٍ» (۷).

و فی(اللّسان):قال أبو الهیثم:الفجّ الطریق الواسع فی الجبل،و کلّ طریق بعد فهو فجّ (۸).

۱- ۱) أخرجه الصدوق فی التوحید:۲۷۸ ح ۳،و الخصال ۲:۴۰۱ ح ۱۰۹ ضمن حدیث.

۲- ۲) اللیل:۱. [۱]

۳- ۳) هذا قول بعض أهل اللغه،قال به ابن الاثیر فی النهایه ۲:۱۰۳ [۲] ماده(دجی)،و نقله ابن منظور عن مجهول فی لسان العرب ۱۴:۲۴۹ [۳] ماده(دجی)،و لم أر من نسبه الی الاصمعی،بل حکی ابن منظور فی لسان العرب ۱۴:۲۵۰ [۴] عن الأصمعی أنّ(دجی اللیل)بمعنی:هذا و سکن،و ذکر شاهده علی قوله.

۴- ۴) کذا قال ابن أبی الحدید فی شرحه ۲:۱۳۷،و المجلسی فی شرح الخطبه فی بحار الأنوار ۵۷:۲۶،و الخوئی فی شرحه ۳: ۶۸،و النقل بالمعنی.

۵- ۵) أورده لسان العرب ۱۴:۳۷۱ [۵] ماده(سجا).

۶- ۶) الضحی:۲. [۶]

۷- ۷) الحج:۲۷. [۷]

۸- ۸) لسان العرب ۲:۳۳۹ [۸] ماده(فجج).

و قول بعضهم:الفجّ الطّريق الواسع بين جبلين (۱)يأباه قوله عليه السّلام هذا، فجعل عليه السّلام لجبل واحد فجاجا،بل الأصل فيه الطريق الواسع،و لو لم يكن فى جبل،قال تعالى: «وَ اللّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلاً فِجاجاً» (۲).و كون الجبل ذا فجّ لا يستلزم أن يكون كلّ فجّ فى الجبل،فهو نظير أن تقول:جبل ذو عيون،مع حصول العين فى غير الجبل .

«و لا فجّ ذو اعوجاج» هو أيضا لا يستلزم أن يكون الفجّ معوجّا،و إنّما هو وصف غالبى كسابقه،فإنّ الأغلب فى الجبال أن تكون ذات فجاج،كما أنّ الأغلب فى الفجاج أن تكون ذات اعوجاج .

«و لا أرض ذات مهاد» «أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً» (۳)، «وَ الْأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الْماهِدُونَ» (۴)، «الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَ جَعَلَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً» (۵)، «الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَ سَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً» (۶).

هذا،و نقل(الهيئه و الإسلام) (۷)عن بعضهم الاستدلال بالآيه الأخيره على حركه الأرض لكون المهد يتحرّك بلا اضطراب.

قلت:و مثلها الآيه الثالثه .

«و لا خلق ذو اعتماد» قال ابن أبى الحديد:أى و لا مخلوق يسعى برجلين فيعتمد عليهما،أو يطير بجناحيه فيعتمد عليهما،و نحو ذلك،و الاعتماد هنا

۱- ۱) هو مختار ابن منظور فى لسان العرب ۲:۳۳۸ [۱] ماده(فجج)،و غيره.

۲- ۲) نوح:۱۹-۲۰. [۲]

۳- ۳) النبأ:۶. [۳]

۴- ۴) الذاريات:۴۸. [۴]

۵- ۵) الزخرف:۱۰. [۵]

۶- ۶) طه:۵۳. [۶]

۷- ۷) الهيئه و الاسلام ۱:۶۸.

البطش و التّصرف (۱).

قلت:بل الظاهر أنّ المراد أنّه لم يكن مخلوقا من مخلوقاته الحيّه التى لها قصد فى مآربهم و حوائجهم.يقال:اعتمد فلان فلانا فى حاجته إذا قصده، و منه قتل العمد،أى:قتل عن قصد،و قال خفاف بن ندبه:

و إن تك خيلى قد أصيب صميمها فعمدا على عين تيمّمت مالكا

(۲) «و الشمس و القمر دائبان» (۳)أى:جادّان،من دأب فلان،أى:جدّ و تعب.

و الأصل فى كلامه عليه السّلام قوله تعالى: «وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَيْنِ» (۴).

«فى مرضاته» حيث إنّهما مسخّران له فلا يقدران خلافه،قال تعالى:

«وَ الشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ» (۵).

و قال الصادق عليه السّلام للزّنديق المصرىّ:يلجان فلا يشتبهان،و يرجعان قد اضطرّا،ليس لهما مكان إلّا مكانهما،فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلم يرجعان؟و إن كانا غير مضطرّين فلم لا يصير اللّيل نهارا و النهار ليلا؟ اضطرّا-و اللّه يا أخا أهل مصر- الى دوامهما،و الّذى اضطرارهما أحكم منهما و أكبر.فقال الزّنديق:صدقت (۶).

«يبليان» أى يجعلان باليا.

۱- ۱) شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۳۷. [۱]

۲- ۲) أورده لسان العرب ۳:۳۰۲ [۲] ماده(عمد).

۳- ۳) لم يتعرّض الشارح لشرح فقرتين،هما:«ذلك مبتدع الخلق و وارثه»،«و إله الخلق و رازقه».

۴- ۴) ابراهيم:۳۳. [۳]

۵- ۵) يس:۳۸-۳۹. [۴]

۶- ۶) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۷۳ ح ۱،و [۵]الصدوق فى التوحيد:۲۹۵ ح ۴،و رواه الطبرسى فى الاحتجاج ۲:۳۳۴. [۶]

«كلّ جديد» قال أبو النّجم:

طيّر عنها قنزعا من قنزع مرّ اللّيالى أبطئى و أسرعى

أفناه قيل اللّه للشمس اطلعى حتّى إذا داراك أفق فارجعى

(۱) «و يقرّبان كلّ بعيد» قال الصّلتان العبدىّ:

أشاب الصغير و أفنى الكبير .....

إذا هرمت ليله يومها أتى بعد ذلك يوم فتى

(۲) «قسم أرزاقهم،و أحصى آثارهم،و أعمالهم» قالوا:مأخوذ من قوله تعالى:

«نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا» (۳)،و قوله تعالى:

«وَ نَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَ آثارَهُمْ» (۴).

قلت:و من قوله عزّ و جلّ: «فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً» (۵)، «وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ» (۶)، «ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» (۷)و «وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ » (۸).

«و عدد أنفاسهم» فى الخبر:أنّ المراد من قوله تعالى: «إِنَّما نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا» (۹)عدّ اللّه تعالى لعدد أنفاس عبيده لا لستيّهم،فإنّ ستيّهم يعدّها

۱- ۱) نقله السيوطى فى شواهد المغنى ۲:۵۴۵.

۲- ۲) نقله التفتازانى فى المطول:۶۱، [۱]أحوال الاسناد الخبرى بلفظ: أشاب الصغير و أفنى الكبير ذكر الغداه و مرّ العشى

۳- ۳) الزخرف:۳۲. [۲]

۴- ۴) يس:۱۲. [۳]

۵- ۵) الذاريات:۴. [۴]

۶- ۶) القمر:۵۳. [۵]

۷- ۷) ق:۱۸.

۸- ۸) الانفطار:۱۰-۱۲. [۶]

۹- ۹) مريم:۸۴. [۷]

أبواهم أيضا (۱).

«و خائنه أعينهم،و ما تخفى صدورهم من الضمير» قال اللّه تعالى: «يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِي الصُّدُورُ » (۲).

«و مستقرّهم و مستودعهم من الأرحام و الظهور إلى أن تتناهى بهم الغايات» «وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ» (۳)، «وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلاّ عَلَى اللّهِ رِزْقُها وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَ مُسْتَوْدَعَها كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ» (۴).

و عن الحسن:الإنسان مستقرّ فى القبر و مستودع فى الدّنيا (۵).

و قال سليمان العدوىّ:

فجع الأحبّه بالأحبّه قبلنا فالنّاس مفجوع به و مفجّع

مستودع أو مستقرّ مدخلا فالمستقرّ يزوره المستودع

(۶)و الظاهر أنّ كلامه عليه السّلام ناظر إلى قوله تعالى: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ»

۱- ۱) أخرج هذا المعنى عبد بن حميد فى مسنده عنه الدر المنثور ۴:۲۸۴ [۱] عن الباقر عليه السّلام،و أخرجه على بن ابراهيم فى تفسيره ۲:۵۳،و الكلينى فى الكافى ۳:۲۵۹ ح ۳۳ [۲] عن الصادق عليه السّلام،و أخرجه ابن المنذر،و ابن أبى حاتم،و عنهما الدرّ المنثور ۴: ۲۸۴ [۳] عن ابن عباس،و جاء أيضا عنه فى تنوير المقباس ۳:۲۱۸.

۲- ۲) غافر:۱۹. [۴]

۳- ۳) الأنعام:۹۸. [۵]

۴- ۴) هود:۶. [۶]

۵- ۵) أخرجه ابو الشيخ عنه الدرّ المنثور ۳:۳۶ [۷] عن الحسن و قتاده،و جاء فى المصدر أقوال أخرى فى الآيه.

۶- ۶) أورده مجمع البيان ۴:۳۴۰.

«الْقِيامَهِ تُبْعَثُونَ » (۱).

«هو الّذی اشتدّت نقمته علی أعدائه فی سعه رحمته،و اتّسعت رحمته لأولیائه فی شدّه نقمته» بخلاف الملوک،فلا تجتمع فیهم شدّه النقمه و سعه الرحمه فی وقت واحد،و فی(دعاء الافتتاح):أیقنت أنّک أرحم الراحمین فی موضع العفو و الرّحمه،و أشدّ المعاقبین فی موضع النکال و النّقمه (۲).

«قاهر من عازّه» أی:غالبه،بمعنی:أراد الغلبه علیه، «وَ قالَ فِرْعَوْنُ یا أَیُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرِی فَأَوْقِدْ لِی یا هامانُ عَلَی الطِّینِ فَاجْعَلْ لِی صَرْحاً لَعَلِّی أَطَّلِعُ إِلی إِلهِ مُوسی وَ إِنِّی لَأَظُنُّهُ مِنَ الْکاذِبِینَ وَ اسْتَکْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَیْنا لا یُرْجَعُونَ فَأَخَذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِی الْیَمِّ فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الظّالِمِینَ » (۳).

«و مذلّ من ناواه» أی:عاداه،قال الجوهری:و أصله الهمزه،لأنّه من النوء، و هو النهوض (۴).

قال تعالی: «وَ جادَلُوا بِالْباطِلِ لِیُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَکَیْفَ کانَ عِقابِ» (۵)، «فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَیْهِ حاصِباً وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّیْحَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا » (۶).

«و غالب من عاداه» قال تعالی: «وَ اللّهُ غالِبٌ عَلی أَمْرِهِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النّاسِ»

۱- ۱) المؤمنون:۱۲-۱۶. [۱]

۲- ۲) نقله ضمن الدعاء الطوسی فی مصباح المتهجد:۵۲۰،و الکفعمی فی البلد الأمین:۱۹۳. [۲]

۳- ۳) القصص:۳۸-۴۰، [۳]لم یتعرض الشارح لشرح فقره:«و مدمّر من شاقّه».

۴- ۴) صحاح اللغه للجوهری ۶:۲۵۱۷ [۴] ماده(نوی).

۵- ۵) غافر:۵. [۵]

۶- ۶) العنکبوت:۴۰. [۶]

«الْأَرْضِ وَ» (۱)،و قال الشاعر فی قیام قریش،و کانوا یکنّون عنهم بسخینه علی رسوله صلّی اللّه علیه و آله:

زعمت سخینه أن ستغلب ربّها و لیغلبنّ مغالب الغلّاب

(۲) «و من توکّل علیه کفاه» «وَ مَنْ یَتَوَکَّلْ عَلَی اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» (۳)،و قد کفی تعالی من المتوکلین علیه خلیله ابراهیم علیه السّلام،قال تعالی: «قالُوا حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ فاعِلِینَ قُلْنا یا نارُ کُونِی بَرْداً وَ سَلاماً عَلی إِبْراهِیمَ وَ أَرادُوا بِهِ کَیْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَخْسَرِینَ» (۴).

و کفی حبیبه محمّدا صلّی اللّه علیه و آله،قال تعالی له: «فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِکِینَ إِنّا کَفَیْناکَ الْمُسْتَهْزِئِینَ» (۵)فأهلک تعالی جمیع المستهزئین به:الولید بن المغیره،و العاص بن وائل،و عدی بن قیس، و الأسود بن المطلب،و الأسود بن عبد یغوث،و غیرهم،کلّ واحد ببلیّه .

«و من سأله أعطاه» قال زکریا: «فَهَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًّا یَرِثُنِی وَ یَرِثُ مِنْ آلِ یَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِیًّا یا زَکَرِیّا إِنّا نُبَشِّرُکَ بِغُلامٍ اسْمُهُ یَحْیی لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِیًّا قالَ رَبِّ أَنّی یَکُونُ لِی غُلامٌ وَ کانَتِ امْرَأَتِی عاقِراً وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْکِبَرِ عِتِیًّا قالَ کَذلِکَ قالَ رَبُّکَ هُوَ عَلَیَّ هَیِّنٌ وَ قَدْ خَلَقْتُکَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَکُ شَیْئاً » (۶).

«و من أقرضه قضاه» و أعطاه ما أقرض «مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً»

۱- ۱) یوسف:۲۱. [۱]

۲- ۲) أورده أساس البلاغه:۲۰۵ [۲] ماده(سخن).

۳- ۳) الطلاق:۳. [۳]

۴- ۴) الأنبیاء:۶۸-۷۰. [۴]

۵- ۵) الحجر:۹۴-۹۵. [۵]

۶- ۶) مریم:۵-۹. [۶]

«حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً» (۱)، «مَنْ ذَا الَّذِی يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ » (۲).

«و من شكره جزاه» «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» (۳).

۸

من الخطبه(۸۹)

و من خطبه له عليه السّلام تعرف بخطبه الأشباح،و هی من جلائل خطبه، و كان سأله سائل أن يصف اللّه حتّی كأنّه يراه عيانا،فغضب عليه السّلام لذلك:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی لَا يَفِرُّهُ الْمَنْعُ وَ الْجُمُودُ- وَ لَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَ الْجُودُ- إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ وَ كُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ- وَ هُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ وَ عَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَ الْقِسَمِ- عِيَالُهُ الْخَلْقُ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَ قَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ- وَ نَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ وَ الطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ- وَ لَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ- الْأَوَّلُ الَّذِی لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَیْءٌ قَبْلَهُ- وَ الْآخِرُ الَّذِی لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَیْءٌ بَعْدَهُ- وَ الرَّادِعُ أَنَاسِیَّ الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ- مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحَالُ- وَ لَا كَانَ فِی مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الِانْتِقَالُ قول المصنف : «تعرف بخطبه الأشباح» قال ابن أبی الحديد:الأشباح:

الأشخاص،و المراد بهم ها هنا الملائكه لأنّ الخطبه تتضمّن ذكر الملائكه (۴)،

۱- ۱) البقره:۲۴۵. [۱]

۲- ۲) الحديد:۱۱. [۲]

۳- ۳) ابراهيم:۷. [۳]

۴- ۴) شرح ابن أبی الحديد ۲:۱۳۹. [۴]

و تبعه الخوئی (۱)،إلاّ أنّ الظاهر أنّ الخطبه کانت متضمّنه لذکر لفظ الأشباح، کما أنّ الخطبه الشقشقیّه (۲)متضمّنه لذکر الشقشقه،و روی(الروضه)خطبه معروفه بالطالوتیه (۳)تضمّنت قصه طالوت،و روی خطبه معروفه بالوسیله (۴)لکونها متضمّنه لذکر الوسیله،و فی هذه و إن لم نقف علی لفظ أشباح،إلاّ أنّ المصنف لم ینقل جمیعها،بل انتخب منها،فقال تاره فیها:منها:

فی صفه خلق السماء،و أخری قال:منها:ثمّ خلق سبحانه،و ثالثه:منها:فی صفه الأرض.

و لو کانت العلّه ما ذکر کان کثیر من خطب النهج متضمّنا لذکر الملائکه،و منها فی الأولی،فلم خصّت هذه بالتّسمیه،مع أنّه أیّ مناسبه للتعبیر عن الملائکه بالأشباح؟و إنّما استعمل الأشباح فی کلامه علیه السّلام فی مقابل الأجناس،ففی خطبه له علیه السّلام رواها(توحید الصدوق):«لیس بجنس فتعادله الأجناس،و لا بشبح فتضارعه الأشباح» (۵)،و الظاهر أنّ المراد به الجسمیّه، ففی أخری رواها:«لیس بشبح فیری» (۶).

و الظاهر أنّه کان فیها هذه الفقره:«و کیف یوصف بالأشباح و ینعت بالألسن الفصاح»-رواها أواخر توحید توحیده (۷)-فسقطت منها،یعنی لم ینقلها.

۱- ۱) شرح الخوئی ۳:۷۴.

۲- ۲) نهج البلاغه ۱:۳۰ الخطبه(۳).

۳- ۳) الکافی ۸:۳۱ ح ۵.

۴- ۴) الکافی ۸:۱۸ ح ۴.

۵- ۵) التوحید للصدوق:۷۰ ح ۲۶.

۶- ۶) التوحید للصدوق:۷۸ ح ۳۴. [۱]

۷- ۷) أخرج الصدوق الخطبه بروایتین فی التوحید:۴۸ ح ۱۳ و: [۲]۷۷ ح ۳۴،و توجد هذه الفقره فی الروایه الثانیه فقط،و الأولی أوفق بلفظ نهج البلاغه.

«و هی من جلائل» جمع الجلیله.

«خطبه» و فی(ابن أبی الحدید) (۱)«الخطب ».

«و کان سأله سائل» هکذا فی(المصریه)،و لکن فی(ابن میثم و الخطیه) (۲)«و کان سائل سأله».

«أن یصف اللّه» هکذا فی(المصریه)و زاد ابن میثم: (۳)«تعالی» و(الخطیه):

«له».

«حتّی کأنّه یراه عیانا فغضب علیه السّلام لذلک» و زاد ابن میثم (۴):«و قال الخطبه».

ثم الکلام من قوله:«و کان-إلی-لذلک»فی(المصریه)و(ابن میثم و الخطبه)علی اختلاف کما عرفت،و لیس فی(ابن أبی الحدید)رأسا،و نقل ابن أبی الحدید بدل ذاک الکلام:«روی مسعده بن صدقه عن الصادق جعفر بن محمّد علیه السّلام أنّه قال:خطب أمیر المؤمنین علیه السّلام بهذه الخطبه علی منبر الکوفه، و ذلک أنّ رجلا أتاه فقال:یا أمیر المؤمنین!صف لنا ربّنا مثل ما نراه عیانا لنزداد له حبّا و به معرفه،فغضب و نادی الصلاه جامعه.فاجتمع إلیه الناس حتی غصّ المسجد بأهله،فصعد المنبر و هو مغضب متغیّر اللون،فحمد اللّه و أثنی علیه،و صلّی علی النبی صلّی اللّه علیه و آله ثمّ قال:...» و مثله نقل ابن میثم زائدا علی ذلک الکلام بدون فقره«مثل ما نراه عیانا» و تبدیل«ثم قال»فی الآخر بقوله:«ثمّ خطبها» (۵)و لیس فی(الخطیه)رأسا (۶).

۱- ۱) فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۳۸،و شرح ابن میثم ۲:۳۲۲«خطبه»أیضا.

۲- ۲) شرح ابن میثم ۲:۳۲۲.

۳- ۳) المصدر نفسه.

۴- ۴) المصدر نفسه.

۵- ۵) و حذف الباء من أول هذه و حذف(الیه)بعد(فاجتمع).

۶- ۶) جمع ابن میثم بین عنوان نهج البلاغه ۱:۱۶۰ و [۱]شرح ابن أبی الحدید بفرق یسیر،و العنوان المذکور فی روایه التوحید: ۴۸ ح ۱۳ نحو ابن أبی الحدید،و قد مرت الاشاره الی الاختلاف فی مقدمه المؤلف.

و جمع الرّضی رضوان اللّه علیه بینهما مشکل حیث إنّه کالتکرار،و لیس ذلک دأبه،و کأنّ نسخ النّهج کانت مختلفه،فنسخه ابن أبی الحدید منه کانت متضمّنه لنقل الروایه،و النسخه الخطیه لنقل الکلام بدلها،و ابن میثم جمع بینهما.

و کیف کان،فلا ریب أنّه روایه مسعده عن الصادق علیه السّلام،فروی(توحید الصدوق)عن الأسدی عن البرمکی عن علی بن العباس عن إسماعیل بن مهران عن إسماعیل بن إسحاق الجهنی عن فرج بن فروه عن مسعده عن الصادق علیه السّلام:بینا أمیر المؤمنین علیه السّلام یخطب علی المنبر بالکوفه إذ قام إلیه رجل،فقال:یا أمیر المؤمنین!صف لنا ربّک لنزداد له حبّا و به معرفه،فغضب أمیر المؤمنین علیه السّلام و نادی الصّلاه جامعه.فاجتمع الناس حتّی غصّ المسجد بأهله ثمّ قام متغیّر اللون،فقال:الحمد للّه الذی لا یفره المنع،و لا یکدیه الإعطاء... (۱)لکن لیس فیه جمیع ما فی النهج،و فیه اختلافات.

و کیف کان فإنّما غضب علیه السّلام لأنّه أحسّ من الرّجل أنّه طلب منه علیه السّلام و صفه تعالی بالکنه،و تعریفه بالتّشبیه،ففی الخطبه علی روایه(التّوحید):

«الذی عجزت الملائکه علی قربهم من کرسی کرامته،و طول ولههم إلیه، و تعظیم جلال عزّه،و قربهم من غیب ملکوته أن یعلموا من أمره إلّا ما أعلمهم» (۲).

و فیها أیضا:«أیّها السائل!اعلم أنّ من شبّه ربّنا الجلیل بتباین أعضاء

۱- ۱) التوحید للصدوق:۴۸ ح ۱۳. [۱]

۲- ۲) التوحید للصدوق:۵۰ ح ۱۳.

خلقه...» (۱)فسؤال الرجل و غضبه علیه السّلام نظیر سؤال بنی إسرائیل موسی بن عمران علیه السّلام أن یریهم اللّه عیانا،فغضب تعالی علیهم کما أخبر عزّ و جلّ عنهم بقوله: «وَ إِذْ قُلْتُمْ یا مُوسی لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتّی نَرَی اللّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْکُمُ الصّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ » (۲).

«الحمد للّه الّذی لا یفره» هنا متعدّ و یأتی لازما أیضا،یقال:و فرت الشیء و وفر الشیء.

«المنع» کالنّاس.

«و الجمود» هکذا فی(المصریه)،و لیست الکلمه فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه) (۳)،فهی زائده .

«و لا یکدیه» بالضمّ،قال تعالی: «وَ أَعْطی قَلِیلًا وَ أَکْدی» (۴)،أی:قطع القلیل.

«الإعطاء و الجود» کالمخلوقین .

«إذ کلّ معط منتقص سواه» علّه لقوله: «و لا یکدیه الإعطاء و الجود » .

«و کلّ مانع مذموم» صفه مانع.

«ما خلاه» یعنی:سواه،و الجمله علّه لقوله: «لا یفره المنع» یعنی لیس منعه بخلا فیستحق الذم،بل حکمه فیستحق الحمد أیضا،لأنّه منع ظاهرا و أعطی فی الحقیقه،و المعنی: «وَ لَوْ بَسَطَ اللّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِی الْأَرْضِ وَ لکِنْ یُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما یَشاءُ إِنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِیرٌ بَصِیرٌ» (۵)، «وَ أَصْبَحَ الَّذِینَ تَمَنَّوْا»

۱- ۱) التوحید للصدوق:۵۴ ح ۱۳.

۲- ۲) البقره:۵۵. [۱]

۳- ۳) توجد الکلمه فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۳۸،و [۲]شرح ابن میثم ۲:۳۲۳ أیضا. [۳]

۴- ۴) النجم:۳۴. [۴]

۵- ۵) الشوری:۲۷. [۵]

«مَكانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا» (۱).

و وجه كونه علّه:أنّ المنع لوفر المال مذموم لكونه بخلا .

«و هو» هكذا فى(المصريه)،و الصواب:(هو)كما فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (۲).

«المنّان بفوائد النعم،و عوائد المزيد و القسم» «وَ لكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» (۳)، «قالَ أَنَا يُوسُفُ وَ هذا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ » (۴).

«عياله الخلق» هكذا فى(المصريه)،و الصواب(الخلائق)كما فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (۵)،فالنهج كان(الخلائق)و لكن نقله (التوحيد):«و بجوده ضمن عياله الخلق» (۶).

و فى(دعاء أبى حمزه):«و الخلق كلّهم عيالك و فى قبضتك» (۷).

و فى قوله تعالى: «وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلاّ عَلَى اللّهِ رِزْقُها وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَ مُسْتَوْدَعَها كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ» (۸)، «وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً» (۹).

۱- ۱) القصص:۸۲. [۱]

۲- ۲) توجد(الواو)فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۳۸،و شرح ابن ميثم ۲:۳۲۳ أيضا. [۲]

۳- ۳) ابراهيم:۱۱. [۳]

۴- ۴) يوسف:۹۰. [۴]

۵- ۵) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۳۸،لكن فى شرح ابن ميثم ۲:۳۲۲«الخلق»أيضا.

۶- ۶) التوحيد للصدوق:۴۹ ح ۱۳.

۷- ۷) رواه ضمن الدعاء الطوسى فى مصباح المتهجد:۵۳۵.

۸- ۸) هود:۶. [۵]

۹- ۹) الاسراء:۳۱. [۶]

«ضمن أرزاقهم» «و قدّر أقواتهم» أى:ارزاق جميع خلقه من الانسان و أقسام الحيوان،و أصناف الطير،و صنوف الوحش و الهوام و الحيتان،و لكن غلّب الإنسان فى الضّمير.و هو أيضا من باب التغليب،فقدّر لكلّ جنس قوته بحسب ما يناسبه حتّى الجنين و الرّضيع،و الأصل فى كلامه عليه السّلام قوله تعالى:

«وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيّامٍ سَواءً لِلسّائِلِينَ » (۱).

«و نهج» أى:أوضح.

«سبيل الرّاغبين إليه» لعبادته .

«و الطّالبين ما لديه» من الأجر و الثواب بنهج السبيل،بخلق العقول لهم، و بعث الرّسل إليهم،و إنزال الكتب عليهم .

«و ليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل» و فى الدّعاء:يا من يعطى من سأله و من لم يسأله تحنّنا منه و رحمه،و يبتدىء بالخير من لم يسأله تفضلا منه و كرما (۲).

و فى الخبر:«كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو،فإنّ موسى بن عمران عليه السّلام خرج يقتبس لأهله نارا فكلّمه اللّه عزّ و جلّ و رجع نبيّا مرسلا، و خرجت ملكه سبأ فأسلمت مع سليمان عليه السّلام،و خرجت سحره فرعون يطلبون العزّ لفرعون فرجعوا مؤمنين » (۳).

«الأوّل الّذى لم يكن له قبل فيكون شىء قبله،و الآخر الذى ليس له بعد فيكون

۱- ۱) فصلت:۱۰. [۱]

۲- ۲) هذه قطعه من دعاء السحر،رواه الطوسى فى مصباح المتهجد:۵۴۰. [۲]

۳- ۳) أخرجه الكلينى فى الكافى ۵:۸۳ ح ۳،و [۳]الصدوق فى الفقيه ۴:۲۸۴ ح ۳ مسندا،و فى الفقيه ۳:۱۰۱ ح ۴۴ مجرّدا،و هو فى الأمالى:۱۵۰ ح ۷ المجلس(۳۳)،و [۴]ابن شعبه فى تحف العقول:۲۰۸ عن على عليه السّلام،و أخرج صدر الحديث الكلينى فى الكافى ۵:۸۳ ح ۲ [۵] عن الصادق عليه السّلام.

شیء بعده» قد مرّ نظیره (۱).

و «الرادع» أی:المانع.

«أناسی» جمع إنسان العین،و فی(الصحاح):إنسان العین:المثال الذی یری فی السواد،أی:سواد العین،و جمیع أیضا علی أناسی.قال ذو الرمه یصف إبلاغارت عیونها من التعب و السیر:

أناسی ملحود لها فی الحواجب

(۲).

«الأبصار عن أن تناله» أی:تصله.

«أو تدرکه» کما تدرک الأجسام،قال الصادق علیه السّلام:«إنّ الأبصار لا تدرک إلّا ما له لون و کیفیه،و اللّه خالق الألوان و الکیفیّه» (۳)«وَ لَمّا جاءَ مُوسی لِمِیقاتِنا وَ کَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَیْکَ قالَ لَنْ تَرانِی وَ لکِنِ انْظُرْ إِلَی الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَکانَهُ فَسَوْفَ تَرانِی فَلَمّا تَجَلّی رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَکًّا وَ خَرَّ مُوسی صَعِقاً فَلَمّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَکَ تُبْتُ إِلَیْکَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِینَ» (۴).

هذا و فی(تاریخ الطبری)فی الفداء بین المسلمین و صاحب الروم عن الواثق-الخلیفه-:أنّه وجّه من یمتحن الاسراء منهم:فمن قال منهم إن القرآن مخلوق و إن اللّه عزّ و جلّ لا یری فی الآخره فودی به،و من لم یقل ذلک ترک فی أیدی الروم (۵).

و فیه أیضا:قتل الواثق بیده بسیف عمرو بن معد یکرب أحمد بن نصر بن مالک بن الهیثم الخزاعی-و کان جدّه مالک أحد نقباء بنی العباس-و حظر

۱- ۱) مر فی العنوان(۵ و ۶)من هذا الفصل.

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهری ۲:۹۰۱ [۱] ماده(أنس).

۳- ۳) أخرجه الصدوق فی الأمالی:۳۳۴ ح ۳ المجلس(۶۴)،و [۲]رواه الفتال فی روضه الواعظین ۱:۳۴. [۳]

۴- ۴) الاعراف:۱۴۳. [۴]

۵- ۵) تاریخ الطبری ۷:۳۳۲ [۵] سنه(۲۳۱).

على رأسه فى بغداد حظيره،و ضرب عليه فسطاط،و أقيم عليه الحرس، و عرف ذلك الموضع برأس أحمد بن نصر،و كتب فى أذنه رقعه:هذا رأس الكافر المشرك الضالّ الّذى أقرّ بالتّشبيه،و تكلّم بالكفر،فاستحلّ دمه.و كان الواثق قال له:ما تقول فى ربّك؟فقال:جاءت الآثار عن النبى صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال:

ترون ربّكم يوم القيامه كما ترون القمر،لا تضامون فى رؤيته.فنحن على الخبر.و قال حدّثنى سفيان بن عيينه بحديث يرفعه:انّ قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع اللّه يقلّبه،و أنّ النبى صلّى اللّه عليه و آله كان يدعو:يا مقلّب القلوب ثبّت قلبى... (۱)و خبره الأول موضوع و أخيراه عمّا رامه بمراحل .

«ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال» يمكن أن يريد عليه السّلام بعدم اختلاف الحال منه تعالى لعدم اختلاف الدهر عليه،بالنسبه إلى الفقرات المذكوره قبله من إعطائه تعالى و منعه،و ضمانه للأرزاق،و تقديره للأقوات،و نهجه السبيل، و استواء المساول فيه عنده مع غيره،و غيرها،فإنّ أسخياء الناس إنّما يجودون إذا جاد عليهم الزمان،و يبخلون إذا بخل عليهم،و يعطون أوّلا ثمّ يمنعون،و يضمنون شيئا ثمّ يتبرّؤون،كلّ ذلك بحسب تأثير الدهر و الزّمان فيهم،و هو تعالى منزّه عن ذلك.

و يمكن أن يريد عليه السّلام به الأعمّ،مثلا الإنسان فى نشئه،و باختلاف دهره يختلف حاله،فهو-كما فى فقه اللغه-ما دام فى الرحم فهو جنين،فإذا ولد فهو وليد،و ما دام لم يستتم سبعه أيّام فهو صديغ،لأنّه لا يشتدّ صدغه إلى تمام السبعه،ثم ما دام يرضع فهو رضيع،ثمّ إذا قطع عنه اللبن فهو فطيم،ثمّ إذا غلظ و ذهبت عنه تراره الرضاع فهو جحوش عن الأصمعى و أنشد للهذلىّ:

قتلنا مخلدا و ابنى حراق و آخر جحوشا فوق الفطيم

۱- ۱) تاريخ الطبرى ۷:۳۲۸ [۱] سنه(۲۳۱)،و النقل بتصرف.

قال الأزهری:کأنّه مأخوذ من الجحش الّذی هو ولد الحمار،ثمّ هو إذا دبّ و نما دارج،فإذا بلغ طوله خمسه أشبار فهو خماسیّ،فإذا سقطت رواضعه فهو مثغور،عن أبی زید،فإذا نبتت أسنانه بعد السقوط فهو مثغّر بالثّاء و متغّر بالتّاء،عن أبی عمرو،فإذا کاد یجاوز عشر سنین أو جاوزها فهو مترعرع و ناشئ،فإذا کاد یبلغ الحلم أو بلغه فهو یافع و مراهق،فإذا أدرک و اجتمعت قوّته فهو حزوّر،و اسمه فی جمیع هذه الأحوال غلام،فإذا اخضرّ شاربه و أخذ عذاره یسیل قیل:بقل وجهه،فإذا صار ذا فتاء فهو فتی و شارخ، فإذا اجتمعت لحیته و بلغ غایه شبابه،فهو مجتمع،ثمّ ما دام بین الثلاثین و الأربعین فهو شابّ،ثم هو کهل الی أن یستوفی ستّین (۱).و هکذا نقل له أسام بحسب ازدیاد سنّه،و اللّه تعالی منزّه عن جمیع ذلک .

«و لا کان فی مکان فیجوز علیه الانتقال» قیل للرضا علیه السّلام:ما تقول فی الحدیث الذی یرویه الناس أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال:ینزل اللّه تعالی کلّ لیله إلی السماء الدنیا؟ (۲)فقال:لعن اللّه المحرّفین للکلم عن مواضعه،و اللّه ما قال النبی صلّی اللّه علیه و آله ذلک،إنّما قال:إنّ اللّه ینزّل ملکا الی السماء الدّنیا کلّ لیله فی الثلث الأخیر،و لیله الجمعه فی أوّل اللیل (۳).

۱- ۱) فقه اللغه الثعالبی:۸۱ الباب(۱۴)الفصل(۲۰). [۱]

۲- ۲) حدیث نزول الربّ أخرجه أحمد فی مسنده ۱:۱۲۰ [۲] عن علی علیه السّلام عن النبی صلّی اللّه علیه و آله،و أخرجه جعفر الحضرمی فی أصله :۶۹ عن الباقر علیه السّلام،و یحضر عندی له(۵۱)طریقا عن أبی هریره و أبی سعید الخدری و رفاعه الجهنی و جبیر بن مطعم و ابن مسعود و أبی الدرداء و عباده بن الصامت عن النبی صلّی اللّه علیه و آله،و أخرج زید النرسی فی أصله:۵۴ عن الصادق علیه السّلام:«ان اللّه ینزل فی یوم عرفه...»،و أخرج الصدوق فی التوحید [۳]فی بعض نسخه:۲۴۸- الهامش،البحار ۳: ۳۳۱ [۴] عن الصادق علیه السّلام تأیید حدیث نزول الربّ و تصحیحه،و أخرج علی بن ابراهیم فی تفسیره ۲:۲۰۴ [۵] عن الصادق علیه السّلام:«ینزل أمره کل لیله»،و فی نقل البحار ۳:۳۱۵ [۶] عنه:«ینزل کلّ لیله».

۳- ۳) حدیث الرضا علیه السّلام أخرجه الصدوق فی العیون ۱:۱۰۴ ح ۲۱،و [۷]التوحید:۱۷۶ ح ۷ و أمالیه:۳۳۵ ح ۵ المجلس(۶۴)، و [۸]رواه الطبرسی فی الاحتجاج ۲:۴۱۰،و [۹]أخرج نحوه الکلینی فی الکافی ۱:۱۲۵ ح ۱،و [۱۰]الصدوق فی التوحید:۱۸۳ ح ۱۸ [۱۱] عن الکاظم علیه السّلام،و الکلینی فی الکافی ۱:۱۲۶ ح ۴ [۱۲] عن الهادی علیه السّلام،و روی قریبا منه ابن طاوس فی جمال الاسبوع: ۱۸۲ [۱۳] بلا عزو.

۹

من الخطبه(۸۹)

بعد ما مرّ فی سابقه:

وَ لَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ- وَ ضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَ الْعِقْيَانِ- وَ نُثَارَهِ الدُّرِّ وَ حَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِی جُودِهِ- وَ لاَ أَنْفَدَ سَعَهَ مَا عِنْدَهُ- وَ لَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَنْعَامِ مَا لاَ تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الْأَنَامِ- لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِی لاَ يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ- وَ لاَ يُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ «و لو وهب» قال ابن أبی الحديد:هذا الكلام من تتمّه الكلام الأول،و هو قوله عليه السّلام:«لا يفره المنع و الجمود و لا يكديه الإعطاء» (۱).

قلت:بل خصوص قوله«و لا يكديه الإعطاء»،و لا ربط له بقوله«لا يفره المنع».

«ما تنفّست عنه معادن الجبال» هو استعاره كقوله تعالی: «وَ الصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ» (۲)،و المراد ما تشقّقت عنه المعادن .

«و ضحكت عنه» هو أيضا استعاره كقوله تنفّست،و المراد أيضا ما تشقّقت،و لا يخفی حسن التعبير عن تشقّق الجبال بالفلزّات بالتنفّس عن الشیء،و عن تشقّق الأصداف باللآلی بالضّحك عنه.

«أصداف البحار» و الصدف غشاء الدرّه .

«من فلزّ» بكسرتين،و جوّز(القاموس)فيه الضمّتين كعتلّ،و الكسر

۱- ۱) شرح ابن أبی الحديد ۲:۱۴۰. [۱]

۲- ۲) التكوير:۱۸. [۲]

فالفتح كهجف،و قال:الفلزّ نحاس أبيض تجعل منه القدور المفرغه أو خبث الحديد أو الحجاره أو جواهر الأرض كلّها أو ما ينقيه الكير من كلّ ما يذاب منها (۱).

قلت:الصواب هو القول الرابع لقوله عليه السّلام: «اللّجين» بالتّصغير الفضّه.

«و العقيان» بالكسر الذّهب الخالص،و رواه(التوحيد الشيخ الصدوق-التوحيد-ص ۴۹ ح ۱۳)«و سبائك العقيان » (۲).

«و نثاره الدرّ» فی(الصحاح):النّثار بالضم ما تناثر من الشیء (۳)،و الدرّه:

اللؤلؤ،و الجمع درّ و درّات و درر .

«و حصيد المرجان» و رواه(التوحيد)«و نضائد المرجان» (۴)و قال ابن أبی الحديد:و يروی«و حصباء المرجان» (۵).

قلت:و أبو نؤاس نسب الحصباء إلى الدّرّ،فقال:

كأنّ صغرى و كبرى من فقاقعها حصباء درّ على أرض من الذّهب

(۶)و فی(اللّسان):قال بعضهم:المرجان البسّذ و هو جوهر أحمر،قال ابن برّی:الّذی عليه الجمهور إنّه صغار اللؤلؤ،كما ذكره الجوهری،و الدّليل على صحه ذلك قول امرئ القيس ابن حجر:

أذود القوافی عنّی ذيادا ذياد غلام جریّ جيادا

۱- ۱) القاموس المحيط ۲:۱۸۶ [۱] ماده(فلز).

۲- ۲) التوحيد للصدوق:۴۹ ح ۱۳.

۳- ۳) المصدر نفسه.

۴- ۴) صحاح اللغه للجوهری ۲:۸۲۲ ماده(نثر).

۵- ۵) شرح ابن أبی الحديد ۲:۱۴۰. [۲]

۶- ۶) أورده ابن هشام فی شرح القطر:۳۱۶.

فأعزل مرجانها جانبا و آخذ من درّها المستجادا

(۱)قلت:جعله فی الآیه «یَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ» (۲)،و فی کلامه علیه السّلام و فی شعر امرئ القیس مقابل اللّؤلؤ،و الدّرّ دالّ علی کونه غیره، و فی(المصباح)قال الطرطوشی:هو عروق حمر تطلع من البحر کأصابع الکفّ،قال:و هکذا شاهدناه بمغارب الأرض کثیرا (۳).

ثمّ الأکثر ذکروا مرجان فی مرج،و عن الأزهری:لا أدری أرباعی هو أم ثلاثی؟ (۴)هذا،و «من فلز اللّجین و العقیان» راجع الی معادن الجبال،و «و نثاره الدّرّ و حصید المرجان» راجع إلی أصداف البحار .

«ما أثّر ذلک فی جوده،و لا أنفد سعه ما عنده» و کیف ینفد و له خزائن السماوات و الأرض،و فی(أصل البرسیّ):إنّ اللّه تعالی قال لداود:«یا داود و عزّتی و جلالی،لو أنّ أهل سماواتی و أرضی أمّلونی فأعطیت کلّ مؤمّل أمله بقدر دنیاکم سبعین ضعفا لم یکن ذاک إلّا کما یغمس أحدکم إبره فی البحر و یرفعها،فکیف ینقص شیء أنا أعطیته » (۵).

«و لکان عنده من ذخائر الأنعام ما لا تنفده مطالب الأنام» ،و فی روایه (التوحید):«و لکان عنده من ذخائر الإفضال ما لا ینفده مطالب السّؤال،و لا

۱- ۱) لسان العرب ۲:۳۶۶ [۱] ماده(مرج)و ما نقله عن الجوهری فی صحاح اللغه ۱:۳۴۱ ماده(مرج).

۲- ۲) الرحمن:۲۲. [۲]

۳- ۳) المصباح المنیر ۲:۲۶۴ [۳] ماده(مرج).

۴- ۴) نقله عن الأزهری لسان العرب ۲:۳۶۶ [۴] ماده(مرج)،و قال:«و أورده فی رباعی الجیم».

۵- ۵) رواه الحافظ البرسی فی مشارق الأنوار:۴۲ بلا إسناد،لکن أخرج معناه الکلینی بروایتین فی الکافی ۲:۶۶ و ۶۷،ح ۷، ۸ و [۵]أبو جعفر الطوسی فی أمالیه ۲:۱۹۶ المجلس(۶)و جاء قریبا منه أربع روایات رواها الطبرسی فی مشکاه الأنوار: ۱۶،۱۷،و أما قول الشارح اصل البرسی فهو،لأن الحافظ رجب البرسی لیس من أصحاب الأصول،بل صاحب الأصل هو زید النرسی و لیس فی أصله أثر من هذا الحدیث.

يخطر لكثرته على بال» (۱)«وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ » (۲).

«لأنّه الجواد الّذی لا یغیضه» من غاض الماء قلّ و نضب.قال الجوهری:

و غیض الماء فعل به ذلک،یتعدی و لا یتعدی.و قال الأخفش فی قوله تعالی:

«وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ» (۳)أی:ما تنقص.و یقال غاض الکرام أی قلّوا، و فاض اللّئام أی کثروا،و أعطاه غیضا من فیض،أی:قلیلا من کثیر (۴).

«سؤال السائلین و لا یبخله إلحاح الملحّین» و فی روایه(التوحید)بدل«لأنّه الجواد...»:«لأنّه الجواد الّذی لا تنقصه المواهب،و لا ینحله إلحاح الملحّین، «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ» » (۵).

۱۰

من الخطبه(۸۹)

بعد ما مرّ فی سابقه:

وَ انْظُرْ أَیُّهَا السَّائِلُ- فَمَا دَلَّکَ؟الْقُرْآنُ؟ عَلَیْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ- وَ اسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَایَتِهِ وَ مَا کَلَّفَکَ الشَّیْطَانُ عِلْمَهُ- مِمَّا لَیْسَ فِی الْکِتَابِ عَلَیْکَ فَرْضُهُ- وَ لاَ فِی سُنَّهِ؟النَّبِیِّ ص؟ وَ أَئِمَّهِ الْهُدَی أَثَرُهُ- فَکِلْ عِلْمَهُ إِلَی اللَّهِ سُبْحَانَهُ- فَإِنَّ ذَلِکَ مُنْتَهَی حَقِّ اللَّهِ عَلَیْکَ- وَ اعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِینَ فِی الْعِلْمِ هُمُ الَّذِینَ أَغْنَاهُمْ- عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَهِ دُونَ الْغُیُوبِ- الْإِقْرَارُ بِجُمْلَهِ مَا جَهِلُوا تَفْسِیرَهُ مِنَ الْغَیْبِ الْمَحْجُوبِ

۱- ۱) التوحید للصدوق:۴۹ ح ۱۳.

۲- ۲) الحجر:۲۱. [۱]

۳- ۳) الرعد:۸. [۲]

۴- ۴) صحاح اللغه ۳:۱۰۹۶ [۳] ماده(غیض).

۵- ۵) التوحید للصدوق:۴۹ ح ۱۳ و فقره« «إِنَّما أَمْرُهُ» ...»هی لفظ الآیه(۸۲)من سوره یس. [۴]

فَمَدَحَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ- عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً- وَ سَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ- فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً- فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ- وَ لَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ- فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ أقول:و رواه(التّوحيد الشيخ الصدوق-التوحيد-ص ۵۵ ح ۱۳)مع زياده و تغيّر،ففيه:«الّذى لمّا شبّهه العادلون بالخلق المبعّض المحدود فى صفاته،ذى الأقطار و النّواحى المختلفه فى طبقاته،و كان عزّ و جلّ الموجود بنفسه لا بأداته،انتفى أن يكون قدّروه حقّ قدره،فقال تنزيها لنفسه عن مشاركه الأنداد،و ارتفاعا عن قياس المقدّرين له بالمحدود من كفره العباد: «وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ وَ السَّماواتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ» (۱)، فما دلّك القرآن عليه من صفته فاتّبعه ليوصل بينك و بين معرفته،و ائتمّ به، و استضئ بنور هدايته،فإنّما هى نعمه و حكمه أوتيتهما،فخذ ما أوتيت و كن من الشاكرين،و ما دلّك الشيطان ...» (۲).

«و انظر أيّها السائل فما دلّك القرآن عليه من صفته فائتمّ به،و استضئ بنور هدايته» و ممّا دلّنا القرآن عليه من صفته تعالى: «لا تَأْخُذُهُ سِنَهٌ وَ لا نَوْمٌ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ» ... «وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» (۳)،و قال تعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» (۴)،و قال جلّ و علا: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » (۵).

«و ما كلّفك الشيطان علمه» من عرفان كنهه.

«ممّا ليس فى الكتاب» أى:القرآن.

۱- ۱) الزمر:۶۷. [۱]

۲- ۲) التوحيد للصدوق:۵۵ ح ۱۳.

۳- ۳) البقره:۲۵۵. [۲]

۴- ۴) الاخلاص:۱-۴. [۳]

۵- ۵) الشورى:۱۱. [۴]

«علیک فرضه،و لا فی سنّه النبی صلّی اللّه علیه و آله و أئمه الهدی» و هم أهل بیته علیهم السّلام:

و أمّا الثلاثه و إن سمّوهم الخلفاء الرّاشدین،إلّا أنّه لا یصدق إلّا إذا صدق قول من قال: «ما أُرِیکُمْ إِلّا ما أَری وَ ما أَهْدِیکُمْ إِلّا سَبِیلَ الرَّشادِ » (۱).

«أثره فکل» من و کل أی:فوّض.

«علمه إلی اللّه سبحانه» کان علیّ بن الحسین علیه السّلام یقول:سبحان من لم یجعل فی أحد من معرفه نعمه إلّا المعرفه بالتقصیر عن معرفتها،کما لم یجعل فی أحد من معرفه إدراکه أکثر من العلم أنّه لا یدرکه (۲).

«فإن ذلک منتهی حقّ اللّه علیک» لأنّه لم یکلّف أحدا ما لم یطقه.

و فی(الکافی)عن الصادق علیه السّلام فی قوله تعالی: «وَ أَنَّ إِلی رَبِّکَ الْمُنْتَهی» (۳)قال:«إذا انتهی الکلام إلی اللّه تعالی فامسکوا» (۴).

و فی آخر عنه علیه السّلام:«إنّ النّاس لا یزال بهم المنطق حتّی یتکلّموا فی اللّه، فاذا سمعتم ذلک فقولوا:لا إله الّا اللّه الواحد الّذی «لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ » » (۵).

«و اعلم أنّ الراسخین» أی:الثابتین،قال لبید:

رسخ الدمن علی أعضاده ثلمته کلّ ریح و سبل

(۶) «فی العلم هم الّذین أغناهم عن اقتحام» الاقتحام:الرمی بالنفس فی شیء من غیر رویّه.

۱- ۱) غافر:۲۹،و [۱]هو مقول فرعون.

۲- ۲) أخرجه الکلینی فی الکافی ۸:۳۹۴ ح ۵۹۲. [۲]

۳- ۳) النجم:۴۲. [۳]

۴ - ۴) أخرجه الکلینی فی الکافی ۱:۹۲ ح ۳،و [۴]البرقی فی المحاسن:۲۳۷ ح ۲۰۶،و [۵]الصدوق فی الهدایه:۴۶ [۶] عن الصادق علیه السّلام، و أخرجه علی بن ابراهیم فی تفسیره ۲:۳۳۸ [۷] بلا عزو.

۵- ۵) أخرجه الکلینی فی الکافی ۱:۹۲ ح ۳ [۸] عن الصادق علیه السّلام،و أخرجه البرقی فی المحاسن:۲۳۷ ح ۲۰۹ [۹] عن الباقر علیه السّلام.

۶- ۶) أورده أساس البلاغه ۱۶۲ [۱۰] ماده(رسخ).

«السّدد» بالضمّ فالفتح:جمع السّدّه باب الدّار،و فی الخبر:«الشعث الرءوس الّذین لا تفتح لهم السّدد» (۱).

و قال الجزریّ:السّدّه کالظلّه علی الباب لتقی الباب من المطر،و قیل:هی الباب نفسه،و قیل:هی الساحه بین یدیه (۲).

«المضروبه دون الغیوب» فلا یمکن لأحد الوقوف علیها .

«الإقرار» و هو فاعل«أغناهم».

«بجمله ما جهلوا تفسیره من الغیب المحجوب» أشار علیه السّلام الی قوله تعالی:

«هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِیلِهِ وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ یَقُولُونَ آمَنّا بِهِ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما یَذَّکَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَیْتَنا وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَهً إِنَّکَ أَنْتَ الْوَهّابُ» (۳).

ثمّ إنّه و إن اختلفت الخاصّه و العامّه فی الآیه هل «وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ» عطف علی(اللّه)أو مستأنف (۴)،إلاّ أنّ کلامه علیه السّلام دالّ علی الثانی، و هو الظّاهر من الآیه،حیث إنّه لو کان عطفا لکان الأنسب أن یقال:«و یقولون»

۱- ۱) نقل ابن منظور فی لسان العرب ۳:۲۰۹، [۱]ماده(سدد)هذا اللفظ،و أخرجه الترمذی ۴:۶۲۹ ح ۲۴۴۴،و ابن ماجه ۲: ۱۴۳۸ ح ۴۳۰۳،و الحاکم فی المستدرک عنه الجامع الصغیر ۱:۹۰،و أحمد فی مسنده ۵:۲۷۵ [۲] عن ثوبان عن النبی صلّی اللّه علیه و آله فی حدیث فی ورود الحوض:«الشعث رءوسا الدنس ثیابا الذین لا ینکحون المتنعمات و لا تفتح لهم أبواب السّدد». و أخرج قریبا منه الضیاء المقدسی فی المختاره،و الطبرانی فی معجمه الکبیر عنهما منتخب کنز العمال ۶:۹۲ عن أبی أمامه عن النبی صلّی اللّه علیه و آله.

۲- ۲) النهایه لابن الأثیر ۲:۳۵۳ [۳] ماده(سدد).

۳- ۳) آل عمران:۷-۸. [۴]

۴- ۴) لیس الاختلاف راجعا الی المذهب،بل القولان العطف و الاستیناف یوجدان فی کلا المذهبین،و لکلّ علی مذهبه تفسیر و تأویل.

لا«يقولون»،و يأتى فيه زياده كلام.

و لا ينافى ذلك علم النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و أوصيائه بتأويل القرآن،فإنّ علمهم به بوحيه و إلهامه،فعلم تأويله من علم الغيب،و قد قال تعالى فى موضع: «عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ» (۱)مع أنّه قال:

«إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» (۲)و قال: «قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللّهُ» (۳)،و حينئذ فالآيه فى مقام آخر نظير قوله تعالى الآخر: «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ ما ذا أَرادَ اللّهُ بِهذا مَثَلاً » (۴).

«فمدح اللّه عزّ و جلّ اعترافهم بالعجز عن تناول» أى:فهم.

«ما لم يحيطوا به علما» من المتشابه،حيث حكى عنهم أنّهم يقولون:آمنّا به-أى:بالكتاب-كلّ من المحكم الّذى فهمنا،و المتشابه الذى لم نفهمه من عند ربّنا .

«و سمّى تركهم التعمّق فى ما لم يكلّفهم البحث» أى:الكشف،و الأصل فيه كشف التراب عن الشىء المدفون،قال ابن دريد:و فى مثل من أمثالهم:كباحثه عن حتفها بظلفها،و ذلك أنّ شاه بحثت عن سكين مدفون بظلفها فذبحت به (۵).

«عن كنهه» أى:حقيقته و بلوغ غايته.

«رسوخا» أى:ثبوتا مستحكما،من رسخ الجبل،فعبّر عنهم بقوله:

«وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» .

۱- ۱) الجن:۲۶-۲۷. [۱]

۲- ۲) الحجرات:۱۸. [۲]

۳- ۳) النمل:۶۵. [۳]

۴- ۴) البقره:۲۶. [۴]

۵- ۵) جمهره اللغه لابن دريد ۱:۱۹۹. [۵]

«فاقتصر على ذلك» و تأدّب بأدب اللّه .

«و لا تقدّر» أى:لا تعيّن مقدار.

«عظمه اللّه» و ذاته.

«على قدر عقلك» لقصوره .

«فتكون من الهالكين» حيث تجاوزت حدّك،قال الباقر عليه السّلام:إنّ قوما تكلّموا فى اللّه عزّ و جلّ فتاهوا حتّى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه،و ينادى من خلفه فيجيب من بين يديه (۱).

و قال الصادق عليه السّلام:إنّ ملكا عظيم الشأن كان فى مجلس له،فتناول الرّبّ تعالى،ففقد فما يدرى أين هو (۲).

و فى خبر آخر:تكلّموا فى كلّ شىء،و لا تتكلّموا فى ذات اللّه تعالى (۳).

و عن الباقر عليه السّلام:تكلّموا فى خلق اللّه،و لا تتكلّموا فى اللّه،فإنّ الكلام فى اللّه لا يزداد صاحبه إلاّ تحيّرا (۴).

۱۱

من الخطبه(۸۹)

أيضا بعد ما مرّ:

هُوَ الْقَادِرُ الَّذِى إِذَا ارْتَمَتِ الْأَوْهَامُ- لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ- وَ حَاوَلَ

۱- ۱) أخرجه الصدوق فى التوحيد:۴۵۵ ح ۷،و البرقى فى المحاسن:۲۳۸ ح ۲۱۱ [۱] فى ذيل حديث عن الباقر عليه السّلام،و رواه صاحب فقه الرضا [۲]عنه بحار الأنوار ۳:۲۶۲ ح ۱۴ [۳] بلا عزو.

۲- ۲) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۹۳ ح ۶،و [۴]الصدوق فى التوحيد:۴۵۸ ح ۱۹،و البرقى فى المحاسن:۲۴۰ ح ۲۱۹ [۵] عن الصادق عليه السّلام.

۳- ۳) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۹۲ ح ۱،و [۶]الصدوق فى التوحيد:۴۵۵ ح ۲ عن الباقر عليه السّلام.

۴- ۴) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۹۲ ح ۱،و [۷]الصدوق فى التوحيد:۴۵۴ ح ۱ عن الباقر عليه السّلام،و قد جاءت فى هذا المعنى أحاديث كثيره لم يسع المقام لذكرها.

الْفِكْرُ الْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ- أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ- وَ تَوَلَّهَتِ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ- وَ غَمَضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لاَ تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ- لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ رَدَعَهَا- وَ هِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ الْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ- فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَةً- بِأَنَّهُ لاَ يُنَالُ بِجَوْرِ الاِعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ- وَ لاَ تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلاَلِ عِزَّتِهِ «هو القادر» على كلّ شيء.

«الذى إذا ارتمت» أى:قصدت،و الأصل فيه رمى الصيد.

«الأوهام لتدرك منقطع قدرته» و فى روايه(التوحيد)بدل جميع الكلام:

«لأنّه اللطيف الّذى إذا أرادت الأوهام أن تقع عليه فى عميقات غيوب ملكه » (۱).

«و حاول» أى:قصد.

«الفكر المبرّأ من خطرات» هكذا فى(المصريه)،و الصواب:(من خطر)كما فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيّه) (۲).

«الوساوس أن يقع عليه فى عميقات غيوب ملكوته» و فى روايه(التوحيد) بدل جميع الكلام:«و حاولت الفكر المبرأه من خطر الوسواس إدراك علم ذاته » (۳).

«و تولّهت» أى:صارت و الهه.

«القلوب إليه لتجرى فى كيفيّه صفاته» و فى روايه(التوحيد)«لتحوى منه مكيّفا فى صفاته» (۴).

۱- ۱) التوحيد للصدوق:۵۱ ح ۱۳.

۲- ۲) فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۴۲،و [۱]شرح ابن ميثم ۲:۳۲۹« [۲]خطرات»أيضا.

۳- ۳) التوحيد للصدوق:۵۱ ح ۱۳.

۴- ۴) التوحيد للصدوق ح:۵۱ ۱۳. [۳]

«و غمضت» من أغمض فی الأرض،إذا ذهب و غاب.

«مداخل العقول فی حیث» أی:فی مکان.

«لا تبلغه الصفات» أی:التوصیفات.

«لتناول» و فی(ابن میثم و الخطیه) (۱)«لتنال».

«علم ذاته» أی:حقیقته،قال ابن أبی الحدید:ذات:لفظه قد طال فیها کلام کثیر من أهل العربیه،فأنکر قوم إطلاقها علی اللّه تعالی و إضافتها إلیه،أمّا إطلاقها فلأنّها لفظه تأنیث،و الباری سبحانه منزّه عن الأسماء و الصفات المؤنثه،و أمّا إضافتها فلأنّها عین الشیء،و الشیء لا یضاف إلی نفسه،و أجاز آخرون إطلاقها فی الباری تعالی و إضافتها الیه،أمّا استعمالها فلو جهان:

أحدهما:أنّها جاءت فی الشعر القدیم،قال حبیب الصحابیّ عند صلبه:

و ذلک فی ذات الإله و إن یشأ یبارک علی أوصال شلو موزّع

و یروی:ممزّع.

و قال النابغه:

محبّتهم ذات الإله و دینهم قدیم فما یخشون غیر العواقب

و الوجه الثانی:أنّها لفظه اصطلاحیه،فجاز استعمالها لا علی أنّها مؤنث ذو،بل تستعمل ارتجالا فی مسمّاها الّذی عبّر عنه بها أرباب النظر الإلهی،کما استعملوا لفظ الجوهر و العرض و غیرهما فی غیر ما کان أهل العربیّه و اللغه یستعملونها فیه،و أمّا منعهم إضافتها إلیه تعالی-و أنّه لا یقال:

ذاته،لأنّ الشیء لا یضاف الی نفسه-فباطل بقولهم:أخذته نفسه،و أخذته عینه (۲).

۱- ۱) فی شرح ابن میثم ۲:۳۲۹ [۱]فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۴۲ أیضا« [۲]لتناول».

۲- ۲) شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۴۲. [۳]

قلت:من المنكرين ابن برهان،قال الفيّوميّ:قال ابن برهان من النحاه:

قول المتكلمين:«ذات اللّه»جهل،لأنّ أسماءه لا تلحقها تاء التأنيث،فلا يقال:

علاّمه و إن كان أعلم العالمين.قال:و قولهم:«الصفات الذاتيه»خطأ أيضا،فإنّ النسبه إلى ذوات ذووىّ،لأنّ النسبه تردّ الاسم إلى أصله (۱).

قلت:كلامه غلط فى غلط،فإنّ ذاتا بمعنى الحقيقه ليس تاؤه للتأنيث، و إنّما ذات و صفى،فى قبال ذو تاؤه للتأنيث،تقول:رجل ذو مال و امرأه ذات مال،كما أن(علاّمه)ليست تاؤه للتأنيث،بل للمبالغه،كيف و يطلق على الرجال،فيقال:فلان علاّمه الدهر؟! و ذات بمعنى الحقيقه:اسم،و قد خلطوا بينه و بين ذات و صفى بمعنى:

الصّاحبه،و يشهد لخلطهم ما فى(اللّسان):أنّ ابن الأنبارى قال فى قوله تعالى:

«الصُّدُورِ» (۲):معناه بحقيقه القلوب من المضمرات.فتأنيث ذات لهذا المعنى،كما قال: «وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَهِ تَكُونُ لَكُمْ» (۳)فأنّث على معنى الطائفه (۴).

فجعل«ذات الصدور»كذات الشوكه مع أنّ الثانى وصف و الأصل أنّ الطائفه غير ذات الشوكه لقوله تعالى قبل: «وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ» (۵)و الأول اسم،و صرّح بالفرق بينهما الفّيومىّ أيضا (۶).

و قد استعمل(الذات)مضافا إليه تعالى فى غير كلامه عليه السّلام،و بيت الصّحار،

۱- ۱) المصباح المنير ۱:۲۵۷ [۱] ماده(ذوى).

۲- ۲) هود:۵.

۳- ۳) الأنفال:۷. [۲]

۴- ۴) لسان العرب ۱۵:۴۵۹ [۳] ماده(ذو).

۵- ۵) الأنفال:۷. [۴]

۶- ۶) المصباح المنير ۱:۲۵۷ ماده(ذوى).

و بیت النابغه،و فی کلام سیّده النساء فی خطبتها فی فدک:«مکدودا فی ذات اللّه» (۱)،و کلامها فی مرضها الذی توفیت فیه:«و تنمّره فی ذات اللّه» (۲).

و فی بیت أبی تمام:

و یضرب فی ذات الإله فیوجع

نقله(المصباح) (۳)و(المغرب) (۴)،و فی کلام العرب علی نقل التکمله کما فیهما (۵):جعل اللّه ما بیننا فی ذاته.

و مرّ خبر(الکافی):و لا تتکلّموا فی ذات اللّه (۶).

و جاء(ذات)مضافا إلی غیر اللّه فی بیت سوید بن کراع العکلی،و قد نقله (کتاب سیبویه)شاهدا لکفّ لعلّ بلفظه(ما):

تحلّل و عالج ذات نفسک و انظرن أبا جعل لعلّما أنت حالم

(۷)و فی بیت ذی الرّمّه،و قد نقله(الأساس)،و هو:

و إنّ هوی صیداء فی ذات نفسه بسائر أسباب الصبابه راجح

(۸)و فی بیت حکاه ابن فارس فی(متخیّر ألفاظه)کما فی(المصباح):

۱- ۱) رواه الطبری فی دلائل الامامه:۳۴،و [۱]الاربلی فی کشف الغمه ۲:۱۱۲،و الطبرسی فی الاحتجاج ۱:۱۰۱، [۲]لکن رواه ابن أبی الحدید فی شرحه ۴:۷۹ بدون هذه الفقره.

۲- ۲) رواه الصدوق فی معانی الأخبار:۳۵۵ ح ۱،و الجوهری فی السقیفه:۱۱۸،و [۳]الطبری فی دلائل الامامه:۴۰،و [۴]أبو علی الطوسی فی أمالیه ۱:۳۸۴،المجلس(۱۳)،و [۵]الطبرسی فی الاحتجاج ۱:۱۰۸. [۶]

۳- ۳) المصباح المنیر ۱:۳۵۷ [۷] ماده(ذوی).

۴- ۴) المغرب:۱۹۶ [۸] ماده(ذوی).

۵- ۵) المصدران أنفسهما.

۶- ۶) مر هذا الخبر و أخبار أخری فی المعنی فی العنوان(۱۰)من هذا الفصل.

۷- ۷) أورده سیبویه فی الکتاب ۱:۲۸۳. [۹]

۸- ۸) نقله أساس البلاغه:۱۴۷ [۱۰] ماده(ذوی).

فنعم ابن عمّ القوم فی ذات ماله إذا کان بعض القوم فی ماله کلبا

(۱)ثمّ الظاهر أنّ معناه فی الکلّ واحد فی الأصل،و الاختلاف فیه من خصوصیّه المقام،فهو فی بیت النابغه بمعنی الإله نفسه،قال الفّیومی فی بیت النابغه:المجله(بالجیم)الصحیفه،أی:کتابهم عبودیّه نفس الإله (۲).

و فی کلامه علیه السّلام و فی کلام الصادق علیه السّلام:(ذات اللّه)أی:حقیقته و هویّته، و فی کلام الصّدیقه علیهما السّلام و بیت الصّحار،و بیت أبی تمام،و کلام العرب بمعنی فی جنب اللّه و لأجله.

و فی قوله تعالی: ...عَلیمٌ بِذاتِ الصُّدُورُ (۳)أی:بباطنها و خفیّها،فهو فی معنی قوله تعالی: «وَ ما تُخْفِی الصُّدُورُ» (۴)،و فی بیت سوید أیضا بمعنی الباطن،و فی بیت ذی الرّمّه بمعنی شخصه،و فی بیت ابن فارس بمعنی أصله.

«ردعها» أی:کفّها .

«و هی تجوب» أی:تقطع.

«مهاوی» أی:مهالک.

«سدف» أی:ظلم.

«الغیوب متخلّصه إلیه سبحانه» لا یخالطها قصد غیره.

«فرجعت إذ جبهت» أی:صکّت جباهها .

«معترفه بأنّه» تعالی.

«لا ینال» بلفظ المجهول.

۱- ۱) المصباح المنیر ۱:۳۵۷ [۱] ماده(ذوی).

۲- ۲) المصدر نفسه. [۲]

۳- ۳) هود:۵. [۳]

۴- ۴) غافر:۱۹. [۴]

«بجور» أی:کثره.

«الاعتساف» أی:الأخذ علی غیر الطریق.

«کنه معرفته» عزّ و جلّ،لکونه من المحالات .

«و لا تخطر ببال» أی:ذهن.

«أولی الرّویّات» أی:أصحاب التفکّر فی الأمور.

«خاطره من تقدیر جلال عزّته» کیف لا،و قد قال تعالی: «قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِماتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً» (۱)؟! و کلامه علیه السّلام من أوّله إلی آخره ناظر إلی قوله تعالی: «ما تَری فِی خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَری مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ کَرَّتَیْنِ یَنْقَلِبْ إِلَیْکَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَ هُوَ حَسِیرٌ» (۲).

و مثله دعاء قنوت(الصحیفه السجادیه)الثانیه:سبحانک طوت الأبصار فی صنعتک مدیدتها،و ثنت الألباب عن کنهک أعنّتها (۳).

و قال الصادق علیه السّلام للمفضّل:فإن قالوا:و لم یختلف فیه تعالی؟قیل لهم:

لقصر الأوهام عن مدی عظمته،و تعدّیها أقدارها فی طلب معرفته،و أنّها تروم الإحاطه به،و هی تعجز عن ذلک و ما دونه،فمن ذلک:هذه الشمس التی تراها تطلع علی العالم و لا یوقف علی حقیقه أمرها،و لذلک کثرت الأقاویل فیها، و اختلف الفلاسفه المذکورون فی وصفها،فقال بعضهم:هو فلک أجوف مملوّ نارا له فم یجیش بهذا الوهج و الشّعاع.و قال آخرون:هو سحابه.و قال

۱- ۱) الکهف:۱۰۹. [۱]

۲- ۲) الملک:۳-۴. [۲]

۳- ۳) لم أعثر علی نسخته.

آخرون:هو جسم زجاجی یقلّ ناریّه فی العالم و یرسل علیه شعاعها.و قال آخرون:هو صفو لطیف ینعقد ماء البحر،و قال آخرون:هو أجزاء کثیره مجتمعه من النار.و قال آخرون:هو من جوهر خامس سوی الجواهر الأربعه.

ثم اختلفوا فی شکلها...و کذلک اختلفوا فی مقدارها...ففی اختلاف هذه الأقاویل منهم فی الشمس دلیل علی أنّهم لم یقفوا علی الحقیقه من أمرها،فإذا کانت هذه الشمس التی یقع علیها البصر و یدرکها الحسّ قد عجزت العقول عن الوقوف علی حقیقتها،فکیف ما لطف عن الحسّ و استتر عن الوهم (۱).

هذا،و زاد فی روایه التوحید بعد «من تقدیر جلال عزّته» :«لبعده من أن یکون فی قوی المحدودین لأنّه خلاف خلقه فلا شبه له من المخلوقین،و إنّما یشبه الشیء بعدیله،فأمّا ما لا عدیل له،فکیف یشبه بغیر مثاله» (۲).

۱۲

من الخطبه(۸۹)

بعد ما مرّ:

اَلَّذِی ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَی غَیْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ- وَ لاَ مِقْدَارٍ احْتَذَی عَلَیْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ کَانَ قَبْلَهُ- وَ أَرَانَا مِنْ مَلَکُوتِ قُدْرَتِهِ- وَ عَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِکْمَتِهِ- وَ اعْتِرَافِ الْحَاجَهِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَی أَنْ یُقِیمَهَا بِمِسَاکِ قُوَّتِهِ- مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِیَامِ الْحُجَّهِ لَهُ عَلَی مَعْرِفَتِهِ- فَظَهَرَتِ فِی الْبَدَائِعِ- الَّتِی أَحْدَثَتْهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وَ أَعْلاَمُ حِکْمَتِهِ- فَصَارَ کُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّهً لَهُ وَ دَلِیلاً عَلَیْهِ- وَ إِنْ کَانَ خَلْقاً صَامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِیرِ نَاطِقَهٌ- وَ دَلاَلَتُهُ عَلَی الْبُدِعِ قَائِمَهٌ

۱- ۱) توحید المفضل:۱۷۸. [۱]

۲- ۲) التوحید للصدوق:۵۲ ح ۱۳.

«الذی ابتدع الخلق» أی:اخترعه،قال تعالی: «بَدِیعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» (۱).

«علی غیر مثال امتثله» لنفسه،کالصائغ الّذی یصوغ حلقه من رصاص، ثمّ یصوغ حلقه من ذهب علیها،و کالبنّاء الّذی یخطّ فی الأرض أو غیرها خطوطا،ثمّ یبنی بحسبها،و کالّذی یضرب اللّبن علی القالب .

«و لا مقدار احتذی علیه» أی:جعله مقابلا له،یقال:حذو النّعل بالنّعل، و القذّه بالقذّه (۲).و القذّه،ریش السّهم.

«من خالق معبود» و فی(المصریه):«معهود»و هو غلط (۳).

«کان قبله» کصنّاع یتّبعون صنّاعا قبلهم کانوا مخترعی تلک الصنعه .

«و أرانا من ملکوت قدرته» قال تعالی: «وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ خَلَقَکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ» (۴)،فهل قدره أملک من تلک القدره التی جعلت التراب بشرا ینتشر ؟ «و عجائب ما نطقت به آثار حکمته» «وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَکُمْ مِنْ أَنْفُسِکُمْ أَزْواجاً لِتَسْکُنُوا إِلَیْها وَ جَعَلَ بَیْنَکُمْ مَوَدَّهً وَ رَحْمَهً إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ» (۵).

فهل من حکمه أعجب من هذه فلو لم تکن أزواج الناس من جنس

۱- ۱) البقره:۱۱۷. [۱]

۲ - ۲) هذا اصطلاح سائد فی لغه العرب،و جاء فی الحدیث النبوی:«لتتبعنّ سنن من کان قبلکم حذو النعل بالنعل و القذه بالقذه»،رواه رزین فی الجمع عنه جامع الاصول ۱۰:۴۰۸ ح ۷۴۷۱،و الطوسی فی الاقتصاد:۲۱۳،و [۲]المفصح:۱۲۷، و أورد المیدانی فی مجمع الأمثال ۱:۱۹۵ و [۳]الزمخشری فی المستقصی ۲:۶۱:« [۴]حذو القذه بالقذه»،و قال الزمخشری یضرب فی التماثلین.

۳- ۳) لفظ شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۴۳:«معبود»،و لفظ شرح ابن میثم ۲:۳۲۹:«معهود».

۴- ۴) الروم:۲۰. [۵]

۵- ۵) الروم:۲۱. [۶]

أنفسهم لنفروا عنها و لم يسكنوا اليها،و لنفرت الأزواج عنهم،و لم تسكن إليهم،كما أنّه لو لم يكن جعل تعالى بينهم مودّه و رحمه،كيف كان الرجال يتحمّلون مشاق مئونات النساء،و كيف كانت النساء يتحملن مشاقّ تكليفات الرجال،الى غير ذلك من غرائب قدرته و عجائب حكمته فى خلقه الّذى لا يحصى .

«و اعتراف الحاجه من الخلق» بلسان الحال.

«إلى أن» هكذا فى النسخ (۱)،و الظاهر كونه مصحّف(إلى من).

«يقيمها بمساك قوّته» «إِنَّ اللّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَ لَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ » (۲).

«ما» مفعول ثان لقوله«و أرانا».

«دلّنا باضطرار قيام الحجّه له على معرفته» بالوجود و القدره و الحكمه .

«و ظهرت فى البدائع التى أحدثها آثار صنعته و أعلام حكمته» هكذا فى (النهج) (۳)،و الظاهر وقوع سقط لعدم ربط الكلام من أوّله بما قبله.

و يشهد للسّقط روايه(التوحيد)ففيها قبله«الّذى صدرت الأمور عن مشيئته،و تصاغرت عزّه المتجبرين دون جلال عظمته،و خضعت له الرقاب، و عنت الوجوه من مخافته » (۴).

«فصار كلّ ما خلق حجّه له و دليلا عليه» قال:

فوا عجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

۱- ۱) كذا فى نهج البلاغه ۱:۱۶۳،و شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۴۳،و [۱]شرح ابن ميثم ۲:۳۲۹. [۲]

۲- ۲) فاطر:۴۱. [۳]

۳- ۳) كذا فى نهج البلاغه ۱:۱۶۳،و شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۴۳،و [۴]شرح ابن ميثم ۲:۳۲۹. [۵]

۴- ۴) التوحيد للصدوق:۵۲ ح ۱۳.

و فی کلّ شیء له آیه تدلّ علی أنّه واحد

(۱) «و إن کان خلقا صامتا» و فی(ابن میثم) (۲):«و إن کان صامتا ».

«فحجّته بالتّدبیر» أی:بوجود مدبّر للخلائق.

«ناطقه» بلسان الحال .

«و دلالته علی البدع» :أی کونه تعالی مبدعا لها.

«قائمه» بشهاده العقول،قال بعضهم فی وصف النّرجس:

عیون فی جفون فی فنون بدت فأجاد صنعتها المملیک

بأبصار التغنج لا محات کأنّ حداقها ذهب سبیک

علی غصن الزمرد مخبرات بأنّ اللّه لیس له شریک

۱۳

من الخطبه(۸۹)

بعد ما مرّ:

فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَکَ بِتَبَایُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِکَ- وَ تَلَاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَهِ لِتَدْبِیرِ حِکْمَتِکَ- لَمْ یَعْقِدْ غَیْبَ ضَمِیرِهِ عَلَی مَعْرِفَتِکَ- وَ لَمْ یُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْیَقِینُ بِأَنَّهُ لاَ نِدَّ لَکَ- وَ کَأَنَّهُ لَمْ یَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِینَ مِنَ الْمَتْبُوعِینَ- إِذْ یَقُولُونَ «تَاللّهِ إِنْ کُنّا لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ إِذْ نُسَوِّیکُمْ بِرَبِّ الْعالَمِینَ» (۳)- کَذَبَ الْعَادِلُونَ بِکَ إِذْ شَبَّهُوکَ بِأَصْنَامِهِمْ- وَ نَحَلُوکَ حِلْیَهَ الْمَخْلُوقِینَ بِأَوْهَامِهِمْ- وَ جَزَّءُوکَ تَجْزِئَهَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ- وَ قَدَّرُوکَ عَلَی الْخِلْقَهِ الْمُخْتَلِفَهِ الْقُوَی بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ- وَ أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ

۱- ۱) أورده ابن أبی الحدید فی شرحه ۲:۱۴۴.

۲- ۲) فی شرح ابن میثم ۲:۳۲۹،و [۱]فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۴۳« [۲]خلقا صامتا»أیضا.

۳- ۳) الشعراء:۹۷-۹۸. [۳]

سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ- وَ الْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا نَزَلَتْ بِهِ مُحْكَمُ آيَاتِكَ- وَ نَطَقَتْ بِهِ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ- وَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ- فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً- وَ لاَ فِي رَوِيَّاتِ خَاطِرِهَا مَحْدُوداً مُصَرَّفاً «فأشهد» إخباره عليه السّلام عن شهادته لتأكيد المطلب نظير قول هود عليه السّلام لقومه: «إِنِّي أُشْهِدُ اللّهَ وَ اشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ» (۱).

«أنّ من شبّهك بتباين أعضاء خلقك» فی کون بعضها أفرادا و بعضها أزواجا،قال الصادق علیه السّلام للمفضّل:فالرّأس ممّا خلق فردا،و لم یکن للإنسان صلاح فی أن یکون له أکثر من واحد،ألا ترى أنّه لو أضیف إلی رأس الإنسان رأس آخر لکان ثقلا علیه من غیر حاجه الیه،لأنّ الحواس الّتی یحتاج إلیها مجتمعه فی رأس واحد،ثمّ کان الإنسان ینقسم قسمین لو کان له رأسان،فإن تکلّم من أحدهما کان الآخر معطلا لا إرب فیه و لا حاجه الیه،و إن تکلّم منهما جمیعا بکلام واحد کان أحدهما فضلا لا یحتاج الیه،و إن تکلّم بأحدهما بغیر الّذی تکلّم به من الآخر،لم یدر السّامع بأیّ ذلک یأخذ،و أشباه هذه من الأخلاط.و الیدان ممّا خلق أزواجا،و لم یکن للإنسان خیر فی أن یکون له ید واحده،لأنّ ذلک کان یخلّ به فی ما یحتاج إلی معالجته من الأشیاء،أ لا ترى أنّ النّجار و البنّاء لو شلّت إحدى یدیه لا یستطیع أن یعالج صناعته،و إن تکلّف ذلک لم یحکمه،و لم یبلغ منه ما یبلغه إذا کانت یداه تتعاونان علی العمل (۲).

«و تلاحم» أی:تلاصق،من تلاحمت الشجّه:تلاءم لحمها.

«حقاق» جمع الحقّ بالضمّ،و فی(الجمهره):الحقّ رأس العضد الذی فیه

۱- ۱) هود:۵۴-۵۵. [۱]

۲- ۲) توحید المفضل:۶۱. [۲]

الوابله،و أصل الورک الّذی فیه عظم رأس الفخذ (۱)،و زاد(اللّسان):و النقره التی فی رأس الکتف أیضا (۲).

«مفاصلهم المحتجبه» عن العیون،و فی(توحید المفضل):و لو رأیت الدّماغ اذا کشف عنه لرأیته قد لفّ بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض و تمسکه فلا یضطرب،و لرأیت علیه الجمجمه بمنزله البیضه کیما تقیه هدّ الصدمه و الصکّه التی ربّما وقعت فی الرّأس،ثمّ قد جلّلت الجمجمه بالشعر حتّی صارت بمنزله الفرو للرأس،یستره من شدّه الحرّ و البرد،فمن حصّن الدماغ هذا التّحصین إلاّ الّذی خلقه،و جعله ینبوع الحس و المستحقّ للحیطه و الصیانه بعلوّ منزلته من البدن،و ارتفاع درجته و خطیر مرتبته.تأمّل -یا مفضّل-الجفن علی العین کیف جعل کالغشاء،و الأشفار کالأشراح و أولجها فی هذا الغار،و أظلّها بالحجاب،و ما علیه من الشعر.

یا مفضل!من غیّب الفؤاد فی جوف الصدر،و کساه المدرعه التی هی غشاوه و حصّنه بالجوانح،و ما علیها من اللّحم و العصب لئلاّ یصل إلیه ما ینکؤه (۳).

«لتدبیر حکمتک» فی تباین ما تباین من الأعضاء،و تلاحم حقاق ما احتجبت من المفاصل علی ما عرفت.

هذا و قال ابن أبی الحدید:روی بعضهم قوله علیه السّلام:«المحتجبه لتدبیر حکمتک»:(المحتجه)فمن قال:المحتجّه،أراد أنّها بما فیها من لطیف الصنعه کالمحتجّه المستدلّه علی التدبیر الحکمی من لدنه سبحانه،و من قال:

۱- ۱) جمهره اللغه لابن درید ۱:۶۳. [۱]

۲- ۲) لسان العرب ۱۰:۵۶ [۲] ماده(حقق).

۳- ۳) توحید المفضل:۶۴. [۳]

المحتجبه،أراد المستتره لأنّ ترکیبها الباطن خفی محجوب (۱).

و الاشکال علیه أنّ ابن میثم الّذی نسخته بخطّ المصنّف لم ینقل غیر «المحتجبه» (۲)،و روایه التوحید أیضا بلفظ«المحتجبه»نسخه واحده (۳)،و قد عرفت أنّ التدبیر مربوط بجمیع الکلام لا بخصوص تلاحم حقاق المفاصل.

و کیف کان فبیانه علیه السّلام لتدبیر حکمته تعالی فی الأعضاء و المفاصل ضمنیّ،فإنّه علیه السّلام فی مقام إنکار تشبیه الخالق بالخلائق،کما أنّه قد یکون الکلام فی غیر مقام المدح و القدح،و یحصلان ضمنا.

کما أنّ قوله علیه السّلام:«شبّهک بتباین»جعل وجه الشبه و المشبّه و المشبّه به اختصارا و ایضاحا لشناعه فعالهم .

«لم یعقد غیب ضمیره علی معرفتک» أی أنّ المشبّه له تعالی بالخلق،و إن ادّعی أنّه عرفک،إلّا أنّه لم یصل إلی معرفتک،حیث إنّ ما تصوره الربّ لیس بربّ.

و لمّا اتّهم الواثق أحمد بن نصر الخزاعیّ بالخروج علیه،فأخذ و حمل الیه،قال له الواثق:دع ما أخذت له،أ فتری ربّک فی القیامه؟ قال:کذا جاءت الروایه.

فقال:ویحک یری کما یری المحدود المتجسم یحویه مکان،و یحصره الناظر،أنا أکفر بربّ هذه صفته،ما تقولون فیه؟ فقال ابن أبی داود:شیخ مختل لعلّ به عاهه أو تغیّر عقل.

قال الواثق:ما أراه إلّا مؤدّیا لکفره قائما بما یعتقده،و دعا بالصّمصامه

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۴۴. [۱]

۲- ۲) فی شرح ابن میثم ۲:۳۲۹(المحتجبه).

۳- ۳) التوحید للصدوق:۵۴ ح ۱۳ و لم ینقل فی الهامش اختلاف بین النسخ.

و قال:إذا قمت إليه،فلا يقومنّ أحد معى،فإنّى أحتسب خطاى إلى هذا الكافر الّذى يعبد ربّا لا نعبده،و لا نعرفه بالصفه التى وصفه بها.و مشى إليه حتّى ضرب عنقه (۱).

و من المضحك أنّ الخطيب الحشويّ وضع له نومين،أحدهما:رأوه فى النوم،فقال:لقيت اللّه فضحك إلىّ.و الثانى:رأوه فى النوم،فقال:غضبت للّه فأباحنى النّظر الى وجهه.تعالى اللّه عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا.

و روى ذاك الحشوى فى عنوانه للحسين بن شبيب خبرا عن أبى بكر الصيد لانى عن أبى بكر المروزىّ بأسناد له أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال:الكرسىّ الّذى يجلس عليه الربّ و ما يفضل منه إلّا قدر أربع،و إن له أطيطا كأطيط الرّحل الجديد(أى صوته).

و قال ذاك الحشويّ:من ردّ هذا فإنّما أراد الطعن على أبى بكر المروزى، و على أبى بكر بن سلم.و هل كانا إلّا رجلين معروفين بالمنكر؟! و من العجب أنّ ذاك الحشوى يطعن على أدلّه العقول و على كلام الرسول صلّى اللّه عليه و آله،و يذعن و يسكن الى جمع حشويّين ناصبيّين معتقدين بما «تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا» (۲).

و قال الرّضا عليه السّلام:إلهى بدت قدرتك،و لم تبد هيئه،فجهلوك و قدّروك، و التقدير على غير ما به وصفوك،و إنّى برىء يا الهى من الذين بالتّشبيه طلبوك (۳).

---

۱ - ۱) نقله الطبرى فى التاريخ ۷:۳۲۸([۱]سنه ۲۳۱)،و نقله الشارح بتصرف،و قد سبق بعض القصه فى العنوان(۸)من هذا الفصل.

۲- ۲) رواه الخطيب فى تاريخ بغداد ۸:۵۲،و الآيه(۹۰) [۲]من سوره مريم.

۳- ۳) أخرجه الصدوق فى التوحيد:۱۲۴ ح ۲،و العيون ۱:۹۵ ح ۵،و [۳]أماليه:۴۸۷ ح ۲ المجلس(۸۹)،و [۴]نقله المجلسى عن الكتاب العتيق للغروى فى بحار الأنوار ۹۴:۱۸۱ ح ۹ عن الرضا عليه السّلام،و أخرجه المفيد فى الارشاد:۲۶۰ [۵]عن السجاد عليه السّلام.

«و لم يباشر قلبه اليقين بأنّه لا ندّ» أى:مثل.

«لـك» و إنّمـا اسـتندوا إلى أوهـام،و اعتمـدوا على أباطيـل،و منهم أبـو إسـماعيل الهروىّ،فاسـتند فى مـا توهم إلى مـا عن مرامه بمراحل،فقال:لما عاب تعالى الأصـنام بعدم أرجل يمشون بها،و أيد يبطشون بها،و أعين يبصـرون بها،و آذان يسـمعون بها حيث قـال: «أَ لَهُمْ أَرْجُـلٌ يَمْشُونَ بِهـا أَمْ لَهُمْ أَيْـدٍ يَبْطِشُونَ بِهـا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِـرُونَ بِهـا أَمْ لَهُمْ آذانٌ يَسْـمَعُونَ بِهـا» ، (۱)و قال: «إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْـمَعُوا دُعاءَكُمْ» ، (۲)و قـال: «أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَ لا يَهْـدِيهِمْ سَبِيلاً» ، (۳)و قـال: «أَ فَلا يَرَوْنَ أَلاّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً» (۴)تبيّن أنّه تعالى تمدّح بها،و أنّها حقائق فيه (۵).

فإنّ عيبهم بما قال لا يسـتلزم مـدحه بها كما توهّم،و إلاّ لزم أن يكون جميع البشـر آلهه،فعاب آلهتهم بعـدم كونهم مثلهم تهجينا لعقولهم،و لا ينافى ذلك اختصاص الإله من عبيده بكونه جامعا للصفات الكماليّه بدون الحاجه إلى الجوارح الظاهريه .

«و كـأنّه لم يسـمع تبرؤ التـابعين من المتبوعين إذ يقولون «تَاللّهِ إِنْ كُنّا لَفِى ضَـلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ» » (۶)و الآيتان فى الشعراء،و قبلهما:

«قالُوا وَ هُمْ فِيها يَخْتَصِمُونَ» (۷).و المراد من التابعين:الغاوون،و من

۱- ۱) الأعراف:۱۹۵. [۱]

۲- ۲) فاطر:۱۴. [۲]

۳- ۳) الأعراف:۱۴۸. [۳]

۴- ۴) طه:۸۹. [۴]

۵- ۵) نقله عن ابن طاوس فى الطرائف ۲:۳۴۵. [۵]

۶- ۶) الشعراء:۹۷-۹۸. [۶]

۷- ۷) الشعراء:۹۶. [۷]

المتبوعين:ما يعبدون من دون اللّه،قال تعالى: «وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغاوِينَ وَ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ» (۱).

و خطابه عليه السّلام و إن كان مع الموحّدين،و الآيات فى المشركين،إلاّ أنّهم لمّا شبّهوه بخلقه صاروا كالمشركين غيره تعالى له عزّ وجلّ كما قال عليه السّلام (۲).

«إذ شبّهوك بأصنامهم»فى إثبات الجسميّه له،و فى(التوحيد)بدل (بأصنامهم)(بأصنافهم) (۳).

«و نحلوك» أى:ادّعوا لك باطلا.

«حليه المخلوقين» التى يكون الخالق منزّها عنها.

«بأوهامهم» و لم يراجعوا عقولهم .

«و جزّؤوك تجزئه المجسّمات بخواطرهم،و قدّروك على الخلقه المختلفه القوى بقرائح عقولهم» الناقصه،و المراد:باستنباط عقولهم الضعيفه،و الأصل فى القريحه أوّل ماء يستنبط من البئر.

قال الدوانى:المشبّهه منهم من قال:إنّه جسم حقيقه.ثم افترقوا،فقال بعضهم:إنّه مركّب من لحم و دم.و قال بعضهم:هو نور متلألئ كالسبيكه البيضاء طوله سبعه أشبار بشبر نفسه،و منهم من قال:إنّه على صوره إنسان.و منهم من يقول:إنّه شاب أمرد جعد قطط.و منهم من قال:إنّه شيخ أشمط الرأس و اللحيه.و منهم من قال:هو فى جهه الفوق مماسّ للصّفحه العليا من العرش،و يجوز عليه الحركه و الانتقال،تبدل الجهات و يئطّ العرش

۱- ۱) الشعراء:۹۱-۹۳. [۱]

۲- ۲) لم يتعرض الشارح لشرح فقره«كذب العادلون بك».

۳- ۳) التوحيد للصدوق:۵۱ ح ۱۳ و نصه:«إذ شبّهوه بمثل أصنافهم»و فى نسخه(أصنامهم).

تحته أطيط الرحل الجديد تحت الرّاكب الثقيل،و هو يفضل على العرش بقدر أربع أصابع.و منهم من قال:هو محاذ للعرش غير مماسّ له،و بعده عنه بمسافه متناهيه،و قيل:بمسافه غير متناهيه (۱)...إلى غير ذلك من خرافاتهم.

تعالى عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا .

«و أشهد أنّ من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك» عن جلالك .

«و العادل بك» غيرك.

«كافر بما نزّلت به محكم آياتك» قال تعالى: «أَ إِلهٌ مَعَ اللّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ» (۲)، «وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ وَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» (۳)، «ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ » (۴).

«و نطقت به شواهد حجج بيّناتك» من دلاله العقول على عدم إمكان كون الخالق كالخلائق .

«و أنت اللّه الذى لم تتناه فى العقول» لقصورها عن الإحاطه بك .

«فتكون فى مهبّ» رياح.

«فكرها» ككثير من الأشياء.

«مكيّفا» بكيفيّه .

«و لا فى رويّات خاطرها» أى تفكّرها فى الأمور.

«محدودا مصرّفا» كخلقه،ورد أنّ رجلا قال له عليه السّلام:أين المعبود؟ فقال عليه السّلام:لا يقال له:أين.لأنّه أيّن الأينيه،و لا يقال له:كيف.لأنّه كيف الكيفيّه،و لا يقال له:ما هو.لأنّه خلق الماهيه.سبحانه من عظيم تاهت الفطن

۱- ۱) نقله عن الدوانى المجلسى فى بحار الأنوار ۳:۲۸۹. [۱]

۲- ۲) النمل:۶۰. [۲]

۳- ۳) الأنعام:۱۵۰. [۳]

۴- ۴) الأنعام:۱. [۴]

فی تیّار أمواج عظمته،و حصرت الألباب عن ذکر أزلیته،و تحیّرت العقول فی أفلاک ملکوته (۱).

هذا،و فی(منهاج العلاّمه):حکی عن بعض المنقطعین التارکین من شیوخ الحشویّه أنّه اجتاز علیه فی بعض الأیام نفّاط و معه أمرد حسن الصوره قطط الشعر علی الصفات التی یصفون ربّهم بها،فألحّ بالنّظر إلیه و کرّره،فتوهم منه النّفاط أمرا،فجاء إلیه لیلا و قال له:رأیتک تلحّ بالنّظر إلی هذا الغلام و قد أتیتک به،فإن کان لک فیه نیّه فأنت الحاکم.فحرد علیه،و قال:

إنّما کرّرت النظر لأنّ مذهبی:أنّ اللّه ینزل علی صوره هذا الغلام،فتوهّمت أنّه اللّه.فقال له النفّاط:و اللّه ما أنا علیه من النفاطه أجود ممّا أنت علیه من الزّهد مع هذه المقاله.

و فیه:و ذهب بعضهم إلی أنّه تعالی ینزل فی کلّ لیله جمعه علی شکل أمرد ببغداد راکبا علی حمار،حتی انّ بعضهم ببغداد صنع علی سطح داره معلفا،و یضع کلّ لیله جمعه فیه شعیرا و تبنا،فلعلّ ینزل اللّه علی حماره علی ذلک السطح،فیشتغل الحمار بالأکل،و یشتغل الرّبّ بالنّداء،و یقول:هل تائب مستغفر؟ (۲)

۱۴

من الخطبه(۸۹)

بعد ما مرّ:

قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَلْطَفَ تَقْدِیرَهُ وَ دَبَّرَهُ فَأَحْکَمَ تَدْبِیرَهُ- وَ وَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ یَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ- وَ لَمْ یَقْصُرْ دُونَ الِانْتِهَاءِ إِلَی غَایَتِهِ- وَ لَمْ

۱- ۱) رواه الفتال فی روضه الواعظین ۱:۳۷ و [۱]روی فی معناه کثیرا لم یسع المقام لذکره.

۲- ۲) نقلهما العلاّمه الحلی فی منهاج الکرامه:۷ و نقلناهما بتصرف یسیر.

يَسْتَصْعِبْ إِذْ أَمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ- وَ كَيْفَ وَ إِنَّمَا صَدَرَتِ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيَّتِهِ- الْمُنْشِئُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلَا رَوِيَّةٍ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا- وَ لَا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا- وَ لَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ- وَ لَا شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ- فَتَمَّ خَلْقُهُ وَ أَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ وَ أَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ- وَ لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْبَطِيءِ وَ لَا أَنَاةُ الْمُتَلَكِّئِ- فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا وَ نَهَجَ حُدُودَهَا- وَ لَاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا- وَ وَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا وَ فَرَّقَهَا أَجْنَاساً- مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَ الْأَقْدَارِ وَ الْغَرَائِزِ وَ الْهَيْئَاتِ- بَدَايَا خَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا وَ فَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَ ابْتَدَعَهَا «قدّر ما خلق فألطف» هكذا فی(المصریه) (۱)،و الصواب:(فأحکم).

«تقدیره» «فالِقُ الْإِصْباحِ وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْباناً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» (۲)، «سُبْحانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها مِمّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمّا لا يَعْلَمُونَ وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ » (۳).

«و دبّره فأحکم» هکذا فی(المصریه)،و الصّواب:(فألطف)کما فی غیرها (۴).

«تدبیره» «قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَكَ فِيها وَ قَدَّرَ»

۱- ۱) فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۴۵« [۱]فأحکم»و فی شرح ابن میثم ۲:۳۴۰« [۲]فألطف».

۲- ۲) الأنعام:۹۶. [۳]

۳- ۳) یس:۳۶-۳۹. [۴]

۴- ۴) فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۳۵«فألطف»،و فی شرح ابن میثم ۲:۳۴۱«فأحکم».

فِيها أَقْواتَها فِی أَرْبَعَهِ أَيّامٍ سَواءً لِلسّائِلِينَ (۱).

و فی دعاء الهلال:«سبحانه ما أعجب ما دبّر فی أمرک،و ألطف ما صنع فی شأنک،جعلک مفتاح شهر حادث لأمر حادث» (۲).

و فی(توحید المفضل)قال الصادق علیه السّلام:«انظر الآن یا مفضّل إلی هذه الحواسّ التی خصّ بها الإنسان فی خلقه،و شرّف بها علی غیره،کیف جعلت العینان فی الرأس کالمصابیح فوق المناره لیتمکّن من مطالعه الأشیاء،و لم تجعل فی الأعضاء التی تحتهنّ کالیدین و الرجلین فتعترضها الآفات، و یصیبها من مباشره العمل و الحرکه ما یعلّلها و یؤثّر فیها،و ینقص منها،و لا فی الأعضاء التی وسط البدن کالبطن و الظهر،فیعسر تقلّبها و اطّلاعها نحو الأشیاء» (۳).و فیه أیضا:«اعتبر الآن یا مفضل بعظم النعمه علی الانسان فی مطعمه و مشربه،و تسهیل خروج الأذی،أ لیس من حسن التقدیر فی بناء الدار أن یکون الخلاء فی أستر موضع منها؟فکذا جعل اللّه سبحانه المنفذ المهیّا للخلاء من الإنسان فی أستر موضع منه،فلم یجعله بارزا من خلفه،و لا ناشرا من بین یدیه،بل هو مغیّب فی موضع غامض من البدن،مستور محجوب یلتقی علیه الفخذان،و تحجبه الإلیتان بما علیهما من اللّحم فتواریانه،فإذا احتاج الإنسان الی الخلاء و جلس تلک الجلسه ألفی ذلک المنفذ منه منصبا مهیّئا لانحدار الثفل،فتبارک من تظاهرت آلاؤه و لا تحصی نعماؤه » (۴).

«و وجّهه» أی:ما خلق.

«لوجهته» التی ینبغی أن یکون علیها.

۱- ۱) فصلت:۹-۱۰. [۱]

۲- ۲) الصحیفه السجادیه الکامله:۲۱۰، [۲]الدعاء(۴۳).

۳- ۳) توحید المفضل:۵۸. [۳]

۴- ۴) توحید المفضل:۷۰. [۴]

«فلم يتعدّ حدود منزلته،و لم يقصر دون الانتهاء إلى غايته» بل يصير إلى ما خلق له بلا زياده و لا نقصان.

فى(توحيد المفضل):انظر الآن كيف حياء الأنثى من الفيله فى أسفل بطنها،فإذا هاجت للضّراب ارتفع و برز حتّى يتمكّن الفحل من ضربها،فاعتبر كيف جعل حياء الأنثى من الفيله على خلاف ما عليه فى غيرها من الأنعام،ثمّ جعلت فيه هذه الخلّه ليتهيّأ للأمر الّذى فيه قوام النّسل و دوامه (۱).

«و لم يستصعب» ما خلق.

«إذ أمر بالمضىّ» و النفوذ.

«على إرادته» و وفق مشيئته،قال تعالى: «ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها وَ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ حِفْظاً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» (۲)،و: «لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لاَ اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » (۳).

«و كيف» يستصعب شيء عن إرادته تعالى.

«و إنّما صدرت الأمور عن مشيئته» «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (۴)، «وَ ما تَشاؤُنَ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللّهُ » (۵).

«المنشئ أصناف الأشياء بلا رويّه» أى:تأمّل.

«فكر آل» أى:رجع.

۱- ۱) توحيد المفضل:۱۰۴. [۱]

۲- ۲) فصلت:۱۱-۱۲. [۲]

۳- ۳) يس:۴۰. [۳]

۴- ۴) يس الانسان:۸۲. [۴]

۵- ۵) :۳۰.

«اليها» كالناس فى أفعالهم «وَ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَ جَنّاتٍ مَعْرُوشاتٍ وَ غَيْرَ مَعْرُوشاتٍ وَ النَّخْلَ وَ الزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمّانَ مُتَشابِهاً وَ غَيْرَ مُتَشابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصادِهِ وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ وَ مِنَ الْأَنْعامِ حَمُولَةً وَ فَرْشاً » (۱).

«و لا قريحه» و الأصل فى القريحه أوّل ماء يستنبط من البئر،ثمّ استعير لما يستنبط بجوده الطبع.

«غريزه» بتقديم الرّاء على الزّاء،أى:الطبيعه.

«أضمر» أى:عمل فى الضمير.

«عليها» أى:على تلك القريحه .

«و لا تجربه استفادها من حوادث الدهور» كالنّاس المعمّرين .

«و لا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور» حسب شأن الخلائق .

«فتمّ خلقه» من حيث جمعه لجميع مصالحه «ما تَرى فِى خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ » (۲).

«و أذعن» أى:خضع و ذلّ.

«لطاعته» أى:إطاعته .

«و أجاب إلى دعوته» فلمّا قال بلسان القدره للسّماء و الأرض: «ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً» قالتا بلسان المذلّه له: «أَتَيْنا طائِعِينَ » (۳).

«و لم يعترض دونه ريث» الرّيث:ضد العجله كالبطء.

«البطىء و لا أناه» أى:تأن.

۱- ۱) الأنعام:۱۴۱-۱۴۲. [۱]

۲- ۲) الملک:۳. [۲]

۳- ۳) هذا اقتباس من قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ» فصلت:۱۱. [۳]

«المتلكّئ» أى:المتباطئ،فى روايه(التوحيد)بدل«و أجاب إلى دعوته...

أنـاه المتلكّئ»:«و وافى الوقت الّـذى أخرجه إليه إجـابه لم يعترض دونها ريث المبطئ،و لا أناه المتلكّئ» (۱).و هو الأقرب لإفاده المقصد.

و المراد:أنّ ما يحصل فى الوجود كالأسـنان للرّضـيع،و اللحيه للرجل، و الثّدى للمرأه،إنّما كان لأنّ الأوّل إنّما يوافى الوقت الذى يحتـاج إلى الأكـل، و الثـانى إنّمـا يـوافى الوقت الـذى يتميّز الرّجـل من الطفـل،و الثـالث إنّمـا يوافى الوقت الـذى تسـتعدّ المرأه للحمـل،و كـلّ منهـا قبـل ذلـك وجوده لغو،لاـ أنّها تلكّأت و أبطأت عليه-تعالى-كالناس يريـدون شـيئا لا يحصل لهم فى ذاك الوقت .

«فأقام من الأشياء أودها» أى:عوجها .

«و نهج» أى:أوضح.

«حـدودها» و نقلـه ابن أبى الحديـد(جـددها)،و قـال:أى طريقهـا (۲).مع أنّ فى (الصـحاح):الجـدد،بالفتـح،الأرض الصّـلبه (۳)،و فى(اللسان)قال ابن شميل:

الجدد ما استوى من الأرض (۴).

قلت:و يشهد للثانى المثل:من سلك الجدد أمن العثار (۵).ثم فى(التوحيد) بدل الجمله«و نهى معالم حدودها » (۶).

«و لاءم بقدرته بين متضادّها» فسّر متضادّ الأشياء-التى لاءم تعالى

۱- ۱) التوحيد للصدوق:۵۳ ح ۱۳.

۲- ۲) فى شـرح ابن أبى الحديـد ۲:۱۴۵«حدودها»أيضا،و فى:۱۴۶ شـرح فقره«نهج البلاغه»بلفظ«أوضح الطريق»،و فى شـرح ابن ميثم ۲:۳۴۴«جددها»،و فى:۳۴۴ جعل«حدودها»روايه و شرح الفقره بلفظ«هو ايضاحه لكلّ شىء و جهته و غايته التى تيسرها له».

۳- ۳) صحاح اللغه للجوهرى ۱:۴۴۹ ماده(جدد).

۴- ۴) لسان العرب ۳:۱۰۹ [۱] ماده(جدد).

۵- ۵) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ۲:۳۰۶ و الزمخشرى فى المستقصى ۲:۳۵۶ و [۲]قالا:يضرب فى طلب العافيه.

۶- ۶) التوحيد للصدوق:۵۴ ح ۱۳.

بينها-بعضهم بالحراره و البروده و الرطوبه و اليبوسه،و بعضهم بالنّار و الماء و الريح و التراب .

«و وصل أسباب قرائنها» قيل:المراد اقتران النفوس بالأبدان.و قيل:

هدايتها لما هو الأليق بها فى معاشها و معادها.و زاد(التوحيد)«و خالف بين ألوانها » (۱).

«و فرّقها أجناسا مختلفات» الإنسان و أنواع الحيوانات و الطيور و الهوامّ.

«فى الحدود و الأقدار» أى:المقادير .

«و الغرائز» بتقديم الرّاء،أى:الطبائع.

«و الهيئات» أى:الأشكال،قال الصادق عليه السّلام للمفضّل:فكّر يا مفضّل فى هذه الأصناف الثلاثه من الحيوان،و فى خلقها على ما هى عليه ممّا صلاح كلّ واحد منها،فالإنس لمّا قدروا أن يكونوا ذوى ذهن و فطنه و علاج لمثل هذه الصناعات من البناء و النجاره و الصباغه و غير ذلك خلقت لهم أكفّ كبار ذوات أصابع غلاظ،ليتمكنوا من القبض على الأشياء و أوكدها هذه الصناعات،و آكلات اللحم لمّا قدّر أن تكون معائشها من الصيد خلقت لهم أكفّ لطاف مدمجه ذوات براثن و مخالب تصلح لأخذ الصيد و لا تصلح للصناعات،و آكلات النبات لمّا قدّر أن يكونوا لا ذوات صنعه و لا ذوات صيد، خلقت لبعضها أظلاف تقيها خشونه الأرض إذا حاولت طلب المرعى، و لبعضها حوافر ململمه ذوات قعر كأخمص القدم تنطبق على الأرض عند تهيّئها للركوب و الحموله.تأمّل التدبير فى خلق آكلات اللحم من الحيوان حين خلقت ذوات أسنان حداد و براثن شداد و أشداق و أفواه واسعه،فإنّه لمّا قدّر أن يكون طعمها اللّحم،خلقت خلقه تشاكل ذلك،و أعينت بسلاح و أدوات

۱- ۱) التوحيد للصدوق:۵۴ ح ۱۳.

تصلح للصيد،و كذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير و مخالب مهيّأه لفعلها، و لو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد أعطيت ما لا تحتاج إليه،لأنّها لا تصيد و لا تأكل اللّحم،و لو كانت السباع ذوات أظلاف كانت قد منعت ما تحتاج إليه،أعنى السلاح الذى تصيد و تتعيّش.أفلا ترى كيف أعطى كلّ واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه و طبقته،بل ما فيه بقاؤه و صلاحه (۱).

«بدايا خلائق أحكم صنعها» قال الصادق عليه السّلام للمفضّل:فكّر فى خلق الزرافه و اختلاف أعضائها،و شبهها بأعضاء أصناف من الحيوان،فرأسها رأس فرس،و عنقها عنق جمل،و أظلافها أظلاف بقره،و جلدها جلد نمر، و زعم ناس من الجهّال باللّه تعالى أنّ نتاجها من فحول شتّى قالوا:و سبب ذلك أنّ أصنافا من حيوان البرّ إذا وردت الماء تنزو على بعض السائمه و ينتج مثل هذا الشخص الذى هو كالملتقط من أصناف شتّى،و هذا جهل من قائله و قلّه معرفه بالبارئ جلّ قدسه،و ليس كلّ صنف من الحيوان يلقح كلّ صنف،فلا الفرس يلقح الجمل،و لا الجمل يلقح البقر،و إنّما يكون التلقيح من بعض الحيوان فى ما يشاكله،و يقرب من خلقه كما يلقح الفرس الحمار،فيخرج بينهما البغل،و يلقح الذئب الضبع،فيخرج بينهما السمع (۲).

«و فطرها على ما أراد و ابتدعها» «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَى اَلَّذِى خَلَقَ فَسَوّى وَ الَّذِى قَدَّرَ فَهَدى» (۳).

و قال الصادق عليه السّلام للمفضّل:فكّر فى الفطن الّتى جعلت فى البهائم لمصلحتها بالطبع و الخلقه،لطف من اللّه عزّ و جلّ لهم لئلّا يخلو من نعمه جلّ

۱- ۱) توحيد المفضل:۹۶. [۱]

۲- ۲) توحيد المفضل:۱۰۴. [۲]

۳- ۳) الأعلى:۱-۳. [۳]

و عزّ أحد من خلقه،لا بعقل و رويّه،فإنّ الأيل يأكل الحيات فيعطش عطشا شديدا،فيمتنع عن شرب الماء خوفا من أن يدبّ السمّ فی جسمه فيقتله،و يقف علی الغدير و هو مجهود عطشا،فيعجّ عجيجا عاليا و لا يشرب منه،و لو شرب لمات من ساعته.فانظر إلی ما جعل من طباع هذه البهيمه من تحمّل الظماء الغالب الشديد خوفا من المضرّه فی الشرب،و ذلک ممّا لا يکاد الإنسان العاقل المميّز يضبطه من نفسه (۱).

هذا،و زاد(التوحيد)علی ما مرّ:«انتظم علمه صنوف ذرئها،و أدرک تدبيره حسن تقديرها» (۲).

۱۵

من الخطبه(۱۰۶)

و من خطبه له عليه السّلام(و هی من خطب الملاحم):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلِّی لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ- وَ الظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ- خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّهٍ- إِذْ کَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لاَ تَلِيقُ إِلاَّ بِذَوِی الضَّمَائِرِ- وَ لَيْسَ بِذِی ضَمِيرٍ فِی نَفْسِهِ- خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتُرَاتِ- وَ أَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ قول المصنّف : «و هی من خطب الملاحم» الملاحم:الوقائع العظيمه فی الفتن،جعلها منها لأنّ فيها:«رأيت ضلاله قد قامت علی قطبها...»،کما يأتی فی فصل إخباره عليه السّلام بالملاحم (۳).

قوله عليه السّلام : «الحمد للّه المتجلّی لخلقه» تجلّيا أجلی من الشمس فقد يشکّ

۱- ۱) توحيد المفضل:۱۰۹. [۱]

۲- ۲) التوحيد للصدوق:۵۴ ح ۱۳.

۳- ۳) يأتی فی العنوان(۳۰)منه.

فی طلوع الشمس و غروبها و زوالها و محلّها من السماء إذا کانت تحت السحاب،و لیس یشکّ فی وجود الصانع غیر مکابر فی وقت «أَ فِی اللّهِ شَکٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» (۱).

«بخلقه» :أی تجلّیه بسبب مشاهده مخلوقاته،و لو لم یکن فی خلقه إلّا الشمس لکفاه فی تجلّیه لخلقه،کیف و خلقه لا یحصی ؟! «و الظاهر لقلوبهم بحجّته» و إن لم یظهر لأعینهم بمشاهدته،کلّم الصادق علیه السّلام ابن أبی العوجاء یوما فعاد الیه غدا.فقال:کأنّک جئت تعید بعض ما کنّا فیه.فقال:أردت ذلک یابن رسول اللّه.فقال له أبو عبد اللّه علیه السّلام:ما أعجب هذا،تنکر اللّه و تشهد أنّی ابن رسول اللّه!فقال:العاده تحملنی علی ذلک.

فقال علیه السّلام:فما یمنعک من الکلام؟قال:اجلالا لک و مهابه ما ینطلق لسانی بین یدیک،فإنّی شاهدت العلماء و ناظرت المتکلّمین فما تداخلنی هیبه قطّ مثل ما تداخلنی من هیبتک.

قال:یکون ذلک و لکن أفتح علیک بسؤال و أقبل علیه،فقال له:أ مصنوع أنت أم غیر مصنوع؟فقال عبد الکریم بن أبی العوجاء:بل أنا غیر مصنوع.

فقال علیه السّلام:فصف لی لو کنت مصنوعا کیف کنت تکون؟ فبقی عبد الکریم ملیّا لا یحیر جوابا،و ولع بخشبه کانت بین یدیه و هو یقول:طویل عریض عمیق قصیر متحرّک ساکن کلّ ذلک صفه خلقه.

فقال علیه السّلام:فإن کنت لم تعلم صفه الصّانع غیرها فاجعل نفسک مصنوعا لما تجد فی نفسک ممّا یحدث من هذه الأمور.فقال له عبد الکریم:سألتنی عن مسأله لم یسألنی عنها أحد قبلک،و لا یسألنی أحد بعدک عن مثلها.فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام:هبک علمت أنّک لم تسأل فی ما مضی،فما علمک أنّک لا تسأل فی

۱- ۱) ابراهیم:۱۰. [۱]

ما بعد؟على أنّک-يا عبد الكريم-نقضت قولک،لأنک تزعم أنّ الأشياء من الأوّل سواء،فكيف قدّمت و أخّرت؟ثم قال:يا عبد الكريم!أزيدک وضوحا:

أرأيت لو كان معک كيس فيه جواهر،فقال لک قائل:هل فی الكيس دينار؟ فنفيت كون الدينار فی الكيس،فقال لک:صف لی الدّينار،و كنت غير عالم بصفته،هل كان لک أن تنفی كون الدّينار عن الكيس و أنت لا تعلم؟قال:لا.فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام:فالعالم أكبر و أطول و أعرض من الكيس،فلعلّ فی العالم صنعه من حيث لا تعلم صفه الصنعه من غير الصنعه.(أی:فكيف تنفی الصنعه؟).فانقطع عبد الكريم،و أجاب إلى الإسلام بعض أصحابه و بقی معه بعض.فعاد فی اليوم الثالث،فقال:أقلّب السؤال.فقال له أبو عبد اللّه عليه السّلام:سل عمّا شئت.فقال:ما الدّليل على حدث الأجسام؟فقال عليه السّلام:إنّی ما وجدت شيئا صغيرا و لا كبيرا إلاّ و إذا ضمّ إليه مثله صار أكبر،و فی ذلک زوال و انتقال عن الحاله الأولى،و لو كان قديما ما زال و لا حال،لأنّ الذی يزول و يحول يجوز أن يوجد و يبطل،فيكون بوجوده بعد عدمه دخول فی الحدث،و فی كونه فی الأزل دخوله فی العدم،و لن تجتمع صفه الأزل و العدم و الحدوث،و القدم فی شیء واحد.فقال عبد الكريم:هبک علمت فی جرى الحالتين و الزمانين على ما ذكرت و استدللت بذلک على حدوثها،فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لک أن تستدلّ على حدوثهنّ؟فقال عليه السّلام:إنّما نتكلّم على هذا العالم الموضوع،فلو رفعناه و وضعنا عالما آخر كان لا شیء أدلّ على الحدث من رفعنا إيّاه،و وضعنا غيره،و لكن أجيبک من حيث قدّرت أن تلزمنا،فنقول:إنّ الأشياء لو دامت على صغرها لكان فی الوهم أنّه متى ضمّ شیء إلى مثله كان أكبر،و فی جواز التّغيير عليه خروجه من القدم،كما أنّ فی تغييره دخوله فی الحدث ليس لک و راءه شیء يا عبد الكريم.فانقطع و خزی.

فلمّا كان من العالم القابل التقى معه فى الحرم،فقال له بعض شيعته:إنّ ابن أبى العوجاء قد أسلم.فقال عليه السّلام:هو أعمى من ذلك،لا يسلم.فلمّا بصر به عليه السّلام قال:يا سيّدى و مولاى.فقال عليه السّلام:ما جاء بك الى هذا الموضع؟فقال:

عاده الجسد و سنّه البلد،و لننظر ما النّاس فيه من الجنون و الحلق و رمى الحجاره.فقال له عليه السّلام:أنت بعد على عتوّك و ضلالك يا عبد الكريم،فذهب يتكلّم.

فقال عليه السّلام له:لا جدال فى الحجّ،و نفض رداءه من يده،و قال:إن يكن الأمر كما تقول-و ليس كما تقول-نجونا و نجوت،و إن يكن الأمر كما نقول -و هو كما نقول-نجونا و هلكت.

فأقبل عبد الكريم على من معه،فقال:وجدت فى قلبى حزازه فردّونى، فردّوه فمات (۱).

«خلق الخلق من غير رويّه» أى:تفكّر .

«إذ كانت الرويّات لا تليق إلّا بذوى الضمائر» الّذين لهم قلوب فى الصدور.

«و ليس بذى ضمير فى نفسه» و هو نظير قوله عليه السّلام فى الخطبه الأولى:«بلا رويّه أجالها و لا تجربه استفادها و لا حركه أحدثها و لا همامه نفس اضطرب فيها » (۲).

«خرق علمه باطن غيب السترات» فجعلها منكشفه، «يَعْلَمُ خائِنَهَ الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِى الصُّدُورُ» (۳)، «فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى» (۴).

۱- ۱) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۷۶ ح ۲،و [۱]الصدوق فى التوحيد:۲۹۶ ح ۲، [۲]لكن الحديث فى عدد من نسخ الكافى [۳]لا كلّها.

۲- ۲) نهج البلاغه ۱:۱۶ شرح الخطبه(۱).

۳- ۳) غافر:۱۹. [۴]

۴- ۴) طه:۷. [۵]

قالوا:أخفى من السرّ ما خطر بالقلب و لم يحصل فى الخارج (۱).

«و أحاط بغموض» أى:خفى.

«عقائد السريرات» «قُلْ إِنْ تُخْفُوا ما فِی صُدُورِکُمْ أَوْ تُبْدُوهُ یَعْلَمْهُ اللّهُ وَ یَعْلَمُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ» (۲)، «یَسْتَخْفُونَ مِنَ النّاسِ وَ لا یَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ یُبَیِّتُونَ ما لا یَرْضی مِنَ الْقَوْلِ وَ کانَ اللّهُ بِما یَعْمَلُونَ مُحِیطاً» (۳)، «وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَیْبِ لا یَعْلَمُها إِلاّ هُوَ وَ یَعْلَمُ ما فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ إِلاّ یَعْلَمُها وَ لا حَبَّهٍ فِی ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ وَ هُوَ الَّذِی یَتَوَفّاکُمْ بِاللَّیْلِ وَ یَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ» (۴).

۱۶

من الخطبه(۱۰۷)

و من خطبه له علیه السّلام:

کُلُّ شَیْءٍ خَاضِعٌ لَهُ- وَ کُلُّ شَیْءٍ قَائِمٌ بِهِ- غِنَی کُلِّ فَقِیرٍ- وَ عِزُّ کُلِّ ذَلِیلٍ- وَ قُوَّهُ کُلِّ ضَعِیفٍ- وَ مَفْزَعُ کُلِّ مَلْهُوفٍ- مَنْ تَکَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ- وَ مَنْ سَکَتَ عَلِمَ سِرَّهُ- وَ مَنْ عَاشَ فَعَلَیْهِ رِزْقُهُ- وَ مَنْ مَاتَ فَإِلَیْهِ مُنْقَلَبُهُ- لَمْ تَرَ کَ الْعُیُونُ فَتُخْبِرَ عَنْکَ- بَلْ کُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِینَ مِنْ خَلْقِکَ- لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَهٍ- وَ لاَ اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَهٍ- وَ لاَ یَسْبِقُکَ مَنْ طَلَبْتَ- وَ لاَ یُفْلِتُکَ مَنْ أَخَذْتَ- وَ لاَ یَنْقُصُ سُلْطَانَکَ مَنْ عَصَاکَ- وَ لاَ یَزِیدُ فِی مُلْکِکَ مَنْ أَطَاعَکَ- وَ لاَ یَرُدُّ أَمْرَکَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَکَ- وَ لاَ یَسْتَغْنِی عَنْکَ مَنْ تَوَلَّی

۱- ۱) أخرج ما فی معناه علی بن ابراهیم فی تفسیره ۲:۵۹،و عبد الرزاق فی الجامع،و عبد بن حمید فی مسنده عن قتاده،و عبد بن حمید فی مسنده،و ابن المنذر عن الحسن البصری،و عکرمه عنهم الدرّ المنثور ۴:۲۹۰. [۱]

۲- ۲) آل عمران:۲۹. [۲]

۳- ۳) النساء:۱۰۸. [۳]

۴- ۴) الأنعام:۵۹-۶۰. [۴]

عَنْ أَمْرِكَ- كُلَّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلاَنِيَهٌ- وَ كُلَّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَهٌ- أَنْتَ الْأَبَدُ فَلاَ أَمَدَ لَكَ- وَ أَنْتَ الْمُنْتَهَى لاَ مَحِيصَ عَنْكَ- وَ أَنْتَ الْمَوْعِدُ لاَ مَنْجَى مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ- بِيَدِكَ نَاصِيَهُ كُلِّ دَابَّهٍ- وَ إِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَهٍ- سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ- وَ مَا أَصْغَرَ عَظِمَهُ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ- وَ مَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ- وَ مَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ- وَ مَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا- وَ مَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَهِ «كلّ شيء خاضع له» هكذا في(المصريه)،و الصواب:(خاشع له)كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيّه) (۱).و خشوع كلّ شيء له بمعنى كونه تحت إرادته كالسجود له،قال تعالى: «وَ لِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ» (۲)، «أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلى ما خَلَقَ اللّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمائِلِ سُجَّداً لِلّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ وَ لِلّهِ يَسْجُدُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ دابَّهٍ وَ الْمَلائِكَهُ وَ هُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ » (۳).

«و كلّ شيء قائم به» «أَ فَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ» (۴)، «إِنَّ اللّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَ لَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ » (۵).

«غنى كلّ فقير» «هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ حَتّى يَنْفَضُّوا وَ لِلّهِ خَزائِنُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ» (۶)،

۱- ۱) كذا في شرح ابن أبي الحديد ۲:۲۲۷،و [۱]في شرح ابن ميثم ۳:۴۹« [۲]خاضع»أيضا.

۲- ۲) الرعد:۱۵. [۳]

۳- ۳) النحل:۴۸-۴۹. [۴]

۴- ۴) الرعد:۳۳. [۵]

۵- ۵) فاطر المنافقون:۴۱. [۶]

۶- ۶) :۷.

«وَ وَجَدَکَ عائِلاً فَأَغْنی» (۱)، «إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْکَ مالاً وَ وَلَداً فَعَسی رَبِّی أَنْ یُؤْتِیَنِ خَیْراً مِنْ جَنَّتِکَ » (۲).

«و عزّ کلّ ذلیل» «أَ یَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّهَ فَإِنَّ الْعِزَّهَ لِلّهِ جَمِیعاً» (۳)، «وَ لِلّهِ الْعِزَّهُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ وَ لکِنَّ الْمُنافِقِینَ لا یَعْلَمُونَ » (۴).

«و قوّه کلّ ضعیف» «أَ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآوی » (۵).

«و مفزع کلّ ملهوف» «أَمَّنْ یُجِیبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ یَکْشِفُ السُّوءَ» ، (۶)«وَ ما بِکُمْ مِنْ نِعْمَهٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّکُمُ الضُّرُّ فَإِلَیْهِ تَجْأَرُونَ» (۷).و یشهد لجمیع الفقرات قوله تعالی: «قُلِ اللّهُمَّ مالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْکَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِیَدِکَ الْخَیْرُ إِنَّکَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ تُولِجُ اللَّیْلَ فِی النَّهارِ وَ تُولِجُ النَّهارَ فِی اللَّیْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَیِّتَ مِنَ الْحَیِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَیْرِ حِسابٍ » (۸).

«و من» هکذا فی(المصریه)و الصواب:(من)بدون واو،کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیّه) (۹).

«تکلّم سمع نطقه،و من سکت علم سرّه» «سَواءٌ مِنْکُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ»

۱- ۱) الضحی:۸. [۱]

۲- ۲) الکهف:۳۹-۴۰. [۲]

۳- ۳) النساء:۱۳۹. [۳]

۴- ۴) المنافقون:۸. [۴]

۵- ۵) الضحی:۶. [۵]

۶- ۶) النمل:۶۲. [۶]

۷- ۷) النحل:۵۳. [۷]

۸- ۸) آل عمران:۲۶-۲۷. [۸]

۹- ۹) کذا فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۲۲۷،و [۹]مع(الواو)فی شرح ابن میثم ۳:۴۹. [۱۰]

«جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سارِبٌ بِالنَّهارِ» (۱)، «وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى » (۲).

«و من عاش فعليه رزقه» «وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلاّ عَلَى اللّهِ رِزْقُها وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَ مُسْتَوْدَعَها كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ» (۳).

و قال الشاعر:

إنّ الّذى شقّ فمى ضامن للرّزق حتّى يتوفّانى

«و من مات فإليه منقلبه» «قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ » (۴).

«لم ترك» الكاف مفعول(لم تر).

«العيون» كما ترى الجسمانيّات.

«فتخبر عنك» بكيفيّه أو كميّه .

«بل كنت قبل الواصفين من خلقك» يعنى أنّ شهاده العقول بكونك قبل الخلق دالّه على أنّ المخبر عنك إنّما هو القلوب الشاهده للغيوب لا العيون القاصره عن رؤيه أمر محجوب .

«لم تخلق الخلق لوحشه» «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ » (۵).

«و لا استعملتهم لمنفعه» «ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ ما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللّهَ هُوَ الرَّزّاقُ ذُو الْقُوَّهِ الْمَتِينُ» (۶).

۱- ۱) الرعد:۱۰. [۱]

۲- ۲) طه:۷. [۲]

۳- ۳) هود:۶. [۳]

۴- ۴) السجده:۱۱. [۴]

۵- ۵) الذاريات:۵۶. [۵]

۶- ۶) الذاريات:۵۷-۵۸. [۶]

«و لا يسبقك من طلبت» «وَ إِذا أَرادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ» (۱)، «أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا » (۲).

«و لا يفلتك» أى:لا يخرج من تحت يدك.

«من أخذت» «فَأَخَذْناهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ» (۳)، «فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ» (۴)، «فَلَوْ لا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ » (۵).

«و لا ينقص سلطانك من عصاك» «وَ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللّهَ شَيْئاً» (۶)، «يا أَيُّهَا النّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » (۷).

«و لا يزيد فى ملكك من أطاعك» «مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَيْها» (۸)، «وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ » (۹)«و لا يردّ أمرك» المراد:أمره القدرىّ لا التكليفى.

«من سخط قضاءك» «وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً»

۱- ۱) الرعد:۱۱. [۱]

۲- ۲) الأنبياء:۴۳. [۲]

۳- ۳) القمر:۴۲. [۳]

۴- ۴) القصص:۸۱. [۴]

۵- ۵) الواقعه:۸۶-۸۷. [۵]

۶- ۶) آل عمران:۱۷۶. [۶]

۷- ۷) يونس:۲۳. [۷]

۸- ۸) فصلت:۴۶. [۸]

۹- ۹) النمل:۴۰. [۹]

«وَ كَرْهاً» (۱)و «يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَ إِناثاً وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً » (۲).

«و لا يستغنى عنك من تولّى عن أمرك» و المراد:أمره التشريعى،و لذا لم يقل عنه مع تقدّم قوله:و لا يردّ أمرك، «وَ إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً فَلَمّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ» (۳)، «وَ ما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ ثُمَّ إِذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ » (۴).

«كلّ سرّ عندك علانيه» «أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ » (۵).

«و كلّ غيب عندك شهاده» «عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَهِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ » (۶).

«أنت الأبد» أى:وجودك أبدىّ.

«لا أمد» أى:لا نهايه.

«لك» كما للخلق حتى السماء و الأرض و الشمس و القمر،و قال ابن أبى الحديد:«أنت الأبد فلا أمد لك»هذا الكلام علوىّ شريف لا يفهمه إلاّ الرّاسخون فى العلم،و فيه شمّه من قول النبىّ صلّى اللّه عليه و آله:«لا تسبّوا الدهر فإنّ الدّهر هو اللّه» (۷).

۱- ۱) آل عمران:۸۳. [۱]

۲- ۲) الشورى:۴۹-۵۰. [۲]

۳- ۳) يونس:۱۲. [۳]

۴- ۴) النحل:۵۳-۵۴. [۴]

۵- ۵) هود:۵. [۵]

۶- ۶) الأنعام:۷۳. [۶]

۷- ۷) أخرجه الشريف الرضى فى المجازات النبويه:۲۳۵،و [۷]أخرجه باختلاف لفظى آخرون،جمع بعض طرقه و ألفاظه السيوطى فى الدر المنثور ۶:۳۵. [۸]

و فی مناجاه الحکماء لمحه منه أیضا و هو قولهم:أنت الأزل السرمد، و أنت الأبد الّذی لا ینفد (۱).

قلت:و هو کما تری،فإنّ الطبیعیّین ینسبون الخلق إلی الدّهر فیعبّرون عن اللّه تعالی بالدّهر،و أمّا الأبد فلم ینسب أحد إلیه أفعال اللّه،و النهی عن سبّ الدّهر فی الخبر إنّما هو لکون النّاس إذا نزلت بهم حادثه ینسبونها إلی الدهر و یسبونه،مع أنّ المبدئ لکلّ أمر هو اللّه تعالی،و الکلام الّذی نسبه إلی الحکماء لا یعرف حجّیته،مع أنّه لو کان مأخوذا من کلامه علیه السّلام فیه تجوز،و الأصل إلی الأبد .

«و أنت المنتهی لا محیص» أی:لا عدول.

«عنک» «وَ أَنَّ إِلی رَبِّکَ الْمُنْتَهی » (۲).

«و أنت الموعد» أی فی القیامه.

«لا منجی منک إلاّ إلیک» الکلام بتمامه فی(المصریه)،و أما فی(ابن میثم، و الخطیه)فلیس قوله: «إلاّ إلیک» فیهما،لکن الأوّل ذکره فی الشرح،و کأنّه أخذه من(ابن أبی الحدید) (۳).

و کیف کان فالأصل فیه قوله تعالی: «وَ ظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاّ إِلَیْهِ» (۴)،لأنّه فی معنی کلامه علیه السّلام،فکما لا ملجأ غیره کذلک لا منجی غیره .

«بیدک ناصیه کلّ دابّه» «ما مِنْ دَابَّهٍ إِلاّ هُوَ آخِذٌ بِناصِیَتِها إِنَّ رَبِّی عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ» (۵).

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ۲:۲۲۸. [۱]

۲- ۲) النجم:۴۲. [۲]

۳- ۳) فی ابن أبی الحدید ۲:۲۲۷« [۳]فلا منجی منک إلاّ الیک»و فی ابن میثم ۳:۵۰ مثله بلا(فاء)قبل(لا).

۴- ۴) التوبه:۱۱۸. [۴]

۵- ۵) هود:۵۶. [۵]

«و اليك مصير كلّ نسمه» أى:ذى روح أو ذى نفس، «إِلَيْهِ مَرْجِعُكَمْ جَمِيعاً » (۱).

«سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك» من السماء و الأرض و الشمس و القمر و النجوم و الجبال و البحار و الأنهار و الوحوش و الطيور .

«و ما أصغر عظمه» هكذا فى(المصريه)و الصواب:(عظيمه)كما فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم،و الخطيه) (۲).

«فى جنب قدرتك» «قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّى وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً» (۳)، «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَ ما ذلِكَ عَلَى اللّهِ بِعَزِيزٍ» (۴).

و فى الخبر أنّ رجلا جاء اليه عليه السّلام فقال:أ يقدر اللّه أن يدخل الأرض فى بيضه و لا يصغّر الأرض و لا يكبّر البيضه؟فقال:ويلك إنّ اللّه لا يوصف بالعجز،و من أقدر ممّن يلطّف الأرض أو يعظّم البيضه (۵).

«و ما أهول ما نرى من ملكوتك،و ما أحقر ذلك فى ما غاب عنّا من سلطانك» «خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» (۶)، «لَهُ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ ما تَحْتَ الثَّرى» (۷)، «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لا يَؤُدُهُ»

۱- ۱) يونس:۴. [۱]

۲- ۲) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۲۲۷،و فى شرح ابن ميثم ۳:۵۰« [۲]عظمه»أيضا.

۳- ۳) الكهف:۱۰۹. [۳]

۴- ۴) ابراهيم:۱۹-۲۰. [۴]

۵- ۵) أخرجه الصدوق فى التوحيد:۱۳۰ ح ۱۰ عن على عليه السّلام،و أخرج ما فى معناه أيضا فى التوحيد:۱۳۰ ح ۹ عن على عليه السّلام، و روى هذا المعنى عن عيسى و الصادق و الرضا عليهم السّلام مر تخريجه فى العنوان(۵)من هذا الفصل.

۶- ۶) الطلاق:۱۲. [۵]

۷- ۷) طه:۶. [۶]

«حِفْظُهُما وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» (۱)، «قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلّهِ» (۲)، «وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ» (۳).

و فی(الفقیه)فی باب وصف الصلاه عن الصادق علیه السّلام:صار التسبیح أفضل من القراءه فی الأخیرتین لأن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لمّا کان فی الأخیرتین ذکر ما رأی من عظمه اللّه عزّ و جلّ فدهش فقال:«سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلّا اللّه و اللّه أکبر»،فلذلک صار التسبیح أفضل من القراءه (۴).

«و ما أسبغ» أی ما أکمل.

«نعمک فی الدّنیا» «وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَهً وَ باطِنَهً » (۵).

«و ما أصغرها فی نعیم» هکذا فی(المصریه)و الصواب:(فی نعم)کما فی الثلاثه (۶).

«الآخره» «فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ» (۷).

و فی الخبر:فی الجنّه ما لا عین رأت و لا أذن سمعت و لا علی خاطر خطر،و ان نعمه أدنی أهل الجنّه سبعون ضعفا لنعم الدّنیا جمیعا (۸).

۱- ۱) البقره:۲۵۵. [۱]

۲- ۲) المؤمنون:۸۶-۸۷. [۲]

۳- ۳) النور:۴۳. [۳]

۴- ۴) أخرجه الصدوق ضمن حدیث فی الفقیه ۱:۲۰۲ ح ۱۰،و فی علل الشرائع ۲:۳۲۲ ح ۲. [۴]

۵- ۵) لقمان:۲۰. [۵]

۶- ۶) کذا فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۲۲۷،و فی شرح ابن میثم ۳:۵۰«نعیم»أیضا.

۷- ۷) السجده:۱۷. [۶]

۸- ۸) أخرجه الی قوله:«خاطر خطر»البخاری فی صحیحه ۲:۲۱۷،و مسلم فی صحیحه ۴:۲۱۷۴-۲۱۷۵ ح ۲ و ۳ و ۴، و الترمذی فی سننه ۵:۳۴۶ ح ۳۱۹۷،و ابن ماجه فی سننه ۲:۱۴۴۷ ح ۴۳۲۸،و الدارمی فی سننه ۲:۳۳۲،۳۳۵،و [۷]أحمد فی مسنده ۲:۳۶۹، ۴۰۷،۴۱۶،۴۶۲،۵۰۶،و [۸]ابن أبی شیبه فی مسنده،و هنّاد و أحمد کلاهما فی الزهد،و ابن جریر و ابن المنذر و ابن أبی حاتم و ابن مردویه و ابن الأنباری عنهم الدر المنثور ۵:۱۷۶ [۹] عن أبی هریره عن النبی صلّی اللّه علیه و آله،و روی عن عدّه طرق عن أبی سعید الخدری و سهل بن سعد و ابن عباس و ابن مسعود و المغیره بن شعبه و أبی الیمان الهذلی و غیرهم،و أما عباره«ان نعمه أدنی أهل الجنه»فقد روی ما فی معناه کثیرا،و لا یسع المقام لذکر الطرق کلّها.

۱۷

من الخطبه(۱۳۱)

و من كلام له عليه السّلام:

وَ انْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَهُ بِأَزِمَّتِهَا- وَ قَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرَضُونَ مَقَالِيدَهَا- وَ سَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاضِرَهُ- وَ قَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانَ الْمُضِيئَهَ- وَ آتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ الْيَانِعَهُ «و انقادت له الدّنيا و الآخره بأزمّتها» كانقياد الخيول لراكبيها بأعنّتها،أما انقياد الدّنيا له تعالى بأزمّتها فلأنّه كما وصف نفسه: «قُلِ اللّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ وَ تُولِجُ النَّهارَ فِى اللَّيْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ» (۱).

و أمّا انقياد الآخره له تعالى فأوضح،فلا يملك غيره يومئذ شيئا:

«لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ» (۲)، «يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّهِ» (۳)، «وَ خَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاّ هَمْساً»

۱- ۱) آل عمران:۲۶-۲۷. [۱]

۲- ۲) غافر:۱۶. [۲]

۳- ۳) الانفطار:۱۹. [۳]

«يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إِلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلاً يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَ قَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً » (۱).

«و قذفت» أى:ألقت.

«إليه السماوات و الأرضون مقاليدها» جمع مقلد المفتاح،و الأصل فيه قوله تعالى: «لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» (۲).و قذف السماوات و الأرض مقاليدها إليه تعالى كنايه حسنه عن كمال سيطرته عليهما،كبيت مفتاحه بيد شخص يفتحه متى شاء و يغلقه متى شاء،فمتى شاء تعالى جادت السّماء، و متى شاء بخلت،و متى شاء أخصبت الأرض،و متى شاء أجدبت،و قال تعالى فى قصه نوح فى ابتدائها: «فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ» (۳)،و فى انتهائها: «وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي» (۴).

ثمّ الّذى وقفنا عليه فى النسخ:(بأزمّتها)و(مقاليدها) (۵)،و الظاهر وقوع تصحيف و كون الأصل(بأزمّتهما)و(مقاليدهما)بلفظ التّثنيه إرجاعا للأوّل إلى الدّنيا و الآخره،و للثّانى إلى السماوات و(الأرضون).فإن أوّل الثانى بكون السماوات و(الأرضون)بلفظ الجمع فلا يتأتى فى الأوّل،لكون كلّ من الدّنيا و الآخره بلفظ المفرد،و ليسا فى معنى الجمع حتّى يعبّر عنهما بلفظ الجمع،

۱- ۱) طه:۱۰۸-۱۱۱. [۱]

۲- ۲) الزمر:۶۳. [۲]

۳- ۳) القمر:۱۱-۱۲. [۳]

۴- ۴) هود:۴۴. [۴]

۵- ۵) كذا فى نهج البلاغه ۲:۱۶،و شرح ابن أبى الحديد ۲:۳۶۱،و شرح ابن ميثم ۳:۱۵۲.

نظرا إلى المعنى كقوله تعالى: «هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ» (۱)،مع أنّ الثانى أيضا يعبّر عنه بلفظ الاثنين كقوله تعالى: «أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما » (۲).

«و سجدت له بالغدوّ» على فعول جمع الغدو على فعل،كما قاله الليث و جمعه الآخر الغدوات،و أمّا الغدايا فى قولهم:«إنّى لآتيه بالغدايا و العشايا» فلا يأتى جمعا إلّا ازدواجا مع العشايا.

«و الآصال» جمع الأصيل:الوقت بعد العصر إلى المغرب.

و فى القرآن كلّما ذكر الأصيل ذكر مع بكره،و كلّما ذكر الآصال ذكر مع الغدوّ،كما أنّه كلّما ذكر الأوّلان نكّرا فقال: «بُكْرَةً وَ أَصِيلًا» و كلّما ذكر الأخيران عرّفا فقال: «بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ» .الأوّل فى أربع آيات فى الفرقان و الأحزاب و الفتح و الدّهر (۳)،و الثانى فى ثلاث فى الأعراف و الرّعد و النور (۴).

«الأشجار النّاضره» أى:ذات الحسن و الرّونق،و الأشجار الناضره و إن تسجد له تعالى فى كلّ حال حسب غيرها من الأشياء كما قال تعالى: «أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ» (۵)إلّا أنّه عليه السّلام قيّد سجودها بالغدوّ و الآصال، لأنّ المراد بالسجود لها هنا سجود خاص بظهور طراوتها و صفاتها و انتشار شميمها فيهما،دون السجود العام المراد به الدخول تحت خضوع التّكوّن، كما أراد عزّ و جلّ فيها.

۱- ۱) الحج:۱۹. [۱]

۲- ۲) الأنبياء:۳۰. [۲]

۳- ۳) الفرقان:۵،الأحزاب:۴۲،الفتح:۹،الدهر:۲۵.

۴- ۴) الأعراف:۲۰۵، [۳]الرعد:۱۵، [۴]النور الحج:۳۶. [۵]

۵- ۵) :۱۸.

«و قدحت» بلفظ المجهول من قدحت النّار،أی:أو قدتها.

«له» أی:لأمره.

«من قضبانها» القضبان جمع القضیب،أی:الغصن.

«النّیران» جمع النّار.

«المضیئه» «أَ فَرَأَیْتُمُ النّارَ الَّتِی تُورُونَ أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ نَحْنُ جَعَلْناها تَذْکِرَهً وَ مَتاعاً لِلْمُقْوِینَ» (۱)، «الَّذِی جَعَلَ لَکُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ » (۲).

«و آتت» أی:أعطت.

«أکلها» أی:ما یؤکل منها،مفعول مقدّم.

«بکلماته الثّمار الیانعه» و ینع الثمر:نضجه،قال تعالی: «انْظُرُوا إِلی ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَ یَنْعِهِ إِنَّ فِی ذلِکُمْ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ» (۳)،و قوله علیه السّلام:

«بکلماته» إشاره الی قوله تعالی: «تُؤْتِی أُکُلَها کُلَّ حِینٍ بِإِذْنِ رَبِّها» (۴).

و نظیر فقراته علیه السّلام فی العنوان کلام السجّاد علیه السّلام من عتره فی مناجاته الإنجیلیه:فسبّحت له السماوات و أکنافها،و الأرض و أطرافها،و الجبال و أعراقها،و الشجر و أغصانها،و البحار و حیتانها،و النجوم فی مطالعها، و الأمطار فی مواقعها،و وحوش الأرض و سباعها،و مدر الأنهار و أمواجها، و عذب المیاه و أجاجها،و هبوب الریاح و عجاجها،و کلّ ما وقع علیه وصف و تسمیه،أو یدرکه حدّ یحویه ممّا یتصوّر فی الفکر،أو یتمثّل بجسم أو قدر أو ینسب إلی عرض أو جوهر،من صغیر حقیر أو خطیر کبیر،مقرّا له

۱- ۱) الواقعه:۷۱-۷۳. [۱]

۲- ۲) یس:۸۰. [۲]

۳- ۳) الأنعام:۹۹. [۳]

۴- ۴) ابراهیم:۲۵. [۴]

بالعبودیّه،خاشعا معترفا له بالوحدانیّه،طائعا مستجیبا لدعوته،خاضعا متضرّعا لمشیّته متواضعا (۱).

۱۸

من الخطبه(۱۵۰)

من کلام له علیه السّلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ- وَ بِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ- وَ بِأَشْبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ- لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ وَ لَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ- لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَ الْمَصْنُوعِ- وَ الْحَادِّ وَ الْمَحْدُودِ وَ الرَّبِّ وَ الْمَرْبُوبِ- الْأَحَدِ لَا بِتَأْوِيلِ عَدَدٍ- وَ الْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَ نَصَبٍ- وَ السَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ وَ الْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ- وَ الشَّاهِدِ لَا بِمُمَاسَّةٍ وَ الْبَائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ- وَ الظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ وَ الْبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ- بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا وَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا- وَ بَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ وَ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ- مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ- وَ مَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ- وَ مَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ- وَ مَنْ قَالَ أَيْنَ فَقَدْ حَيَّزَهُ- عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ وَ رَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ- وَ قَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ أقول:رواه(الکافی الکلینی-الکافی- ج ۱ ص ۱۳۹ ح ۵)فی إسناد عن الصادق علیه السّلام عن أمیر المؤمنین علیه السّلام، و فی آخر عن الکاظم علیه السّلام،و رواه(توحید الشیخ الصدوق-التوحید-ص ۵۶ ح ۱۴ الصدوق)عن الرضا علیه السّلام.

فروی الأوّل أوّلا عن علی بن محمد عن سهل عن شباب الصیر فی عن علیّ بن سیف عن إسماعیل بن قتیبه قال:دخلت أنا و عیسی شلقان علی أبی عبد اللّه علیه السّلام فابتدأنا فقال:عجبا لأقوام یدّعون علی أمیر المؤمنین علیه السّلام ما لم یتکلّم به قطّ،خطب أمیر المؤمنین علیه السّلام الناس بالکوفه فقال:الحمد للّه الملهم

۱- ۱) روی هذه القطعه ضمن المناجاه الانجیلیه المجلسی فی بحار الأنوار ۹۴:۱۵۹ [۱] عن کتاب أنیس العابدین.

عباده حمده،و فاطرهم على معرفه ربوبيته،الدالّ على وجوده بخلقه، و بحدوث خلقه على أزله،و باشتباههم على أن لا- شبه له،المستشهد بآياته على قدرته،الممتنعه من الصفات ذاته،و من الأبصار رؤيته،و من الأوهام الإحاطه به،لا أمد لكونه،و لا غايه لبقائه،لا- تشمله المشاعر،و لا- تحجبه الحجب،و الحجاب بينه و بين خلقه،خلقه إيّاهم لامتناعه ممّا يمكن فى ذواتهم، و لإمكان مما يمتنع منه،و لا- فتراق الصانع من المصنوع،و الحادّ من المحدود، و الربّ من المربوب،الواحد بلا تأويل عدد،و الخالق لا بمعنى حركه،و البصير لا- بأداه،و السميع لا- بتفريق آله،و الشاهد لا- بمماسّه،و الباطن لا- باجتنان، و الظاهر البائن لا بتراخى مسافه،أزله نهيه لمجاول الأفكار،و دوامه ردع لطامحات العقول،قد حسر كنهه نوافذ الأبصار،و قمع وجوده جوائل الأوهام،فمن وصف اللّه فقد حدّه،و من حدّه فقد عدّه،و من عدّه فقد أبطل أزله، و من قال:أين.فقد غيّاه،و من قال:علام.فقد أخلى منه،و من قال:فيم.فقد ضمّنه (۱).

ثم قال:و رواه محمّد بن الحسين عن صالح بن حمزه عن فتح بن عبد اللّه مولى بنى هاشم،قال:كتبت إلى أبى إبراهيم عليه السّلام أسأله عن شىء من التوحيد، فكتب إلىّ بخطه:الحمد للّه،و ذكر مثل ما رواه سهل-إلى قوله-و قمع وجوده جوائل الأوهام.رواه فى باب جوامع التوحيد (۲).

و روى الثانى عن الدّقّاق عن الأسدى عن البرمكى عن علىّ بن عباس بن جعفر بن محمد الأشعرى عن فتح بن يزيد الجرجانى،قال:كتبت إلى أبى الحسن الرضا عليه السّلام أسأله عن شىء من التوحيد،فكتب إلىّ بخطّه،قال جعفر:

۱- ۱) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۱۳۹ ح ۵. [۱]

۲- ۲) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۱۴۰ ح ۶ و [۲]زاد فيه«أول الديانه به معرفته...».

و إنّ فتحا أخرج إلیّ الکتاب فقرأته بخطّ أبی الحسن علیه السّلام...مع تفاوت یسیر (۱).

«الحمد للّه الدالّ علی وجوده بخلقه،و بمحدث خلقه علی أزلیّته،و بأشباههم علی أن لا شبه له» استدلّ علیه السّلام علی أصل وجوده تعالی،ثمّ علی أزلیّته،ثمّ علی نفی الشّبه له بما ذکر.

قال الصادق علیه السّلام:لم یکن بدّ من إثبات الصانع لوجود المصنوعین و الاضطرار منهم إلیه أثبت أنّهم مصنوعون،و أنّ صانعهم غیرهم،و لیس مثلهم إذا کان مثلهم شبیها بهم فی ظاهر الترکیب و التألیف،و فیما یجری علیهم من حدوثهم بعد أن لم یکونوا،و تنقلهم من صغر إلی کبر،و من سواد إلی بیاض،و من قوّه إلی ضعف (۲).

«لا تستلمه» من استلم الحجر إذا المسه.

«المشاعر» أی:الحواس الظاهره،و هی السامعه و الباصره و الذائقه و الشامّه و اللامسه،قال الشاعر:

و الرّأس مرتفع فیه مشاعره یهدی السبیل له سمع و عینان

(۳) «و لا تحجبه السّواتر» کما تستر البیت أستار الکعبه .

«لافتراق الصانع و المصنوع» فلا یمکن أن یکون فی الصانع مشاعر مثل مشاعر المصنوعین .

«و الحادّ و المحدود،و الربّ و المربوب» فلا یمکن أن تحجبه السواتر کالمحدود و المربوب.

۱- ۱) أخرجه الصدوق فی التوحید:۵۶ ح ۱۴.

۲- ۲) أخرجه الصدوق فی التوحید:۲۴۶ ح ۱ ضمن احتجاج [۱]له علیه السّلام،و روی هذا الاحتجاج [۲]الکلینی فی الکافی ۱:۸۰ ح ۵، و [۳]الطبرسی فی الاحتجاج ۲:۳۳۱،و [۴]لکن لیست هذه القطعه فیهما.

۳- ۳) لسان العرب ۴:۴۱۳ [۵] ماده(شعر)و الشاعر بلعاء بن قیس.

«الأحد لا بتأويل عدد» هكذا فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه) (۱)و أمّا ما فی(المصریه)«الأحد بلا تأویل عدد»فغلط.

و فی الخبر:أنّ أعرابیا قام یوم الجمل الی أمیر المؤمنین علیه السّلام،فقال یا أمیر المؤمنین!أ تقول:إنّ اللّه واحد؟ثمّ انجرّ الحدیث إلی أن قال علیه السّلام:إنّ القول فی أنّ اللّه واحد علی أربعه أقسام،فوجهان منها لا یجوزان علی اللّه تعالی، و وجهان یثبتان فیه،فأمّا اللّذان لا یجوزان علیه:فقول القائل واحد یقصد به باب الأعداد،فهذا ما لا یجوز لأنّ ما لا ثانی له لا یدخل فی باب الأعداد... (۲).

و أمّا ما فی دعاء(الصحیفه):«لک یا إلهی وحدانیّه العدد» (۳)فالمراد به أنّه لا یطلق علیه من لفظ الأعداد إلّا الواحد،و إن لم یکن إطلاقه علیه بمعنی کونه أوّل الأعداد،بل بمعنی أنّه لا ثانی له.

و أمّا قول ابن سینا-کما نقل عنه فی استشکاله فی کون موضوع علم الحساب العدد الحاصل فی الماده،بأنّ المحاسب یبحث عن العدد المفارق للماده فی الخارج أیضا،لعروضه المجرّدات کالعقول و النفوس و ذات الواجب إن قلنا:إنّ الواحد عدد (۴)-فخطأ منه حسب کثیر من أوهامه فی أصول الدین .

«و الخالق لا بمعنی حرکه و نصب» أی:تعب «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ » (۵).

«و السمیع لا بأداه» أی:أذن و سامعه.

۱- ۱) فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۴۲۲،و شرح ابن میثم ۳:۲۲۸«بلا تأویل»أیضا.

۲- ۲) أخرجه الصدوق فی التوحید:۸۳ ح ۳،و معانی الأخبار:۵ ح ۲،و الخصال ۲:۱ ح ۱.

۳- ۳) الصحیفه السجادیه الکامله:۱۵۱ الدعاء(۲۸).

۴- ۴) قاله ابن سینا فی المقاله الثالثه فی إلهیات الشفاء:۳۳۵ من الفصل الثانی الی السادس بتفصیل،و هذا مستنبط من کلامه.

۵- ۵) یس:۸۲. [۱]

«و البصير لا بتفريق» و أمّا ما فی(المصريه):«و البصير بلا تفريق» فغلط (۱).

«آله» قد عرفت أنّ(الكافی)رواه:«البصير لا بأداه و السّميع لا بتفريق آله» (۲).

لكن الظاهر صحّه ما هنا لتصديق(التوحيد)له (۳)،مع أنّه لا معنی لتفريق الآله فی السمع بخلافه فی البصر،فالإنسان فی إبصاره للأشياء يفرّق الآله(أی الحدقه)مرّه إلی شیء و أخری إلی آخر،و سماعه لشيئين و إن كان بتوجّهه إلی هذا مرّه،و إلی ذاك أخری إلّا أنّه ليس فيه تفريق آله.

قال ابن أبی الحديد:المراد بتفريق الآله هاهنا الشعاع الذی باعتباره يكون الواحد منّا مبصرا،فإنّ القائلين بالشّعاع يقولون:إنّه يخرج من العين أجسام لطيفه هی الأشعه،و تكون آله للحیّ فی أبصار المبصرات فيتفرّق عليها،فكلّ جسم يقع عليه ذلك الشعاع يكون مبصرا (۴).

قلت:و علی ما فسّرنا كلامه عليه السّلام لا يستلزم صحّه القول بالشّعاع،بل الأصحّ هو القول بالانطباع،و تشهد له الأخبار الدالّه علی أنّ اللّه تعالی أدخل العالم بكبره فی سواد العين الذی يكون بقدر عدسه (۵).

«و الشاهد» للأشياء.

---

۱ - ۱) فی شرح ابن أبی الحديد ۲:۴۲۲«لا بتفريق»،و فی شرح ابن ميثم ۳:۲۲۸« [۱]بلا تفريق»و فی نهج البلاغه ۲:۴۰« [۲]لا بتفريق»أيضا.

۲- ۲) مرّ فی بدايه هذا العنوان.

۳- ۳) التوحيد للصدوق:۵۶ ح ۱۴.

۴- ۴) شرح ابن أبی الحديد ۲:۴۲۳. [۳]

۵- ۵) مقصود الشارح حديث سؤال الديصانی هشام بن الحكم و جواب الصادق عليه السّلام له،أخرجه الكلينی فی الكافی ۱:۷۹ ح ۴،و [۴]الصدوق فی التوحيد:۱۲۲ ح ۱،و مر متن الحديث فی العنوان(۵)من هذا الفصل.

«لا بمماسّه» منه تعالى له بل بعلمه و إحاطته بها .

«و البائن» أى:البعيد عن الأشياء.

«لا بتراخى» تفاعل من الرخو مقابل الصعب،و المراد البعد،يقال:تراخى السماء،إذا بعد نزول المطر.

«مسافه» و الأصل فى المسافه:سفت الشىء،إذا شممته،كان الدليل على الطريق إذا كان فى فلاه أخذ التراب فشمّه ليعلم أعلى قصد أم جور،قال رؤبه:

اذا الدّليل استاف أخلاق الطرق

(۱)ثمّ كثر حتّى سمّوا البعد مسافه.و المسافه فى قصر الصلاه أربعه و عشرون ميلا .

«و الظاهر لا برؤيه» أحد له كظهور غيره من الأشياء.

«و الباطن لا بلطافه» كبطون غيره من الأشياء .

«بان» أى:انفصل و بعد.

«من الأشياء بالقهر لها و القدره عليها» جمله(بان...)تفسير و شرح لقوله:

«و البائن لا بتراخى مسافه » .

«و بانت الأشياء منه بالخضوع له و الرجوع إليه» الجمله من تتمه الأولى، فإنّه اذا كان تعالى بان من الأشياء كانت الأشياء بائنه منه،لكن كلّ منهما لا بمعنى البينونه فى الأشياء بعضها مع بعض .

«من وصفه فقد حدّه» و لا حدّ له .

«و من حدّه فقد عدّه» و هو منزّه عن العدد .

«و من عدّه فقد أبطل أزله» مع أنّه أزلى لا آخر له،فلا يجىء العدّ فى أمده .

«و من قال:كيف» خبرا.

۱- ۱) أساس البلاغه:۲۲۵ [۱] ماده(سوف)،و لسان العرب ۱:۱۶۵ [۲] ماده(سوف).

«فقد استوصفه» و محال استيصافه،و بيان وصف له .

«و من قال:أين» خبرا.

«فقد حيّزه» أى:جعله فى حيّز و موضع،قال القطامىّ فى امرأه خافت أن يصير ضيفها:

تحيّز منّى خشيه أن أضيفها كما انحازت الأفعى مخافه ضارب

(۱)و فى(الكافى)بدل«فقد حيّزه»:«فقد غيّاه» (۲)،و فى(التوحيد)بدله«فقد أخلى منه » (۳).

«عالم إذ لا معلوم،و ربّ إذ لا مربوب،و قادر إذ لا مقدور» إذ الثلاثه من صفات الذات لا الفعل،و صفات الذات أبديه بلا ضدّ بخلاف صفات الفعل.

قال الكلينى:إنّ كلّ شيئين وصفت اللّه بهما و كانا جميعا فى الوجود فذلك صفه فعل،و تفسير هذه الجمله أنّك تثبت فى الوجود ما يريد و ما لا يريد، و ما يرضاه و ما يسخطه،و ما يحبّ و ما يبغض-ثم قال-إنّا لا نجد فى الوجود ما لا يعلم و ما لا يقدر عليه (۴).

قال الصادق عليه السّلام-لبكير بن أعين لمّا سأله:هل علمه تعالى و مشيئته مختلفان أو متّفقان؟-:العلم ليس هو المشيئه،ألا ترى أنّك تقول:سأفعل كذا إن شاء اللّه،و لا تقول:سأفعل إن علم اللّه (۵).

و بالجمله كان عزّ و جلّ عالما و ربّا و قادرا أبدا قبل الخلق و بعد الخلق.

۱- ۱) لسان العرب ۵:۳۴۳ [۱] ماده(حيز).

۲- ۲) الكافى ۱:۱۴۰ ح ۵. [۲]

۳- ۳) التوحيد للصدوق:۵۷ ح ۱۴.

۴- ۴) الكافى ۱:۱۱۱. [۳]

۵- ۵) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۱۰۹ ح ۲،و [۴]الصدوق فى التوحيد:۱۴۶ ح ۱۶،و نقله الحسن بن سليمان فى مختصر بصائر الدرجات:۱۴۰ فى صدر حديث.

من الخطبه(۱۶۱)

و من خطبه له علیه السّلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ وَ سَاطِحِ الْمِهَادِ- وَ مُسِيلِ الْوِهَادِ وَ مُخْصِبِ النِّجَادِ- لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ وَ لَا لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ- هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ وَ الْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ- خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ وَ وَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ- حَدَّ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا- لَا تُقَدِّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَ الْحَرَكَاتِ- وَ لَا بِالْجَوَارِحِ وَ الْأَدَوَاتِ لَا يُقَالُ لَهُ مَتَى- وَ لَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى- الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ مِمَّا وَ الْبَاطِنُ لَا يُقَالُ فِيمَا- لَا شَبَحٌ فَيُتَقَضَّى وَ لَا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى- لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ- وَ لَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ- وَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ- وَ لَا كُرُورُ لَفْظَةٍ وَ لَا ازْدِلَافُ رَبْوَةٍ- وَ لَا انْبِسَاطُ خُطْوَةٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ- وَ لَا غَسَقٍ سَاجٍ يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ- وَ تَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ فِي الْأُفُولِ وَ الْكُرُورِ- وَ تَقَلُّبِ الْأَزْمِنَةِ وَ الدُّهُورِ- مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ وَ إِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ- قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَ مُدَّةٍ وَ كُلِّ إِحْصَاءٍ وَ عِدَّةٍ- تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ- وَ نِهَايَاتِ الْأَقْطَارِ وَ تَأَثُّلِ الْمَسَاكِنِ- وَ تَمَكُّنِ الْأَمَاكِنِ- فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ وَ إِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ- لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ- وَ لَا مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ- بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ- وَ صَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ- لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ وَ لَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ انْتِفَاعٌ- عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ- وَ عِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى- كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى أقول:لا يبعد أن يكون الأصل فی الخطبه ما رواه(توحید الشیخ الصدوق-التوحید-ص ۷۷ ح ۳۴ الصدوق)

ص:۲۶۵

مسندا عن أبی المعتمر مسلم بن أوس،قال:حضرت مجلس علیّ علیه السّلام فی جامع الکوفه فقام إلیه رجل مصفر اللّون کأنّه من متهوّده الیمن.فقال:یا أمیر المؤمنین صف لنا خالقک و انعته لنا کأنّا نراه و ننظر إلیه.فسبّح علیّ علیه السّلام ربّه و عظّمه،و قال:الحمد للّه الّذی هو أوّل بلا بدء ممّا،و لا باطن فیما،و لا یزال مهما،و لا ممازج مع ما،و لا خیال وهما.لیس بشبح فیری،و لا بجسم فیتجزّی، و لا بذی غایه فیتاهی،و لا بمحدث فیبصر،و لا بمستتر فیکشف،و لا بذی حجب فیحوی.کان و لا أماکن تحمله أکنافها،و لا حمله ترفعه بقوّتها،و لا کان بعد أن لم یکن،بل حارت الأوهام أن تکیّف المکیّف للأشیاء،و من لم یزل بلا مکان،و لا یزول باختلاف الأزمان،و لا ینقلب شأنا بعد شأن،البعید من حدس القلوب،المتعالی عن الأشیاء و الضروب،الوتر علّام الغیوب.فمعانی الخلق عنه منفیّه و سرائرهم علیه غیر خفیّه.المعرّف بغیر کیفیّه،لا یدرک بالحواسّ، و لا یقاس بالنّاس،و لا تدرکه الأبصار،و لا تحیط به الأفکار،و لا تقدّره العقول، و لا تقع علیه الأوهام.فکلّ ما قدّره عقل أو عرف له مثل فهو محدود،و کیف یوصف بالأشباح و ینعت بالألسن الفصاح من لم یحلل فی الأشیاء فیقال:هو فیها کائن،و لم ینأ عنها فیقال:هو عنها بائن،و لم یخل منها فیقال:أین،و لم یقرب منها بالالتزاق،و لم یبعد عنها بالافتراق،بل هو فی الأشیاء بلا کیفیه، و هو أقرب إلینا من حبل الورید،و أبعد من الشبه من کلّ بعید.لم یخلق الأشیاء من أصول أزلیّه،و لا من أوائل کانت قبله بدیه،بل خلق ما خلق و أتقن خلقه، و صوّر ما صوّر فأحسن صورته.فسبحان من توحّد فی علوّه،فلیس لشیء منه امتناع،و لا له بطاعه أحد من خلقه انتفاع.إجابته للدّاعین سریعه، و الملائکه له فی السماوات و الأرض مطیعه.کلّم موسی تکلیما بلا جوارح و أدوات و لا شفه و لا لهوات.سبحانه و تعالی عن الصفات،فمن زعم أنّ إله

الخلق محدود،فقد جهل الخالق المعبود... (۱).

فإنّهما مشتركتان فی کثیر من الفقرات،و اختلافهما فی بعضها لا- یبعد أن یکون من اختلاف الروایات،کما أنّ نقصهما و زیادتهما لا- یبعد أن یکونا من حیث إنّ الرضیّ-رضوان اللّه علیه-ینتخب من الخطب،و قد قال فی هذه الخطبه:«و منها أیّها المخلوق السّوی...» (۲).

و صرّح(التوحید)أیضا بأنّ الخطبه طویله أخذ منها موضع الحاجه (۳).

«الحمد للّه خالق العباد» «یا أَیُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّکُمُ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَهٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالاً کَثِیراً وَ نِساءً» (۴).

یمکن أن یراد بقوله علیه السّلام: «العباد» البشر فقط،و یمکن أن یراد به الجنّ و الإنس معا لقوله تعالی: «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِیَعْبُدُونِ» (۵)،فالکلّ عباده،بل مع الملائکه لقوله تعالی: «إِنْ کُلُّ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ آتِی الرَّحْمنِ عَبْداً لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا وَ کُلُّهُمْ آتِیهِ یَوْمَ الْقِیامَهِ فَرْداً» (۶).

«و ساطح المهاد» أی:الأرض التی جعلها للنّاس کالمهد للطفل،قال تعالی:

«أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً» (۷)،أو الأرض التی جعلناها ممهّده و مهیّأه لانتفاع النّاس بها،أی نوع أرادوا منها،قال تعالی: «وَ اللّهُ جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ بِساطاً»

۱- ۱) أخرجه الصدوق فی التوحید:۷۷ ح ۳۴ و [۱]قال بعد فقره«فقد جهله الخالق المعبود»:«و الخطبه طویله أخذنا منها موضع الحاجه».

۲- ۲) نهج البلاغه ۲:۶۷. [۲]

۳- ۳) أخرجه الصدوق فی التوحید:۷۷ ح ۳۴ و قال بعد فقره«فقد جهله الخالق المعبود»:«و الخطبه طویله اخذنا منها موضع الحاجه».

۴- ۴) النساء:۱. [۳]

۵- ۵) الذاریات:۵۶. [۴]

۶- ۶) مریم النبأ:۹۳-۹۵. [۵]

۷- ۷) :۶.

«لِتَسْلُكوا مِنْها سُبُلاً فِجاجاً» (۱)،و قال عزّ و جلّ: «وَ الْأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الْماهِدُونَ» (۲)،و قال عزّ اسمه: «وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ» (۳).

هذا،و قالوا:إنّ قوله عليه السّلام: «ساطح المهاد» كالآيه الأخيره لا ينافى كرويه الأرض (۴).

«و مسيل الوهاد» أى:الأمكنه المنخفضه،حمد اللّه تعالى على إيجاده الأراضى المنخفضه التى تجرى فيها سيول المطر،لأنّه لو لا ذلك لما حدثت هذه الأنهار،و لا حصلت منها البساتين و الأشجار،و الرياحين و الأزهار.

«و مخصب النّجاد» النّجاد:جمع النّجد الموضع المرتفع،عكس الوهد، و الخصب ضدّ الجدب.حمد تعالى على إخصابه النّجاد بإنزال الأمطار عليها فى ما لم تجر الأنهار إليها،و لو لا ذلك لبقيت الأراضى المرتفعه و رءوس الجبال و الآكام معطّله مجدبه .

«ليس لأوّليته ابتداء،و لا لأزليّته انقضاء» «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ» (۵).

و سئل الصادق عليه السّلام عن الأوّل،و الآخر فى وصفه تعالى،فقال:الأوّل لا عن أوّل قبله و لا عن بدء سبقه،و الآخر لا عن نهايه كما يعقل من صفه المخلوقين،و لكن قديم أوّل آخر لم يزل و لا يزول بلا بدء و لا نهايه (۶).

۱- ۱) نوح:۱۹-۲۰. [۱]

۲- ۲) الذاريات:۴۸. [۲]

۳- ۳) الغاشيه:۲۰. [۳]

۴- ۴) لسان العرب ۱۱۶:۱۵-۱۱۷ [۴] ماده(غدا)،عن الليث«يقال:غدا غدك،و غدا غدوك،ناقص و تام»،و فى موضع آخر قال الليث:«الغدو جمع،مثل الغدوات،و الغدى جمع غدوه».

۵- ۵) الحديد:۳. [۵]

۶- ۶) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱۱۶:۱ ح ۶،و [۶]الصدوق فى التوحيد:۳۱۳ ح ۱،و فى معانى الأخبار:۱۲ ح ۱ عن ميمون البان عن الصادق عليه السّلام،و قد مر الحديث فى العنوان(۵)من هذا الفصل.

«هو الأوّل لم يزل،و الباقى بلا أجل» هما كالشرح لسابقيهما .

«خرّت له الجباه» الجباه جمع الجبهه،يمكن أن يراد بالجباه الجباه الظاهره،فيكون المراد جباه بنى آدم،و يمكن أن يراد بها جباه الذلّه و المسكنه من جميع الخليقه استعاره،و هو الأظهر،قال تعالى: «أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلى ما خَلَقَ اللّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمائِلِ سُجَّداً لِلّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ» (۱)، «وَ لِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ» (۲).

«و وحّدته الشّفاه» الشّفاه جمع الشّفه،و الكلام فيه كسابقه،فيمكن أن يكون الكلام على الحقيقه،و يمكن أن يكون استعاره،فيراد بالشفاه شفاه الاعتراف بلسان الحال من كلّ الحقيقه بربوبيته: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ » (۳).

«حدّ الأشياء عند خلقه لها» أى:جعلها محدوده،فلنشو الحيوان و النبات حدّ.

«إبانه» أى:فصلا.

«له» تعالى.

«من شبهها» فلا يمكن أن يكون محدودا،و فى خطبه أخرى له عليه السّلام«إبانه لها من شبهه و إبانه له من شبهها » (۴).

«لا تقدّره الأوهام» أى:لا تقدر الأفكار أن تعيّن له مقدارا.

«بالحدود و الحركات» كما تكون للكواكب.

۱- ۱) النحل:۴۸. [۱]

۲- ۲) الرعد:۱۵. [۲]

۳- ۳) الاسراء:۴۴. [۳]

۴- ۴) هذه قطعه من خطبه أخرجها الكلينى فى الكافى ۱:۱۳۵ ح ۱،و الصدوق فى التوحيد:۴۲ ح ۳.

«و لا بالجوارح و الأدوات» كما تكون للإنسان و الحيوانات .

«لا يقال له:متى» لأنّها موضوعه للسؤال عن الزّمان،قال امرؤ القيس:

متى عهدنا بطعان الكماه و المجد و الحمد و السؤدد

(۱)و قال جرير:

متى كان حكم اللّه فى كرب النّخل

(۲)و هو تعالى منزّه عن المكان.

«و لا يضرب له أمد» أى:مدّه.

«بحتّى» لأنّها موضوعه للانتهاء،و لا انتهاء له تعالى .

«الظاهر لا يقال:ممّا» كما تقول:ظهرت الشمس من السحاب .

«و الباطن لا يقال:فى ما» كما تقول:بطن القمر فى السحاب،و(ما)فى(مما) و(فى ما)كنايه عن الشىء غير المعيّن .

«لا شبح» يأتى الشّبح بمعنى الجسد،كقولهم:أشباح بلا أرواح، و بمعنى الهباء،كقولهم:أدقّ من شبح باطل.و الظاهر أنّ المراد هنا:الثانى لقوله عليه السّلام:

«فيتقضّى» أى:فينقضى.

«و لا محجوب» كملوك الدّنيا.

«فيحوى» بالأستار و الكل .

«لم يقرب من الأشياء بالتصاق» كقرب جسم من جسم.

«و لم يبعد عنها بافتراق» كبعد شخص عن شخص .

«لا يخفى عليه من عباده شخوص» من شخص بصره إذا فتحه،و جعل

۱- ۱) أورده لسان العرب ۱۵:۴۷۵ [۱] ماده(متى).

٢- ٢) المصدر نفسه. [٢]

لا يطرف.

«لحظه» أى:النّظر بمؤخّر العين،و اللحاظ بالفتح مؤخّر العين،و اللحاظ بالكسر مصدر لا حظ،قال تعالى: «يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِي الصُّدُورُ» (۱).

«و لا كرور» مصدر كرّ.

«لفظه» و الأصل فى اللفظ الحذف،يقال:لفظ اللقمه من فيه،سمّى اللفظ لفظا لأنّه يحذف من الفم،قال تعالى: «ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» (۲)،و قال عزّ و جلّ: «ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلاّ هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلاّ هُوَ سادِسُهُمْ وَ لا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْثَرَ إِلاّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيامَهِ » (۳).

«و لا ازدلاف» أى:التقدّم و التقرّب،قال الشاعر:

و كلّ يوم مضى أو ليله سلفت فيها النّفوس إلى الآجال تزدلف

(۴) «ربوه» بالضّمّ و الفتح و الكسر:الموضع المرتفع.

«و لا انبساط خطوه» بالفتح:المشى قدما واحده،و أمّا بالضّمّ فما بين قدمين مرّه أو أكثر .

«فى ليل داج» أى:مظلم،و عن الأصمعى معنى ليل داج:ألبس كلّ شىء لقولهم:دجى الإسلام... (۵)و قال الشاعر:

۱- ۱) غافر:۱۹. [۱]

۲- ۲) ق:۱۸.

۳- ۳) المجادله:۷. [۲]

۴- ۴) أساس البلاغه:۱۹۴ [۳] ماده(زلف).

۵- ۵) مرّ الكلام حول تخريجه فى العنوان(۷)من هذا الفصل.

و الليل داج كنفا جلبابه

(۱) «و لا غسق» عطف على شخوص،قال الجوهرى:الغاسق الليل إذا غاب الشّفق (۲).

«ساج» أى:دام و سكن،قال تعالى: «وَ اللَّيْلِ إِذا سَجى» (۳)،و كيف يخفى عليه شىء و قد قال عزّ و جلّ: «وَ ما تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ ما تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَ لا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاّ كُنّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَ ما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرَ إِلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ» (۴)، «سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سارِبٌ بِالنَّهارِ » (۵).

«يتفيّأ» أى:يرجع.

«عليه» أى:على الليل الداجى أو الغسق السّاجى.

«القمر المنير» «أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلى ما خَلَقَ اللّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمائِلِ سُجَّداً لِلّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ » (۶).

«و تعقبه الشمس ذات النّور فى الأفول» أى:الغروب.

«و الكرور» أى:الرجوع و الطلوع،قال تعالى: «وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها وَ الْقَمَرِ إِذا تَلاها وَ النَّهارِ إِذا جَلّاها وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشاها» (۷)،و قال عزّ و جلّ:

۱- ۱) أساس البلاغه:۱۲۷، [۱]ماده(دجى).

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهرى ۴:۱۵۳۷ [۲] ماده(غسق).

۳- ۳) الضحى:۲. [۳]

۴- ۴) يونس:۶۱. [۴]

۵- ۵) الرعد:۱۰. [۵]

۶- ۶) النحل:۴۸. [۶]

۷- ۷) الشمس:۱-۴. [۷]

«وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشى وَ النَّهارِ إِذا تَجَلّى» (۱).

«و تقليب» و فى(المصريه):(و تقلب)و هو غلط (۲).

«الأزمنه و الدهور من إقبال ليل مقبل و إدبار نهار مدبر» قال تعالى: «كَلّا وَ الْقَمَرِ وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَ الصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ» (۳).

و لعلّ وجه تخصيصه عليه السّلام الإقبال بالليل و الإدبار بالنّهار،مع أنّ لكلّ منهما إقبالا و إدبارا:كون الأمور فى الدّنيا على خلاف المراد فى الأغلب .

«قبل كلّ غايه و مدّه» فلا يمكن أن تكونا مضافتين إليه تعالى.

«و كلّ إحصاء و عده» فلا يمكن أن يكونا منسوبين إليه جلّ و علا .

«تعالى» أى:ارتفع.

«عمّا ينحله» بالفتح أى:يدّعيه.

«المحدّدون» له تعالى.

«من صفات الأقدار» :أى:الأشياء التى لها مقدار.

«و نهايات الأقطار» من الطول و العرض و العمق .

«و تأثل» أى:اتخاذ.

«المساكن و تمكّن الأماكن» أى:جعلها مكانا له .

«فالحدّ لخلقه مضروب» و هو تعالى أجلّ من أن يحدّ.

«و إلى غيره منسوب» فمن نسبه إليه فقد أخطأ .

«لم يخلق الأشياء من أصول أزليّه،و لا أوائل أبديه» هو مثل قوله عليه السّلام فى خطبه له أخرى:«لا من شىء خلق ما كان» (۴).

۱- ۱) الليل:۱-۲. [۱]

۲- ۲) فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۴۵۸،و [۲]شرح ابن ميثم ۳:۲۹۷« [۳]تقلب»أيضا.

۳- ۳) المدثر:۳۲-۳۴. [۴]

۴- ۴) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۳۱۴ ح ۱. [۵]

و قال الكلينى بعد نقل ذاك القول:دفع عليه السّلام بقوله جميع حجج الثّنويّه و شبههم،لأنّ أكثر ما يعتمد الثّنويه فى عدم حدوث العالم أن يقولوا:لا يخلو من أن يكون الخالق خلق الأشياء من شىء أو من لا شىء.فقولهم من شىء خطأ،و قولهم من لا شىء مناقضه و إحاله،لأنّ من توجب شيئا و لا شىء تنفيه،فأخرج أمير المؤمنين عليه السّلام هذه اللفظه على أبلغ الألفاظ و أصحّها،فقال:

لا من شىء خلق ما كان.فنفى من إذ كانت توجب شيئا،و نفى الشىء إذ كان كلّ شىء مخلوقا محدثا لا من أصل أحدثه الخالق كما قالت الثنويه:إنّه خلق من أصل قديم فلا يكون تدبير إلّا باحتذاء مثال (۱).

«بل خلق ما خلق فأقام حدّه» الّذى خلق كلّ شىء ثمّ هدى ۲.

«و صوّر ما صوّر فأحسن صورته» «وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ» ۳، «الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ » ۴.

«ليس لشىء منه امتناع» «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَ ما ذلِكَ عَلَى اللّهِ بِعَزِيزٍ» ۵.

«و لا له بطاعه شىء انتفاع» «وَ قالَ مُوسى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ» ۶.

«علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين» «وَ لَقَدْ عَلِمْنَا»

۱- ۱) الكافى ۱:۱۳۶. [۱]

«الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكَمْ وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ » (۱).

«و علمه بما فی السماوات العلی کعلمه بما فی الأرضین السّفلی» «وَ لِلّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ» (۲).

و فی الخبر أنّ داود علیه السّلام لمّا وقف الموقف بعرفه نظر إلی النّاس و کثرتهم،فصعد الجبل فأقبل یدعو،فلما قضی نسکه أتاه جبرئیل علیه السّلام فقال له:یا داود!یقول لک ربّک:لم صعدت الجبل،ظننت أنّه یخفی علیّ صوت من صوت؟!ثم مضی به الی البحر إلی جدّه،فرسب به فی الماء مسیره أربعین صباحا فی البرّ،فإذا صخره ففلقها فإذا فیها دوده،فقال له:یا داود یقول لک ربّک:أنا أسمع صوت هذه فی بطن هذه الصخره فی قعر هذا البحر.فظننت أنّه یخفی علیّ صوت من صوت (۳).

۲۰

من الخطبه(۱۷۶)

و من خطبه له علیه السّلام:

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ وَ لَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ- وَ لَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ وَ لَا يَصِفُهُ لِسَانٌ- وَ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ وَ لَا نُجُومِ السَّمَاءِ- وَ لَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ- وَ لَا دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا- وَ لَا مَقِيلُ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَهِ الظَّلْمَاءِ- يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ وَ خَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ «لا یشغله شأن» أی:عن شأن آخر کما هو شأن النّاس،فاذا اشتغل أحد

۱- ۱) الحجر:۲۴. [۱]

۲- ۲) هود:۱۲۳. [۲]

۳- ۳) أخرجه الکلینی فی الکافی ۴:۲۱۴ ح ۱۱،و [۳]اخرج قریبا منه الحسین بن سعید فی الزهد:۶۴ ح ۱۶۹،۱۷۰،و [۴]بلا استناد الثعلبی فی العرائس:۲۷۶،و المسعودی فی اثبات الوصیه:۵۶،و روایه الکلینی عن الصادق علیه السّلام و روایه الحسین بن سعید عنه و عن الباقر علیه السّلام.

بالخياطه لا يمكنه النّجاره،و إذا تكلّم مع زيد لا يستطيع التكلّم مع عمرو.

«و لا يغيّره زمان» كما يغيّر الخلق.

«و لا يحويه» أى:لا يضمّه.

«مكان» كما يحوى الجسمانيّات،و فى الخبر:سأل يونس بن عبد الرّحمن الكاظم عليه السّلام عن عروج النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى السّماء ثم الى سدره المنتهى ثمّ إلى حجب النّور،فخاطبه و ناجاه هناك،و اللّه لا يوصف بمكان.فقال عليه السّلام:إنّ اللّه تبارك و تعالى لا يوصف بمكان،و لا يجرى عليه زمان،و لكنّه عزّ و جلّ أراد أن يشرّف به ملائكته و سكّان سماواته،و يكرمهم بمشاهدته،و يريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه (۱).

«و لا يصفه لسان» «قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً» (۲).

«و لا يعزب» أى:لا يغيب و لا يبعد.

«عنه عدد قطر» بالكسر فالفتح،جمع قطره.

«الماء» من الأمطار و البحار،قال تعالى: «وَ أَحْصى كُلَّ شَیْءٍ عَدَداً» (۳).

«و لا نجوم السماء» «وَ النُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ» (۴).

«و لا سوافى» جمع سافيه،من سفت الرّيح التراب إذا ذرته.

«الريح فى الهواء» و المراد ذرّات التراب التى تثيرها الرياح فى الفضاء، قال تعالى: «عالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّهٍ فِی السَّماواتِ وَ لا فِی»

۱- ۱) أخرجه الصدوق فى التوحيد:۱۷۵ ح ۵،و علل الشرائع ۱:۱۳۲ ح ۲. [۱]

۲- ۲) الكهف:۱۰۹. [۲]

۳- ۳) الجن:۲۸. [۳]

۴- ۴) النحل:۱۲. [۴]

«الْأَرْضِ وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرُ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ» (۱).

«و لا دبیب» و هو المشی علی البطن.

«النّمل علی الصفا» أی:الصخره الملساء «وَسِعَ رَبُّنا کُلَّ شَیْءٍ عِلْماً» (۲).

«و لا مقیل» أی:مستقرّ،قال ابن رواه:

الیوم نضربکم علی تنزیله ضربا یزیل الهام عن مقیله

(۳) «الذرّ» قال الجوهری:الذرّ جمع ذرّه،و هی أصغر من النّمل (۴).

«فی اللیله الظلماء» «وَ ما مِنْ دَابَّهٍ فِی الْأَرْضِ إِلاّ عَلَی اللّهِ رِزْقُها وَ یَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَ مُسْتَوْدَعَها کُلٌّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ » (۵).

«یعلم مساقط الأوراق» «وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ إِلاّ یَعْلَمُها وَ لا حَبَّهٍ فِی ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ» (۶).

«و خفیّ» عن اضافه الصفه.

«طرف» بالفتح فالسکون،قال الجوهریّ:طرف بصره یطرف طرفا إذا أطبق أحد جفنیه علی الآخر.الواحده من ذلک طرفه،یقال:أسرع من طرفه عین،و فلان مطروف العین بفلان إذا کان لا ینظر إلاّ إلیه (۷).

«الأحداق» جمع الحدقه سواد العین الأعظم،قال تعالی: «یَعْلَمُ خائِنَهَ»

۱- ۱) سبأ:۳. [۱]

۲- ۲) الأعراف:۸۹. [۲]

۳- ۳) لسان العرب:۱۱:۵۷۸ [۳] ماده(قیل).

۴- ۴) صحاح اللغه للجوهری ۲:۶۶۳ [۴] ماده(ذر).

۵- ۵) هود:۶. [۵]

۶- ۶) الأنعام:۵۹. [۶]

۷- ۷) صحاح اللغه للجوهری ۴:۱۳۹۵ [۷] ماده طرف().

«الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِی الصُّدُورُ» (۱).

۲۱

من الخطبه(۱۷۰)

و من خطبه له علیه السّلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی لاَ تُوَارِی عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً- وَ لاَ أَرْضٌ أَرْضاً فی تسبیح(الصحیفه):سبحانک تسمع و تری ما تحت الثری،سبحانک أنت شاهد کلّ نجوی،سبحانک موضع کلّ شکوی،سبحانک حاضر کلّ ملا، سبحانک عظیم الرّجاء،سبحانک تری ما فی قعر الماء،سبحانک تسمع أنفاس الحیتان فی قعور البحار.سبحانک تعلم وزن السماوات.سبحانک تعلم وزن الأرضین،سبحانک تعلم وزن الشمس و القمر،سبحانک تعلم وزن الظلمه و النور،سبحانک تعلم وزن الفیء و الهواء،سبحانک تعلم وزن الریح کم هی من مثقال ذرّه،سبحانک قدّوس قدّوس قدّوس (۲).و قال تعالی: «یَعْلَمُ ما یَلِجُ فِی الْأَرْضِ وَ ما یَخْرُجُ مِنْها وَ ما یَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَ ما یَعْرُجُ فِیها» (۳)«وَ هُوَ مَعَکُمْ أَیْنَ ما کُنْتُمْ وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ» (۴)، «وَ ما یَعْزُبُ عَنْ رَبِّکَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّهٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا فِی السَّماءِ وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَکْبَرَ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ» (۵).

۱- ۱) غافر:۱۹. [۱]

۲- ۲) ملحقات الصحیفه السجادیه الکامله:۳۱۹ [۲] الدعاء(۱).

۳- ۳) سبأ:۲. [۳]

۴- ۴) الحدید:۴. [۴]

۵- ۵) یونس:۶۱. [۵]

۲۲

من الخطبه(۱۹۶)

و من خطبه له علیه السّلام:

یَعْلَمُ عَجِیجَ الْوُحُوشِ فِی الْفَلَوَاتِ- وَ مَعَاصِیَ الْعِبَادِ فِی الْخَلَوَاتِ- وَ اخْتِلَافَ النِّینَانِ فِی الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ- وَ تَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّیَاحِ الْعَاصِفَاتِ «یعلم عجیج» أی:صیاح.

«الوحوش» و المراد ما یعمّ السّباع.

«فی الفلوات» أی:البراری و المفازات.و مرّ خبر داود فی ذلک (۱).

«و معاصی العباد فی الخلوات» «وَ هُوَ الَّذِی یَتَوَفّاکُمْ بِاللَّیْلِ وَ یَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ ثُمَّ یَبْعَثُکُمْ فِیهِ لِیُقْضی أَجَلٌ مُسَمًّی ثُمَّ إِلَیْهِ مَرْجِعُکُمْ ثُمَّ یُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (۲).و فی(دعاء الوتر):فإن قلت:نعم.فأین المهرب من عدلک،و إن قلت:لم أفعل.قلت:ألم أکن الشاهد علیک (۳).

و فی الخبر:إنّ إبراهیم علیه السّلام لمّا أری ملکوت السماوات و الأرض التفت فرأی رجلا یزنی،فدعا علیه فمات،حتّی رأی ثلاثه فدعا علیهم فماتوا،فأوحی تعالی إلیه:أنّ دعوتک مجابه،فلا تدع علی عبادی،و لو شئت لم أخلقهم (۴).

۱- ۱) مر فی العنوان(۱۹)من هذا الفصل.

۲- ۲) الأنعام:۶۰. [۱]

۳- ۳) هذا دعاء فی تعقیب صلاه الوتر،و یسمی بدعاء الحزین،رواه الطبرسی فی مکارم الأخلاق:۲۹۶ [۲] عن السجاد علیه السّلام، و رواه الطوسی فی مصباح المتهجد:۱۴۵ [۳] بلا عزو.

۴- ۴) أخرجه ابن مردویه عن علی علیه السّلام عن النبی صلّی اللّه علیه و آله،و أخرجه أبو الشیخ و ابن مردویه و البیهقی فی شعب الایمان عنهم الدرّ المنثور ۳:۲۴ [۴] عن معاذ بن جبل عن النبی صلی اللّه علیه و آله،و أخرجه صاحب تفسیر العسکری:۲۳۴،و [۵]الطبرسی فی الاحتجاج ۱:۳۵ [۶] عن النبی صلّی اللّه علیه و آله،و أخرجه الکلینی فی الکافی ۸:۳۰۵ ح ۴۷۳،و [۷]علی بن ابراهیم فی تفسیره ۱:۲۰۶، و [۸]العیاشی فی تفسیره ۱:۳۶۴ ح ۳۷،و [۹]الصدوق فی علل الشرائع ۲:۵۸۵ ح ۳۱ [۱۰] عن الصادق علیه السّلام،و روی موقوفا عن سلمان و عطاء و شهر بن حوشب بطرق الدرّ المنثور ۳:۲۴،و [۱۱]نقلها الشارح هنا باختصار.

هذا،و فی(الیتیمه):یحکی أنّه کان فی جمله القضاه الّذین ینادمون الوزیر المهلّبی،و یجتمعون عنده فی الأسبوع لیلتین علی اطراح الحشمه و التّبسّط فی القصف و الخلاعه،ابن قریعه و ابن معروف و القاضی التنوخی، و ما منهم إلاّ أبیض اللّحیه طویلها،و کذلک کان الوزیر المهلبی،فإذا تکامل الأنس و طاب المجلس،و لذّ السماع،و أخذ الطرب منهم مأخذه،وهبوا ثوب الوقار للعقار،و تقلّبوا فی أعطاف العیش بین الخفّه و الطیش،و وضع فی ید کلّ منهم کأس ذهب من ألف مثقال إلی ما دونها مملوءا شرابا قطر بلیا أو عکبریا، فیغمس لحیته فیه بل ینقعها حتّی تتشرب أکثره،و یرشّ بها بعضهم علی بعض و یرقصون أجمعهم،و علیهم المصبغات،و مخانق البرم و المنثور، و یقولون کلّما یکثر شربهم:«هرهر».و إیّاهم عنی السّری بقوله:

مجالس ترقص القضاه بها إذا انتشوا فی مخانق البرم

و صاحب یخلط المجون لنا بشیمه حلوه من الشیم

تخضب بالرّاح شیبه عبثا أنامل مثل حمره النّعم

حتّی تخال العیون شیبته شیبه فعلان ضرّجت بدم

فإذا أصبحوا عادتهم فی التوقّر و التحفّظ بأبهه القضاه و حشمه المشایخ الکبراء (۱).

قلت:أ لم یکونوا سمعوا قوله تعالی: «یَسْتَخْفُونَ مِنَ النّاسِ وَ لا یَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ یُبَیِّتُونَ ما لا یَرْضی مِنَ الْقَوْلِ وَ کانَ اللّهُ بِما یَعْمَلُونَ مُحِیطاً» (۲)، «فَإِذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِکَ بَیَّتَ طائِفَهٌ مِنْهُمْ غَیْرَ الَّذِی تَقُولُ»

۱- ۱) یتیمه الدهر ۲:۳۳۵. [۱]

۲- ۲) النساء:۱۰۸. [۲]

«وَ اللّهُ یَکْتُبُ ما یُبَیِّتُونَ» (۱).

«و اختلاف النّینان» جمع النّون أی:الحیتان بأنواعها-الّتی لا یعلمها إلّا خالقها-و اختلافها بالذّهاب و الإیاب فی الماء.

و فی(توحید المفضّل):تأمّل خلق السّمک و مشاکلته للأمر الّذی قدّر أن یکون علیه،فإنّه خلق غیر ذی قوائم لأنّه لا یحتاج إلی المشی إذ کان مسکنه الماء،و خلق غیر ذی ریه لأنّه لا یستطیع أن یتنفّس و هو منغمس فی اللجّه، و جعلت له مکان القوائم أجنحه شداد یضرب بها فی جانبیه کما یضرب الملاّح بالمجادیف من جانبی السفینه،و کسی جسمه قشورا متانا متداخله کتداخل الدّروع و الجواشن لتقیه من الآفات.فأعین بفضل حسّ فی الشّمّ لأنّ بصره ضعیف و الماء یحجبه،فصار یشمّ الطعم من البعد البعید،فینتجعه فیتبعه،و إلّا فکیف یعلم به و بموضعه؟و اعلم أنّ من فیه إلی صماخه منافذ فهو یعبّ الماء بفیه،و یرسله من صماخیه فیتروّح إلی ذلک کما یتروّح غیره من الحیوان إلی تنسّم هذا النّسیم.

فکّر الآن فی کثره نسله،و ما خصّ به من ذلک،فإنّک تری فی جوف السمکه الواحده من البیض ما لا یحصی کثره،و العلّه فی ذلک أن یتّسع لما یغتذی به من أصناف الحیوان فإنّ أکثرها یأکل السمک،حتی إنّ السباع فی حافات الآجام عاکفه عی الماء کی ترصد السمک،فإذا مرّ بها خطفته،فلمّا کانت السباع تأکل السمک،و الطیر یأکل السمک،و الناس یأکلون السمک، و السمک یأکل السّمک کان من التدبیر فیه أن یکون علی ما هو علیه من الکثره.

فإذا أردت أن تعرف سعه حکمه الخالق و قصر علم المخلوقین فانظر إلی ما فی البحار من ضروب السمک و دوابّ الماء و الأصداف و الأصناف التی لا

۱- ۱) النساء:۸۱. [۱]

تحصى و لا تعرف منافعها،إلّا الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث مثل القرمز،فإنّه لمّا عرف النّاس صبغه،بأنّ كلبه تجول على شاطئ البحر فوجدت شيئا من الصّنف الّذى يسمّى الحلزون فأكلته،فاختضب خطمها بدمه،فنظر الناس إلى حسنه فاتّخذوه صبغا،و أشباه هذا ممّا يقف النّاس عليه حالا بعد حال و زمانا بعد زمان (۱).

«فى البحار الغامرات» أى:تغمر كلّ شيء دخلها و تغطّيه لكثرتها،فالبحار ثلاثه أرباع الأرض.

قال الصادق عليه السّلام للمفضّل:فإن شككت فى منفعه هذا الماء الكثير المتراكم فى البحار،و قلت:ما الإرب فيه؟فاعلم أنّه مكتنف و مضطرب ما لا يحصى من أصناف السمك و دوابّ البحر،و معدن اللؤلؤ و الياقوت و العنبر و أصناف شتّى تستخرج من البحر،و فى سواحله منابت العود اليلنجوج و ضروب من الطيب و العقاقير،ثمّ هو بعد مركب للنّاس و محمل لهذه التجارات التى تجلب من البلدان البعيده،كمثل ما يجلب من الصين الى العراق، و من العراق إلى الصين،فإنّ هذه التجارات لو لم يكن لها محمل إلّا على الظهر لبارت و بقيت فى بلدانها و أيدى أهلها،لأنّ أجر حملها يجاوز أثمانها فلا يتعرّض أحد لحملها،و كان يجتمع فى ذلك أمران:أحدهما:فقد أشياء كثيره تعظم الحاجه إليها.و الآخر:انقطاع معاش من يحملها و يتعيّش بفضلها (۲).

«و تلاطم الماء بالرياح العاصفات» قال تعالى: «وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً» (۳)،أى:الرياح الشديده،كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا.

۱- ۱) توحيد المفضل:۱۲۳. [۱]

۲- ۲) توحيد المفضل:۱۴۶. [۲]

۳- ۳) المرسلات:۱-۲. [۳]

و قال جلّ و علا: «حَتّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِها جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ» (۱).

۲۳

من الخطبه(۱۷۷)

و من كلام له ع و قد سأله؟ذعلب اليمانى؟ فقال- هل رأيت ربك يا ؟أمير المؤمنين؟ فقال ع:

أ فأعبد ما لا أرى فقال و كيف تراه فقال- لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ- وَ لَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ- قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَامِسٍ بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ- مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ- لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ- بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ- تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ وَ تَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ قول المصنّف : «و من كلام له عليه السّلام» المفهوم من أسانيده أنّه من خطبه له عليه السّلام ۲.فروى الصدوق فى(التوحيد)بروايتين و فى(الأمالى الشيخ الصدوق-الأمالى-ص ۲۸۰ ح ۱ المجلس ۵۵)بروايه مسندا عن الأصبغ،قال:لمّا بايع النّاس عليّا عليه السّلام خرج إلى الناس متعمّما بعمامه النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لابسا بردته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم متنعّلا نعله صلى اللّه عليه و آله و سلم متقلّدا سيفه صلّى اللّه عليه و آله،فصعد

۱- ۱) يونس:۲۲. [۱]

المنبر فجلس متمكّنا،ثمّ شبّك أصابعه فوضعها أسفل بطنه،ثم قال:يا معاشر الناس!سلونی قبل أن تفقدونی هذا سفط العلم،هذا لعاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله،هذا ما زقّنی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله زقّا زقّا،سلونی فإنّ عندی علم الأوّلین و الآخرین،أما و اللّه لو ثنیت لی الوساده فجلست علیها،لأفتیت أهل التوراه بتوراتهم حتّی تنطق التوراه فتقول:صدق علیّ ما کذب،لقد أفتاکم بما أنزل اللّه فیّ،و أفتیت أهل الإنجیل بإنجیلهم،حتّی ینطق الإنجیل فیقول:صدق علیّ ما کذب،لقد أفتاکم بما أنزل اللّه فیّ،و أفتیت أهل القرآن بقرآنهم حتّی ینطق القرآن فیقول:صدق علیّ ما کذب،لقد أفتاکم بما أنزل اللّه فیّ،و أنتم تتلون القرآن لیلا و نهارا،فهل فیکم أحد یعلم ما نزل فیه؟و لو لا آیه فی کتاب اللّه لأخبرتکم بما کان و ما یکون إلی یوم القیامه،و الآیه: «یَمْحُوا اللّهُ ما یَشاءُ وَ یُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْکِتابِ» (۱).ثمّ قال:سلونی قبل أن تفقدونی،فو الّذی فلق الحبّه و برأ النسمه لو سألتمونی عن آیه آیه فی لیل أنزلت أو فی نهار أنزلت، مکیّها و مدنیّها،سفریها و حضریّها،ناسخها و منسوخها،محکمها و متشابهها،تأویلها و تنزیلها،لأخبرتکم.فقام الیه رجل یقال له ذعلب،و کان ذرب اللسان بلیغا فی الخطب شجاع القلب،فقال:لقد ارتقی ابن أبی طالب مرقاه صعبه لأخجلنّه الیوم لکم فی مسألتی إیّاه.فقال له:هل رأیت ربّک؟ قال:و یلک یا ذعلب!لم أکن بالّذی أعبد ربّا لم أره.

فقال:فکیف رأیته صفه لنا؟ قال:و یلک لم تره العیون بمشاهده الأبصار،و لکن رأته القلوب بحقائق الإیمان،و یلک یا ذعلب!إنّ ربّی لا یوصف بالبعد،و لا بالحرکه و لا بالسکون، و لا بالقیام قیام انتصاب،و لا بمجیء و لا بذهاب،لطیف اللطافه لا یوصف

۱- ۱) الرعد:۳۹. [۱]

باللطيف،عظيم العظمه لا يوصف بالعظم،كبير الكبر لا يوصف بالكبر،جليل الجلاله لا يوصف بالغلظ،رؤوف الرحمه لا يوصف بالرقّه،مؤمن لا بعباده، مدرك لا بمجسّه،قائل لا باللفظ.هو فى الأشياء على غير ممازجه،خارج منها على غير مباينه،فوق كلّ شيء فلا يقال شيء فوقه،و أمام كلّ شيء و لا يقال له أمام،داخل فى الأشياء لا كشيء فى شيء داخل،و خارج منها لا كشيء من شيء خارج.

قال:فخّر ذعلب مغشيا عليه،ثم قال:تاللّه ما سمعت بمثل هذا الجواب، و اللّه لا عدت إلى مثلها (۱).

لكن يمكن أن يقال:إنّه يصدق مع ذلك أن يجعل العنوان كلاما،لأنّه كان كلاما خارجا عن خطبته عليه السّلام فى جواب ذعلب لما اعترض فى الأثناء.

«و قد سأله ذعلب اليمانىّ» لم أقف فى أسانيده على وصف ذعلب باليمانىّ،فقد رأيت خلوّ أسناد الصدوق فى(التوحيد)و(الأمالىّ)عنه،و رواه (الكافى)فى باب جوامع التوحيد عن محمد بن أبى عبد اللّه مرفوعا عن الصادق عليه السّلام،قال:بينا أمير المؤمنين عليه السّلام يخطب على منبر الكوفه إذ قام إليه رجل يقال له ذعلب ذو لسان بليغ فى الخطب،شجاع القلب،فقال:يا أمير المؤمنين!هل رأيت ربّك (۲)...باختلاف مع روايه الصدوق.

و فى(الإرشاد)فى باب مختصر من كلامه عليه السّلام فى وجوب المعرفه باللّه:روى أهل السيره و علماء النّقله أنّ رجلا جاء إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال له:يا أمير المؤمنين!خبّرنى عن اللّه تعالى،رأيته حين عبدته؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام:لم أكن بالّذى أعبد من لم أره.

۱- ۱) أخرجه الصدوق فى التوحيد:۳۰۴ ح ۱،و [۱] ۳۰۸ ح ۲ بروايتين و فى الأمالى:۲۸۰ ح ۱ المجلس(۵۵). [۲]

۲- ۲) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۱۳۸ ح ۴. [۳]

فقال له:فكيف رأيته حين رأيته؟ فقال له:ويحك لم تره العيون بمشاهده الأبصار،و لكن رأته القلوب بحقائق الايمان،معروف بالدّلالات،منعوت بالعلامات،لا يقاس بالناس،و لا تدركه الحواسّ.

فانصرف الرجل و هو يقول:اللّه أعلم حيث يجعل رسالته.و تبعه فى (الاحتجاج) (۱).

و روى مضمون الخبر(الكافى)فى باب إبطال الرؤيه عن الباقر عليه السّلام و اشتمل على أنّ رجلا من الخوارج سأل الباقر عليه السّلام (۲).

فالظاهر و هم المفيد فى نسبته إلى أمير المؤمنين عليه السّلام،و لعلّ المصنّف وقف على مستند آخر غير سند الكلينى و الصدوق فى الكتابين و كان مشتملا على ذكر اليمانىّ (۳).

لكن الظاهر أنّ ذعلب اليمانىّ كان رجلا آخر متأخّرا من الرواه التبس على المصنّف هذا بذاك،فقال نفسه فى الخطبه(۲۳۲):روى ذعلب اليمانى عن أحمد بن قتيبه عن عبد اللّه بن يزيد عن مالك بن دحيه قال:كنّا عند أمير المؤمنين عليه السّلام... (۴)،لكن نقله ابن أبى الحديد على ما فى النسخه«ذعلب

۱- ۱) أخرجه المفيد فى الإرشاد:۱۲۰،و [۱]رواه الطبرسى فى الاحتجاج ۱:۲۰۹ و [۲]بينهما اختلاف لفظى يسير.

۲- ۲) أخرج المضمون الكلينى فى الكافى ۱:۹۷ ح ۵،و [۳]الصدوق فى التوحيد:۱۰۸ ح ۵،و الأمالى:۲۲۹ ح ۴ المجلس(۴۷)، و [۴]رواه الطبرسى فى الاحتجاج ۲:۳۲۱ عن الباقر عليه السّلام و رواه-بلا اشاره الى كون الرجل من الخوارج-الديلمى فى ارشاد القلوب:۱۶۷ ح ۱،و الطبرسى فى الاحتجاج ۲:۳۳۶،و رواه مترددا عن الباقر أو الصادق عليهما السّلام الاربلى فى كشف الغمه ۲:۴۱۸. [۵]

۳- ۳) يؤيد هذا الاحتمال روايه الديلمى فى ارشاد القلوب التى كانت أوفق الروايات للفظ نهج البلاغه،و [۶]لكونه أكمل متنا لا يحتمل روايته عن نهج البلاغه، [۷]بل المحتمل روايه كليهما عن مصدر واحد،و فى لفظ الديلمى«ذعلب اليمانى»أيضا.

۴- ۴) لفظ نهج البلاغه ۲:۲۲۷« [۸]روى اليمانى»بدون ذكر ذعلب و لفظ ابن ميثم فى شرحه ۴:۱۱۴«روى أبو محمد اليمانى».

الیمانی» (۱).

«فقال:هل رأیت ربک یا أمیر المؤمنین» و قد عرفت أنّ خارجیّا سأل الباقر علیه السّلام عن مثله .

«فقال:أ فأعبد ما لا أری» و روی(المحاسن)أنّ رجلا من الیهود أتاه علیه السّلام فقال:یا علی هل رأیت ربّک؟فقال علیه السّلام ما کنت بالّذی أعبد إلها لم أره.ثم قال:لم تره العیون فی مشاهده الأبصار غیر أنّ الإیمان بالغیب بین عقد القلوب (۲).

«فقال:و کیف تراه؟فقال» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(قال:کیف تراه؟قال)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه) (۳)،ثم کلمه(قال) الثانیه زائده توکیدا،و إلّا یصیر ما بعدها مقولها،و یبقی قوله:«و من کلام له علیه السّلام»خبرا بلا مبتدأ .

«لا تدرکه العیون بمشاهده العیان» ،و فی روایه الکلینی و الصدوق:«لم تره العیون بمشاهده الأبصار» (۴).

«و لکن تدرکه القلوب بحقائق الإیمان» و إدراک القلوب فوق إدراک العیون، لعدم وقوع لبس فی إدراکها،بخلاف إدراک العیون فیقع اللبس فیها کثیرا، و لبعضهم:

لئن لم ترک العین فقد أبصرک القلب

و قال الصدوق فی(توحیده):و الأخبار التی ذکرها أحمد بن محمّد بن عیسی فی(نوادره)و محمّد بن أحمد بن یحیی فی(جامعه)فی معنی الرؤیه صحیحه لا یردّها إلّا مکذّب بالحق أو جاهل به،و ألفاظه ألفاظ القرآن،و لکلّ

۱- ۱) کذا فی شرح ابن أبی الحدید ۳:۱۸۶. [۱]

۲- ۲) أخرجه البرقی فی المحاسن:۲۳۹ ح ۲۱۶. [۲]

۳- ۳) لفظ ابن أبی الحدید ۲:۵۰۴«فقال:و کیف تراه؟قال»،و لفظ ابن میثم ۳:۳۷۳،فقال:و کیف تراه؟فقال».

۴- ۴) الکافی ۱:۹۷ ح ۵،و [۳]التوحید للصدوق:۳۰۵ ح ۱،و ح ۲ ۳۰۸.

خبر معنی ینفی التشبیه و التعطیل و یثبت التوحید،و قد أمرنا الأئمه علیهم السّلام أن لا نکلّم الناس إلّا علی قدر عقولهم،و معنی الرّؤیه الوارده فی الأخبار:العلم، و ذلک أنّ الدّنیا دار شکوک و ارتیاب و خطرات،فإذا کان یوم القیامه کشف للعباد من آیات اللّه و أموره فی ثوابه و عقابه ما یزول به الشکوک،و یعلم حقیقه قدره اللّه تعالی،و تصدیق ذلک فی کتاب اللّه تعالی: «لَقَدْ کُنْتَ فِی غَفْلَهٍ مِنْ هذا فَکَشَفْنا عَنْکَ غِطاءَکَ فَبَصَرُکَ الْیَوْمَ حَدِیدٌ» (۱)،فمعنی ما روی فی الحدیث أنّه تعالی یری،أی:یعلم علما یقینا،کقوله تعالی: «أَ لَمْ تَرَ إِلی رَبِّکَ کَیْفَ مَدَّ الظِّلَّ» (۲)و قوله تعالی: «أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِی حَاجَّ إِبْراهِیمَ فِی رَبِّهِ» (۳)و قوله تعالی: «أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ خَرَجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ» (۴)و قوله تعالی: «أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِأَصْحابِ الْفِیلِ» (۵)و أشباه ذلک من رؤیه القلب،و لیست من رؤیه العین،و أمّا قوله تعالی: «فَلَمّا تَجَلّی رَبُّهُ لِلْجَبَلِ» (۶)،فمعناه لمّا ظهر عزّ و جلّ للجبل بآیه من آیات الآخره التی یکون بها الجبال سرابا و التی ینسف بها الجبال نسفا،تدکدک الجبل فصار ترابا لأنّه لم یطق حمل تلک الآیه،و قد قیل:إنّه بدا له من نور العرش (۷).

و أمّا قول موسی علیه السّلام: «رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَیْکَ» (۸)فلیس دالّا علی تجویز موسی علیه السّلام رؤیته تعالی،فإنّه علیه السّلام قال ذلک لما سأله قومه رؤیته

۱- ۱) ق:۲۲.

۲- ۲) الفرقان:۴۵. [۱]

۳- ۳) البقره:۲۵۸. [۲]

۴- ۴) البقره:۲۴۳. [۳]

۵- ۵) الفیل:۱. [۴]

۶- ۶) الأعراف:۱۴۳. [۵]

۷- ۷) التوحید للصدوق:۱۱۹.

۸- ۸) الأعراف:۱۴۳. [۶]

تعالی جهره،فقال ذلک لیفهمهم امتناعها بجوابه تعالی «لَنْ تَرانِی» (۱)، کما یشهد له قوله تعالی فی موضع آخر: «یَسْئَلُکَ أَهْلُ الْکِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَیْهِمْ کِتاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسی أَکْبَرَ مِنْ ذلِکَ فَقالُوا أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَهُ بِظُلْمِهِمْ» (۲)،فإنّ القصه فی الآیتین واحده،و قد صرّح فی الثانیه بأنّ السؤال له تعالی کان منهم،فکان موسی علیه السّلام حاکیا عنهم.

هذا،و الإمامیه و المعتزله علی امتناع رؤیته تعالی فی الدّنیا و الآخره لقوله تعالی: «لا تُدْرِکُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ یُدْرِکُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ» (۳)و لقوله تعالی:لموسی علیه السّلام: «لَنْ تَرانِی» (۴).

و ذهبت الأشاعره إلی جواز رؤیته فی الدّنیا منزّها عن الجهه و المکان و المقابله.و قالت المشبّهه و الکرامیّه برؤیته فی الجهه و المکان لکونه عندهم جسما (۵)،و نسبوا إلی ابن عباس أنّه قال:إنّ اللّه اختصّ محمدا بالرّؤیه،کما اختص موسی بالکلام (۶).

و قال أحمد بن خابط و الفضل الحدثی و هما من أصحاب النظّام بحمل کلّ ما ورد فی الخبر من رؤیه الباری تعالی-مثل قوله صلّی اللّه علیه و آله:«إنّکم سترون

۱- ۱) الأعراف:۱۴۳. [۱]

۲- ۲) النساء:۱۵۳. [۲]

۳- ۳) الأنعام:۱۰۳. [۳]

۴- ۴) الأعراف:۱۴۳. [۴]

۵- ۵) هذا اقتباس من قول المجلسی فی بحار الأنوار ۵۹:۴-۶۰،و [۵]خلاصه قول المفید فی أوائل المقالات:۶۳ أنّ صحه رؤیه اللّه تعالی [۶]قول المشبهه و بعض الصفاتیه،و عدم رؤیته قول جمهور الامامیه و عامه متکلمی الامامیه إلا من شذ منهم، و جمیع المعتزله،و جمهور المرجئه،و کثیر من الخوارج،و الزیدیه،و بعض أهل الحدیث.

۶- ۶) هذا المعنی أخرجه النسائی و الحاکم و ابن مردویه عن ابن عباس،و أخرجه الحاکم فی المستدرک و ابن مردویه و ابن جریر و ابن المنذر و عبد بن حمید فی مسنده عن الشعبی:أن کعبا قاله بحضره ابن عباس،و عنهم الدرّ المنثور ۶:۱۲۴. [۷]

ربّكم يوم القيامه كما ترون القمر ليله البدر و لا تضامّون فى رؤيته» (۱)-على رؤيه العقل الأوّل الّذى هو أوّل مبدع،و هو العقل الفعّال الذى منه تفيض الصّور على الموجودات،و إيّاه عنى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بقوله:«أوّل ما خلق اللّه العقل، فقال له:أقبل فأقبل.ثم قال له:أدبر فأدبر.فقال:و عزّتى و جلالى ما خلقت خلقا أحسن منك،و بك أعزّ و بك أذلّ و بك أعطى و بك أمنع» (۲).فهو الذى يظهر يوم القيامه،و ترتفع الحجب بينه و بين الصور التى فاضت منه،فيرونه كمثل القمر ليله البدر،فأمّا واهب العقل فلا يرى البته و لا يشبه إلاّ مبدع بمبدع إلى غير ذلك من مذاهبهم البدعيّه التى نقلها(الملل) (۳).

و الرّجلان و إن نفيا عنه رؤيه البصر و هو حقّ إلاّ أنّهما جعلا له شريكا، و تعالى اللّه عمّا يشركون .

«قريب من الأشياء غير ملامس» قال تعالى فى وصف قربه: «وَ نَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» (۴).و قال عزّ و جلّ: «وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَهَ الدّاعِ إِذا دَعانِ» (۵).

۱- ۱) أخرجه عدّه عن أبى هريره و أبى سعيد الخدرى و ابن رزين و صهيب و جابر بن عبد اللّه باختلاف يسير و جمع بعض طرقه و ألفاظه ابن الأثير فى جامع الأصول ۱۱:۱۶۸ ح ۸۰۹۸،و المتقى فى منتخب كنز العمال ۶:۱۲۴،و شرح الحديث الشريف الرضى فى المجازات النبويه:۴۷ و [۱]الشريف المرتضى فى تنزيه الأنبياء:۱۲۸. [۲]

۲- ۲) أخرجه بفرق يسير داود بن المحبّر فى كتاب العقل،و عنه هامش جامع الاصول ۴:۴۲۲،و الكراجكى فى كنز الفوائد: ۱۴،و [۳]كون العقل أول ما خلق اللّه أخرجه الصدوق فى الفقيه ۴:۲۶۷،و رواه الطبرسى فى مكارم الأخلاق:۴۴۲،و [۴]كون العقل أوّل خلق من الروحانيين أخرجه البرقى فى المحاسن:۱۹۶ ح ۲۲،و [۵]الكلينى فى الكافى ۱:۲۰ ح ۱۴،و [۶]الصدوق فى الخصال ۲:۵۸۸ ح ۱۳ عن الصادق عليه السّلام،لكن اللفظ المشهور فى حديث العقل:«لما خلق اللّه العقل...»رواه عدّه عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و الباقر عليه السّلام و الصادق عليه السّلام و موقوفا عن الحسن البصرى لا يسع ذكره المقام.

۳- ۳) الملل و النحل للشهرستانى ۱:۶۳. [۷]

۴- ۴) ق:۱۶.

۵- ۵) البقره:۱۸۶. [۸]

«بعید منها غیر مباین» فالبعد بالبینونه صفه الأجسام .

«متکلّم لا برویّه» کالإنسان یتروّی أوّلا فی المعانی ثمّ یتکلّم بالألفاظ.

«مرید لا بهمّه» بالإضمار فی نفسه.

«صانع لا بجارحه» کالإنسان یصنع شیئا بیده .

«لطیف لا یوصف بالخفاء» کأرواح ذوی الأرواح.

«کبیر لا یوصف بالجفاء» کأجساد ذوی الأجساد الجسمیه .

«بصیر لا یوصف بالحاسّه» أی:الباصره .

«رحیم لا یوصف بالرّقه» للقلب .

«تعنو» أی:تخضع و تذلّ.

«الوجوه لعظمته» «وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَیِّ الْقَیُّومِ وَ قَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً» (۱).

«و تجب» أی:تضطرب.

«القلوب من مخافته» «وَ الَّذِینَ یُؤْتُونَ ما آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَهٌ أَنَّهُمْ إِلی رَبِّهِمْ راجِعُونَ» (۲)، «رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَیْتَنا وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَهً إِنَّکَ أَنْتَ الْوَهّابُ» (۳).

۲۴

من الخطبه(۱۸۳)

و من خطبه له علیه السّلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی لاَ تُدْرِکُهُ الشَّوَاهِدُ- وَ لاَ تَحْوِیهِ الْمَشَاهِدُ- وَ لاَ تَرَاهُ

۱- ۱) طه:۱۱۱. [۱]

۲- ۲) المؤمنون:۶۰. [۲]

۳- ۳) آل عمران:۸. [۳]

النَّوَاظِرُ- وَ لاَ تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ- الدَّالِّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ- وَ بِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لاَ شَبَهَ لَهُ- الَّذِى صَدَقَ فِى مِيعَادِهِ- وَ ارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ- وَ قَامَ بِالْقِسْطِ فِى خَلْقِهِ- وَ عَدَلَ عَلَيْهِمْ فِى حُكْمِهِ- مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ- وَ بِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ- وَ بِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ- وَاحِدٌ لاَ بِعَدَدٍ دَائِمٌ لاَ بِأَمَدٍ وَ قَائِمٌ لاَ بِعَمَدٍ- تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لاَ بِمُشَاعَرَةٍ- وَ تَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِى لاَ بِمُحَاضَرَةٍ- لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا- وَ بِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا وَ إِلَيْهَا حَاكَمَهَا- لَيْسَ بِذِى كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً- وَ لاَ بِذِى عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً- بَلْ كَبُرَ شَأْناً وَ عَظُمَ سُلْطَاناً أقول:قد عرفت فى أوّل الكتاب (۱)أنّ نسخنا من هنا إلى خطبه المتّقين، بينهما سبع خطب مختلفه مع نسخه ابن أبى الحديد،و قد عرفت تصريح ابن ميثم بالاختلاف من الأوّل .

«الحمد للّه الذى لا تدركه الشواهد» الشواهد جمع الشاهده،و الشاهده الحاسّه.فيكون المعنى لا تدركه الحواسّ الظاهره:السامعه،و الباصره، و الذائفه،و الشّامّه،و اللاّمسه،فإنّها تدرك المحسوسات.

«و لا تحويه» قال الجوهرى:حواه يحويه حيّا،أى:جمعه (۲).

«المشاهد» أى:المحاضر،قالوا:مشاهد مكّه مواطن يحضرها الناس، و إنّه تعالى شاهد كلّ ملأ،و لا يحويه مشهد.

«و لا تراه النّواظر» النّواظر جمع النّاظره،أى:القوه الباصره،قال تعالى:

۱- ۱) مرّ فى مقدّمه المؤلف.

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهرى ۶:۲۳۲۲ [۱] ماده(حوى).

«لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» (۱).

«و لا- تحجبه السّواتر» بخلاف باقی الأشياء حتی الشمس،فإنّها مع كونها أظهر من كلّ شیء و بها يظهر كلّ شیء تحجب بغمام،بل بقتام .

«الدّال علی قدمه بحدوث خلقه» و إلّا لزم التسلسل المحال،و زاد (الاحتجاج):«و بحدوث خلقه علی وجوده » (۲).

«و باشتباههم علی أن لا شبه له» أی:لمّا امتنع عند العقل مشابهه الصّانع و المصنوع و نری فی جميع الأشياء التشابه،نعلم أنّه تعالی هو الّذی ليس له شبه .

«الّذی صدق فی ميعاده» «إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا» (۳).

«و ارتفع عن ظلم عباده» «إِنَّ اللّهَ لا- يَظْلِمُ النّاسَ شَيْئاً وَ لكِنَّ النّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» (۴).و الظالم إنّما يظلم إمّا لاحتياجه و إمّا لجهله،كما أنّ المخلف لوعده إنّما يخلف إمّا لعجزه عن الوفاء به أو لجهله بقبحه،و هو تعالی منزّه عن الحاجه و العجز و الجهل.

نعم يمكن صفحه عن وعيده،و فی الدّعاء:يا من إذا وعد و فی،و إذا تواعد عفا (۵).

«و قام بالقسط» أی:العدل.

۱- ۱) الأنعام:۱۰۳. [۱]

۲- ۲) الاحتجاج للطبرسی ۱:۲۰۴ [۲] روی الخطبه بتمامها.

۳- ۳) لقمان:۳۳. [۳]

۴- ۴) يونس:۴۴. [۴]

۵- ۵) الفقرتان جاءتا ضمن دعاء رواه المجلسی فی بحار الأنوار ۹۴:۱۳۲ عن الكتاب العتيق الغروی عن السجاد عليه السّلام،و جاء قريبا منه ما فی دعاء رواه الطبرسی فی مكارم الأخلاق:۲۹۵ عن الباقر و الصادق عليهما السّلام مترددا.

«فی خلقه» «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ وَ الْمَلائِکَهُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ» (۱).

«و عدل علیهم فی حکمه» «وَ یُؤْتِ کُلَّ ذِی فَضْلٍ فَضْلَهُ» (۲)، «أَنِّی لا أُضِیعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْکُمْ مِنْ ذَکَرٍ أَوْ أُنْثی» (۳)، «وَ ما کانَ اللّهُ لِیُضِیعَ إِیمانَکُمْ» (۴)، «إِنّا لا نُضِیعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِینَ» (۵)، «وَ لا نُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ» (۶)، «فَإِنَّ اللّهَ لا یُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ» (۷)، «یَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَهٍ مِنَ اللّهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اللّهَ لا یُضِیعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِینَ» (۸)، «إِنّا لا نُضِیعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا » (۹).

«مستشهد بحدوث الأشیاء علی أزلیّته» قال الرّضا علیه السّلام:خلق السماوات و الأرض فی ستّه أیّام ثمّ استوی علی عرشه،و کان قادرا علی أن یخلقها فی طرفه عین،و لکنّه تعالی خلقها فی سته أیام لیظهر للملائکه ما یخلقه منها شیئا بعد شیء،فیستدلّ بحدوث ما یحدث علی اللّه تعالی مرّه بعد مرّه (۱۰).

«و بما وسمها» أی:جعل لها علامه،من وسمه إذا أثّر فیه بسمه و کیّ.

«به من العجز علی قدرته» فحیث إنّ کلّهم عاجزون،و معلوم أنّ فی

۱- ۱) آل عمران:۱۸. [۱]

۲- ۲) هود:۳. [۲]

۳- ۳) آل عمران:۱۹۵. [۳]

۴- ۴) البقره:۱۴۳. [۴]

۵- ۵) الأعراف:۱۷۰. [۵]

۶- ۶) یوسف:۵۶. [۶]

۷- ۷) هود:۱۱۵. [۷]

۸- ۸) آل عمران:۱۷۱. [۸]

۹- ۹) الکهف:۳۰. [۹]

۱۰- ۱۰) أخرجه الصدوق فی العیون ۱:۱۱۰ ح ۳۳ [۱۰] ضمن حدیث روی معناه الطبرسی فی الاحتجاج ۲:۴۱۲ [۱۱] عن علی علیه السّلام.

الوجود قادرا على ما يشاء،يعلم أنّه هو القادر،قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ» (۱)، «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَ ما ذلِكَ عَلَى اللّهِ بِعَزِيزٍ» (۲).

«و بما اضطرّها إليه من الفناء» أى:مستشهد به أيضا.

«على دوامه» فحيث نرى جميع الخلق فانين،و معلوم أنّه يجب أن يكون فى الوجود مفن دائم الوجود،نعلم و نفهم من فنائهم دوامه تعالى،قال تعالى:

«كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ» (۳)، «كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ » (۴).

«واحد لا بعدد» أى:أحد لا ثانى له.

«دائم لا بأمد» أى:مدّه و انتهاء،و كلّ شىء سواه تعالى حتّى الأرض و السّماء و الشمس و القمر و الجبال و البحار التى يضرب الناس بها الأمثال فى الدوام،له أمد و مدّه،قال تعالى: «وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى» (۵).

«و قائم لا بعمد» كلّ قائم سواه تعالى على ساق يعتمد عليه كالإنسان و أقسام الحيوان،أو على عمد يستند إليه كالأبنيه و الأخبيه،و هو تعالى قائم بوجوب ذاته .

«تتلقّاه الأذهان» أى:العقول.

۱- ۱) الحج:۷۳. [۱]

۲- ۲) ابراهيم:۱۹-۲۰. [۲]

۳- ۳) القصص:۸۸. [۳]

۴- ۴) الرحمن:۲۶-۲۷. [۴]

۵- ۵) الزمر:۵. [۵]

«لا بمشاعره» فإنّ كثيرا من الأشياء تتلقّاه الأذهان من المشاعر الظاهريه،و هو عزّ و جلّ لا يتلقى إلّا من البراهين العقليه.

«و تشهد له المرائى لا- بمحاضره» هكذا فى النسخ (۱)،و يمكن أن يكون (المرائى)مصحف(المرايا)جمع المرآه،فيكون المعنى:أنّ المرايا تشهد لما حاضرها بالتّقابل بالوجود لانتقاشه فيها،و أمّا البارى تعالى فتشهد لوجوده مرايا العقول من غير حضور و مقابله.

و يحتمل أن يكون(المرائى)جمع(المرأى)اسم مكان بمعنى المنظر، و هو النّاظر كما قاله ابن ميثم (۲)،فيكون المعنى:أنّ رؤيته تعالى لمّا كانت بالقلب لا بالنّواظر لا يحتاج إلى أن يكون حاضرا للنّاظر.و لا يخلو من بعد.

و أمّا ما قال ابن أبى الحديد (۳)من أنّه من قولهم:فلان هو حسن فى مرآه عينى يقول:إنّ جنس الرّؤيه يشهد بوجود البارى تعالى من غير محاضره منه للحواسّ،ففى غايه البعد.

و أمّا ما قاله الخوئى (۴)تبعا للمجلسى (۵)من أنّه جمع المرئى(بلفظ المفعول)،أى:المرئيات تشهد بوجوده تعالى من غير محاضره منه،فلا وجه له،فإنّ الشاهد لشىء إنّما يكون الرائى لا المرئى،و المرئيات و إن تشهد له تعالى إلّا أنّه ليس من حيث كونها مرئيه بل من حيث كونها أشياء .

«لم تحط به الأوهام» لقصرها عن الإحاطه به.

۱- ۱) كذا فى نهج البلاغه ۲:۱۱۵،و شرح ابن أبى الحديد ۳:۱۹۴،و شرح ابن ميثم ۴:۱۲۱. [۱]

۲- ۲) شرح ابن ميثم ۴:۱۲۵.

۳- ۳) شرح ابن أبى الحديد ۳:۱۹۶. [۲]

۴- ۴) شرح الخوئى ۵:۱۲۷.

۵- ۵) بحار الأنوار ۴:۲۶۱ و [۳]جعله المجلسى احتمالا ثانيا،و احتماله الأول كونه جمع مرآه بفتح الميم،من قولهم:هو حسن فى مرآه عينى.

«بل تجلّی لها»هکذا فی(المصریه)الأخیره،و فی(المصریه)الأولی:«بل تجلّی بها»و کلتاهما ناقصتان.و الصواب ما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه) (۱)بلفظ: «بل تجلّی لها بها» .هذا من حیث إحراز ما فی النهج،لکن الظاهر وقوع تحریف فیه،و أنّ الأصل:«بل تجلّی للعقول بها».کما یشهد له قوله علیه السّلام فی الآتی (۲):«بها تجلّی صانعها للعقول».

و حینئذ یکون معنی قوله علیه السّلام بعده: «و بها امتنع منها،و إلیها حاکمها» أنّ بالعقول-و حکمها أنّه تعالی لا یدرک بالأوهام-امتنع من الأوهام أن تدرکه،و أنّ ؟؟؟ العقول حاکم تعالی الأوهام لو تدعی معرفته تعالی،حتّی تحکم العقول بعجزها عن إدراک جلاله،فیکون الضمیر فی(بها)راجعا إلی (العقول)و فی(منها)راجعا إلی الأوهام،و فی(الیها)أیضا راجعا إلی(العقول) و فی(حاکمها)راجعا إلی الأوهام.

و أمّا علی ما فی النهج من إرجاع الضمائر کلّها إلی الأوهام-کما یقتضیه السیاق-فیحتاج المعنی إلی تکلّف،بأن یکون المراد من الأوهام المعنی الأعم لها من المتعارف،و من معنی العقول کما احتمله المجلسی (۳).

«لیس بذی کبر امتدّت به النّهایات» أی:الطّول و العرض و العمق.

«فکبّرته تجسیما» حسب شأن أشیاء نهایاتها ممتدّه.

«و لا بذی عظم تناهت به الغایات» فی أبعاده.

«فعظّمته تجسیدا» و تجعل جسده ضخیما.

«بل کبر شأنا و عظم سلطانا» یعنی أنّ الکبر و العظمه بالنسبه إلیه تعالی

۱- ۱) فی شرح ابن أبی الحدید ۳:۱۹۴،و شرح ابن میثم ۴:۱۲۱«بل تجلی لها و بها».

۲- ۲) یأتی فی متن الخطبه فی العنوان(۲۵).

۳- ۳) بحار الأنوار ۴:۲۶۲. [۱]

كبر الشّأن،و عظم السلطان،و إنّما كبر الجسم و عظم الجسد فی غیره تعالی، قال تعالی فی کبره: «عالِمُ الْغَیْبِ وَ الشَّهادَهِ الْکَبِیرُ الْمُتَعالِ» (۱).و قال عزّ و جلّ فی عظمه: «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّکَ الْعَظِیمِ» (۲).

۲۵

من الخطبه(۱۸۴)

و من خطبه له علیه السّلام فی التوحید،و تجمع هذه الخطبه من أصول العلم ما لا تجمعه خطبه:

مَا وَحَّدَهُ مَنْ کَیَّفَهُ وَ لَا حَقِیقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ- وَ لَا إِیَّاهُ عَنَی مَنْ شَبَّهَهُ- وَ لَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَیْهِ وَ تَوَهَّمَهُ- کُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ وَ کُلُّ قَائِمٍ فِی سِوَاهُ مَعْلُولٌ- فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَهٍ مُقَدِّرٌ لَا بِجَوْلِ فِکْرَهٍ- غَنِیٌّ لَا بِاسْتِفَادَهٍ- لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ وَ لَا تَرْفِدُهُ الْأَدَوَاتُ- سَبَقَ الْأَوْقَاتَ کَوْنُهُ- وَ الْعَدَمَ وُجُودُهُ وَ الِابْتِدَاءَ أَزَلُهُ بِتَشْعِیرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ- وَ بِمُضَادَّتِهِ بَیْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ- وَ بِمُقَارَنَتِهِ بَیْنَ الْأَشْیَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِینَ لَهُ- ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَهِ وَ الْوُضُوحَ بِالْبُهْمَهِ- وَ الْجُمُودَ بِالْبَلَلِ وَ الْحَرُورَ بِالصَّرَدِ مُؤَلِّفٌ بَیْنَ مُتَعَادِیَاتِهَا مُقَارِنٌ بَیْنَ مُتَبَایِنَاتِهَا- مُقَرِّبٌ بَیْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا مُفَرِّقٌ بَیْنَ مُتَدَانِیَاتِهَا- لَا یُشْمَلُ بِحَدٍّ (۳)وَ لَا یُحْسَبُ بِعَدٍّ- وَ إِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا- وَ تُشِیرُ الْآلَاتُ إِلَی نَظَائِرِهَا مَنَعَتْهَا مُنْذُ الْقِدَمِیَّهِ وَ حَمَتْهَا قَدُ الْأَزَلِیَّهِ- وَ جَنَّبَتْهَا لَوْ لَا التَّکْمِلَهَ بِهَا تَجَلَّی صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ- وَ بِهَا امْتَنَعَ

۱- ۱) الرعد:۹. [۱]

۲- ۲) الواقعه:۹۶،۷۴. [۲]

۳- ۳) قال الشارح و من بعض النسخ«مقرّب بین متباعداتها،و مفرق بین متدانیاتها،لا یشمل بحدّ».

عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ- لَا يَجْرِی عَلَيْهِ السُّكُونُ وَ الْحَرَكَةُ- وَ كَيْفَ يَجْرِی عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ- وَ يَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ وَ يَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ- إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ وَ لَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ- وَ لَامْتَنَعَ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ- وَ لَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ- وَ لَالْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ- وَ إِذاً لَقَامَتْ آيَهُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ- وَ لَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ- وَ خَرَجَ بِسُلْطَانِ الِامْتِنَاعِ- مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِی غَيْرِهِ الَّذِی لَا يَحُولُ وَ لَا يَزُولُ وَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأُفُولُ- وَ لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً وَ لَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً- جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ وَ طَهُرَ عَنْ مُلَامَسَهِ النِّسَاءِ- لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ وَ لَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ- وَ لَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ وَ لَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِی فَتَمَسَّهُ- وَ لَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ وَ لَا يَتَبَدَّلُ بِالْأَحْوَالِ- وَ لَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِی وَ الْأَيَّامُ وَ لَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَ الظَّلَامُ وَ لَا يُوصَفُ بِشَیْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ- وَ لَا بِالْجَوَارِحِ وَ الْأَعْضَاءِ وَ لَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ- وَ لَا بِالْغَيْرِيَّهِ وَ الْأَبْعَاضِ- وَ لَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَ لَا نِهَايَهٌ وَ لَا انْقِطَاعٌ وَ لَا غَايَهٌ- وَ لَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتُقِلَّهُ أَوْ تُهْوِيَهُ- أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يُعَدِّلَهُ- لَيْسَ فِی الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ وَ لَا عَنْهَا بِخَارِجٍ- يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَ لَهَوَاتٍ- وَ يَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَ أَدَوَاتٍ يَقُولُ وَ لَا يَلْفِظُ- وَ يَحْفَظُ وَ لَا يَتَحَفَّظُ وَ يُرِيدُ وَ لَا يُضْمِرُ- يُحِبُّ وَ يَرْضَی مِنْ غَيْرِ رِقَّهٍ- وَ يُبْغِضُ وَ يَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّهٍ- يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ كُنْ فَيَكُونُ- لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ وَ لَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ- وَ إِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَ مَثَّلَهُ- لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِناً- وَ لَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلَهاً ثَانِياً لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ- فَتَجْرِیَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ- وَ لَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ فَصْلٌ- وَ لَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ فَيَسْتَوِیَ الصَّانِعُ

وَ الْمَصْنُوعُ- وَ يَتَكافَأُ الْمُبْتَدَعُ وَ الْبَدِيعُ- خَلَقَ الْخَلائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثالٍ خَلا عَنْ غَيْرِهِ- وَ لَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ- وَ أَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغالٍ- وَ أَرْساهَا عَلَى غَيْرِ قَرارٍ وَ أَقامَهَا بِغَيْرِ قَوائِمَ- وَ رَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعائِمَ- وَ حَصَّنَهَا مِنَ الْأَوَدِ وَ الِاعْوِجاجِ- وَ مَنَعَهَا مِنَ التَّهافُتِ وَ الِانْفِراجِ- أَرْسَى أَوْتادَهَا وَ ضَرَبَ أَسْدادَهَا- وَ اسْتَفاضَ عُيُونَهَا وَ خَدَّ أَوْدِيَتَهَا- فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ وَ لاَ ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَ عَظَمَتِهِ- وَ هُوَ الْباطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَ مَعْرِفَتِهِ- وَ الْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلالِهِ وَ عِزَّتِهِ- لاَ يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبُهُ- وَ لاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبُهُ- وَ لاَ يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ- وَ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقَهُ- خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ وَ ذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ- لاَ يَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ- فَيَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَ ضُرِّهِ- وَ لاَ كُفْءَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ- وَ لاَ نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ- هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا- حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا.

وَ لَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا- بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَ اخْتِرَاعِهَا- وَ كَيْفَ لَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَ بَهَائِمِهَا- وَ مَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَ سَائِمِهَا- وَ أَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَ أَجْنَاسِهَا- وَ مُتَبَلِّدَهِ أُمَمِهَا وَ أَكْيَاسِهَا- عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا- وَ لاَ عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا- وَ لَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَ تَاهَتْ- وَ عَجَزَتْ قُوَاهَا وَ تَنَاهَتْ- وَ رَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً- عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ مُقِرَّةً بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا- مُذْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا وَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لاَ شَيْءَ مَعَهُ- كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا- بِلاَ وَقْتٍ وَ لاَ مَكَانٍ وَ لاَ حِينٍ وَ لاَ

زَمَانٍ- عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْآجَالُ وَ الْأَوْقَاتُ- وَ زَالَتِ السِّنُونَ وَ السَّاعَاتُ- فَلَا شَيْءَ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ- الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ- بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا- وَ بِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا- وَ لَوْ قَدَرَتْ عَلَى الِامْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا- لَمْ يَتَكَأَدْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ- وَ لَمْ يَؤُدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَ بَرَأَهُ- وَ لَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ- وَ لَا لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَ نُقْصَانٍ- وَ لَا لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِرٍ- وَ لَا لِلِاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ- وَ لَا لِلِازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ- وَ لَا لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ- وَ لَا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ- فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا- ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا- لَا لِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَ تَدْبِيرِهَا- وَ لَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ- وَ لَا لِثِقَلٍ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ- لَمْ يُمِلَّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوَهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا- وَ لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ- وَ أَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ وَ أَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ- ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا- وَ لَا لِاسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا- وَ لَا لِانْصِرَافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَةٍ إِلَى حَالِ اسْتِئْنَاسٍ- وَ لَا مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَ عَمًى إِلَى عِلْمٍ وَ الْتِمَاسٍ- وَ لَا مِنْ فَقْرٍ وَ حَاجَةٍ إِلَى غِنًى وَ كَثْرَةٍ- وَ لَا مِنْ ذُلٍّ وَ ضِعَةٍ (ضَعَة.خ)إِلَى عِزٍّ وَ قُدْرَةٍ أقول:و رواه(تحف العقول -تحف العقول-ص ۶۱) (۱)مع اختلاف،إلى فقره:«و لتحوّل دليلا».

قول المصنف : «و تجمع هذه الخطبه من أصول العلم ما لا تجمعه خطبه» .

قلت:و بعد هذه الخطبه فی الجامعیه خطبه الأشباح المتقدّمه (۲).

۱- ۱) تحف العقول:۶۱ روایته یشبه بعضها بالخطبه(۱)و بعضها بالخطبه(۱۸۴)من نهج البلاغه، [۱]لکن الاختلاف کثیر.

۲- ۲) تقدم فی العنوان(۸)من هذا الفصل و رقمه(۸۹).

قوله عليه السّلام : «ما وحّده من كيّفه» لأنّ من كيّفه فقد ثنّاه.

«و لا حقيقته أصاب من مثّله» لأنّه ليس كمثله شيء،فمن مثّله أخطأه تعالى و أصاب غيره.

هذا،و فى(ميزان الذّهبى)فى أبى السعادات أحمد بن منصور قال:من وضعه حديث يقول فيه:و بين يدى الربّ لوح فيه أسماء من يثبت الصوره و الرؤيه و الكيفيّه،فيباهى بهم الملائكه (۱).

قلت:فتكنيته بأبى السعادات من قبيل ما قيل بالفارسيّه:«بر عكس نهند نام زنگى كافور» (۲).و إلّا فهو أبو الشقاوات.

«و لا إيّاه عنى» أى:قصد.

«من شبّهه» «وَ ما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» (۳).

«و لا صمده» أى:قصده.

«من أشار إليه» عن الباقر عليه السّلام:أنّ الكفار نبّهوا عن آلهتهم بحرف إشاره الشاهد المدرك،فقالوا النبىّ صلّى اللّه عليه و آله:هذه آلهتنا المحسوسه المدركه بالأبصار، فأشر أنت يا محمّد إلى إلهك الّذى تدعو إليه حتّى نراه و ندركه و لا نأله فيه، فأنزل اللّه تعالى: «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ» (۴).

و حاصله أنّه الغائب عن درك الأبصار و لمس الحواس.

«و توهّمه» عطف على(أشار إليه)،و لكن فى(تحف العقول):«و لا إيّاه أراد من توهمه» (۵).و هو الأصحّ .

«كلّ معروف بنفسه» أى:بذاته.

۱- ۱) ميزان الاعتدال للذهبى ۱:۱۵۹.

۲- ۲) أورده(دهخدا)فى أمثال و حكم ۱:۴۲۳ و [۱]ترجمه المثل:يسمون الزنجى كافورا بالعكس.

۳- ۳) الأنعام:۹۱. [۲]

۴- ۴) أخرجه الصدوق فى التوحيد:۸۸ ح ۱،و الآيه(۱)من سوره الاخلاص.

۵- ۵) تحف العقول:۶۲.

«مصنوع» و لیس بالصّانع.

«و کلّ قائم فی سواه معلول» و الباری تعالی قائم بذاته،و زاد(التحف):

«باطن لا بمداخله،ظاهر لا بمزایله،متجلّ لا باشتمال رؤیه،لطیف لا بتجسّم » (۱).

«فاعل لا باضطراب آله» کالناس «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ» (۲).

«و مقدّر» «فالِقُ الْإِصْباحِ وَ جَعَلَ اللَّیْلَ سَکَناً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْباناً ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ» (۳)، «وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ» (۴)، «وَ زَیَّنَّا السَّماءَ الدُّنْیا بِمَصابِیحَ وَ حِفْظاً ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ» (۵)، «وَ خَلَقَ کُلَّ شَیْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِیراً» (۶)، «إِنّا کُلَّ شَیْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ» (۷).

«لا بجول» أی:جولان.

«فکره» کالنّاس،بل بإیجاده علی طبق الحکمه.

«غنیّ لا باستفاده» شیء کالنّاس «وَ لِلّهِ خَزائِنُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لکِنَّ الْمُنافِقِینَ لا یَفْقَهُونَ» (۸).

«لا تصحبه الأوقات» لکونه جاعل الأوقات.

۱- ۱) تحف العقول:۶۳.

۲- ۲) یس:۸۲. [۱]

۳- ۳) الأنعام:۹۶. [۲]

۴- ۴) یس:۳۸. [۳]

۵- ۵) فصلت:۱۲. [۴]

۶- ۶) الفرقان:۲. [۵]

۷- ۷) القمر:۴۹. [۶]

۸- ۸) المنافقون:۷. [۷]

«و لا ترفده» أی:لا تعینه.

«الأدوات» جمع الأداه أی الآلات،و کیف ترفده تعالی و هو موجدها؟! «سبق الأوقات» بالنصب.

«کونه» أی:وجوده،فالأوقات عباره عن اللیل و النهار و الشهور و السنین،و هی لا توجد إلّا من طلوع الشمس و غروبها و قطع الشمس و القمر بروجهما،و هو تعالی سابق علیهما.

«و العدم» بالنّصب أیضا.

«وجوده» بالرّفع،و إنّما سبق العدم وجود خلقه.

«و الابتداء» أیضا بالنصب.

«أزله» بالرفع،و انما یکون ابتداء لشیء لم یکن أزلیّا .

«بتشعیره المشاعر عرف أن لا مشعر له» زاد فی روایه(التحف):

«و بتجهیره الجواهر علم أن لا جوهر له،و بانشائه البرایا علم أن لا منشئ له» (۱).و المشاعر:الحواسّ،قال بلعاء:

و الرّأس مرتفع فیه مشاعره یهدی السبیل له سمع و عینان

(۲) «و بمضادّته بین الامور عرف ان لا ضدّ له،و بمقارنته بین الأشیاء عرف أن لا قرین له » .

«ضادّ النور بالظّلمه» قال تعالی: «الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ الظُّلُماتِ وَ النُّورَ» (۳).و جعل کلّا من الضدّین ذا حکمه فی نظام العالم و صلاح بنی آدم،فإنّه لو کان النّهار و لم یکن لیل کم کان یدخل علی النّاس،کما فی عکسه کالنّور و الظّلمه.

۱- ۱) تحف العقول:۶۴.

۲- ۲) لسان العرب ۴:۴۱۳ [۱] ماده(شعر).

۳- ۳) الأنعام:۱. [۲]

«و الوضوح بالبهمه» فجعل علم الحرث و الغرس و اتّخاذ الأنعام و استخراج المعادن واضحا جليّا فی جميع الأدوار،و عند جميع الأجيال، و جعل علم الآجال و الرّزايا و البلايا المقدّره مبهما خفيّا،و إلّا لتنغص عيش الإنسان،و لم يتمتّع بشیء من النّعم.

«و الجمود بالبلل،و الحرور بالصّرد» أی:البرد،فجعل كلاّ منها ذا حكمه، فلو لم يجعل جمود الخريف و بلل الرّبيع،و حرور الصيف و صرد الشتاء،لما وجد كثير من المصالح و تولد كثير من المفاسد.

و قالوا:يؤجّل العنّين سنه فی فسخ امرأته العقد لعلّه يرفع عجزه بأحد الفصول الأربعه،ثمّ بعد السنه للمرأه الفسخ إذا لم يرفع مرضه،إذ علم أنّ العلّه لم تكن البلل و الجمود و الحرور و الصّرد (۱).كما أنّه تعالی خلق الذكر و الأنثی فی البشر و غيره،و إلّا لما حصل نسل.

هذا،و فی(المروج)عن يموت بن المزارع ابن اخت الجاحظ فی ذكر علّته التی مات فيها:و كان يطلی نصفه الأيمن بالصندل و الكافور لشدّه حرارته،

۱- ۱) تأجيل العنين سنه مروىّ و أفتی به،أخرج الروايه الحميری فی قرب الاسناد:۵۰،و الطوسی فی التهذيب ۷:۴۳۱ ح ۳۰،و الاستبصار ۳:۲۴۹ ح ۴،و رواه القاضی النعمان فی دعائم الاسلام ۲:۲۳۱ ح ۸۶۹ عن علی عليه السّلام،و أخرجه أحمد بن محمد بن عيسی فی النوادر عنه البحار ۱۰۳:۳۶۴ ح ۱۷،و الكلينی فی الكافی ۵:۴۱۱ ح ۷ و [۱]الطوسی بروايتين فی التهذيب ۷:۴۲۹ ح ۲۰،و ۴۳۱ ح ۲۷،و الاستبصار ۳:۲۴۹ ح ۱،و:۲۵۱ ح ۳ عن الباقر عليه السّلام،و أخرجه أحمد بن محمد بن عيسی فی النوادر و عنه البحار ۱۰۳:۳۶۶ ح ۲۶،و الكلينی فی الكافی ۵:۴۱۱ ح ۵،و [۲]الطوسی فی الاستبصار ۳: ۲۴۹ ح ۳،و رواه القاضی النعمان فی دعائم الاسلام ۲:۲۳۲ ح ۸۷۰ عن الصادق عليه السّلام،و أخرجه الطوسی فی التهذيب ۷: ۴۳۱ ح ۲۹ عن أبی الصباح،و الظاهر أنّه حدّثه عن الصادق عليه السّلام،و أخرجه صاحب فقه الرضا عليه السّلام عنه البحار ۱۰۳: ۳۶۲ ح ۱۰،و أخرجه الصدوق فی المقنع:۲۶ بلا عزو،و رواه موقوفا ابن حجر فی بلوغ المرام:۲۱۲ ح ۱۰۴۱ عن عمر و مالك فی الموطا:۵۲۸ عن سعيد بن المسيب.و اما الفتوی فنقلها العلاّمه الحلّی فی المختلف:۵۵۵ عن الصدوق و المفيد و المرتضی و الطوسی و ابن زهره و بتفصيل عن ابن الجنيد،و نقله الوزير فی الافصاح ۲:۳۴۰ عن مالك و أبی حنيفه و الشافعی و أحمد.

و النصف الآخر لو قرض بالمقاريض ما شعر به من خدره و برده (۱).

«مؤلّف بين متعادياتها،مقارن بين متباياتها» قال تعالى: «أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ» (۲).

«مقرّب بين متباعداتها» بجعل أسباب لذلك،و فى(توحيد المفضّل):لو كان فرج الرّجل مسترخيا كيف كان يصل إلى قعر الرّحم حتّى يفرغ النّطفه فيه،و لو كان منعظا أبدا كيف كان الرّجل يتقلّب فى الفراش أو يمشى بين النّاس و شىء شاخص أمامه.ثمّ يكون فى ذلك مع قبح المنظر تحريك الشهوه فى كلّ وقت من الرّجال و النساء جميعا،فقدّر اللّه جلّ اسمه أن يكون أكثر ذلك لا يبدو للبصر فى كلّ وقت،و لا يكون على الرجال منه مؤنه،بل جعل فيه قوّه الانتصاب وقت الحاجه إلى ذلك،لما قدّر أن يكون فيه من دوام النسل و بقائه (۳).

«لا يشمل بحدّ،و لا يحسب بعدّ» و فى(التحف):«أحد لا بتأويل عدد.صمد لا بتبعيض بدد» (۴).

«و إنّما تحدّ الأدوات أنفسها،و تشير الآلات إلى نظائرها» الظاهر وقوع سقط فى الكلام لعدم ذكر حكم للأدوات و الآلات قبل حتّى يقال بعد «و إنّما...»و يشهد للسّقط أنّ فى(التحف) (۵)و خطبه الرضا عليه السّلام (۶)و(مجالس

۱- ۱) مروج الذهب للمسعودى ۴:۱۰۹. [۱]

۲- ۲) النور:۴۳. [۲]

۳- ۳) توحيد المفضل:۶۹. [۳]

۴- ۴) تحف العقول:۶۳.

۵- ۵) تحف العقول:۶۵.

۶- ۶) هذه خطبه للرضا عليه السّلام،خطبها عند المأمون،و ألفاظها نحو روايه تحف العقول [۴]عن على عليه السّلام،روى هذه الخطبه الصدوق فى التوحيد:۳۴ ح ۲،و فى العيون ۱:۱۲۵،و [۵]الطبرسى فى الاحتجاج ۲:۳۹۸،و [۶]الفقره فى التوحيد:۳۸،و العيون: ۱۲۵،و [۷]الاحتجاج ۲:۴۰۰. [۸]

الشيخ) (۱)قبل هذا الكلام:«له معنى الرّبوبيّه إذ لا مربوب،و حقيقه الإلهيّه إذ لا مألوه،و معنى العالم و لا معلوم،و معنى الخالق و لا مخلوق،و تأويل السّمع و لا مسموع.ليس مذ خلق استحقّ معنى الخالق،و لا بإحداثه البرايا استفاد معنى البرائيه.كيف و لا تغيبه مذ،و لا تدنيه قد،و لا تحجبه لعل،و لا توقته متى، و لا تشمله حين،و لا تقارنه مع».لكنّ فى الأخير بدل قوله:«و لا بإحداثه البرايا استفاد معنى البرائيه»:«و لا من حيث أحدث استفاد معنى المحدث».

و حينئذ يكون معنى قوله: «و إنّما تحدّ الأدوات أنفسها و تشير الآلات إلى نظائرها» أنّ هذه الأدوات و الآلات،أى:(مذ،و قد،و لعلّ،و متى،و حين، و مع)إنّما تعيّن الحدّ لأنفسها من الممكنات،و تشير إلى نظائرها من المخلوقات،و لا يمكن أن تحدّ البارى تعالى و تشير إليه جلّ و علا.

هذا،و زاد(التحف)بعد(إلى نظائرها):«و عن الفاقه تخبر الأداه،و عن الضدّ يخبر التضادّ،و إلى شبهه يؤول الشّبيه،و مع الأحداث أوقاتها، و بالأسماء تفترق صفاتها،و منها فصّلت قرائنها،و إليها آلت أحداثها » (۲).

«منعتها منذ» تخفف(منذ)فيقال:«مذ».قال:

و ما زلت أبغى المال مذ أنا يافع (۳)و مع ان(التحف)بدّلها بها (۴).

۱- ۱) أمالى ابى على الطوسى ۱:۲۳،المجلس(۱)،و [۱]روايه ابن على أيضا عن الرضا عليه السّلام.

۲- ۲) تحف العقول:۶۶.

۳- ۳) المصدر نفسه.

۴- ۴) أورده السيوطى و نسبه إلى الأعشى فى شواهد المغنى ۲:۷۵۷،و [۲]نقل فى ۲:۵۷۶ عن ابن اسحاق:«إذ أنا يافع»،و ليس بشاهد حينئذ،و نقل سيبويه فى الكتاب ۱:۲۳۹ بيتا قريبا منه.

«القدمیّه» هکذا فی(المصریه)و الصواب:(القدمه)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه) (۱).

«و حمتها» أی:منعتها.

«قد» فی(اللّسان)قال الخلیل:هی(أی قد)جواب لقوم ینتظرون الخبر أو لقوم ینتظرون شیئا،تقول:«قد مات فلان»و لو أخبره و هو لا ینتظره لم یقل:

«قد مات»،و لکن یقول:«مات فلان».و قیل:هی جواب قولک:«لمّا یفعل»فیقول:

قد فعل،قال النابغه:

أفد الترحل غیر أنّ رکابنا لمّا تزل برحالنا و کأن قد

أی و کأن قد زالت،فحذف الجمله،ثم قال أیضا:و تکون(قد)مع الأفعال الآتیه بمنزله ربّما،قال الهذلی:

قد أترک القرن مصفرّا أنامله کأنّ أثوابه مجّت بفرصاد

ثم قال أیضا:و تکون(قد)بمنزله(ما)فینفی بها،سمع بعض الفصحاء یقول:

قد کنت فی خیر فتعرفه (۲)و فی(القاموس)ل(قد)سته معان:التوقع:(قد یقدم الغائب)،و تقریب الماضی من الحال:(قد قام زید)،و التحقیق: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَکّاها» (۳)،و النفی:

(قد کنت فی خیر فتعرفه)بنصب تعرف،و التقلیل:(قد یصدق الکذوب)، و التکثیر:(قد أترک القرن مصفرا أنامله) (۴).

«الأزلیّه» له تعالی.

۱- ۱) کذا فی شرح ابن أبی الحدید ۳:۲۰۶،و لکن فی شرح ابن میثم ۳:۱۴۶«القدمیه»أیضا.

۲- ۲) لسان العرب ۳:۳۴۶-۳۴۷ [۱] ماده(قدد).

۳- ۳) الشمس:۹. [۲]

۴- ۴) القاموس المحیط ۱:۳۲۶ [۳] ماده(قدد).

«و جنّبتها لو لا» الّتی تثبت النّقص،فتقول:«نعم الرّجل فلان لو لا فیه الشیء الفلانی»،و قال الشاعر:

فلو لا حصین غیبه أن أسوءه و إنّ بنی سعد صدیق و والد

«التّکمله» أی:کماله تعالی فی ذاته،و جعل(اللسان)التّکمله کالتکمیل خطأ (۱).

هذا،و فی(التحف)بدل«و جنّبتها لو لا التکمله»:«و نفت عنها لو لا الجبریّه» (۲).

ثم إنّ ابن أبی الحدید قال:إنّ بعضهم نصب(القدمه)و(الأزلیه) و(التکمله)علی انّها مفعول ثان،و الأوّل:الضمائر المتصله بالأفعال،و الفاعل (منذ)و(قد)و(لو لا)،فیکون المعنی:انّ إطلاق(منذ)علی الآلات و الأدوات یمنعها عن کونها قدیمه،و اطلاق(لو لا)علیها یمنعها من التّکمله.قال:

و بعضهم رفع(القدمه)و(الأزلیّه)و(التکمله)علی الفاعلیه،و تکون الضمائر مفعولا أوّلا،و(منذ)و(قد)و(لو لا)مفعولا ثانیا،و یکون المعنی:أنّ قدم الباری و أزلیّته و کماله منعت الأدوات و الآلات من اطلاق(منذ)و(قد)و(لو لا)علیه سبحانه (۳).

و قال ابن میثم بعد نقلهما:و الروایه الأولی أولی لوجودها فی نسخه الرّضی (۴)بخطّه.

قلت:و التحقیق أنّ الأفعال الثلاثه لیس لها إلّا مفعول واحد،و إنّما تتعدّی

۱- ۱) هکذا قال ابن منظور فی لسان العرب ۱۱:۵۹۸ [۱] ماده(کمل)،و قال بقوله ابن الحاجب فی متن الشافیه،و رضی الدین فی شرحه شرح الشافیه ۱:۱۶۳-۱۶۴.

۲- ۲) تحف العقول:۶۶.

۳- ۳) شرح ابن أبی الحدید ۳:۲۰۶ [۲] نقله بالمعنی.

۴- ۴) شرح ابن میثم ۴:۱۵۹.

إلى مفعول آخر بواسطه(من)و(عن)و ليستا فى الكلام،و إنّ(منذ)و(قد) و(لو لا)بدل بعض من الضمائر فى(منعتها)و(حمتها)و(جنّبتها)،فيتعيّن كون(القدمه)و(الأزليه)و(التّكمله)بالرّفع فواعل لأفعالها،فقد عرفت من روايه(التحف)أنّ قبل قوله عليه السّلام:«و إنّما تحدّ الأدوات»كان قوله عليه السّلام«و لا تغيبه مذ،و لا تدنيه قد،و لا تحجبه لعلّ،و لا توقّته متى،و لا تشمله حين و لا تقارنه مع»و حينئذ فالأدوات و الآلات عباره عن(منذ)و(قد)و(لو لا).

و فى كلام للحسين عليه السّلام:لا تحلّه(فى)،و لا توقّته(إذ)و لا تؤامره(إن) (۱).

«بها تجلّى صانعها للعقول» قالت الشّرّاح:معنى الجمله أنّ بمشاعرنا و خلقه تعالى إيّاها،و تصويره لها تجلّى صانعها لعقولنا بالعلم و القدره (۲).

فجعلوا الضمير فى(بها)للمشاعر،مع أنّ الظاهر أنّ الضمير للأمور و الأشياء فى قوله عليه السّلام«و بمضادته بين الأمور»و«بمقارنته بين الأشياء»بعد قوله عليه السّلام:«و بتشعيره المشاعر»:و يشهد له أنّ قبل الفقره فى خطبه الرضا عليه السّلام:«افترقت فدلّت على مفرّقها،و تباينت فأعربت عن مباينها» (۳)فإنّ الضمير فى(افترقت)و(تباينت)للأمور و الأشياء قطعا.

و يمكن أن يكون الضمير فى(بها)للتشعير و المضاده و المقارنه فى الفقرات الثلاث المتقدمه.

«و بها امتنع عن نظر العيون» قال بعضهم:أى و بمشاعرنا استنبطنا استحاله كونه مرئيا بالعيون،لأنّا بالمشاعر و الحواسّ كملت عقولنا، و بعقولنا استخرجنا الدلاله على أنّه لا تصحّ رؤيته (۴).

۱- ۱) أخرجه ابن شعبه فى تحف العقول:۲۴۵ ضمن حديث طويل عن الحسين عليه السّلام.

۲- ۲) قال هذا المعنى ابن أبى الحديد فى شرحه ۳:۲۰۷،و ابن ميثم فى شرحه ۴:۱۵۹،و الخوئى فى شرحه ۵:۱۵۳.

۳- ۳) التوحيد للصدوق:۳۹،و العيون للصدوق ۱:۱۲۵،و [۱]الاحتجاج للطبرسى ۲:۴۰۰. [۲]

۴- ۴) القائل ابن أبى الحديد فى شرحه ۳:۲۰۶ و النقل بالمعنى،و نقل أيضا عنه ابن ميثم فى شرحه ۴:۱۶۰ مشيرا إليه ببعض الشارحين،و يمكن نقل كليهما من شارح أقدم.

و قال بعضهم:أی بایجاده المشاعر مدرکه لحاسّه البصر ظهر امتناعه عن نظر العیون (۱).

قلت:و کلاهما کما تری،و الصواب کون الضمیر فی(و بها)راجعا إلی العقول المذکوره قبله أی بالعقول و حکمها امتنع عن نظر العیون.

و یشهد له أیضا أنّ(التّحف)زاد بعد الفقره: «و إلیها تحاکم الأوهام» (۲).

و لا ریب أنّ الضمیر فی(و إلیها)راجع إلی العقول،مع أنّه لو کان الضمیر راجعا إلی مرجع الأول لما احتاج إلی تکراره،و کان یقول: «و امتنع عن نظر العیون» ،مع أنّک قد عرفت أنّ الضمیر الأوّل أیضا غیر راجع إلی المشاعر .

«لا یجری علیه السکون و الحرکه،و کیف یجری علیه ما هو أجراه،و یعود فیه ما هو أبداه،و یحدث فیه ما هو أحدثه،إذن لتفاوتت ذاته و لتجزّأ کنهه» زاد (التحف) (۳)و خطبه الرضا علیه السّلام (۴)قبله فقرات،و فی آخرها: «فکلّ ما فی الخلق لا یوجد فی خالقه،و کلّ ما یمکن فیه یمتنع من صانعه» .

«و لامتنع من الأزل معناه» زاد(التحف) (۵)،و خطبه الرضا علیه السّلام (۶): «و لما کان البارئ معنی غیر المبروء » .

«و لکان له وراء إذ وجد له أمام» إذ هما من الأمور الإضافیه.

«و لالتمس التمام إذ لزمه النقصان» کما هو شأن کلّ ساکن یتحرّک.

۱- ۱) القائل ابن میثم فی شرحه ۴:۱۵۹ و النقل بالمعنی.

۲- ۲) تحف العقول:۶۶.

۳- ۳) تحف العقول:۶۷.

۴- ۴) التوحید للصدوق:۴۰،و العیون للصدوق ۱:۱۲۵-۱۲۶،و [۱]الاحتجاج للطبرسی ۲:۴۰۰. [۲]

۵- ۵) تحف العقول:۶۷.

۶- ۶) التوحید للصدوق:۴۰،و العیون للصدوق ۱:۱۲۵-۱۲۶،و الاحتجاج للطبرسی ۲:۴۰۰. [۳]

«و إذن لقامت آیه المصنوع فیه» زادا قبله (۱): «کیف یستحقّ الأزل من لا یمتنع من الحدث،و کیف ینشئ الأشیاء من لا یمتنع من الإنشاء» ،و زاد الأوّل (۲): «و کیف یستأهل الدّوام من تنقله الأحوال و الأعوام» .

«و لتحوّل دلیلا بعد أن کان مدلولا علیه» حسب دلاله المصنوع علی الصانع،و البناء علی البانی.

«و خرج» مستأنفه،و لا یبعد أن یکون(و خرج)محرّف(قد خرج)،فالفرق بینهما فی الخطّ قلیل.

«بسلطان الامتناع من أن یؤثّر فیه ما یؤثّر فی غیره» إذن لتساوی مع باقی الأشیاء، «لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ » (۳).

«الّذی لا یحول و لا یزول،و لا یجوز علیه الأفول» أی:الغیبه،بشهاده العقول أنّ کلّ آفل لا یمکن أن یکون ربّا،و لذا کان الخلیل علیه السّلام لمّا رأی أفول الکوکب و القمر و الشمس أنکر علی عابدیها بأفولها،و قال لهم:إنی بریء ممّا تعبدون من دونه تعالی (۴).

«و لم یلد» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(لم یلد)بدون واو،کما فی (ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه) (۵)،و لأنّ المقام مقام الفصل.

«فیکون مولودا» کما هو شأن المتوالده.

«و لم یولد فیصیر محدودا» فإنّ کلّ مولود محدود (۶).

۱- ۱) تحف العقول:۶۷،التوحید للصدوق:۴۰،و العیون للصدوق ۱۲۵:۱-۱۲۶،و [۱]الاحتجاج للطبرسی ۴۰۰:۲. [۲]

۲- ۲) تحف العقول:۶۷.

۳- ۳) الشوری:۱۱. [۳]

۴- ۴) ما نقل عن الخلیل علیه السّلام مقتبس من قوله تعالی فی سوره الأنعام:۷۵-۷۸. [۴]

۵- ۵) کذا فی شرح ابن أبی الحدید ۲۰۷:۳،و لکن فی شرح ابن میثم ۱۴۷:۴«و [۵]لم یلد»أیضا.

۶- ۶) الفقرتان مأخوذتان من قوله تعالی: «لَمْ یَلِدْ وَ لَمْ یُولَدْ» الاخلاص:۳. [۶]

«جلّ عن اتخاذ الأبناء» ردّ على اليهود فى قولهم: «عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ» (۱)و على النصارى فى قولهم: «الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ» (۲)و على الوثنيّين فى قولهم:إنّ الملائكه بنات اللّه.قال تعالى: «وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ» (۳).

و ورد أنّ اليهود و النّصارى حضروا عند النبىّ صلّى اللّه عليه و آله للمحاجّه.فقال لليهود:ما الّذى دعاكم إلى القول بأنّ عزيزا ابن اللّه؟ قالوا:لأنّه أحيا لبنى إسرائيل التوراه بعد ما ذهبت،و لم يفعل به هذا إلّا لأنّه ابنه.

فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله:فكيف صار عزيز ابن اللّه دون موسى،و هو الّذى جاءهم بالتّوراه و رأى منه من المعجزات ما قد علمتم،و لئن كان عزيز ابن اللّه لأظهر من إكرامه بإحياء التوراه،فلقد كان موسى بالبنوّه أولى و أحقّ،و لئن كان هذا المقدار من الكرامه لعزيز يوجب أنّه ابنه فأضعاف هذه الكرامه لموسى يوجب له منزله أجلّ من البنوّه،لأنّكم إن كنتم إنّما تريدون بالبنوّه الدلاله على سبيل ما تشاهدون فى دنياكم هذه من ولاده الأمّهات الأولاد بوطء آبائهم لهنّ،فقد كفرتم باللّه و شبّهتموه بخلقه و أوجبتم فيه صفات المحدثين،و وجب عندكم أن يكون محدثا مخلوقا،و أنّ له خالقا صنعه و ابتدعه.

قالوا:لسنا نعنى هذا فإنّ هذا كفر كما قلت،لكنّا نعنى أنّه ابنه على معنى الكرامه و إن لم يكن هناك ولاده،كما يقول بعض عظمائنا لمن يريد إكرامه

۱- ۱) قول اليهود و النصارى جاء فى سوره التوبه:۳۰. [۱]

۲- ۲) هذا مفهوم من قوله تعالى فى النحل:۵۷،و [۲]الزخرف:۱۶،و [۳]الطور:۳۹،و [۴]الأنبياء:۲۶-۲۹. [۵]

۳- ۳) الأنبياء:۲۶. [۶]

و إبانته بالمنزله من غيره: «يا بنيّ» و «إنّه ابنى» لا على إثبات ولادته منه،لأنّه قد يقول ذلك لمن هو أجنبيّ و لا نسب له بينه و بينه،و كذلك لمّا فعل اللّه بعزير ما فعل كان قد اتّخذه ابنا على الكرامه لا على الولاده.

فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله:فهذا ما قلته لكم إنّه إن وجب على هذا القول أن يكون عزيز ابنه فإنّ هذه المنزله بموسى أولى،و إنّ اللّه يفضح كلّ مبطل بإقراره و يغلب على حجّته،إن ما احتججتم به يؤدّيكم إلى ما هو أكثر ممّا ذكرته، لأنّكم قلتم:إنّ عظيما من عظمائكم يقول لأجنبيّ لا نسب بينه و بينه:يا بنيّ لا على طريق الولاده،فقد تجدون هذا العظيم يقول لأجنبى آخر: «هذا أخى» و لآخر: «هذا شيخى و أبى» و لآخر: «هذا سيّدى» و: «يا سيّدى» على سبيل الإكرام،و إنّ من زاده فى الكرامه زاده فى مثل هذا القول،فإذن يجوز عندكم أن يكون موسى أخا للّه و شيخا له أو أبا و سيّدا،لأنّه قد زاده فى الإكرام ممّا لعزيز.فبهتوا.

...ثم أقبل على النصارى و قال لهم:و أنتم قلتم:إنّ القديم عزّ و جلّ اتّحد بالمسيح ابنه،ما الّذى أردتموه بهذا القول؟فإن أردتم بأنّ القديم صار محدثا فقد أبطلتم،لأنّ القديم محال أن ينقلب فيصير محدثا،و إن أردتم أنّ المحدث صار قديما فقد أحلتم،لأنّ المحدث أيضا محال أن ينقلب فيصير قديما،و إن أردتم بقولكم: «اتّحد به» أنّه اختصّه و اصطفاه على سائر عباده فقد أقررتم بحدوث عيسى،و بحدوث المعنى الّذى اتّحد به من أجله.

فقالوا:لمّا أظهر اللّه على يده من الأشياء العجيبه ما أظهر فقد اتّخذه ولدا على جهه الكرامه.

فقال لهم الرسول صلّى اللّه عليه و آله:فقد سمعتم ما قلته لليهود فى هذا المعنى و أعاده.

فقال رجل منهم:قولنا «عيسى ابن اللّه» كقولك: «ابراهيم خليل اللّه» .

فقال له النبى صلّى اللّه عليه و آله:إنّما سمّاه اللّه تعالى خليلا لما قال لجبرئيل لمّا لقيه فى الهواء:لا حاجه لى إلاّ إليه.و الخليل من الخلّه و هى:الفاقه،و ذلك لا يوجب تشبيها بخلقه،و الخلّه يمكن أن تسلب و الولاده لا يمكن أن تسلب،ثمّ يجب على قولكم أن يجوز أن يقال ذلك لموسى.

فقال بعضهم:فى الكتب المنزله أنّ عيسى قال «اذهب إلى أبى» .

فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله:إن كنتم تعملون بذاك الكتاب ففيه «اذهب إلى أبى و أبيكم» ،فقولوا:إنّ جميع مخاطبيه أيضا كانوا أبناء اللّه و ما يدريكم لعلّه عنى «اذهب الى آدم و نوح» برفعه اللّه إليه،و جمعه بينه و بينهما و هما أبواه و أبواهم،فسكتوا (۱).

«و طهر عن ملامسه النساء» «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ» (۲)، «أَنّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَهٌ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (۳)«وَ أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا مَا اتَّخَذَ صاحِبَهً وَ لا وَلَداً » (۴).

«لا تناله الأوهام» أى:الخيالات.

«فتقدّره» أى:تعيّن له مقدارا بتخمينها.

«و لا تتوهّمه الفطن» بالكسر فالفتح جمع الفطنه.

«فتصوّره» أى:تعيّن له صوره بحدسها.

«و لا تدركه الحواسّ» جمع الحاسّه،و المراد:السامعه و الباصره و الشامّه و اللاّمسه.

۱- ۱) أخرجه صاحب تفسير العسكرى:۲۴۴،و [۱]رواه الطبرسى فى الاحتجاج ۱:۲۳ و [۲]النقل بتلخيص و تصرف.

۲- ۲) الإخلاص:۴. [۳]

۳- ۳) الأنعام:۱۰۱. [۴]

۴- ۴) الجن:۳. [۵]

«فتحسّه» أی:تجعله من محسوساتها.

«و لا تلمسه الأیدی فتمسّه» ذکر الأیدی بعد الحواسّ من ذکر الخاصّ بعد العامّ،و أمّا الخبر «یده بید اللّه یرفعه» (۱)فاستعاره.

«لا یتغیّر بحال» کالإنسان یکون أوّلا طفلا،ثمّ شابّا،ثم شیخا.

«و لا یتبدّل بالأحوال» هکذا فی(المصریه)و الصواب:(فی الأحوال)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیّه) (۲).

«و لا تبلیه» أی:لا تجعله بالیا.

«اللیالی و الأیام» کما تبلیان الإنسان و الحیوان و النبات.

«و لا یغیّره الضیاء و الظلام» فهو متجلّ بالوجود فی الظلام کالضیاء، و مستور بالکنه فی الضیاء کالظّلام .

«و لا یوصف بشیء من الأجزاء» حتّی الأجزاء العقلیه،فعلمه و قدرته عین ذاته.

«و لا بالجوارح و الأعضاء» و أمّا قوله تعالی «یَدُ اللّهِ فَوْقَ أَیْدِیهِمْ» (۳)فهو استعاره.

«و لا بعرض من الأعراض» کأبیض یصیر أسود أو أحمر أو أخضر أو أصفر،و سلیم یصیر سقیما.

«و لا بالغیریّه و الأبعاض» فلیست سمیعیّته غیر بصیریّته،کما أنّ السّمع لیس بعضا منه،و لا البصر بعضا منه،کما هو کذلک فی خلقه.

و فی خبر الصادق علیه السّلام مع الزندیق:لیس قولی: «انّه سمیع بصیر» أی:

۱- ۱) أخرجه الشریف الرضی فی نهج البلاغه ۴:۶ الحکمه(۱۹)و لفظه«ید اللّه بیده یرفعه».

۲- ۲) کذا فی شرح ابن أبی الحدید ۳:۲۰۷،و لکن فی شرح ابن میثم ۴:۱۴۷« [۱]بالأحوال»أیضا.

۳- ۳) الفتح:۱۰. [۲]

يسمع بنفسه،و يبصر بنفسه،إنّه شيء و النّفس شيء آخر،و إنّما أردت عباره عن نفسی إذ كنت مسؤولا،و افهاما لك إذ كنت سائلا.فأقول:إنّه سميع بكلّه،لا أنّ الكلّ منه له بعض،و لكنّی أردت إفهامك و التّعبير عن نفسی (۱).

«و لا يقال له حدّ و لا نهايه» فكلّ ذی روح له حدّ و نهايه فی حياته الطبيعيه.

«و لا انقطاع و لا غايه» كما ليس له أوّل و بدايه.

«و لا أنّ الأشياء تحويه» أی:تجمعه و تستولی عليه.

«فتقلّه» أی:ترفعه.يقال:أقلّ الجرّه،إذا أطاق رفعها.

«أو تهويه» أی:تخفضه.

«أو أنّ شيئا يحمله فيميله أو يعدّله» أی ليس محمولا علی شيء حتّی يميله أو يعدّله علی ظهره من غير ميل.

«و ليس» هكذا فی(المصريه)،و الصواب:(ليس)بدون و او كما فی(ابن أبی الحديد و ابن ميثم و الخطيّه) (۲).

«فی الأشياء بوالج» أی:داخل.

«و لا عنها بخارج» فإنّ ذلك صفه مخلوقه،بل كما قال هو تعالی: «يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِی الْأَرْضِ وَ ما يَخْرُجُ مِنْها » (۳).

«يخبر لا بلسان و لهوات» اللّهوات جمع اللّهاه:اللّحمه فی أقصی سقف الفم.

«و يسمع لا بخروق» أی خروق الآذان.

«و أدوات» يتركّب منها السامعه،روی الفتح الجرجانی عن الهادی عليه السّلام

۱- ۱) أخرجه الكلينی فی الكافی ۱:۱۰۹ ح ۲،و [۱]الصدوق بطريقين فی التوحيد:۱۴۴ ح ۱۰،و:۲۴۵ ح ۱:و [۲]رواه الطبرسی فی الاحتجاج ۲:۳۳۲، [۳]لكن توجد فيه هذه القطعه،و قد مر فی العنوان(۲)من هذا الفصل.

۲- ۲) كذا فی شرح ابن ميثم ۴:۱۴۷،و [۴]لكن مع الواو فی شرح ابن أبی الحديد ۳:۲۰۸. [۵]

۳- ۳) سبأ:۲. [۶]

قال:سمیّ ربّنا سمیعا لا بخرت فیه،یسمع به الصوت،و لا یبصر به،کما أنّ خرتنا الّذی به نسمع لا نقوی به علی البصر،و لکنّه أخبر أنّه لا یخفی علیه شیء من الأصوات،و هکذا البصر لا بخرت منه أبصر،کما أنّا نبصر بخرت منّا لا ننتفع به فی غیره (۱).

«یقول و لا یلفظ» أی:لا یکون قوله خارجا من فم.

و من أمثالهم «أسمح من لاقظه» (۲).قیل:المراد باللاقظه العنز،لأنّها تشلی للحلب و هی تجترّ،فتلفظ بجرّتها و تقبل فرحا منها بالحلب.و قیل:المراد بها الطیور التی تزقّ فراخها،لأنّها تخرج ما فی جوفها و تطعمها.و قیل:المراد بها الدیک،لأنّه یلفظ الحبّ من منقاره لدجاجه.و قیل:المراد بها الرّحی،لأنّها تلفظ ما صبّ فیها.و قیل:المراد بها البحر،لأنّه یلفظ بالعنبر و الجوهر.

«و یحفظ» کلّ شیء.

«و لا یتحفّظ» بالقوّه الحافظه مثلنا.

«و یرید» شیئا.

«و لا یضمر» فی النّفس مثلنا.

«یحبّ و یرضی من غیر رقّه» له تحصل فی القلب مثلنا.

«و یبغض» و فی(الکافی)عن الصادق علیه السّلام:ما من شیء ممّا أحلّه اللّه عزّ و جلّ أبغض إلیه من الطلاق،و إنّ اللّه یبغض المطلاق الذوّاق (۳).

۱- ۱) أخرجه الکلینی ضمن حدیث طویل فی الکافی ۱:۱۲۱ ح ۲ [۱] عن علی بن محمد مرسلا عن أبی الحسن الرضا علیه السّلام، و أخرجه الصدوق فی التوحید:۱۸۸ ح ۲،و العیون ۱:۱۲۱ ح ۵۰ [۲] باسناده عن الحسین بن خالد عن أبی الحسن الرضا علیه السّلام،و رواه الطبرسی فی الاحتجاج ۲:۳۹۷ [۳] بلا اسناد عن الرضا علیه السّلام،و لکن لیس فی روایه الطبرسی هذه القطعه،و اما قول الشارح الفتح الجرجانی عن الهادی علیه السّلام فسهو و هو حدیث آخر.

۲- ۲) أورده المیدانی فی مجمع الأمثال ۱:۳۵۳،و [۴]الزمخشری فی المستقصی ۱:۱۷۱. [۵]

۳- ۳) رواه الکلینی فی الکافی ۶:۵۴ ح ۲،و [۶]صاحب تحفه الإخوان عنه المستدرک ۳:۲ الباب(۱)ح ۳ و [۷]روی فی معناه کثیرا.

«و یغضب» فی الخبر:لا یغضب تعالی کغضبه لظلم الضعیفین النساء و الأطفال (۱).

و روی(الکافی)عن الباقر و الصادق علیهما السّلام عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قال:صدقه السرّ تطفئ غضب الربّ (۲).

«من غیر مشقّه» أی:غضبه لیس کغضبنا بتأثّر و انقلاب فی النّفس یوجب المشقّه،قال الباقر علیه السّلام فی قوله سبحانه: «وَ مَنْ یَحْلِلْ عَلَیْهِ غَضَبِی فَقَدْ هَوی» (۳):إنّ غضبه هو عقابه لا أنّه استفزه شیء (۴).

«یقول لمن» هکذا فی(المصریه)و الصحیح:(لما)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه) (۵).

«أراد کونه» أی:وجوده.

«کن فیکون» أی:فیوجد.

«لا بصوت یقرع،و لا بنداء یسمع» کما فی أقوال الناس بعضهم مع بعض،

۱- ۱) أخرج هذا المعنی الحمیری فی قرب الاسناد:۴۴،و الکلینی فی الکافی ۵:۵۱۱ ح ۳،و البیهقی فی شعب الایمان عنه الجامع الصغیر ۸:۱،و الصدوق فی الفقیه ۳:۲۴۸ ح ۱،و الخصال ۱:۳۷ ح ۱۳ و غیرهم.

۲- ۲) أخرجه صاحب مسند زید:۱۹۹،و ابن الأشعث فی سننه:۵۶،و الصدوق فی الفقیه ۲:۳۸ ح ۸،و معانی الأخبار:۲۶۴ ح ۱،و الطوسی فی التهذیب ۴:۱۰۵ ح ۳۳،و الطبرانی و ابن أبی الدنیا فی قضاء الحوائج،و البیهقی فی شعب الإیمان، و الاصبهانی فی الترغیب عنهم الدر المنثور ۱:۳۵۴ و [۱]ابن عساکر فی التاریخ عنه الجامع الصغیر ۱:۹۱،و رواه القاضی النعمان فی دعائم الإسلام ۱:۲۴۱،و [۲]الراوندی فی النوادر عنه البحار ۹۶:۱۸۱ ح ۲۷ [۳] عن النبی صلّی اللّه علیه و آله،و رواه الصدوق فی ثواب الأعمال:۱۷۲ ح ۱،و الاربلی فی کشف الغمه ۲:۲۸۹ [۴] عن السجاد علیه السّلام،و الأهوازی فی الزهد:۳۶ ح ۹۴ [۵] عن الباقر علیه السّلام،و الصدوق فی ثواب الأعمال:۱۷۲ ح ۱ عن الصادق علیه السّلام،و أما الکلینی فأخرجه بروایتین فی الکافی ۴: ۷ ح ۱،و ۸ [۶] ح ۳ عن الباقر علیه السّلام عن النبی صلّی اللّه علیه و آله و معنی الحدیث روی کثیرا.

۳- ۳) طه:۸۱. [۷]

۴- ۴) أخرج هذا المعنی الصدوق فی التوحید:۱۶۸ ح ۱،و معانی الأخبار:۱۸ ح ۱،و رواه الطبرسی فی الاحتجاج ۲:۳۲۲ [۸] عن الباقر علیه السّلام.

۵- ۵) فی شرح ابن أبی الحدید ۳:۲۰۸،و شرح ابن میثم ۴:۱۴۸« [۹]لمن»أیضا.

فإنّ كلامهم أثر يؤثّره اصطكاك الأجسام فى الهواء،و الهواء يؤدّيه إلى المسامع،و ليس كلامه تعالى-و المراد كلامه التكوينى- كذلك ليس فيه صوت يقرع و لا نداء يسمع،بل هو فعله و خلقه كما قال.

«و إنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه و مثّله» فله تعالى صفات ذات،كالعلم و القدره،و صفات فعل،كالمشيئه و الإراده و كلامه مع خلقه.

«لم يكن» أى:ذاك الفعل الّذى أنشأه و مثّله.

«من قبل ذلك» أى:أنشأه تعالى.

«كائنا» أى:موجودا.

«و لو كان قديما» أى:وجد قبل.

«لكان إلها ثانيا» مع اللّه تعالى.

و قلنا:إنّ مراده عليه السّلام كلامه تعالى التكوينى،و أمّا كلامه التكليفى مع ملائكته و رسله فبايجاده الكلمات.

ففى خبر عن الرضا عليه السّلام فى موسى عليه السّلام:لمّا كلّمه اللّه تعالى،و قرّبه نجيّا رجع إلى قومه فأخبرهم أنّ اللّه عزّ و جلّ كلّمه و قرّبه و ناجاه.فقالوا:لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعت.و كان القوم سبعمائه ألف رجل، فاختار منهم سبعين ألفا،ثمّ اختار منهم سبعه آلاف،ثم اختار منهم سبعمائه، ثم اختار منهم سبعين رجلا لميقات ربّه،فخرج بهم إلى طور سيناء،فأقامهم فى سفح الجبل و صعد موسى عليه السّلام الى الطور،و سأل اللّه تعالى أن يكلّمه، و يسمعهم كلامه،فكلّمه اللّه تعالى و سمعوا كلامه من فوق و أسفل،و يمين و شمال،و وراء و أمام،لأنّ اللّه عزّ و جلّ أحدثه فى الشجره،ثمّ جعله منبعثا منها،حتّى سمعوه من جميع الوجوه (۱).

۱- ۱) أخرجه الصدوق فى التوحيد:۱۲۱ ح ۲۴ و ضمن حديث طويل فى العيون ۱:۱۵۹ ح ۱،و [۱]رواه الطبرسى فى الاحتجاج ۲:۴۲۹ [۲] عن الرضا عليه السّلام،و روى معناه المرتضى فى تنزيه الأنبياء:۱۷۵ بلا عزو.

و فی(کتاب أخطب خوارزم)عن ابن عمر قال:قال النبی صلی اللّه علیه و آله و قد سئل بأیّ لغه خاطبک ربّک لیله المعراج؟فقال:بلغه علی بن أبی طالب.فألهمنی أن قلت:أ خاطبتنی أنت أم علی؟فقال:یا محمّد أنا شیء لا کالأشیاء،لا أقاس بالنّاس،و لا أوصف بالأشیاء.خلقتک من نوری،و خلقت علیّا من نورک، فاطلعت علی سرائر قلبک،فلم أجد إلی قلبک أحبی من علیّ بن أبی طالب، فخاطبتک بلسانه کیما یطمئن قلبک (۱).

و یمکن أن یکون قوله علیه السّلام «و إنّما کلامه سبحانه فعل منه أنشأه و مثّله» إشاره إلی کلامه التکلیفی الّذی قلنا،لکن مع وقوع تحریف فیه،و أنّ الأصل:

«و أمّا کلامه سبحانه فقول منه أنشأه و مثله»،و حینئذ فقوله بعد «لم یکن من قبل ذلک کائنا،و لو کان لکان إلها ثانیا» معناه:أنّ کلامه تعالی لمّا کان صفه فعله لیس بقدیم،و لو کان قدیما و هو غیره صار إلها ثانیا.

و فی خبر أبی بصیر عن الصادق علیه السّلام قلت:فلم یزل اللّه متکلّما؟قال:

فقال:إنّ الکلام صفه محدثه لیست بأزلیّه،کان اللّه تعالی و لا متکلّم (۲).

و من کلامه علیه السّلام یظهر بطلان مذاهب الحنابله،و الکرامیّه،و الأشاعره.

قالت الحنابله:إنّ کلامه تعالی حروف و أصوات قدیمه.و قالت الکرامیّه:إنّ کلامه تعالی صفه له مؤلّفه من الحروف و الأصوات الحادثه القائمه بذاته، و قالت الأشاعره:کلامه تعالی معنی واحد بسیط قائم بذاته القدیمه (۳).

۱- ۱) أخرجه الخوارزمی فی المناقب:۳۷.

۲- ۲) أخرجه الکلینی فی الکافی ۱:۱۰۷ ح ۱،و [۱]الصدوق فی التوحید:۱۳۹ ح ۱،و قریبا منه أبو علی الطوسی فی أمالیه ۱: ۱۷۰ المجلس(۶).

۳ - ۳) نقل هذه المقالات الفاضل السیوری فی إرشاد الطالبیین:۲۱۹،لکن نسبه المقاله المذکوره إلی الکرامیه بإطلاقها مشکل،کما یظهر لک من الملل و النحل للشهرستانی ۹۹:۱-۱۰۳. [۲]

هـذا،و فی(ملـل الشهرسـتانی)فی ذکر انفرادات الجبـائی و ابنه أبی هـاشم قـال:إنّهما حکما بکونه تعالی متکلّما بکلام یخلقه فی محـلّ،و حقیقه الکلاـم عنـدهما أصوات مقطعه و حروف منظومه،و المتکلّم من فعـل الکلاـم لاـ من قام به الکلام،إلّا ان الجبائی خالف أصـحابه خصوصا بقوله یحـدّث اللّه تعالی عنـد کلّ قارئ کلاما لنفسه فی محلّ القراءه،و ذلک حین ألزم أنّ الذی یقرؤه القارئ لیس بکلام اللّه،و المسـموع منه لیس من کلام اللّه،فالتزم هـذا المحال من إثبات أمر غیر معقول و لا مسـموع،و هو اثبات کلامین فی محلّ واحد (۱).

«لا یقال کان بعد أن لم یکن» یعنی:أنّ قولنا(کان)فی «کانَ اللّهُ سَـمِیعاً بَصِـیراً» (۲)و «کانَ اللّهُ عَلِیماً حَکِیماً» (۳)بمعنی الاستمرار لا بمعنی(صار)، و إلّا لزمت بواطل:

احدها: «فتجری علیه الصفات المحدثات» قال ابن أبی الحدید و ابن میثم:

و روی(صفات المحدثات) (۴):أی بالاضافه،و کیف کان فوجه جریان المحدثات علیه حینئذ:أنّ شیئا لم یکن ثمّ کان محدثا.

و ثانیها: «و لا یکون بینها» أی:المحدثات.

«و بینه» تعالی.

«فصل» لکونه مثلها فی السبق بالعدم.

و ثالثها «و لا له علیها فضل» بدوام الوجود.

«فیستوی الصانع و المصنوع» فی کونه معدوما أوّلا.

۱- ۱) الملل و النحل ۱:۷۴. [۱]

۲- ۲) النساء:۱۳۴. [۲]

۳- ۳) النساء:۱۷۰،۱۱۱،۱۰۴،۹۲،۱۷،و [۳]الفتح:۴. [۴]

۴- ۴) نقل ابن أبی الحدید هذه الروایه فی شرحه ۳:۲۱۰،و لکن لم نجدها فی شرح ابن میثم ۴:۱۷۳ و [۵]سائر الصفحات.

«و يتكافأ المبتدع» قال ابن ميثم:و فى نسخه الرضىّ«المبدع»بفتح الدّال (۱).

«و البديع» أى:اللّه تعالى،قال عزّ و جلّ: «بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » (۲).

«و خلق الخلائق على غير مثال خلا» أى:مضى.

«عن غيره» كيف لا،و لم يكن موجودا غيره تعالى،فكيف يكون منه له مثال؟! «و لم يستعن على خلقها بأحد من خلقه» فلم يكن خلق حتّى يستعين بهم فى خلقه .

«و أنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال» بإمساكها عن فعل آخر،كأحدنا إذا أمسك شيئا يشتغل به عن شىء آخر: «إِنَّ اللّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَ لَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ» (۳).

«و أرساها» أى:أثبتها.

«على غير قرار» لها،فإنّها تتحرّك فى الفضاء و تدور.

«و أقامها بغير قوائم» جمع القائمه.

«و رفعها» فى الفضاء كباقى الكرات.

«بغير دعائم» جمع الدّعامه،أى:العماد لها.

«و حصّنها» بالتشديد،أى:أحكمها.

«من الأود» أى:الميل و الانحناء عن مدارها.

«و الاعوجاج» بالخروج عن مركزها.

۱- ۱) شرح ابن ميثم ۴:۱۷۴. [۱]

۲- ۲) البقره:۱۱۷. [۲]

۳- ۳) فاطر:۴۱. [۳]

«و منعها من التهافت» أی:التساقط قطعه قطعه.

«و الانفراج» أی:الانشکاف،قال:له فرجه کحل العقال (۱).

«أرسی» أی:أثبت.

«أوتادها» و هی جبالها،قال تعالی: «وَ الْجِبالَ أَرْساها» (۲).

«و ضرب أسدادها» حتّی لا یختلط شیء منها بشیء آخر،قال تعالی:

«مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ یَلْتَقِیانِ بَیْنَهُما بَرْزَخٌ لا یَبْغِیانِ» (۳)، «أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَ جَعَلَ لَها رَواسِیَ وَ جَعَلَ بَیْنَ الْبَحْرَیْنِ حاجِزاً أَ إِلهٌ مَعَ اللّهِ بَلْ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْلَمُونَ» (۴).

«و استفاض» یقال:فاض الماء یفیض،إذا کثر حتّی سال.

«عیونها» أی:ینابیعها، «أَخْرَجَ مِنْها ماءَها وَ مَرْعاها» (۵).

«و خدّ» أی:شقّ و حفر.

«أودیتها» جمع الوادی،و فی(اللسان)عن ابن سیده:الوادی کلّ مفرج بین الجبال و التلال و الآکام،سمّی بذلک لسیلانه یکون مسلکا للسیل و منفذا.

قال أبو الربیس التغلبی:

لا صلح بینی فاعلموه و لا بینکم ما حملت عاتقی

سیفی و ما کنّا بنجد و ما قرقر قمر الواد بالشاهق

(۶)

۱- ۱) أورده أساس البلاغه:۳۳۷ ماده(خرج)،و لسان العرب ۲:۳۴۱ [۱] ماده(خرج)،و الشاعر أمیّه ابن أبی الصلت،و البیت بتمامه فی العنوان(۳۵)من هذا الفصل.

۲- ۲) النازعات:۳۲. [۲]

۳- ۳) الرحمن:۱۹-۲۰. [۳]

۴- ۴) النمل:۶۱. [۴]

۵- ۵) النازعات:۳۱. [۵]

۶- ۶) لسان العرب ۱۵:۳۸۴ [۶] ماده(ودی).

و قوله عزّ و جلّ: «أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِی کُلِّ وادٍ یَهِیمُونَ» (۱).لیس یعنی أودیه الأرض إنّما هو مثل لشعر الشعراء،کما تقول:أنا لک فی واد،و أنت لی فی واد.

أی:یقولون فی الذم و یکذبون،و فی المدح و یکذبون،و جمع الوادی أوداء و أودیه و أودایه،قال:«و اقطع الأبحر و الأودایه» (۲).

«فلم یهن» أی:لم یضعف.

«ما بناه» «وَ السَّماءَ بَنَیْناها بِأَیْدٍ وَ إِنّا لَمُوسِعُونَ وَ الْأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الْماهِدُونَ» (۳).

«و لا ضعف ما قوّاه» «وَ بَنَیْنا فَوْقَکُمْ سَبْعاً شِداداً وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهّاجاً» (۴)، «أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها رَفَعَ سَمْکَها فَسَوّاها وَ أَغْطَشَ لَیْلَها وَ أَخْرَجَ ضُحاها وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها » (۵).

«هو الظاهر علیها» الضمیر فی(علیها)راجع إلی(الأرض)فی قوله:

«و أنشأ الأرض»،أو إلی(الخلائق)فی قوله:«خلق الخلائق»،و الأوّل أقرب لفظا،و الثانی معنی.

«بسلطانه و عظمته» یتصرّف فیها ما یشاء کیف یشاء.

«و هو الباطن لها بعلمه و معرفته» «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَ نَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَیْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِیدِ» (۶).

«و العالی علی کلّ شیء منها بجلاله و عزّته» «وَ اللّهُ غالِبٌ عَلی أَمْرِهِ وَ لکِنَّ»

۱- ۱) الشعراء:۲۲۵. [۱]

۲- ۲) لسان العرب ۱۵:۳۸۵ [۲] ماده(ودی).

۳- ۳) الذاریات:۴۷-۴۸. [۳]

۴- ۴) النبأ:۱۲-۱۳. [۴]

۵- ۵) النازعات:۲۷-۳۰. [۵]

۶- ۶) ق:۱۶.

«أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ» (۱).

«و لا يعجزه شيء منها طلبه» «وَ مَنْ لا يُجِبْ داعِيَ اللّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءُ» (۲) «وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» (۳).

«و لا يمتنع» شيء.

«عليه فيغلبه» ذلك الشيء،قال تعالى: «فَلَوْ لا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» (۴).

«و لا يفوته السّريع منها» كما يفوتنا كثير من الأشياء السريعه.

«فيسبقه» فلا يلحقه، «يا أَيُّهَا النّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (۵).

و في الخبر:إنّ إبراهيم عليه السّلام لمّا أرى ملكوت السماوات و الأرض،فالتفت ثلاثا و رأى رجالا يزنون فدعا عليهم فماتوا،أوحى تعالى إليه:إنّي خلقتهم على أصناف:عبد يعبد غيري فلن يفوتني... (۶).

«و لا يحتاج إلى ذي مال فيرزقه» «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ ما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللّهَ هُوَ الرَّزّاقُ ذُو الْقُوَّهِ الْمَتِينُ» (۷).

۱- ۱) يوسف:۲۱. [۱]

۲- ۲) الاحقاف:۳۲. [۲]

۳- ۳) البقره:۲۵۵. [۳]

۴- ۴) الواقعه:۸۶-۸۷. [۴]

۵- ۵) يونس:۲۳. [۵]

۶- ۶) روى بطرق عديده عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و عن الصادق عليه السّلام و عن سلمان و عطاء و شهر بن حوشب،و قد مر تخريجه في العنوان(۲۲)من هذا الفصل.

۷- ۷) الذاريات:۵۶-۵۸. [۶]

«خضعت الأشياء له،و ذلّت مستكينه لعظمته» «قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِکَ رَبُّ الْعالَمِینَ وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَکَ فِیها وَ قَدَّرَ فِیها أَقْواتَها فِی أَرْبَعَهِ أَیّامٍ سَواءً لِلسّائِلِینَ ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِیا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً قالَتا أَتَیْنا طائِعِینَ فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِی یَوْمَیْنِ وَ أَوْحی فِی کُلِّ سَماءٍ أَمْرَها وَ زَیَّنَّا السَّماءَ الدُّنْیا بِمَصابِیحَ وَ حِفْظاً ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ» (۱).

«لا یستطیع الهرب من سلطانه إلی غیره فیمتنع من نفعه و ضرّه» فهرب موسی علیه السّلام من مصر لمّا خاف أن یقتله فرعون،فورد ماء مدین و امتنع من أن تناله ید فرعون (۲)،و هرب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله من مشرکی مکّه لمّا أرادوا قتله،فلمّا ورد المدینه أمن من أذاهم (۳)،و کثیر من الناس إذا لم یرضوا بسلطانهم یخرجون من مملکته فیمتنعون من نفعه و ضرّه،و أمّا هو تعالی فالأرض و السماء فی سلطانه،و البرّ و البحر من مملکته، «قُلْ مَنْ ذَا الَّذِی یَعْصِمُکُمْ مِنَ اللّهِ إِنْ أَرادَ بِکُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِکُمْ رَحْمَهً» (۴)، «قُلْ إِنِّی لا أَمْلِکُ لَکُمْ ضَرًّا وَ لا رَشَداً قُلْ إِنِّی لَنْ یُجِیرَنِی مِنَ اللّهِ أَحَدٌ وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً » (۵).

«و لا کفء له فیکافئه» کیف و هو الخالق و غیره مخلوق؟! «و لا نظیر له فیساویه» «لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ وَ هُوَ السَّمِیعُ الْبَصِیرُ» (۶).

۱- ۱) فصلت:۹-۱۲. [۱]

۲- ۲) جاءت القصه فی أوائل سوره القصص.

۳- ۳) القصه مشهوره فی کتب السیره و التاریخ،و أشار الیها تعالی فی التوبه:۴۰.

۴- ۴) الأحزاب:۱۷. [۲]

۵- ۵) الجن:۲۱-۲۲. [۳]

۶- ۶) الشوری:۱۱. [۴]

«هو المفنى لها بعد وجودها حتّى يصير موجودها كمفقودها» «كُلَّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ » (۱).

«و ليس فناء» هكذا فى النسخ (۲)،و الظّاهر أنّ الأصل(افناء).

«الدّنيا بعد ابتداعها» و خلقها.

«بأعجب من إنشائها و اختراعها» كيف لا و الإيجاد أصعب من الاحزاب؟! فاستبعاد من استبعد إخراب هذه الأفلاك من قصر نظره و ضعف بصره .

«و كيف» لا يكون الإنشاء و الإفناء مختصّين به تعالى.

«لو اجتمع جميع حيوانها من طيرها و بهائمها» البهائم جمع البهيمه،و فى (اللسان):البهيمه:كلّ ذات أربع قوائم من دوابّ البرّ و الماء.ثم نقل عن الزّجاج:

كلّ حىّ لا يميّز بهيمه (۳).

«و ما كان من مراحها» بالضمّ،و المراد به:ما أريح من تعب الرّعى كالحمير و البغال و الخيل.

«و سائمها» و المراد بالسائم ما ترعى،كالأغنام و ما من قبيلها،فالتقابل واقع بين المراح و السائم مثل الطير و البهائم،و لقد وقع ابن أبى الحديد و كثير منهم هنا فى حيص و بيض و خبط و خلط.

«و أصناف أسناخها» أى:أصولها.

«و أجناسها» أى:أنواعها،فالضأن و المعز متّحدان بالأصل مختلفان بالنّوع.

«و متبلّده» من البلاده ضدّ الذكاوه و الكياسه،و قولهم«بيضه البلد»فى

۱- ۱) الرحمن:۲۶-۲۷. [۱]

۲- ۲) كذا فى نهج البلاغه ۲:۱۲۴،و شرح ابن أبى الحديد ۳:۲۱۱،و [۲]شرح ابن ميثم ۴:۱۴۹. [۳]

۳- ۳) لسان العرب ۱۲:۵۶ [۴] ماده(بهم).

الذمّ،كقول حسّان فی نفسه:

و ابن الفريعه أمسی بيضه البلد

(۱)بكسر اللّام،الوصف من البلاده،و المراد بالبلد فيه النعامه،فمن أمثالهم«أحمق من نعامه» (۲)،قالوا:إنّها تنتشر للطعم فربّما رأت بيض نعامه قد انتشرت لمثل ما انتشرت هی له،فتحضن بيضها و تنسی بيض نفسها،قال ابن هرمه:

كتاركه بيضها بالعراء و ملبسه بيض أخری جناحا

(۳)و قالوا أيضا:أذلّ من بيضه البلد (۴).

و فسّر(أم البيض)بالنعامه فی قول الشاعر:

و أتانا يسعی تفرس أمّ البيض شدا و قد تعالی النّهار

(۵)و أمّا فی المدح كقول أخت عمرو بن عبدود فيه عليه السّلام:

و كان يدعی ابوه بيضه البلد

(۶)فالبلد فيه بالفتح واحد البلاد،كما أنّ البيضه فی الأوّل بيضه الطير،و فی الثانی بيضه الحديد التی يقال لها بالفارسيه(كلاه خود) (۷)،و قد خلطوا بينهما فقالوا:بيضه البلد يأتی للمدح و الذم،و الحقيقه ما عرفت.

۱- ۱) لسان العرب ۷:۱۲۶، [۱]ماده(بيض)و صدره:رأی الجلابيب قد عزّوا و قد كثروا.و احتمل ابن منظور كون البيت لرجل آخر يهجو حسّان بن ثابت.

۲- ۲) أورده الميدانی فی مجمع الأمثال ۱:۲۲۵،و [۲]الزمخشری فی المستقصی ۱:۸۵.

۳- ۳) أورده فی مجمع الأمثال ۱:۲۲۵،و [۳]المستقصی ۱:۸۵ و [۴]نسبه الزمخشری إلی أبی داود.

۴- ۴) أورده الميدانی فی مجمع الأمثال ۱:۲۸۵ و [۵]الزمخشری فی المستقصی ۱:۱۳۲. [۶]

۵- ۵) لسان العرب ۱۲:۳۲ [۷] ماده(أمم)و نسبه إلی أبی دواد.

۶- ۶) هذا شطر من بيتين مرّ فی شرح خطبه الرضی،و قد أشرنا إلی اختلاف ألفاظ الروايات و هذا اللفظ لابن أبی الحديد فی شرحه ۱:۷.

۷- ۷) (كلاه خود)آله حربيه حديديه تستعمل لوقايه الرأس،و فی العربيه:البيضه أو الخوذه و الأخير معرب خود أيضا.

هذا،و قد يأتى التبلّد فى قبال التجلّد،إذا كان تبلّده عارضيا من شدّه المصيبه،قال الشاعر:

ألا لا تلمه إن يتبلدا فقد غلب المحزون أن يتبلّدا

(۱) «أممها» قال الجوهرى:كلّ جنس من الحيوان أمّه (۲).

و فى الحديث:«لو لا أنّ الكلاب أمّه من الأمم لأمرت بقتلها» (۳).

قلت:لم خصّ الأمّه بالحيوان،و قد قال تعالى: «وَ ما مِنْ دَابَّهٍ فِى الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلاّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ» (۴).

«و أكياسها» أى:أذكيائها،و من أمثالهم:«أكيس من قشّه» (۵)،و هى جرو القرد،كما أنّ من أمثالهم:«أبلد من ثور و من سلحفاه» (۶).

«على إحداث بعوضه ما قدرت على إحداثها» «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ » (۷).

«و لا عرفت كيف السّبيل إلى ايجادها» «أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ»

۱- ۱) لسان العرب ۳:۹۶ [۱] ماده(بلد).

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهرى ۵:۱۸۶۴ [۲] ماده(أمم).

۳- ۳) هذا صدر حديث أخرجه الترمذى بطريقين فى سننه ۴:۷۸،و ۸۰ ح ۱۴۸۶ و ۱۴۸۹،و النسائى فى سننه ۷:۱۸۵،و أبو داود فى سننه ۳:۱۰۸ ح ۲۸۴۵،و [۳]ابن ماجه فى سننه ۲:۱۰۶۹ ح ۳۲۰۵،و الدارمى فى سننه ۲:۹۰،و [۴]أحمد فى مسنده ۵: ۵۴ و ۵۶ [۵] بطريقين عن عبد اللّه بن مغفل عن النبى صلّى اللّه عليه و آله،و أخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير [۶]عنه منتخب كنز العمال ۶: ۱۴۵،و رواه من الشيعه بلا اسناد أبو الفتوح فى تفسيره عن عبد اللّه بن مغفل عن النبى صلّى اللّه عليه و آله،و الاحسائى فى غوالى اللآلى عن النبى صلّى اللّه عليه و آله عنهما المستدرك ۳:۶۵ الباب(۳۲) ح ۲،و [۷]شرحه ابن قتيبه فى تأويل مختلف الحديث:۱۳۳، و السندى فى حاشيه سنن النسائى ۷:۱۸۵.

۴- ۴) الأنعام:۳۸. [۸]

۵- ۵) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ۲:۱۶۹،و الزمخشرى فى المستقصى ۱:۲۹۷، [۹]قال الميدانى:و هى جرو القرد،ثم قال: يضرب مثلا للسوار خاصه.

۶- ۶) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ۱:۱۱۹،و [۱۰]الزمخشرى فى المستقصى الحج ۱:۲۸.

۷- ۷) :۷۳.

«أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ» (۱).

«و لتحيّرت عقولها فی علم ذلک» کیف لا،و لا وقفت بعد علی حقیقه الروح و عرفانها فضلا عن علم ایجادها.

«و تاهت» أی:ضلّت.

«و عجزت قواها،و تناهت» أی:بلغت إلی النهایه.

«و رجعت خاسئه» من خسأ البصر:کلّ و أعیا.

«حسیره» من حسر بصره،إذا کلّ و انقطع من طول النّظر،و الأصل فی کلامه علیه السّلام قوله تعالی: «ما تَری فِی خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَری مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ کَرَّتَیْنِ یَنْقَلِبْ إِلَیْکَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَ هُوَ حَسِیرٌ» (۲).

«عارفه بأنّها مقهوره» أی:مغلوبه.

«مقرّه بالعجز عن إنشائها» فکیف تقدر علی ایجاد الرّوح فیها،و کیف تقدر علی ایجاد السامعه و الباصره و الذّائقه و الشّامّه و اللامسه فیها،بل و العاطفه و قوی أخر غیر محصوره؟ «مذعنه» أی:معتقده.

«بالضّعف عن إفنائها» و المراد إفناء نوعها .

«و إنّ اللّه» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(و إنّه)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه) (۳).

«سبحانه یعود بعد فناء الدّنیا وحده لا شیء معه کما کان» وحده لا شیء معه.

۱- ۱) الواقعه:۵۸-۵۹. [۱]

۲- ۲) الملک ۳-۴. [۲]

۳- ۳) فی شرح ابن أبی الحدید ۳:۲۱۱،و [۳]شرح ابن میثم ۴:۱۴۹«و [۴]ان اللّه»أیضا.

«قبل ابتدائها كذلك يكون» وحده لا شيء معه.

«بعد فنائها» حتّى ملك الموت أيضا لا يبقى،روى(الكافى)فى نوادر جنائزه عن يعقوب الأحمر قال:دخلنا على الصادق عليه السّلام نعزيه بإسماعيل فترحّم عليه،ثم قال:إنّ اللّه عزّ و جلّ نعى إلى نبيّه صلّى اللّه عليه و آله نفسه،فقال: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» (۱)،و قال عزّ و جلّ: «كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ» (۲).ثم انشأ يحدّث فقال:إنّه يموت أهل الأرض حتّى لا يبقى أحد،ثمّ يموت أهل السّماء حتّى لا يبقى أحد إلاّ ملك الموت و حمله العرش و جبرئيل و ميكائيل.قال:

فيجيء ملك الموت حتّى يقوم بين يدى اللّه،فيقال له:من بقى؟و هو أعلم.

فيقول:يا ربّ لم يبق إلاّ ملك الموت و حمله العرش و جبرئيل و ميكائيل.

فيقال له:قل لجبرئيل و ميكائيل فليموتا...فيقول:يا ربّ لم يبق إلاّ ملك الموت.

فيقال له:مت يا ملك الموت،فيموت.ثم يأخذ الأرض بيمينه و السماوات بيمينه،و يقول:أين الذين كانوا يدّعون معى شريكا،أين الّذين كانوا يجعلون معى إلها آخر؟ (۳)«بلا وقت» من ليل أو نهار.

«و لا مكان» أرض أو سماء.

«و لا حين و لا زمان» شهر أو سنه .

«عدمت عند ذلك» أى فناء العالم.

«الآجال» للأشياء.

«و الأوقات» للأمور لعدم وجود شمس و قمر.

۱- ۱) الزمر:۱.

۲- ۲) آل عمران:۱۸۵. [۱]

۳- ۳) أخرجه الكلينى فى الكافى ۳:۲۵۶ ح ۲۵،و [۲]أحمد بن محمد بن عيسى فى النوادر عنه البحار ۶:۳۲۹ ح ۱۴. [۳]

«و السّنون» هكذا فی(المصریه)،و الصواب:(و زالت السّنون)كما فی (ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیّه) (۱).

«و الساعات» التی هی أجزاء اللیل و النهار.

«فلا شیء إلّا الواحد القهّار» «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ» (۲).

«الذی إلیه مصیر جمیع الأمور» و تدبیرها .

«بلا قدره منها» الظّرف الأوّل خبر كان قدّم لكونه مهمّا فی القصد، و الظرف الثانی متعلّق بالأوّل.

«كان ابتداء خلقها» كیف لا و لم تكن شیئا حتّی تكون ذات قدره؟! «و بغیر امتناع منها» مثل سابقه فی التركیب.

«كان فناؤها» و لو كان فیها استعداد البقاء.

«و لو قدرت علی الامتناع» من الفناء.

«دام» هكذا فی(المصریه)،و الصواب:(لدام)كما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه) (۳).

«بقاؤها» بالامتناع من الفناء .

«لم یتكأده» أی:لم یشقّ علیه.

«صنع شیء منها إذ صنعه» «وَ ما ذلِكَ عَلَى اللّهِ بِعَزِيزٍ» (۴).

«و لم یؤده» بدون واو،أی:لم یثقل علیه.

«منها خلق ما خلقه و برأه» أی:خلقه عن غیر مثال.

«و لم یكوّنها» أی:لم یوجدها.

۱- ۱) كذا فی شرح ابن أبی الحدید ۳:۲۱۱،و شرح ابن میثم ۴:۱۴۹. [۱]

۲- ۲) غافر:۱۶. [۲]

۳- ۳) كذا فی شرح ابن أبی الحدید ۳:۲۱۱،و [۳]بلا(لام)فی شرح ابن میثم ۴:۱۴۹. [۴]

۴- ۴) ابراهیم:۲۰. [۵]

«لتشديد سلطان» كسلاطين الدّنيا يصنعون أمورا لتشديد سلطانهم، و منهم المعتصم جمع من الأتراک أربعه آلاف فألبسهم-كما فی المروج- أنواع الديباج و المناطق المذهبه و الحليه المذهّبه،و أبانهم بالزّی عن سائر جنوده،و قد كان اصطنع قوما من حوف مصر و من حوف اليمن و حوف قيس فسمّاهم المغاربه،و استعدّ رجال خراسان من الفراغنه و غيرهم من الأشروسيّه،فكثر جيشه حتّى اضطر إلى الخروج عن بغداد لما ينال الناس من جيشه،فانتقل إلى محل سامراء و بناها (۱).

«و لا لخوف من زوال و نقصان» كالنّاس يبنون القلاع لتصونهم من الزوال و النقصان.

«و لا للاستعانه بها على ندّ» أی:مثل و نظير.

«مكاثر» له .

«و لا للاحتراز بها» أی:التوقّی.

«من ضدّ مثاور» أی:مواثب،بنی المنصور تحت قصره نفقا يخرج إلى خارج البلد لكی يفرّ إذا غلبه عدو.

«و لا للازدياد بها فی ملكه» كملوک الدينيا فی بنائهم للبلاد.

«و لا لمكاثره شريک فی شركه» كأهل الدّنيا فی تكاثرهم بالأموال و الأولاد فی ما بينهم.

«و لا لوحشه كانت منه» إذ كان وحده.

«فأراد أن يستأنس إليها» و يرفع وحشته بها .

«ثمّ هو» تعالى.

«يفنيها بعد تكوينها» و إيجادها.

۱- ۱) مروج الذهب للمسعودی ۳:۴۶۵ و [۱]النقل بالمعنی.

«لا لسأم» أی:ملال.

«دخل علیه فی تصریفها» و تغییرها من حال إلی حال.

«و تدبیرها» بما یکون صلاحها.

«و لا لراحه واصله إلیه» من إفنائها.

«و لا لثقل شیء منها علیه» وقت بقائها.

«لم یملّه» أی:لم یجعله ملولا.

«طول بقائها فیدعوه» مللّه.

«إلی سرعه إفنائها» حتّی لا یزداد مللّه .

«لکنّه سبحانه دبّرها» حین ابقائها.

«بلطفه» «الَّذِی أَعْطی کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدی» (۱).

«و أمسکها بأمره» لکیلا تضمحلّ.

«و أتقنها» أی:أحکمها.

«بقدرته» فلم یکن فیها انقطاع دون ما أرید منها .

«ثمّ یعیدها بعد الفناء من غیر حاجه منه إلیها» کمن یخرب بیته،ثمّ یعیده لحاجته إلی سکناه .

«و لا لاستعانه بشیء منها علیها» کالنّاس فی أسباب أعمالهم.

«و لا لانصراف من حال وحشه» حین الفناء.

«إلی حال استئناس» بها بعد إعادتها.

«و لا من حال جهل و عمی» فی إفنائها.

«إلی حال علم» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(إلی علم)کما فی(ابن

۱– ۱) طه:۵۰. [۱]

أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه) (۱).

«و التماس» أی:تبصّر.

«و لا من فقر و حاجه» من فنائها.

«إلی غنی و کثره» بإعادتها.

«و لا من ذلّ و ضعه» أی:انحطاط من انعدامها.

«إلی عزّ و قدره» بعد إیجادها.

۲۶

من الخطبه(۱۹۳)

و من خطبه له علیه السّلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ وَ جَلَالِ کِبْرِیَائِهِ- مَا حَیَّرَ مُقَلَ الْعُیُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ- وَ رَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ کُنْهِ صِفَتِهِ «الحمد للّه الّذی أظهر من آثار سلطانه» فی تصرّفه فی العالم و فی نفوس بنی آدم بما شاء و کیف شاء.

«و جلال کبریائه» من خلقه السماء و الأرض و الشمس و القمر و النجوم و الجبال و البحار و أصناف الخلق.

«ما حیّر» و أدهش.

«مقل» بالضمّ فالفتح جمع مقله:شحمه العین الّتی تجمع البیاض و السواد.

«العیون» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(العقول)کما فی(ابن أبی

۱- ۱) فی شرح ابن أبی الحدید ۳:۲۱۲،و [۱]شرح ابن میثم ۴:۱۵۰« [۲]إلی حال علم»أیضا.

الحدید و ابن میثم و الخطیه) (۱).

«من عجائب قدرته» و منها ما بیّنه فی قوله عزّ و جلّ: «إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْکِ الَّتِی تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِما یَنْفَعُ النّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْیا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِیها مِنْ کُلِّ دَابَّهٍ وَ تَصْرِیفِ الرِّیاحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَیْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ» (۲).

و قال الصادق علیه السّلام للمفضّل فی ما بیّنه من حکم الباری تعالی:و اعلم-یا مفضل-انّ اسم هذا العالم بلسان الیونانیّه الجاری المعروف عندهم (قوسموس) (۳)و تفسیره الزینه،و کذلک سمّته الفلاسفه و من ادّعی الحکمه، أ فکانوا یسمّونه بهذا الاسم إلّا لما رأوا فیه من التقدیر و النظام،فلم یرضوا أن یسمّوه تقدیرا و نظاما حتی سمّوه زینه لیخبروا أنّه مع ما هو علیه من الصواب و الاتقان علی غایه الحسن و البهاء (۴).

و قال الرضا علیه السّلام:خلق اللّه الخلق علی أنواع شتّی،و لم یخلقهم نوعا واحدا لئلّا یقع فی الأوهام أنّه عاجز،فلا یقع فی وهم أحد صوره إلّا و قد خلق تعالی علیها خلقا،و لا یقول قائل:هل یقدر اللّه علی أن یخلق علی صوره کذا و کذا إلّا وجد ذلک فی خلقه عزّ و جلّ،فیعلم بالنظر إلی أنواع خلقه أنّه علی کلّ

۱- ۱) فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۵۳۸،و [۱]شرح ابن میثم ۳:۴۳۱« [۲]العیون»أیضا.

۲- ۲) البقره:۱۶۴. [۳]

۳- ۳) (قوسموس)معرب (Koouos) الیونانیه ذکر (Liddell) و (Scott) فی معجم الیونانیه Greek EnglishLexicon] الصفحه ۷۸۲]من معانی الکلمه:«الترتیب الجیّد:النظم الجیّد»و«الزینه-الحلیه»و «العالم-الکائنات»و قالا أول من استعمل هذه الکلمه فی معنی العالم فیثاغورس فی فلسفته لنظم العالم و ترتیبه الکامل.

۴- ۴) توحید المفضل:۱۷۶. [۴]

شیء قدیر (۱).

«و ردع» أی:کفّ.

«خطرات» ممّا یخطر بالبال.

«هماهم» جمع الهمهمه،ترديد الصوت فی الصدر.

«النفوس عن عرفان کنه صفته» جلّ و علا فإذا کان الإنسان لا یعرف کنه کثیر ممّا أظهر من آثار سلطنته من الشمس و القمر و النجوم و السماء و غیرها ممّا یشاهدها کیف یعرف کنه صانعها.

و فی(الحلیه)قال أحمد بن أبی الحواری:حدّثنی أحمد بن داود قال:

اجتمع بنو اسرائیل فأخرجوا من کلّ عشره واحدا،ثمّ أخرجوا من کلّ مائه واحدا،ثمّ أخرجوا من کلّ ألف واحدا حتّی أخرجوا سبعه خیار بنی إسرائیل.

فقال:أدخلونا فی بیت و طیّنوا علینا،و لا تخرجونا حتّی نعرف ربّنا.

ففعلوا،فمات أوّل یوم واحد،و فی الیوم الثانی آخر،ثم مات فی الیوم الثالث آخر،فقال شابّ و کان أصغرهم:أخرجونا قد عرفته.قال:ففتحوا فأخرجوهم.فقال لهم:قد عرفته.قالوا:و أی شیء عرفت.قال:عرفت أنّه لا یعرف.فإن شئتم فدعونا حتّی نموت عن آخرنا و إن شئتم أخرجونا (۲).

۲۷

من الخطبه(۱۵۳)

و من خطبه له علیه السّلام:یذکر فیها بدیع خلقه الخفّاش:اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی انْحَسَرَتِ الْأَوْصَافُ عَنْ کُنْهِ مَعْرِفَتِهِ- وَ رَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ- فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَی بُلُوغِ غَایَهِ مَلَکُوتِهِ- هُوَ اللَّهُ الْمَلِکُ الْحَقُّ

۱- ۱) أخرجه الصدوق فی علل الشرائع ۱:۱۴ ح ۱۳ [۱] بفرق یسیر.

۲- ۲) حلیه الأولیاء لأبی نعیم ۱۲:۱۰.

الْمُبِينُ أَحَقُّ وَ أَبْيَنُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ- لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً- وَ لَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ فَيَكُونَ مُمَثَّلًا- (۱)خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَ لَا مَشُورَةِ مُشِيرٍ- وَ لَا مَعُونَةِ مُعِينٍ فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ وَ أَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ- فَأَجَابَ وَ لَمْ يَدْفَعْ وَ انْقَادَ وَ لَمْ يُنَازَعْ «الحمد للّه الذى انحسرت» أى:كلّت و انقطعت.

«الأوصاف عن كنه معرفته» كيف لا تنحسر عن كنه معرفته،و قد انحسرت عن كنه كثير من خلقه ؟! «و ردعت» أى:كفّت.

«عظمته العقول» عن فهمه .

«فلم تجد مساغا» أى:جوازا،و الأصل فيه:ساغ الشراب،إذا سهل مدخله فى الحلق.

«إلى بلوغ غايه ملكوته» قال تعالى: «قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّى وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً» (۲).

و قال الصادق عليه السّلام:فقالوا و لم لا يدرك تعالى بالعقل؟قيل:لأنّه فوق مرتبه العقل،كما لا يدرك البصر ما هو فوق مرتبته،فإنّك لو رأيت حجرا يرتفع فى الهواء علمت أنّ راميا رمى به.فليس هذا العلم من قبل البصر بل من قبل العقل،لأنى العقل هو الّذى يميّزه،فيعلم أنّ الحجر لا يذهب علوا من تلقاء نفسه،أفلا ترى كيف وقف البصر على حدّه فلم يتجاوزه،فكذلك يقف العقل على حدّه من معرفه الخالق فلا يعدوه،و لكن يعقله بعقل أقرّ أنّ فيه نفسا و لم يعاينها و لم يدركها بحاسه من الحواس.و على حسب هذا أيضا نقول:إنّ

۱- ۱) قال الشارح و فى نسخ«و لم تقع على الاوهام بتقدير فيكون ممثلا».

۲- ۲) الكهف:۱۰۹. [۱]

العقل يعرف الخالق من جهه توجب عليه الإقرار،و لا يعرفه بما يوجب له الاحاطه بصفته-إلى أن قال-فان قالوا:أ و ليس قد نصفه؟فنقول:هو العزيز الحكيم الجواد الكريم.قيل لهم:كلّ هذه صفات إقرار،و ليست صفات إحاطه فإنّا نعلم أنّه حكيم،و لا نعلم بكنه ذلك منه،و كذلك قدير و جواد،و سائر صفاته كما قد نرى السماء،فلا ندرى ما هو جوهرها و نرى البحر و لا ندرى أين منتهاه (۱).

«هو اللّه الملك» هكذا فى(المصريه)،و كلمه(الملك)زائده لعدم وجودها فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (۲).

«الحقّ المبين» «يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ» (۳).

«أحقّ و أبين ممّا تراه العيون» لأنّ ما تراه العيون قد يقع فيه الخطأ،و أمّا هو تعالى فتحقّقه بالعقل الّذى استحال أن يخطئ.

قال الصادق عليه السّلام بعد ما مرّ فى ما مرّ:فإن قالوا فأنتم الآن تصفون من قصور العلم عنه وصفا حتّى كأنّه غير معلوم.قيل لهم:هو كذلك من جهه إذا رام العقل معرفه كنهه و الإحاطه به،و هو من جهه أخرى أقرب من كلّ قريب، إذا استدلّ عليه بالدّلائل الشافيه،فهو من جهه كالواضح لا يخفى على أحد، و هو من جهه كالغامض لا يدركه أحد،و كذلك العقل أيضا ظاهر بشواهده و مستور بذاته (۴).

«لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبّها،و لم تقع عليه الأوهام فيكون ممثّلا»

۱- ۱) توحيد المفضل:۱۷۶. [۱]

۲- ۲) فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۴۳۳،و [۲]شرح ابن ميثم ۳:۲۵۲ توجد كلمه«الملك»أيضا.

۳- ۳) النور:۲۵. [۳]

۴- ۴) توحيد المفضل:۱۸۰. [۴]

قال الصادق عليه السّلام:فإن قالوا:كيف يعقل أن يكون مباينا لكلّ شيء متعاليا عن كلّ شيء؟ قيل لهم:الحقّ الّذى تطلب معرفته من الأشياء هو أربعه أوجه،فأوّلها:

أن ينظر أ موجود هو أم ليس بموجود.و الثانى:أن يعرف ما هو فى ذاته و جوهره.و الثالث:أن يعرف كيف هو و ما صفته.و الرابع:أن يعلم لما ذا هو، و لأىّ علّه،فليس من هذه الوجوه شيء يمكن المخلوق أن يعرفه من الخالق حقّ معرفته غير أنّه موجود فقط.فإذا قلنا:(و كيف)و(ما هو)فممتنع علم كنهه و كمال المعرفه به،و أمّا(لما ذا هو)فساقط فى صفه الخالق،لأنّه جلّ ثناؤه علّه كلّ شيء،و ليس شيء بعلّه له،ثمّ ليس علم الإنسان بأنّه موجود يوجب له أن يعلم ما هو و كيف هو،كما أنّ علمه بوجود النفس لا يوجب أن يعلم ما هى و كيف هى،و كذلك الأمور الروحانيه اللطيفه (۱).

«خلق الخلق على غير تمثيل،و لا مشوره مشير،و لا معونه معين» كيف لا و لم يكن شيء حتى يخلق على تمثيله،و لم يكن أحد حتّى يكون مشيرا له أو معينا ؟! «فتمّ خلقه بأمره» «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (۲).

«و أذعن» أى:اعترف بلسان الحال.

«لطاعته فأجاب و لم يدفع،و انقاد و لم ينازع» بحصوله على وفق مراده، قال تعالى: «فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها وَ زَيَّنَّا السَّماءَ»

۱- ۱) توحيد المفضل:۱۷۹. [۱]

۲- ۲) يس:۸۲. [۲]

«الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ حِفْظاً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» (۱).

۲۸

من الخطبه(۱۸۹)

و من خطبه له علیه السّلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِی حَمْدُهُ- وَ الْغَالِبِ جُنْدُهُ وَ الْمُتَعَالِی جَدُّهُ- أَحْمَدُهُ عَلَی نِعَمِهِ الْتُّؤَامِ وَ آلاَئِهِ الْعِظَامِ- الَّذِی عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا وَ عَدَلَ فِی کُلِّ مَا قَضَی- وَ عَلِمَ مَا یَمْضِی وَ مَا مَضَی- مُبْتَدِعِ الْخَلاَئِقِ بِعِلْمِهِ وَ مُنْشِئِهِمْ بِحُکْمِهِ- بِلاَ اقْتِدَاءٍ وَ لاَ تَعْلِیمٍ- وَ لاَ احْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَکِیمٍ- وَ لاَ إِصَابَهِ خَطَإٍ وَ لاَ حَضْرَهِ مَلَإٍ «الحمد للّه الفاشی» أی:المنتشر.

«حمده» قال تعالی: «تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِیهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لکِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِیحَهُمْ» (۲)، «وَ لَهُ الْحَمْدُ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِیًّا وَ حِینَ تُظْهِرُونَ» (۳)، «یُسَبِّحُ لِلّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ الْمَلِکِ الْقُدُّوسِ الْعَزِیزِ الْحَکِیمِ» (۴).

«و الغالب جنده» «وَ إِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ» (۵)، «کَتَبَ اللّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِی إِنَّ اللّهَ قَوِیٌّ عَزِیزٌ» (۶).

«و المتعالی جدّه» أی:عظمته،و الأصل فیه قوله تعالی حکایه عن الجنّ:

۱- ۱) فصلت:۱۱-۱۲. [۱]

۲- ۲) الاسراء:۴۴. [۲]

۳- ۳) الروم:۱۸. [۳]

۴- ۴) الجمعه:۱. [۴]

۵- ۵) الصافات:۱۷۳. [۵]

۶- ۶) المجادله:۲۱. [۶]

«وَ أَنَّهُ تَعالی جَدُّ رَبِّنا مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً » (۱).

«أحمده علی نعمه التّؤام» جمع توأم أی المتواتره،قال الشاعر:

قالت لنا و دمعها تؤام کالدرّ إذ أسلمه النّظام

علی الّذین ارتحلوا السّلام

(۲)و الظاهر کونه استعاره،و الأصل فیه:الولدان التّوأمان.

«و آلائه» أی:نعمائه،قال الجوهری:الآلاء النعم واحدها(ألی)بالفتح، و قد یکسر و یکتب بالیاء،مثاله:معی و أمعاء (۳).و قال الفیروزآبادی:واحدها إلی و ألو و ألی و إلی (۴).

قلت:و لم أقف علی استعمال مفرد للالاء أصلا،و لنا جموع لا یستعمل مفرد لها.

«العظام» و کلّ نعمه منه تعالی عظیمه،و إنّما فیها عظیم و أعظم.

«الّذی عظم حلمه فعفا» «وَ لَوْ یُؤاخِذُ اللّهُ النّاسَ بِما کَسَبُوا ما تَرَکَ عَلی ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ» (۵)، «وَ ما أَصابَکُمْ مِنْ مُصِیبَةٍ فَبِما کَسَبَتْ أَیْدِیکُمْ وَ یَعْفُوا عَنْ کَثِیرٍ» (۶).

«و عدل فی کلّ ما قضی» «إِنَّ اللّهَ یَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِیتاءِ ذِی الْقُرْبی وَ یَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْکَرِ وَ الْبَغْیِ» (۷)، «وَ قُلْ آمَنْتُ بِما أَنْزَلَ اللّهُ مِنْ»

۱- ۱) الجن:۳. [۱]

۲- ۲) لسان العرب ۱۲:۶۱ [۲] ماده(تأم).

۳- ۳) صحاح اللغه للجوهری ۶:۲۲۷۰ [۳] ماده(ألی).

۴- ۴) القاموس المحیط ۴:۳۰۰ [۴] ماده(الا).

۵- ۵) فاطر:۴۵. [۵]

۶- ۶) الشوری:۳۰. [۶]

۷- ۷) النحل:۹۰. [۷]

كِتابٍ وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ... (۱).

و قال جابر الجعفیّ للباقر علیه السّلام:نری من الأطفال من یولد میّتا،و منهم من یسقط غیر تامّ،و منهم من یولد أعمی أو أخرس أو أصمّ،و منهم من یموت من ساعته إذا سقط علی الأرض،و منهم من یبقی إلی الاحتلام،و منهم من یعمّر حتّی یصیر شیخا،فکیف ذلک و ما وجهه؟ فقال علیه السّلام:إنّ اللّه أولی بما یدبّره من أمر خلقه منه و هو الخالق و المالک لهم،فمن منعه التّعمیر فإنّما منعه ما لیس له،و من عمّره فإنّما أعطاه ما لیس له،فهو المتفضّل بما أعطی و عادل فی ما منع (۲).

«و علم ما یمضی و ما مضی» قال تعالی: «وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِینَ مِنْكُمْ وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِینَ » (۳).

«مبتدع الخلائق بعلمه» قال الصدوق:من الدّلیل علی أنّ اللّه تبارک و تعالی عالم:أنّ الأفعال المختلفه التّقدیر المتضادّه التدبیر المتفاوته الصنعه لا تقع علی ما ینبغی أن یکون علیه من الحکمه ممّن لا یعلمها،و لا یستمرّ علی منهاج منتظم ممّن یجهلها،ألا تری أنّه لا یصوغ قرطا یحکم صنعته،و یضع کلّا من دقیقه و جلیله موضعه من لا یعرف الصیاغه،و لا أن ینتظم کتابه یتبع کلّ حرف منها ما قبله من لا یعلم الکتابه،و العالم ألطف صنعه و أبدع تقریرا ممّا وصفناه،فوقوعه من غیر عالم بکیفیته قبل وجوده أبعد و أشدّ استحاله (۴).

۱- ۱) الشوری:۱۵. [۱]

۲- ۲) أخرجه الصدوق فی التوحید:۳۹۷ ح ۱۳ فی صدر الحدیث.

۳- ۳) الحجر:۲۴. [۲]

۴- ۴) التوحید للصدوق:۱۳۷.

«و منشئهم بحكمه» «وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ» (۱)، «هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيها» (۲)، «وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ» (۳).

«بلا اقتداء» لغيره.

«و لا تعليم» من سواه.

«و لا احتذاء» يقال:حذوت النّعل بالنّعل،إذا قدّرت كلّ واحده على صاحبتها.

«لمثال صانع حكيم» لعدم وجود لغيره.

«و لا إصابه» أحد.

«خطأ» له في خلقه: «ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَ هُوَ حَسِيرٌ» (۴).

و اجتهد الطبيعيّون في إصابه خطأ في الخليقه،فعابوا بجهلهم الشعر النّابت على الرّكبه و على الابطين،و كون بطن الإنسان مصمتا لا يمكن فتحه لعلاجه،و وجود الموت و الفناء،و وجود الآفات الحادثه في بعض الأحيان، مثل الوباء و اليرقان و الجراد،و قلّه المطر و كثرته و الزّلازل و غيرها،مع أنّ ذلك عين الصواب و محض الحكمه،كما شرحه الصادق عليه السّلام للمفضّل في (توحيده).

«و لا حضره ملأ» وقت خلقه ما خلق: «وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ»

۱- ۱) الواقعه:۶۶. [۱]

۲- ۲) هود:۶۱. [۲]

۳- ۳) الأنعام:۹۸. [۳]

۴- ۴) الملك:۳-۴. [۴]

اَلرَّحْمنِ إِناثاً أَ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ... (۱)، «ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً» (۲).

۲۹

من الخطبه(۱۸۰)

و من خطبه له علیه السّلام:روی عن نوف البکالیّ،قال:خطبنا هذه الخطبه بالکوفه أمیر المؤمنین علیه السّلام و هو قائم علی حجاره نصبها له جعده بن هبیره المخزومی... (۳)،فقال علیه السّلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی إِلَیْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ- وَ عَوَاقِبُ الْأَمْرِ نَحْمَدُهُ عَلَی عَظِیمِ إِحْسَانِهِ- وَ نَیِّرِ بُرْهَانِهِ وَ نَوَامِی فَضْلِهِ وَ امْتِنَانِهِ- حَمْداً یَکُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً وَ لِشُکْرِهِ أَدَاءً- وَ إِلَی ثَوَابِهِ مُقَرِّباً وَ لِحُسْنِ مَزِیدِهِ مُوجِباً- وَ نَسْتَعِینُهُ بِهِ اسْتِعَانَهَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ- مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَ الْقَوْلِ- وَ نُؤْمِنُ بِهِ إِیمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً- وَ أَنَابَ إِلَیْهِ مُؤْمِناً وَ خَنَعَ لَهُ مُذْعِناً- وَ أَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً وَ عَظَّمَهُ مُمَجِّداً وَ لاَذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً «لَمْ یُولَدْ» سُبْحَانَهُ فَیَکُونَ فِی الْعِزِّ مُشَارَکاً- وَ «لَمْ یَلِدْ» فَیَکُونَ مَوْرِثاً هَالِکاً- وَ لَمْ یَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَ لاَ زَمَانٌ- وَ لَمْ یَتَعَاوَرْهُ زِیَادَهٌ وَ لاَ نُقْصَانٌ- بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلاَمَاتِ التَّدْبِیرِ الْمُتْقَنِ- وَ الْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ- وَ مِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلاَ عَمَدٍ- قَائِمَاتٍ بِلاَ سَنَدٍ دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ- غَیْرَ مُتَلَکِّئَاتٍ وَ لاَ مُبْطِئَاتٍ- وَ لَوْ لاَ إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِیَّهِ- وَ إِذْعَانُهُنَّ لَهُ بِالطَّوَاعِیَهِ- لَمَا

۱- ۱) الزخرف:۱۹. [۱]

۲- ۲) الکهف:۵۱. [۲]

۳- ۳) بقیه قول نوف:«و علیه مدرعه من صوف و حمائل سیفه لیف و فی رجلیه نعلاه من لیف و کأنّ جبینه ثفنه بعیر»نهج البلاغه ۲:۱۰۳. [۳]

جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ وَ لَا مَسْكَناً لِمَلَائِكَتِهِ- وَ لَا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَاماً يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ- فِي مُخْتَلِفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ- لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْلِهْمَامُ سُجُفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ- وَ لَا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ- أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَأْلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ- فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ- وَ لَا لَيْلٍ سَاجٍ فِي بِقَاعِ الْأَرَضِينَ الْمُتَطَأْطِئَاتِ- وَ لَا فِي يَفَاعِ السُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ- وَ مَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ- وَ مَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ- وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ- وَ انْهِطَالُ السَّمَاءِ- وَ يَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَ مَقَرَّهَا وَ مَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَ مَجَرَّهَا- وَ مَا يَكْفِي الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا وَ مَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ- أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ- لَا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ وَ لَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ- وَ لَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ وَ لَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ- وَ لَا يَنْظُرُ بِعَيْنٍ وَ لَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ وَ لَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ- وَ لَا يَخْلُقُ بِعِلَاجٍ وَ لَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ وَ لَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ- الَّذِي كَلَّمَ؟مُوسَى؟ تَكْلِيماً وَ أَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيماً- بِلَا جَوَارِحَ وَ لَا أَدَوَاتٍ وَ لَا نُطْقٍ وَ لَا لَهَوَاتٍ- بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ- فَصِفْ؟جِبْرَائِيلَ؟ وَ؟مِيكَائِيلَ؟ وَ جُنُودَ الْمَلَائِكَهِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجُرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِنِّينَ- مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ- فَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَيْئَاتِ وَ الْأَدَوَاتِ- وَ مَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ- فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ- وَ أَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ قول المصنّف : «روى عن نوف البكالىّ» قال ابن أبى الحديد:قال

صاحب(الصحاح):نوف البكالیّ بفتح الباء کان حاجب علیّ علیه السّلام (۱).

قلت:لم یقل صاحب(الصحاح):إنّ بکال بفتح الباء فهذا نصّه:

نوف البکالیّ:قال الثعلب:هو منسوب إلی بکاله قبیله...و بنو بکال من حمیر منهم نوف البکالیّ صاحب علیّ علیه السّلام (۲).و لو کان(الصحاح)قال:إنّه بالفتح لغلّطه(القاموس)حیث إنّه قال:إنّه ککتاب (۳).و إنّما قال ابن برّی محشی (الصحاح)-کما نقل عنه فی(اللسان)-قال المهلبی:بکاله بکسر الباء قبیله من الیمن و المحدّثون یقولون:نوف البکالیّ بفتح الباء و التشدید (۴).و کیف کان فقال الجوهریّ و الفیروزآبادی:إنّ(بکیلا)من همدان،و(بکالا)من حمیر.

لکن الصواب:کون بکال أیضا من همدان،فروی الطبری فی ذکر خبر الخوارج خبرا فی سنده جبر بن نوف أبو الودّاک الهمدانی (۵)،و قد صرّح (المغرب)أنّ جبرا بن نوف البکالی (۶)،و الراوی عن جبر هذا کان أعرف به فوصفه بالهمدانی.و اختار ما قلنا ابن درید فی جمهرته مع تردّد.فقال:بنو بکیل،و بنو بکال بطنان من العرب أحسبهما من همدان أو یکون بکال من حمیر و بکیل من همدان،منهم نوف البکالی صاحب علیّ علیه السّلام (۷)،بل قال به الفیروز آبادی أیضا فی ماده(خیر)بالخاء و الیاء المثنّاه.فقال ثمه:خیر بن نوف من همدان (۸).لکن الظاهر و همه فی جعل الابن خیرا بل هو جبر بالجیم

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ۲:۵۰۹. [۱]

۲- ۲) کذا فی صحاح اللغه للجوهری ۴:۱۶۳۸ [۲] ماده(بکل)،و فیه مثل ما نقله ابن أبی الحدید أیضا.

۳- ۳) القاموس المحیط ۳:۳۳۹ ماده(بکل).

۴- ۴) لسان العرب ۱۱:۶۳ [۳] ماده(بکل).

۵- ۵) تاریخ الطبری ۴:۵۷ [۴] سنه(۳۷).

۶- ۶) المغرب:۲۴۳ [۵] ماده(ودک).

۷- ۷) جمهره اللغه ۱:۳۲۵. [۶]

۸- ۸) لفظ القاموس المحیط ۲:۲۵ ماده(خیر):«و والد نوف بن همدان»،و فی بعض النسخ:«و ولد نوف بن همدان». و الاقیانوس شرح القاموس ۱:۸۴۹ خال من هذا،و فی تاج العروس ۱۱:۲۴۵ أیضا« [۷]ولد نوف بن همدان»،نقله عن ابن الجوانی النسابه.

و الموحده،کما عرفته من(المغرب).

هـذا،و المفهوم من خليفه كونه من كهلان،فعنون(الاستيعاب)عمرو البكالیّ،و نقل عن خليفه فی الصـحابه و هو من بنی بكال بن دعمی بن سعد بن عوف بن عدی بن مالك بن زيد بن كهلان (۱).

«قال خطبنا هذه» هكذا فی(المصريه)،و الصواب:(بهذه)كما فی(ابن أبی الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (۲).

«الخطبه» الظاهر أنّ هذه الخطبه كانت آخر خطباته عليه السّلام،فقال نوف فی آخرها:فما دارت الجمعه حتّی ضربه الملعون.

«بالكوفه أمير المؤمنين عليه السّـلام» هكذا فی(المصـريه)،و الصواب:(أمير المؤمنين عليه السّلام بالكوفه)كما فی(ابن أبی الحديد و الخطيه)لكن ليس فی نسخه (ابن ميثم)لفظ(بالكوفه)رأسا (۳).

«و هو قائم علی حجاره نصبها له جعده بن هبيره المخزومی» و هو ابن أخته عليه السّلام أمّ هانی،و روی الكشی عن الصادق عليه السّـلام:«كان مع أمير المؤمنين عليه السّلام من قريش خمسه نفر،و كانت ثلاث عشره قبيله مع معاويه، فامّا الخمسه محمد بن أبی بكر أتته النحـابه من قبـل أمّه اسـماء بنت عميس، و كـان معه هـاشم بن عتبه بن أبی وقـاص المرقال،و كان معه جعـده بن هبيره المخزومی،و كان أمير المؤمنين عليه السّلام خاله،و هو الّذی قال له عتبه بن أبی

۱- ۱) الاستيعاب لا بن عبد البر ۲:۵۳۳،و [۱]قال ابن منظور فی لسان العرب ۱۱:۶۳ [۲] ماده(بكل):«بنو بكيل هی من همدان» ثم قال:و بنو بكال(بكسـر الباء)من حمير منهم نوف البكالی صاحب علی عليه السّلام»و أقول:همدان المذكور كرارا من ولد كهلان و هو من ولد قحطان.

۲- ۲) كذا فی شرح ابن أبی الحديد ۲:۵۰۸،لكن فی شرح ابن ميثم ۳:۳۸۰ بدون(الباء)أيضا.

۳- ۳) كذا فی شرح ابن أبی الحديد ۲:۵۰۸،لكن يوجد فی شرح ابن ميثم ۳:۳۸۰«بالكوفه»أيضا.

سفیان:إنّما لک هذه الشّدّه فی الحرب من قبل خالک.فقال له جعده:لو کان لک خال مثل خالی لنسیت أباک (۱).

و روی(صفین نصر بن مزاحم):أنّه علیه السّلام لما ورد الکوفه من البصره نزل علی جعده (۲).

و روی الطبری أنّه علیه السّلام لمّا ضرب تقدّم جعده فصلّی بالناس الغداه (۳).

«الحمد للّه الّذی إلیه مصائر الخلق» «وَ صَوَّرَکُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَکُمْ وَ إِلَیْهِ الْمَصِیرُ» (۴).

«و عواقب الأمر» «أَلا إِلَی اللّهِ تَصِیرُ الْأُمُورُ» (۵) «وَ لِلّهِ عاقِبَهُ الْأُمُورِ» (۶)، «فَسُبْحانَ الَّذِی بِیَدِهِ مَلَکُوتُ کُلِّ شَیْءٍ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ» (۷)، «لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَی اللّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ » (۸).

«نحمده علی عظیم إحسانه» قال عزّ و جلّ: «خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَیانَ» (۹)، «خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ» ... «عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ یَعْلَمْ» (۱۰)«أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَیْنَیْنِ وَ لِساناً وَ شَفَتَیْنِ وَ هَدَیْناهُ النَّجْدَیْنِ» (۱۱).

«و نیر برهانه» «وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ خَلَقَکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ»

۱- ۱) اختیار رجال الکشی ۱۱۱:۶۳.

۲- ۲) وقعه صفین:۵. [۱]

۳- ۳) تاریخ الطبری ۴:۱۱ سنه(۴۰)،و لم یتعرض الشارح لشرح قول نوف:«و علیه مدرعه من صوف...».

۴- ۴) التغابن:۳. [۲]

۵- ۵) الشوری:۵۳. [۳]

۶- ۶) الحج:۴۱. [۴]

۷- ۷) یس:۸۳. [۵]

۸- ۸) الحدید:۵. [۶]

۹- ۹) الرحمن:۳-۴. [۷]

۱۰- ۱۰) العلق:۲-۵. [۸]

۱۱- ۱۱) البلد:۸-۱۰. [۹]

«تَنْتَشِرُونَ» (۱)، «أَ فِی اللّهِ شَکٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» (۲)، «وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَکُمْ مِنْ أَنْفُسِکُمْ أَزْواجاً لِتَسْکُنُوا إِلَیْها وَ جَعَلَ بَیْنَکُمْ مَوَدَّهً وَ رَحْمَهً إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ وَ مِنْ آیاتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِکُمْ وَ أَلْوانِکُمْ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِلْعالِمِینَ وَ مِنْ آیاتِهِ مَنامُکُمْ بِاللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ ابْتِغاؤُکُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَسْمَعُونَ وَ مِنْ آیاتِهِ یُرِیکُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَیُحْیِی بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذا دَعاکُمْ دَعْوَهً مِنَ الْأَرْضِ إِذا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ» (۳).

«و نوامی» من إضافه الصّفه.

«فضله و امتنانه» علی کلّ شخص و کلّ نوع،قال تعالی: «أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً وَ الْجِبالَ أَوْتاداً وَ خَلَقْناکُمْ أَزْواجاً وَ جَعَلْنا نَوْمَکُمْ سُباتاً وَ جَعَلْنَا اللَّیْلَ لِباساً وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً وَ بَنَیْنا فَوْقَکُمْ سَبْعاً شِداداً وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهّاجاً وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَباتاً وَ جَنّاتٍ » (۴).

«حمدا یکون لحقّه قضاء و لشکره أداء» أی:بالإجمال کقولنا:الحمد للّه کما هو أهله (۵)،و کما ینبغی لکرم وجهه و عزّ جلاله.و کقولنا:لا أحصی ثناء علیک،

۱- ۱) الروم:۲۰. [۱]

۲- ۲) ابراهیم:۱۰. [۲]

۳- ۳) الروم:۲۱-۲۵. [۳]

۴- ۴) النبأ:۶-۱۶. [۴]

۵- ۵) هذا التحمید رواه ابن فهد فی عدّه الداعی عنه بحار الأنوار ۹۳:۲۱۶ ح ۲۱ [۵] عن النبی صلّی اللّه علیه و آله،و الصدوق فی ثواب الأعمال:۲۸ ح ۱ عن الصادق علیه السّلام.

أنت كما أثنيت على نفسك (۱).و أمّا حمده التفصيلى فخارج عن طوق البشر لعدم إحصاء نعمه و مننه.

«و إلى ثوابه مقرّبا» «كَذلِكَ نَجْزِى مَنْ شَكَرَ» (۲)، «وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَهِ نُؤْتِهِ مِنْها وَ سَنَجْزِى الشّاكِرِينَ» (۳).

«و لحسن مزيده موجبا» «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ » (۴).

«و نستعين به استعانه راج لفضله،مؤمّل لنفعه،واثق بدفعه،معترف له بالطّول» بفتح الطاء،أى:المنّ،يقال:«تطوّل عليه»أى:منّ.

«مذعن» أى:مقرّ.

«له بالعمل و القول» جعل عليه السّلام فى قوله«و نستعين به...»استعانته به تعالى استعانه متّصف بالصّفات الخمس،ليعلم أنّه لا ينبغى الاستعانه إلّا به تعالى،كما قال عزّ و جلّ مؤدّبا لهم «وَ إِيّاكَ نَسْتَعِينُ » (۵).

«و نؤمن به إيمان من رجاه موقنا» بأنّه هو محلّ الرجاء لا غيره.

«و أناب» أى:أقبل و تاب.

«إليه» تعالى.

«مؤمنا» أى:معتقدا بأنّه تعالى أهل ذلك.

«و خنع» أى:خضع.

«له مذعنا» أى:مقرّا.

۱- ۱) هذا الثناء أخرجه ضمن حديث صاحب مصباح الشريعه:۵۶،و [۱]الدار قطنى فى الافراد عنه منتخب كنز العمال ۱:۳۴۸، و غيرهما عن النبى صلّى اللّه عليه و آله،و مرّ تخريجه فى العنوان(۱)من هذا الفصل.

۲- ۲) القمر:۳۵. [۲]

۳- ۳) آل عمران:۱۴۵. [۳]

۴- ۴) ابراهيم:۷. [۴]

۵- ۵) فاتحه الكتاب:۵.

«و أخلص له موحّدا» «وَ ادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ» (۱).

«و عظّمه ممجّدا» «وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» (۲)، «وَ مَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ» (۳).

«و لاذ» أى:لجأ.

«به راغبا مجتهدا» أى:ساعيا،جعل عليه السّلام ايمانه فى قوله«و نؤمن به...» إيمان متّصف بالصّفات الستّ،ليفهم أنّه الإيمان المطلوب،قال تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِى نَزَّلَ عَلى رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِى أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ » (۴).

«لم يولد سبحانه فيكون فى العزّ مشاركا» لأن والد العزيز عزيز و لو بسببه،قال الشاعر:

كما علا برسول اللّه عدنان

(۵) «و لم يلد فيكون مورثا» هكذا فى(المصريّه)،و الصواب:(موروثا)كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيّه) (۶).

«هالكا» فليس الموروث إلّا هالكا .

«و لم يتقدّمه وقت و لا زمان» الظاهر كون الوقت خاصّا و الزّمان عامّا،فإنّ الوقت يأتى للزّمان المعيّن كثيرا،قال تعالى: «إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى»

۱- ۱) الأعراف:۲۹. [۱]

۲- ۲) الحج:۳۲. [۲]

۳- ۳) الحج:۳۰. [۳]

۴- ۴) النساء:۱۳۶. [۴]

۵- ۵) أورده ابن أبى الحديد فى شرحه ۲:۱۶۷،و الشاعر على بن العباس بن جريح،مرّ ذكره مفصّلا فى شرح خطبه الرضى.

۶- ۶) فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۵۱۰،و شرح ابن ميثم ۳:۳۸۱« [۵]مورثا أيضا».

«الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً» (۱)و لا يصحّ كتابا مزمنا.

و من ذلك يظهر لك ما فى قول ابن أبى الحديد من كونهما مترادفين (۲)، و قول(ابن ميثم)بكون الأوّل جزء الثانى (۳).

«و لم يتعاوره» أى:لم يعترضه.

«زياده و لا نقصان» فإنّهما من عوارض الجسمانيّات.

«بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن و القضاء المبرم» «الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَ سَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلًا وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتّى كُلُوا وَ ارْعَوْا أَنْعامَكُمْ إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِى النُّهى» (۴)، «أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِى الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطاماً إِنَّ فِى ذلِكَ لَذِكْرى لِأُولِى الْأَلْبابِ » (۵).

«و من» هكذا فى(المصريه)،و الصواب:(فمن)كما فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيّه) (۶).

«شواهد خلقه» أى:من شواهد ظهوره لعقول خلقه.

«خلق السماوات موطّدات» أى:مثبتات.

«بلا عمد» قال تعالى: «اللّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها» (۷).

۱- ۱) النساء:۱۰۳. [۱]

۲- ۲) شرح ابن أبى الحديد ۲:۵۱۰.

۳- ۳) شرح ابن ميثم ۳:۳۸۵. [۲]

۴- ۴) طه:۵۳-۵۴. [۳]

۵- ۵) الزمر:۲۱. [۴]

۶- ۶) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۵۱۰،و [۵]لكن فى شرح ابن ميثم ۳:۳۸۱:«و [۶]من»أيضا.

۷- ۷) الرعد:۲،و [۷]لم يتعرض الشارح لشرح فقره:«قائما بلا سند».

«دعاهنّ فأجبن طائعات مذعنات» أی:معترفات.

«غیر متلکّئات» أی:معتلات.

«و لا- مبطئات» أی:و لا- غیر مسرعات،قال تعالی: «فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِیا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً قالَتا أَتَیْنا طائِعِینَ» (۱)،و المراد من إجابتها:إجابتها بلسان الحال لا المقال.و نظیره فی کلام العرب کثیر،قال الشّماخ:

کأنّی کسرت الرجل أخفت سوقها أطاع له مرزا متین حدیق

فجعل الحدیث مطیعا للعیر لما تمکن من رعیه .

«و لو لا إقرارهنّ له بالرّبوبیّه و إذعانهنّ له» هکذا فی(المصریه و ابن میثم) (۲)و لیست کلمه(له)فی(ابن أبی الحدید و الخطیه) (۳).

«بالطّواعیه» أی:الطاعه.

«لما جعلهنّ موضعا لعرشه» و لا ینافی ذلک قوله تعالی: «وَ کانَ عَرْشُهُ عَلَی الْماءِ» (۴)،فقبله «وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّهِ أَیّامٍ» (۵)، فالمراد:أنّ العرش کان علی الماء قبل خلق السماوات،و یأتی تصریح الخبر بذلک (۶).

«و لا مسکنا لملائکته» روی عن الرضا علیه السّلام:أنّ اللّه تعالی خلق العرش و الماء و الملائکه قبل خلق السماوات و الأرض،و کانت الملائکه تستدلّ بأنفسها و بالعرش و الماء علی اللّه تعالی،ثمّ جعل عرشه علی الماء لیظهر بذلک قدرته للملائکه،فیعلم أنّه علی کلّ شیء قدیر،ثمّ رفع العرش بقدرته،

۱- ۱) فصلت:۱۱. [۱]

۲- ۲) شرح ابن میثم ۳:۳۸۱. [۲]

۳- ۳) لفظ شرح ابن أبی الحدید ۲:۵۱۰ [۳] کذلک أیضا.

۴- ۴) هود:۷. [۴]

۵- ۵) هود:۷. [۵]

۶- ۶) مقصوده الخبر المروی عن الرضا علیه السّلام الذی یأتی فی شرح الفقره الآتیه.

و نقله فجعله فوق السماوات السبع (۱).

و قال شیخنا المفید:فأمّا العرش الّذی تحمله الملائکه فهو بعض الملک، و هو عرش خلقه اللّه تعالی فی السماء السابعه،و تعبّد الملائکه بحمله و تعظیمه،کما خلق سبحانه بیتا فی الأرض،و أمر البشر بقصده و زیارته، و الحجّ إلیه و تعظیمه،و قد جاء الحدیث:أنّ اللّه تعالی خلق بیتا تحت العرش سمّاه البیت المعمور تحجّه الملائکه فی کلّ عام،و خلق فی السماء الرابعه بیتا سمّاه الضّراح،و تعبّد الملائکه بحجّه و التعظیم له و الطواف حوله،و خلق البیت الحرام فی الأرض فجعله تحت الضّراح (۲).

و روی عن الصادق علیه السّلام أنّه قال:لو ألقی حجر من العرش لوقع علی ظهر البیت المعمور،و لو ألقی حجر من البیت المعمور لسقط علی ظهر البیت الحرام (۳).

و لم یخلق اللّه عرشا لنفسه لیستوطنه-تعالی اللّه عن ذلک-لکنّه خلق عرشا أضافه إلی نفسه تکرمه له و إعظاما،و تعبّد الملائکه بحمله کما خلق بیتا فی الأرض،و لم یخلقه لنفسه و لا لیسکنه (۴).

«و لا مصعدا للکلم الطیّب و العمل الصالح من خلقه» و الأصل فی کلامه علیه السّلام قوله تعالی: «إِلَیْهِ یَصْعَدُ الْکَلِمُ الطَّیِّبُ وَ الْعَمَلُ الصّالِحُ یَرْفَعُهُ» (۵)و الصعود و الرّفع إلی السماوات:صعود و رفع إلی اللّه تعالی فلا تنافی.

۱- ۱) أخرجه الصدوق فی التوحید:۳۲۰ ح ۲،و العیون ۱:۱۱۰ ح ۳۳. [۱]

۲ - ۲) لم أجد الخبر بهذا اللفظ،و لکن ثمّه أخبار عدیده بهذا المعنی،فعن الدر المنثور ۶:۱۱۷-۱۱۸،و [۲]بحار الأنوار ۵۵:۵۸،الباب(۷)،و [۳]الأقوی أن المفید أخذ لفظه من مشایخ الحدیث لکنّه جرّد الخبر عن السند.

۳ - ۳) لم أجد الخبر بهذا اللفظ،و لکن ثمّه أخبار عدیده بهذا المعنی،فعن الدر المنثور ۶:۱۱۷-۱۱۸،و [۴]بحار الأنوار ۵۵:۵۸،الباب(۷)،و [۵]الأقوی أن المفید أخذ لفظه من مشایخ الحدیث لکنّه جرّد الخبر عن السند.

۴- ۴) تصحیح الاعتقاد للمفید:۲۹.

۵- ۵) فاطر:۱۰. [۶]

«جعل نجومها أعلاما یستدلّ بها الحیران فی مختلف فجاج» بالضمّ،قال الفیروز آبادی:هو الطریق الواسع بین الجبلین (۱).

«الأقطار» قال تعالی: «وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِی ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» (۲).

و قال الصادق علیه السّلام:فکّر فی هذه النجوم التی تظهر فی بعض السّنه و تحتجب فی بعضها،کمثل الثریّا و الجوزاء و الشعریین و سهیل،فإنّها لو کانت بأسرها تظهر فی وقت واحد لم یکن لواحد فیها علی حیاله دلالات یعرفها الناس،و یهتدون بها لبعض أمورهم کمعرفتهم الآن بما یکون من طلوع الثریّا و الجوزاء إذا طلعت،و احتجابها إذا احتجبت،فصار ظهور کلّ واحد و احتجابه فی وقت غیر وقت الآخر،لینتفع الناس بما یدلّ کلّ منها علیه علی حدته،و ما جعلت الثریّا و أشباهها تظهر حینا و تحتجب حینا إلّا لضرب من المصلحه،و کذلک جعلت بنات النّعش ظاهره لا تغیب لضرب آخر من المصلحه،فإنّها بمنزله الأعلام التی یهتدی بها الناس فی البرّ و البحر للطّریق المجهوله،و کذلک إنّها لا تغیب و لا تتواری فهم ینظرون إلیها متی أرادوا أن یهتدوا بها إلی حیث شاءوا،و صار الأمر أنّ جمیعا علی اختلافهما موجّهین نحو الإرب و المصلحه،و فیهما مآرب أخری علامات و دلالات علی أوقات کثیره من الأعمال،کالزراعه و الغراس و السّفر فی البرّ و البحر،و أشیاء ممّا یحدث فی الأزمنه من الأمطار و الریاح،و الحرّ و البرد،و بها یهتدی السائرون فی ظلمه اللیل لقطع القفار الموحشه و اللّجج الهائله،مع ما فی تردّدها فی

۱- ۱) القاموس المحیط ۱:۲۰۲ ماده(فجج).

۲- ۲) الأنعام:۹۷. [۱]

كبد السماء (۱).

«لم يمنع ضوء» مفعول مقدّم.

«نورها» أى:نور النّجوم.

«ادلهمام» أى:ظلمه.

«سجف» أى:ستور.

«اللّيل المظلم» قال الصادق عليه السّلام فى إدامه قوله:و جعل فيها(أى فى النجوم)جزءا يسيرا من الضوء ليسدّ مسدّ الأضواء إذا لم يكن قمر،و يمكن فيه الحركه إذا حدثت ضروره،كما قد يحدث الحادث على المرء،فيحتاج إلى التجافى فى جوف الليل،فإن لم يكن شىء من الضوء يهتدى به لم يستطع أن يبرح مكانه،فتأمّل اللّطف و الحكمه فى هذا التقدير حين جعل للظلمه دوله و مدّه لحاجه إليها،و جعل خلالها شىء من الضوء للمآرب التى وصفنا (۲).

«و لا استطاعت جلابيب» أى:ملاحف،قالت امرأه من هذيل ترثى قتيلا:

تمشى النسور إليه و هى لاهيه مشى العذارى عليهنّ الجلابيب

(۳) «سواد الحنادس» أى:الظلم الشديده.

«أن تردّ ما شاع فى السماوات من تلألؤ نور القمر» فيوجد مع الظلام نور، قال الصادق عليه السّلام للمفضّل:فكّر فى إناره القمر فى ظلمه الليل و الإرب فى ذلك، فإنّه مع الحاجه إلى الظلمه لهدوء الحيوان،و برد الهواء على النبات لم يكن صلاح فى أن يكون الليل ظلمه داجيه لا ضياء فيها،فلا يمكن فيه شىء من العمل لأنّه ربّما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم فى بعض

۱- ۱) توحيد المفضل:۱۳۴. [۱]

۲- ۲) توحيد المفضل:۱۳۶. [۲]

۳- ۳) لسان العرب ۱:۲۷۲ [۳] ماده(جلب).

الأعمال فی النهار،و لشدّه الحرّ و إفراطه،فیعمل فی ضوء القمر أعمالا شتّی، کحرث الأرض و ضرب اللبن و قطع الخشب و ما أشبه ذلک،فجعل ضوء القمر معونه للنّاس علی معائشهم إذا احتاجوا إلی ذلک،و أنسا للسائرین،و جعل طلوعه فی بعض اللیل دون بعض،و نقص مع ذلک عن نور الشمس و ضیائها، لکیلا ینبسط الناس فی العمل انبساطهم بالنّهار،و یمتنعوا من الهدوء و القرار فیهلکهم ذلک،و فی تصرّف القمر خاصّه فی مهله و محاقه،و زیادته و نقصانه، و کسوفه من التّنبیه علی قدره اللّه تعالی خالقه،المصرّف له هذا التصریف لصلاح العالم ما یعتبر به المعتبرون (۱).

«فسبحان من لا یخفی علیه سواد غسق» فی(الصحاح):الغسق أوّل ظلمه اللّیل،و الغاسق اللیل إذا غاب الشفق،و قوله تعالی: «وَ مِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ» (۲)قال الحسن:اللیل اذا دخل،و یقال:إنّه القمر (۳).

«داج» قال الأصمعی:دجا اللیل إنّما هو ألبس کلّ شیء،و لیس هو من الظلمه،و منه قولهم:دجی الاسلام،أی:قوی (۴).

قلت:و یمکن أن یکون منه قولهم:و إنّه لفی عیش داج.قالوا:أی عیش خفض.

«و لا لیل ساج» أی:سکن و دام من قوله تعالی: «وَ اللَّیْلِ إِذا سَجی» (۵)و منه البحر الساجی.قال الأعشی:

۱- ۱) توحید المفضل:۱۳۱. [۱]

۲- ۲) الفلق:۳. [۲]

۳- ۳) صحاح اللغه للجوهری ۴:۱۵۳۷ [۳] ماده(غسق).

۴- ۴) قد مرّ الکلام حول تخریجه فی العنوان(۷)من هذا الفصل.

۵- ۵) الضحی:۲. [۴]

فما ذنبنا أن جاش بحر ابن عمكم و بحرك ساج لا يوارى الدعامصا

(۱) «فى بقاع الأرضين المتطأطئات» أى:المنهبطات.

«و لا فى يفاع» أى:ارتفاع،من أيفع الغلام فهو يافع،على خلاف الأصل.

«السّفع» بالضمّ سواد شرب حمره،و منه قيل للأثافى السفع.

«المتجاورات» و المراد بالسّفع المتجاورات هنا الجبال أو الأكم و الأطلال .

«و ما يتجلجل» قال الجوهرى:الجلجله:صوت الرّعد أيضا،و المجلجل السحاب الذى فيه صوت الرّعد (۲).

«به الرّعد فى أفق السّماء» قيده بالأفق غالبى.

«و ما تلاشت» قال ابن أبى الحديد:أهمل بناء تلاشت كثير من أئمه اللغه و هى صحيحه و قد جاءت و وردت،قال ابن الاعرابىّ:لشا الرّجل إذا اتضع و خسّ بعد رفعه (۳)،و إذا صحّ أصلها صحّ استعمال الناس تلاشى الشىء بمعنى اضمحل.و قال القطب الراوندى:تلاشى مركّب من لا شىء،و لم يقف على أصل الكلمه (۴).

قلت:لم يتفطن ابن أبى الحديد أنّ(لشا الرجل)الّذى ذكره ابن الاعرابى أيضا أصله من لا شىء،و المراد أنّه كان شيئا ثمّ صار لا شيئا.و مثل تلاشى قولهم:أيش،و قولهم:بلاش،فإنّ الأصل فى الأوّل أىّ شىء،و فى الثانى بلا شىء،و كذلك قولهم:لوحش فإنّه مخفف لا أوحش،و ليس لنا فى اللّغه أيش،و بلش،و لحش،كما ليس لشىء،و نظيرها فى الفارسيه قولهم:

۱- ۱) أورده لسان العرب ۱۴:۳۷۱ [۱] ماده(سجى).

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهرى ۴:۱۶۵۹ [۲] ماده(جلجل).

۳- ۳) نقله عن ابن الاعرابى ابن منظور فى لسان العرب ۱۵:۲۴۶ ماده(لشا).

۴- ۴) شرح ابن أبى الحديد ۲:۵۱۲. [۳]

(نفرين)فى مقابل(آفرين)،فإنّه مخفّف(نه آفرين)و معنى(آفرين)حييت، و معنى(نفرين):لا حييت.

«عنه بروق الغمام» أى:السحاب.

«و ما تسقط» عطف على سواد.مثل(و ما يتجلجل)و(و ما تلاشت)أى:لا يخفى عليه ما تسقط.

«من ورقه» قال تعالى: «وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاّ يَعْلَمُها وَ لا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ» (۱).

«تزيلها عن مسقطها» أى:مكان سقوطها.

«عواصف» صفه لرياح مقدره،أى:شدائد،و الإضافه فيه بمعنى اللام.

«الأنواء» جمع النّوء بالفتح،و فى(الصحاح)النوء:سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر،و طلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته فى كلّ ساعته إلى ثلاثه عشر يوما،و هكذا كلّ نجم منها إلى انقضاء السّنه ما خلا الجبهه فإنّ لها أربعه عشر يوما.قال أبو عبيد:و لم نسمع فى النّوء أنّه السقوط إلاّ فى هذا الموضع،و كانت العرب تضيف الأمطار و الرياح و الحرّ و البرد إلى الساقط منها.و قال الأصمعى:إلى الطالع منها فى سلطانه فتقول مطر بالنّوء كذا (۲).

«و انهطال السماء» أى:تتابع المطر .

«و يعلم مسقط القطره» أى:قطره المطر.

«و مقرّها» فى سيلانها.

«و مسحب الذّرّه» أى:دبيبها،و الذرّه أصغر النّمل.

۱- ۱) الأنعام:۵۹. [۱]

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهرى ۱:۷۹ [۲] ماده(نوء).

«و مجرّها» أی:مکان تجرّ قوتها إلیه.

«و ما یکفی البعوضه» أی:البق.

«من قوتها» قال تعالی: «وَ ما مِنْ دَابَّهٍ فِی الْأَرْضِ إِلاّ عَلَی اللّهِ رِزْقُها وَ یَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَ مُسْتَوْدَعَها کُلٌّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ» (۱).

«و ما تحمل الأنثی فی بطنها» «وَ ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثی وَ لا تَضَعُ إِلاّ بِعِلْمِهِ وَ ما یُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لا یُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاّ فِی کِتابٍ إِنَّ ذلِکَ عَلَی اللّهِ یَسِیرٌ» (۲)، «وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ» (۳)، «اللّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ » (۴).

«الحمد للّه الکائن قبل أن یکون کرسیّ» الّذی قال فیه: «وَسِعَ کُرْسِیُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» (۵).

«أو عرش» الّذی قال فیه: «وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِیمِ» (۶).

و فی(اعتقادات الصدوق):اعتقادنا فی الکرسی أنّه وعاء جمیع الخلق و العرش و السماوات و الأرض،و کلّ شیء خلق اللّه فی الکرسی فی وجه آخر هو العلم.

و قد سئل الصادق علیه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: «وَسِعَ کُرْسِیُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» قال:هو علمه (۷).

۱- ۱) هود:۶. [۱]

۲- ۲) فاطر:۱۱. [۲]

۳- ۳) لقمان:۳۴. [۳]

۴- ۴) الرعد:۸. [۴]

۵- ۵) البقره:۲۵۵. [۵]

۶- ۶) التوبه:۱۲۹. [۶]

۷- ۷) أخرجه الصدوق فی التوحید:۳۲۷ ح ۱،و معانی الأخبار:۳۰ ح ۲ و الهدایه:۴۶. [۷]

و فيه:اعتقادنا فى العرش أنّه جمله جميع الخلق،و العرش فى وجه آخر هو العلم.

و سئل الصادق عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ «الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى» (۱)فقال:استوى من كلّ شىء،فليس شىء أقرب إليه من شىء (۲).

فأمّا العرش الّذى هو حمل جميع الخلق فحملته ثمانيه من الملائكه،لكلّ واحد منهم ثمانى أعين،كلّ عين طباق الدّنيا (۳)،واحد منهم على صوره بنى آدم فهو يسترزق اللّه لولد آدم،و واحد منهم على صوره الثّور يسترزق اللّه تعالى للبهائم كلّها،و واحد منهم على صوره الأسد يسترزق اللّه تعالى للسّباع، و واحد منهم على صوره الدّيك يسترزق اللّه للطيور،فهم اليوم أربعه،فإذا كان يوم القيامه صاروا ثمانيه (۴).

و أمّا العرش الّذى هو العلم فحملته أربعه من الأوّلين و أربعه من الآخرين،فأمّا الأربعه من الأوّلين،فنوح و ابراهيم و موسى و عيسى عليهم السّلام، و أما الأربعه من الآخرين فمحمّد و علىّ و الحسن و الحسين صلوات اللّه عليهم (۵).

۱- ۱) طه:۵. [۱]

۲- ۲) أخرجه الصدوق بأربع طرق فى التوحيد:۳۱۵ ح ۱،۲،۴،۷،و معانى الأخبار:۲۹ ح ۱،و الهدايه:۴۶ و [۲]الكلينى بثلاث طرق فى الكافى ۱:۱۲۷-۱۲۸ ح ۶،۷،۸،و [۳]على بن ابراهيم فى تفسيره ۲:۵۹. [۴]

۳- ۳) هذا المعنى أخرجه الصدوق فى الخصال ۲:۴۰۷ ح ۴ عن الصادق عليه السّلام.

۴- ۴) هذا المعنى أخرجه الصدوق فى الخصال ۲:۴۰۷ ح ۵ عن الصادق عليه السّلام و على بن ابراهيم فى تفسيره ۱:۸۵ [۵] عن على عليه السّلام،و روى موقوفا بطرق عديده عن وهب بن منبه و أبى مالك و مكحول و عروه،جمعها السيوطى فى الدرّ المنثور ۱:۳۲۸ و ۳:۲۹۸ و ۵:۳۴۶-۳۴۷ و ۶:۲۶۱ [۶] من عدا الصدوق روى بدل الديك(النسر).

۵- ۵) هذا المعنى رواه البحرانى فى البرهان ۴:۹۱ ح ۶ و ۳۷۷ ح ۴،و [۷]شرف الدين فى تأويل الآيات عنه البحار ۵۸:۳۵ ح ۵۶ [۸]عن الباقر عليه السّلام و الكاشانى فى الشافى ۱:۵۷ [۹] عن الكاظم عليه السّلام و على بن ابراهيم فى تفسيره ۲:۳۸۴ [۱۰] بلا عزو،و أخرج قريبا منه الكلينى فى الكافى ۱:۱۳۲ ح ۶ [۱۱] عن الصادق عليه السّلام و على بن ابراهيم فى تفسيره ۲:۲۵۵ [۱۲] بلا عزو.

قال الصدوق:هكذا روى بالأسانيد الصحيحه عن الأئمه فى العرش و حمله (۱).

«أو سماء» «قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ» (۲).

«أو أرض» «وَ هُوَ الَّذِی فِی السَّماءِ إِلهٌ وَ فِی الْأَرْضِ إِلهٌ» (۳).

«أو جانّ أو إنس» «خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ کَالْفَخّارِ وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ» (۴)و معلوم تقدّم الخالق على المخلوق،و الرّبّ على المربوب،و المالك على المملوك.

«لا يدرك بوهم» لعجز الوهم عن إدراكه.

«و لا يقدّر بفهم» لأجلّيته تعالى عن ذلك. «سُبْحانَ رَبِّکَ رَبِّ الْعِزَّهِ عَمّا يَصِفُونَ» (۵).

«و لا يشغله سائل» عن سائل آخر كباقى المسئولين.

«و لا ينقصه نائل» أى:عطاء كباقى المعطين .

«و لا ينظر بعين» كذوى الأرواح.

«و لا يحدّ بأين» كالجسمانيّات،فلا تطلق لفظه(أين)عليه تعالى،قال ابن أبى الحديد بعد قوله عليه السّلام«و لا يحدّ بأين»:و لفظه(أين)فى الأصل مبنيّه على الفتح،فإذا نكّرتها صارت اسما متمكّنا،كما قال الشاعر:

ليت شعرى و أين منّى ليت إنّ ليتا و إن لوّا عناء

(۶)

۱- ۱) الاعتقادات للصدوق:۱۰-۱۱. [۱]

۲- ۲) المؤمنون:۸۶. [۲]

۳- ۳) الزخرف:۸۴. [۳]

۴- ۴) الرحمن:۱۴-۱۵. [۴]

۵- ۵) الصافات:۱۸۰. [۵]

۶- ۶) شرح ابن أبى الحديد ۲:۵۱۳. [۶]

قلت:فی ما قال أوّلا-إنّ(أین)فی قوله علیه السّلام: «و لا یحدّ بأین» أرید به لفظه، فهو اسم متمکّن لا أنّه نکّر،و إنّما یقال فی مثل(صه)إنّه قد ینکّر فیدخله تنوین التّنکیر لا هنا،و ثانیا:إنّ البیت الّذی استشهد به،(أین)فیه علی أصله مبنیّ علی الفتح،و إنّما(لیت)و(لو)أرید بهما فیه اللفظ فصارا اسمین و أعربا،لا(أین) کما هو مدّعاه.

«و لا یوصف بالأزواج» و قال اللّه: «لا تَتَّخِذُوا إِلهَیْنِ اثْنَیْنِ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ فَإِیّایَ فَارْهَبُونِ» (۱).

«و لا یخلق بعلاج» کالبشر «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ» (۲).

«و لا یدرک بالحواسّ» «قالَ رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَیْکَ قالَ لَنْ تَرانِی» (۳).

«و لا یقاس بالنّاس» «لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ وَ هُوَ السَّمِیعُ الْبَصِیرُ » (۴).

«الّذی کلّم موسی تکلیما،و أراه من آیاته عظیما» من جعل عصاه حیّه تسعی،و جعل یده بیضاء من غیر سوء و غیرهما.

قال تعالی: «وَ هَلْ أَتاکَ حَدِیثُ مُوسی إِذْ رَأی ناراً فَقالَ لِأَهْلِهِ امْکُثُوا إِنِّی آنَسْتُ ناراً لَعَلِّی آتِیکُمْ مِنْها بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَی النّارِ هُدیً فَلَمّا أَتاها نُودِیَ یا مُوسی إِنِّی أَنَا رَبُّکَ فَاخْلَعْ نَعْلَیْکَ إِنَّکَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُویً وَ أَنَا اخْتَرْتُکَ فَاسْتَمِعْ لِما یُوحی» ... «وَ ما تِلْکَ بِیَمِینِکَ یا مُوسی قالَ هِیَ عَصایَ أَتَوَکَّؤُا عَلَیْها وَ أَهُشُّ بِها عَلی غَنَمِی وَ لِیَ فِیها مَآرِبُ أُخْری قالَ أَلْقِها یا مُوسی فَأَلْقاها فَإِذا هِیَ حَیَّةٌ تَسْعی قالَ خُذْها وَ لا تَخَفْ سَنُعِیدُها سِیرَتَهَا الْأُولی وَ»

۱- ۱) النحل:۵۱. [۱]

۲- ۲) یس:۸۲. [۲]

۳- ۳) الأعراف:۱۴۳. [۳]

۴- ۴) الشوری:۱۱. [۴]

«وَ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ» (۱).

«فی حجرات القدس مرجحنّین» کمقشعرّین،أی:خاضعین،و فی المثل:

«إذا ارجحنّ شاصیا فارفع یدا» (۲)،یعنی:إذا خضع لک فاکفف عنه.

«متولّهه» أی:متحیّره.

«عقولهم إن یحدّوا أحسن الخالقین» لعدم إمکان ذلک لهم .

«فإنّما یدرک بالصّفات ذوو الهیئات و الأدوات» و هو تعالی منزّه عن أن یکون له هیئه أو أداه.

«و من» بمعنی:الّذی،عطف علی(ذوو).

«ینقضی إذا بلغ أمد حدّه» أی:غایه أجله.

«بالفناء» متعلّق بقوله:«ینقضی»،و هو تعالی باق أبد الآباد،فکیف یمکن إدراکه بالصفات ؟! «فلا إله إلاّ هو» بلا شریک.

«أضاء بنوره» أی:بنهاره.

«کلّ ظلام» من البرّ و البحر و المنکشف و المسقف،و الأرض و السماء.

«و أظلم بظلمته» أی:بلیله.

«کلّ نور» من کوکب و قمر و سراج و نار لعدم إغنائها إغناء کاملا،قال تعالی: «وَ اللَّیْلِ إِذا یَغْشی وَ النَّهارِ إِذا تَجَلّی» (۳)أی یغشی اللّیل کلّ شیء، و یتجلّی بالنّهار کلّ شیء،و لا یقدر أحد أن یظلم نوره أو یضیء ظلامه.و فسّر

۱- ۱) أخرجه الصدوق فی التوحید:۱۸۲ ح ۱۶ ضمن حدیث،و الآیه(۱۱۵)من سوره البقره. [۱]

۲- ۲) أورده الزمخشری فی المستقصی ۱:۱۲۲،و [۲]قال:یضرب فی العفو عن العدو عند ذلّه و استکانته.

۳- ۳) اللیل:۱-۲. [۳]

الشرّاح قوله عليه السّلام: «بنوره» و «بظلمته» بمعان مختلفه،و الأظهر ما عرفت.

۳۰

من الخطبه(۱۱۰)

و من خطبه له عليه السّلام ذكر فيها ملك الموت:

إ:هَلْ تَحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً- أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً- بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ- أَ يَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا- أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا- أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا- كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ- مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَهِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ «هل تحسّ» بالفتح.

«به إذا دخل منزلا» قال الصادق عليه السّلام:ما من أهل بيت شعر و لا وبر إلّا و ملك الموت يتصفّحهم فى كلّ يوم خمس مرّات (۱).

«أم هل تراه إذا توفّى» بلفظ المعلوم.

«أحدا» «قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» (۲)، «فَلَوْ لا إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَ أَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لا تُبْصِرُونَ » (۳).

«بل كيف يتوفّى الجنين ... فى أحشائها» روى الصدوق عن الصادق عليه السّلام:

أنّه قيل لملك الموت:كيف تقبض الأرواح و بعضها فى المغرب و بعضها فى المشرق فى ساعه واحده؟فقال:أدعوها فتجيبنى.قال:فقال ملك الموت عليه السّلام:

إنّ الدّنيا بين يدىّ كالقصعه بين يدى أحدكم يتناول منها ما شاء،و الدّنيا

۱- ۱) أخرجه الكلينى فى الكافى ۳:۲۵۶ ح ۲۲. [۱]

۲- ۲) السجده:۱۱. [۲]

۳- ۳) الواقعه:۸۳-۸۵. [۳]

عندی کالدرهم فی کفّ أحدکم یقلّبه کیف یشاء (۱).

«کیف یصف إلهه من یعجز عن صفه مخلوق مثله» هو نظیر قوله علیه السّلام فی سابقه:«بل إن کنت صادقا أیّها المتکلّف لوصف ربّک فصف جبرائیل و میکائیل...»،بل الإنسان عاجز عن وصف نفسه و روحه «وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی» (۲).فکیف لا یعجز عن وصف ربّ لو کان البحر مدادا لکلماته لنفد البحر قبل أن تنفد کلماته و لو جیء بمثله مددا؟!

۳۱

من الخطبه(۱۶۵)

أَیُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِیُّ وَ الْمُنْشَأُ الْمَرْعِیُّ- فِی ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَ مُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ-.بُدِئْتَ «مِنْ سُلالَهٍ مِنْ طِینٍ» - وَ وُضِعْتَ «فِی قَرارٍ مَکِینٍ إِلی قَدَرٍ مَعْلُومٍ» وَ أَجَلٍ مَقْسُومٍ- تَمُورُ فِی بَطْنِ أُمِّکَ جَنِیناً لَا تُحِیرُ دُعَاءً وَ لَا تَسْمَعُ نِدَاءً- ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّکَ إِلَی دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا- وَ لَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا- فَمَنْ هَدَاکَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْیِ أُمِّکَ- وَ عَرَّفَکَ عِنْدَ الْحَاجَهِ مَوَاضِعَ طَلِبَتِکَ وَ إِرَادَتِکَ- هَیْهَاتَ إِنَّ مَنْ یَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِی الْهَیْئَهِ وَ الْأَدَوَاتِ- فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ- وَ مِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِینَ أَبْعَدُ «أیّها المخلوق» و المراد نوع الإنسان.

«السّویّ» أی:المستقیم من بین ذوی الأرواح،قال الصادق علیه السّلام للمفضّل:انظر إلی ما خصّ به الإنسان فی خلقه تشریفا و تفضیلا علی البهائم، فإنّه خلق ینتصب قائما و یستوی جالسا لیستقبل الأشیاء بیدیه و جوارحه،

۱- ۱) أخرجه الصدوق فی الفقیه ۱:۸۰ ح ۱۲.

۲- ۲) الاسراء:۸۵. [۱]

و یمکنه العلاج و العمل بهما،فلو کان مکبوبا علی وجهه کذوات الأربع لما استطاع أن یعمل شیئا من الأعمال (۱).

«و المنشأ» «وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَهٍ» (۲)، «هُوَ أَنْشَأَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَکُمْ فِیها» (۳).

«المرعیّ» من قبل ربّه فی نشوئه.

«فی ظلمات الأرحام» «یَخْلُقُکُمْ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِی ظُلُماتٍ ثَلاثٍ» (۴).

«و مضاعفات الأستار» ستر البطن،و ستر الرّحم،و ستر المشیمه،قال الصادق علیه السّلام للمفضّل:تصور الجنین فی الرّحم حیث لا تراه عین و لا تناله ید، تدبّره حتّی یخرج سویّا مستوفیا جمیع ما فیه قوامه و صلاحه من الأحشاء و الجوارح،و العوامل إلی ما فی ترکیب أعضائه من العظام و اللحم و الشّحم و المخّ و العصب و العروق و الغضاریف،فإذا أخرج إلی العالم تراه کیف ینمو بجمیع أعضائه،و هو ثابت علی شکل و هیئه لا- تتزاید و لا- تنقص إلی أن یبلغ أشدّه،إن مدّ فی عمره،أو یستوفی مدّته قبل ذلک،هل هذا إلاّ من لطیف التّدبیر و الحکمه (۵).

«بدئت من سلاله من طین،و وضعت فی قرار مکین» الأصل فیه قوله تعالی:

«وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ طِینٍ ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَهً فِی قَرارٍ مَکِینٍ» (۶).

۱- ۱) توحید المفضل:۵۸. [۱]

۲- ۲) الأنعام:۹۸. [۲]

۳- ۳) هود:۶۱. [۳]

۴- ۴) الزمر:۶. [۴]

۵- ۵) توحید المفضل:۵۷. [۵]

۶- ۶) المؤمنون:۱۲-۱۳. [۶]

و سلاله من قولهم سللت الشّیء من الشیء إذا استخرجته منه،و هو خلاصته، و «مِنْ طِینٍ» متعلّق بقوله «سُلالَهٍ» .

«إلی قدر معلوم و أجل مقسوم» من ستّه أشهر إلی تسعه أشهر،أیّام الحمل و مدّه تحوّلات النطفه إلی نفخ الروح فیه،کما قال عزّ و جلّ: «ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَهَ عَلَقَهً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَهَ مُضْغَهً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَهَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَکَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ » (۱).

«تمور» أی:تتحرّک،قال الأعشی:

کأنّ مشیتها من بیت جارتها مور السّحابه لا ریث و لا عجل

(۲) «فی بطن أمّک جنینا» «وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّهٌ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ» (۳).

«لا تحیر» أی:لا تجیب،و منه المحاوره.

«دعاء» إذا دعاک أحد.

«و لا تسمع نداء» إذا نودیت،قال الصادق علیه السّلام فی ذکر خلق الإنسان:

فأوّل ذلک ما یدبّر به الجنین فی الرحم،و هو محجوب فی ظلمات ثلاث:ظلمه البطن،و ظلمه الرحم،و ظلمه المشیمه،حیث لا حیله عنده فی طلب غذاء،و لا دفع أذی،و لا استجلاب منفعه،و لا دفع مضرّه،فإنّه یجری إلیه من دم الحیض ما یغذوه الماء و النّبات،فلا یزال ذلک غذاءه حتّی إذا کمل خلقه،و استحکم بدنه،و قوی أدیمه علی مباشره الهواء،و بصره علی ملاقاه الضیاء،هاج الطلق بأمّه فأزعجه أشدّ إزعاج،و أعنفه حتّی یولد،فإذا ولد صرّف ذلک الدم الّذی کان یغذوه من دم أمّه إلی ثدیها،و انقلب الطّعم و اللون إلی ضرب آخر من

۱- ۱) المؤمنون:۱۴. [۱]

۲- ۲) أورده لسان العرب ۵:۱۸۶ [۲] ماده(مور).

۳- ۳) النجم:۳۲. [۳]

الغـذاء،و هو أشدّ موافقه للمولود من الدّم فيوافيه فی وقت حاجته إليه،فحين يولد قد تلمّظ و حرّک شـفتيه طلبا للرضاع،فهو يجد ثـدی أمّه کالإـداوتين المعلّقتين لحـاجته،فلا يزال يغتـذی باللبن ما دام رطب البـدن،رقيق الأمعاء،ليّن الأعضاء حتّی إذا تحرّک و احتاج إلی غذاء فيه صـلابه ليشتدّ و يقوی بدنه، طلعت له الطواحن من الأسنان و الأضراس ليمضغ بها الطعام فيلين عليه، و يسهل له إسـاغته،فلاـ يزال کـذلک حتّی يـدرک فـإذا أدرک و کان ذکرا طلع الشـعر فی وجهه فکان ذلک علامه الـذّکر،و عزّ الرجل الـذی يخرج به من حدّ الصـبا و شـبه النساء،و إن کانت أنثی يبقی وجهها نقيّا من الشـعر لتبقی لها البهجه و النضاره التی تحرّک الرجال لما فيه دوام النّسل و بقاؤه.

اعتبر يا مفضّل فی ما يـدبّر به الإنسان فی هـذه الأحوال المختلفه،هل تری مثله يمکن أن يکون بالإهمال؟أ فرأيت لو لم يجر إليه ذلک الدّم و هو فی الرّحم،ألم يکن سيذوی و يجفّ کما يجفّ النّبات إذا فقد الماء،و لو لم يزعجه المخاض عند استحکامه،ألم يکن سـيبقی فی الرّحم کالموءوده فی الأرض، و لو لم يوافقه اللبن مع ولادته،ألم يکن سـيموت جوعا أو يغتذی بغذاء لا يلائمه و لاـ يصـلح عليه بـدنه،و لو لم تطلع له الأسـنان فی وقتهـا،أ لم يکن سـيمتنع عليه مضغ الطعام و إساغته أو يقيمه علی الرّضاع،فلا يشـتدّ بدنه و لا يصلح لعمل،ثمّ کان يشغل أمّه بنفسه عن تربيه غيره من الأولاد،و لو لم يخرج الشعر فی وجهه فی وقته،أ لم يکن سيبقی فی هيئه الصبيان و النساء،فلا تری له جلاله و لا وقارا ؟! (۱)«ثمّ أخرجت من مقرّک» من الرّحم.

«إلی دار لم تشهدها» و هی هذا العالم.

۱- ۱) توحيد المفضل:۴۸. [۱]

«و لم تعرف سبل منافعها» «وَ اللّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً» (۱).

قال الصادق عليه السّلام:و لو كان المولود يولد فهما عاقلا- لأنكر العالم عند ولادته،و لبقى حيرانا تائه العقل إذا رأى ما لم يعرف،و ورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم و الطير،إلى غير ذلك ممّا يشاهده ساعه بعد ساعه،و يوما بعد يوم.

و اعتبر ذلك بأنّ من سبى من بلد إلى بلد،و هو عاقل يكون كالواله الحيران،فلا يسرع فى تعلّم الكلام،و قبول الأدب كما يسرع الّذى يسبى صغيرا غير عاقل.ثمّ لو ولد عاقلا- كان يجد غضاضه إذا رأى نفسه محمولا- مرضعا معصّبا بالخرق مسجّى فى المهد،لأنّه لا يستغنى عن هذا كلّه لرقّه بدنه،و رطوبته حين يولد.ثمّ كان لا يوجد له من الحلاوه و الوقع من القلوب ما يوجد للطفل،فصار يخرج إلى الدنيا غبيّا غافلا عمّا فيه أهله،فيلقى الأشياء بذهن ضعيف و معرفه ناقصه،ثمّ لا يزال يتزايد فى المعرفه قليلا قليلا و شيئا بعد شىء و حالا بعد حال،حتّى يألف الأشياء و يتمرّن و يستمرّ عليها،فيخرج من حدّ التأمّل لها و الحيره فيها إلى التصرّف و الاضطراب،إلى المعاش بعقله و حيلته،و إلى الاعتبار و الطاعه و السّهو و الغفله و المعصيه (۲).

«فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدى أمّك و عرّفك عند الحاجه موضع طلبتك و إرادتك» و لو لا هدايته تعالى و عرفانه لو كان عقلاء العالم مجمعين على أن يهدوه لعجزوا.

هذا،و فى(حيوان الجاحظ):أنّ طاعونا جارفا جاء فى البصره على أهل

۱- ۱) النحل:۷۸. [۱]

۲- ۲) توحيد المفضل:۵۱. [۲]

دار فلم يشكّ أهل تلك المحلّه أنّه لم يبق فيها صغير و لا كبير،و قد كان فيها صبى يرتضع و يحبو،و لا يقوم على رجليه،فعمد من بقى من المطعونين من أهل تلك المحلّه إلى باب تلك الدّار،فسدّوه فلمّا كان بعد ذلك بأشهر تحوّل فيها بعض ورثه القوم،ففتح الباب فلمّا أفضى إلى عرصه الدّار إذا هو بصبىّ يلعب مع جراء كلبه قد كانت لأهل الدّار فراعه ذلك،فلم يلبث أن أقبلت كلبه فلمّا رآها الصبى حبا إليها،فأمكنته من أطبائها،فمصّ ها فظنّوا أنّ الصّبى لما بقى فى الدار و صار منسيّا و اشتدّ جوعه و رأى جراء الكلبه تستقى من أطبائها،حبا إليها،فعطفت عليه،فلما سقته مرّه أدامت ذلك له،و أدام هو الطلب،و الّذى ألهم هذا المولود مصّ إبهامه ساعه يولد،و لم يعرف كيف الارتضاع،هو الّذى هداه إلى الارتضاع من أطباء الكلبه (۱).

۳۲

من الخطبه(۱۵۸)

و من خطبه له عليه السّلام:

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَ حِكْمَهٌ وَ رِضَاهُ أَمَانٌ وَ رَحْمَهُ- يَقْضِ ى بِعِلْمٍ وَ يَعْفُو بِحِلْمٍ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْ دُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَ تُعْطِى- وَ عَلَى مَا تُعَافِى وَ تَبْتَلِى- حَمْ داً يَكُونُ أَرْضَ ى الْحَمْ دِ لَكَ- وَ أَحَبَّ الْحَمْ دِ إِلَيْكَ وَ أَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ- حَمْداً يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ وَ يَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ- حَمْ داً لَا يُحْجَبُ عَنْكَ وَ لَا يُقْصَ رُ دُونَكَ- حَمْ داً لَا يَنْقَطِعُ عَ دَدُهُ وَ لَا يَفْنَى مَدَدُهُ- فَلَسْ نَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ- إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ- لَا تَأْخُذُكَ سِ نَهٌ وَ لَا نَوْمٌ- لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ وَ لَمْ يُ دْرِكْكَ بَصَ رٌ- أَدْرَكْتَ الْأَبْصَارَ وَ أَحْصَ يْتَ الْأَعْمَالَ- وَ أَخَ ذْتَ بِالنَّوَاصِى وَ الْأَقْدَامِ- وَ مَا الَّذِى نَرَى مِنْ خَلْقِكَ- وَ نَعْجَبُ لَهُ مِنْ

۱- ۱) الحيوان للجاحظ ۲:۱۵۵ و [۱]النقل بتصرف فى اللفظ،و لم يتعرّض الشارح لشرح قوله:«هيهات إن من يعجز...».

قُدْرَتِکَ- وَ نَصِفُهُ مِنْ عَظِیمِ سُلْطَانِکَ- وَ مَا تَغَیَّبَ عَنَّا مِنْهُ وَ قَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ- وَ انْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ- وَ حَالَتْ سُتُورُ الْغَیْبِ بَیْنَنَا وَ بَیْنَهُ أَعْظَمُ «أمره قضاء» لا مردّ له «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ» (۱).

«و حکمه» و لو لم یهتد إلیها الأفهام،فقالت الملائکه فی خلق آدم:

«أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها وَ یَسْفِکُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ وَ نُقَدِّسُ لَکَ قالَ إِنِّی أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ» (۲)،و کم من أمر خفیت حکمته أوّلا و ظهرت أخیرا، «فَلَمّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ إِنِّی أَعْلَمُ غَیْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما کُنْتُمْ تَکْتُمُونَ » (۳).

«و رضاه» تعالی عن العبد.

«أمان» من عذابه.

«و رحمه» منه تعالی .

«یقضی» بین عباده.

«بعلم» فیقضی حقّا .

«و یعفو» عمّن یستحقّ العقوبه.

«بحلم» «وَ لَوْ یُؤاخِذُ اللّهُ النّاسَ بِظُلْمِهِمْ ما تَرَکَ عَلَیْها مِنْ دَابَّهٍ » (۴).

«اللّهمّ لک الحمد علی ما تأخذ و تعطی» لأنّ کلّا منهما علی حسب المصلحه،و فی الخبر:قال موسی علیه السّلام:یا ربّ رضیت بما قضیت،تمیت

۱- ۱) یس:۸۲. [۱]

۲- ۲) البقره:۳۰. [۲]

۳- ۳) البقره:۳۳. [۳]

۴- ۴) النحل:۶۱. [۴]

الكبير،و تبقى الصغير.فقال تعالى:يا موسى!أما ترضانى لهم رازقا و كفيلا؟ قال:بلى يا ربّ،فنعم الوكيل أنت و نعم الكفيل (۱).

«و على ما تعافى و تبتلى» لأنّ ابتلاءه من الحكمه،و فى الخبر:أوحى تعالى إلى موسى عليه السّلام ما خلقت خلقا أحبّ إلىّ من عبدى المؤمن،فإنّى إنّما ابتليه لما هو خير له،و أعافيه لما هو خير له،و أزوى عنه ما هو شرّ له لما هو خير له،و أنا أعلم بما يصلح عليه عبدى،فليصبر على بلائى،و ليشكر نعمائى، و ليرض بقضائى،أكتبه فى الصّدّيقين عندى (۲).

و إذا كان أمره تعالى عن حكمه و قضاه بعلم و عفوه عن حلم يجب حمده تعالى على كلّ فعل منه تعالى،كما قال عليه السّلام،و لكن كثيرا من العامّه قالوا:

إنّ له تعالى أن يفعل كلّ ما شاء،لا من حيث الحكمه،بل من حيث قدرته كالسّبع القوى.

قال الغزالى:إنّ السّبع يخاف لا لجنايه سبقت إليه،بل لصفته و بطشه و هيبته،و لأنّه يفعل ما يفعل و لا يبالى،فإن قتلك لم يرقّ قلبه،و إن خلاّك لم يخلّك شفقه عليك،و إبقاء على روحك،بل أنت أخسّ عنده من أن يلتفت إليك، بل إهلاك ألف مثلك،و إهلاك نمله عنده على و تيره واحده،و إذ لا يقدح ذلك فى عالم سبعيته،و ما هو موصوف به من قدرته و سطوته «وَ لِلّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى» (۳)و لكن من عرفه عرفه بالمشاهده الباطنه التى هى أقوى و أوثق من المشاهده الظاهره،إنّه صادق فى قوله:«هؤلاء إلى الجنّه و لا أبالى، و هؤلاء إلى النّار و لا أبالى... (۴)و ما أجهل قوما يصفون إلههم هكذا،تعالى عمّا يقولون علوّا كبيرا.

۱- ۱) أخرجه الصدوق فى التوحيد:۳۷۴ ح ۱۸.

۲- ۲) أخرجه الكلينى فى الكافى ۲:۶۱ ح ۷،و [۱]أبو على الطوسى فى أماليه ۱:۲۴۳. [۲]

۳- ۳) النحل:۶۰. [۳]

۴- ۴) قاله الغزالى فى إحياء العلوم ۴:۱۳۹،و [۴]النقل بتصرف يسير

«حمدا یکون أرضی الحمد لک...حمدا لا ینقطع عدده،و لا یفنی مدده» و فی (دعاء تحمید الصحیفه):حمدا نعمّر به فی من حمده من خلقه،و نسبق به من سبق إلی رضاه و عفوه،حمدا یضیء لنا به ظلمات البرزخ،و یسهل علینا به سبیل المبعث،و یشرّف به منازلنا عند مواقف الأشهاد یوم تجزی «کُلُّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ» (۱)، «یَوْمَ لا یُغْنِی مَوْلًی عَنْ مَوْلًی شَیْئاً وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ» (۲)حمدا یرتفع منّا إلی أعلی علّیین فی «کِتابٌ مَرْقُومٌ یَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ» (۳)حمدا تقرّ به عیوننا إذا برقت الأبصار،و تبیضّ به وجوهنا إذا اسودّت الأبشار،حمدا نعتق به من ألیم نار اللّه إلی کریم جوار اللّه،حمدا نزاحم به ملائکته المقرّبین،و نضامّ به أنبیاءه المرسلین،فی دار المقامه التی لا تزول،و محلّ کرامته التی لا تحول (۴).

أیضا:و الحمد للّه بکلّ ما حمده به أدنی ملائکته إلیه،و أکرم خلیقته علیه،و أرضی حامدیه لدیه،حمدا یفضل سائر الحمد،کفضل ربّنا علی جمیع خلقه.ثمّ له الحمد مکان کلّ نعمه له علینا،و علی جمیع عباده الماضین و الباقین (۵).

«فلسنا نعلم کنه عظمتک» قال السجاد علیه السّلام:لو اجتمع أهل السماء و الأرض علی أن یصفوا اللّه بعظمته ما قدروا (۶).

«إلّا أنّا نعلم أنّک حیّ قیّوم لا تأخذک سنه و لا نوم» کما وصف نفسه

۱- ۱) الجاثیه:۲۲. [۱]

۲- ۲) الدخان:۴۱. [۲]

۳- ۳) المطففین:۲۰-۲۱. [۳]

۴- ۴) الصحیفه السجادیه الکامله:۲۵ [۴] الدعاء(۱).

۵- ۵) الصحیفه السجادیه الکامله:۲۸ [۵] الدعاء(۱).

۶- ۶) أخرجه الکلینی فی الکافی ۱:۱۰۲ ح ۴ و [۶]النقل بتصرف یسیر.

عزّ و جلّ فی قوله: «اللّهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ الْحَیُّ الْقَیُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَهٌ وَ لا نَوْمٌ» (۱).

و سئل الرضا علیه السّلام عن أدنی المعرفه فقال:الإقرار بأنّه لا إله غیره،و لا شبه له و لا نظیر،و أنّه قدیم مثبت،موجود غیر فقید،و أنّه لیس کمثله شیء (۲).

«لم ینته إلیک نظر» من نبیّ أو ملک .

«و لم یدرکک بصر» من جنّ أو إنس،و النظر أعمّ من أن یکون بالبصر .

«أدرکت الأبصار» «لا تُدْرِکُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ یُدْرِکُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ» (۳).

«و أحصیت الأعمار» هکذا فی(المصریه)،و(الأعمال)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم) (۴).

قال تعالی حکایه عن العباد یوم التّناد: «وَ یَقُولُونَ یا وَیْلَتَنا ما لِهذَا الْکِتابِ لا یُغادِرُ صَغِیرَهً وَ لا کَبِیرَهً إِلّا أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً » (۵).

«و أخذت بالنواصی و الأقدام» قال تعالی: «ما مِنْ دَابَّهٍ إِلّا هُوَ آخِذٌ بِناصِیَتِها إِنَّ رَبِّی عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ» (۶).

و احتمل الخوئی (۷)أن یکون کلامه علیه السّلام إشاره إلی قوله عزّ و جلّ:

«یُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِیماهُمْ فَیُؤْخَذُ بِالنَّواصِی وَ الْأَقْدامِ» (۸).و هو کما تری.

۱- ۱) البقره:۲۵۵. [۱]

۲- ۲) أخرجه الکلینی فی الکافی ۱:۸۶ ح ۱،و [۲]الصدوق فی التوحید:۲۸۳ ح ۱،و العیون ۱:۱۰۹ ح ۲۹. [۳]

۳- ۳) الأنعام:۱۰۳. [۴]

۴- ۴) فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۴۴۷،و [۵]شرح ابن میثم ۳:۲۷۷«الأعمار»أیضا.

۵- ۵) الکهف:۴۹. [۶]

۶- ۶) هود:۵۶. [۷]

۷- ۷) شرح الخوئی ۴:۲۳۸.

۸- ۸) الرحمن:۴۱. [۸]

«و ما الّذی نری من خلقک...و حالت ستور» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:

(سواتر)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه) (۱).

«الغیب بیننا و بینه أعظم» و فی الخبر:أنّ فی السّماوات السّبع لبحارا عمق أحدها مسیره خمسمائه عام فیها ملائکه قیام منذ خلقهم اللّه تعالی، و الماء إلی رکبهم (۲).

۳۳

من الکتاب(۳۱)

وَ اعْلَمْ یَا بُنَیَّ- أَنَّهُ لَوْ کَانَ لِرَبِّکَ شَرِیکٌ لَأَتَتْکَ رُسُلُهُ- وَ لَرَأَیْتَ آثَارَ مُلْکِهِ وَ سُلْطَانِهِ- وَ لَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَ صِفَاتِهِ- وَ لَکِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ کَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ- لَا یُضَادُّهُ فِی مُلْکِهِ أَحَدٌ وَ لَا یَزُولُ أَبَداً وَ لَمْ یَزَلْ- أَوَّلٌ قَبْلَ الْأَشْیَاءِ بِلَا أَوَّلِیَّهٍ- وَ آخِرٌ بَعْدَ الْأَشْیَاءِ بِلَا نِهَایَهٍ- عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِیَّتُهُ بِإِحَاطَهِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ- فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِکَ فَافْعَلْ- کَمَا یَنْبَغِی لِمِثْلِکَ أَنْ یَفْعَلَهُ فِی صِغَرِ خَطَرِهِ- وَ قِلَّهِ مَقْدِرَتِهِ وَ کَثْرَهِ عَجْزِهِ- و عَظِیمِ حَاجَتِهِ إِلَی رَبِّهِ فِی طَلَبِ طَاعَتِهِ- وَ الْخَشْیَهِ مِنْ عُقُوبَتِهِ- وَ الشَّفَقَهِ مِنْ سُخْطِهِ فَإِنَّهُ لَمْ یَأْمُرْکَ إِلَّا بِحَسَنٍ- وَ لَمْ یَنْهَکَ إِلَّا عَنْ قَبِیحٍ قوله علیه السّلام : «و اعلم یا بنیّ أنّه لو کان لربک شریک...و لعرفت أفعاله و صفاته» برهان عقلی علی وحده الصانع فکلّ رسول جاء من ربّ واحد،فلو کان ربّ آخر موجودا لأرسل أیضا رسلا،و کلّ ما عرفنا من آثار الملک و السلطان لم نعرفها من غیر إله واحد،فلو کان إله آخر لخلق سماوات أخر،و أرضا أخری، کما نری لغیر ملکنا ملوکا آخرین لهم ممالک،و کلّ ما عرفنا من أفعال الإله

۱- ۱) فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۴۴۷،و شرح ابن میثم ۳:۲۷۷«ستور»أیضا.

۲- ۲) أخرجه الصدوق فی التوحید:۲۸۱ ح ۹.

و صفاته لم نعرفهما من غير خالق واحد،فلو كان خالق آخر لعرّفنا صفاته بأنّ صفاتی هکذا غير صفات ذاک الخالق،مثلا عرّف عبد الملک أخلاقه بأنّه ليس کعثمان،و لا کمعاويه،و لا کيزيد،الثّلاثه قبله من عشيرته.

و الاستدلال بالبرهان العقلی علی توحيده تعالی فی القرآن أيضا کثير، کقوله تعالی: «قُلْ لَوْ کانَ مَعَهُ آلِهَهٌ کما يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلی ذِی الْعَرْشِ سَبِيلاً- سُبْحانَهُ وَ تَعالی عَمّا يَقُولُونَ عُلُوًّا کَبِيراً» (۱)،و کقوله تعالی: «أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَهً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ لَوْ کانَ فِيهِما آلِهَهٌ إِلَّا اللّهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ» (۲)،و کقوله تعالی: «مَا اتَّخَذَ اللّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ ما کانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ کُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَ لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلی بَعْضٍ سُبْحانَ اللّهِ عَمّا يَصِفُونَ» (۳)،و کقوله تعالی: «قُلْ أَ رَأَيْتُمْ شُرَکاءَکُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أَرُونِی ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْکٌ فِی السَّماواتِ أَمْ آتَيْناهُمْ کِتاباً فَهُمْ عَلی بَيِّنَهٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلّا غُرُوراً» (۴)،و کقوله تعالی: «أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَکُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَهٍ ما کانَ لَکُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَ إِلهٌ مَعَ اللّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَ جَعَلَ لَها رَواسِیَ وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً أَ إِلهٌ مَعَ اللّهِ بَلْ أَکْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَکْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُکُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللّهِ قَلِيلاً- ما تَذَکَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيکُمْ فِی ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَیْ رَحْمَتِهِ أَ إِلهٌ مَعَ اللّهِ تَعالَی اللّهُ عَمّا يُشْرِکُونَ أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ»

۱- ۱) الإسراء:۴۲-۴۳. [۱]

۲- ۲) الأنبياء:۲۱-۲۲. [۲]

۳- ۳) المؤمنون:۹۱. [۳]

۴- ۴) فاطر:۴۰. [۴]

وَ مَنْ یَرْزُقُکُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (۱).

«و لکنّه إله واحد» بعد ثبوت عدم شریک له.

«کما وصف نفسه» فی قوله: «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ» (۲)،و قد عرفت البرهان علی عدم إمکان تعدّده.

و لمّا قال الحباب بن المنذر یوم السقیفه لقریش،إن أبیتم فمنّا أمیر و منکم أمیر.قال عمر:هیهات لا یجتمع سیفان فی غمد واحد (۳).

و کان ابن عبّاس فی وقعه الحرّه فی الطائف فسأل عن أمیر أهل المدینه،فقیل له:عبد اللّه بن مطیع علی قریش،و عبد اللّه بن حنظله علی الأنصار.فقال:أمیران!هلک القوم (۴).

و لمّا خرج عبد الملک لقتال مصعب أغلق عمرو بن سعید الأشدق باب دمشق فرجع عبد الملک،و صالحه علی کون عمرو خلیفته،و أنّ له مع کلّ عامل عاملا،و أن یکون بیده بیت المال،ثمّ بعث إلیه یوما أحبّ أن أخلو بک لأشاورک فی أمور،فلمّا وقع عنده أمر بأخذه فأخذ و أمر أخاه أن یقتله،و خرج للصّلاه فرجع و رأی أنّه لم یقتله،فشتمه و أخذ الحربه بیده،و قال له:لو علمت أنّک تبقی و یصلح لی ملکی لفدیتک بدم النّاظر،و لکن قلّما اجتمع فحلان فی ذود إلّا عدا أحدهما علی الآخر،و رفع الحربه فقتله (۵).

۱- ۱) النمل:۶۰-۶۴. [۱]

۲- ۲) الاخلاص:۱. [۲]

۳- ۳) رواه الطبری فی تاریخه ۲:۴۵۷ [۳] سنه(۱۱)،و ابن قتیبه فی الإمامه و السیاسه ۱:۷،و [۴]الجوهری فی السقیفه:۶۲. [۵]

۴- ۴) نقله ابن عبد ربه فی العقد الفرید ۵:۱۲۹. [۶]

۵- ۵) نقل القصه الطبری فی التاریخ ۴:۵۹۹ سنه(۶۹)،و المسعودی فی مروج الذهب ۳:۱۰۴،و [۷]ابن قتیبه فی الإمامه و السیاسه ۲:۲۶ بفرق یسیر.

و قال المنصور لقتيبه بن مسلم:ما تقول فى قتل أبى مسلم؟قال: «لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللّهُ لَفَسَدَتا» .قال:حسبك يا أبا أميّه (۱).

«لا يضادّه فى ملكه أحد» كما يضادّ ملوك الدّنيا كثيرا كثيرا.

«و لا يزول أبدا و لم يزل» أى:أنّه أبدىّ سرمدىّ .

«أوّل قبل الأشياء بلا أوّليّه،و آخر بعد الأشياء بلا نهايه» «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ» (۲).

«عظم عن أن تثبت ربوبيّته بإحاطه قلب أو بصر» قال الجواد عليه السّلام:أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون،أنت قد تدرك بوهمك السّند و الهند،و البلدان التى لم تدخلها،و لم تدركها ببصرك،و أوهام القلوب لا تدركه،فكيف أبصار العيون (۳).

«فإذا عرفت ذلك» أنّه إله واحد لا يضاده فى ملكه أحد،و أنّه لا يزول و لم يزل،و أنّه أوّل قبل الأشياء بلا أوّليه له،و آخر بعدها بلا نهايه له،و ربوبيّته أجلّ من أن يحيط به بصر أو قلب.

«فافعل كما ينبغى لمثلك» مسكين تقتله الشّرقه،و تؤلمه البقه،و تنتنه العرقه،مكتوم الأجل،مكنون العلل،محفوظ العمل.

«أن يفعله فى صغر خطره» أى:خسّه قيمته.

«و قلّه مقدرته» فلم يقدر على عمل أمر صغير إذا لم يكن مقدّرا.

«و كثره عجزه» فى أموره،و لو كان ملكا.

۱- ۱) ذكر قصه قتل أبى مسلم جمع منهم الطبرى فى التاريخ ۶:۱۲۷ [۱] سنه(۱۳۷)بتفصيل،لكن لم أجد فى كلامهم ذكر قتيبه بن مسلم.و الآيه(۲۲)من سوره الأنبياء. [۲]

۲- ۲) الحديد:۳. [۳]

۳- ۳) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۹۹ ح ۱۱،و [۴]الصدوق فى التوحيد:۱۱۳ ح ۱۲،و رواه الطبرسى فى الاحتجاج ۲:۴۴۲ [۵] عن أبى هاشم الجعفرى عن الجواد عليه السّلام،و روى معناه عن عدّه طرق أخرجته فى العنوان(۱)من هذا الفصل.

ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرّياح بما لا تشتهى السّفن

(۱) «و عظيم حاجته إلى ربّه» آنا فآنا،و فى دعاء الثمالى:«لا الّذى أحسن استغنى عن عونك و رحمتك،و لا الّذى أساء و اجترأ عليك و لم يرضك خرج عن قدرتك» (۲).

«فى طلب طاعته» بتوفيقه.

«و الخشيه» هكذا فى(المصريه)،و الصواب:(و الرّهبه)كما فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (۳)،أى:الخوف.

«من عقوبته» فلا تقوم لها السماوات و الأرض،فكيف مثل الإنسان الضعيف.

«و الشّفقه» أى:الخوف.

«من سخطه» أى:غضبه.فغضبه إهلاك من غضب عليه.

«فإنّه لم يأمرك إلاّ بحسن،و لم ينهك إلاّ عن قبيح» فيجب عقلا إطاعته فى أوامره لكونها وفق صلاحه،و فى زواجره لترتّب المفاسد عليها.

۳۴

من الحكمه(۲۵۰)

و قال عليه السّلام:

عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ- وَ حَلِّ الْعُقُودِ أقول:قال ابن أبى الحديد:هذا فصل يتضمّن كلاما دقيقا يذكره المتكلّمون فى الخاطر الّذى يخطر عن غير موجب لخطوره،فإنّه لا يجوز أن

۱- ۱) أورده التفتازانى فى المطول:۱۲۶ [۱] أحوال المسند إليه،و الشاعر أبو الطيب المتنبى.

۲- ۲) هذه من أوائل دعاء أبى حمزه رواه الطوسى عن أبى حمزه الثمالى عن السجاد عليه السّلام فى مصباح المتهجد:۵۲۴. [۲]

۳- ۳) فى شرح ابن أبى الحديد ۴:۲۸،و شرح ابن ميثم ۵:۲۲« [۳]الخشيه أيضا».

يكون الإنسان أخطره بباله،و إلّا لكان ترجيحا من غير مرجح لجانب الوجود على جانب العدم،فلا بدّ أن يكون المخطر له بالبال شيئا خارجا عن ذات الإنسان،و ذاك الشيء هو الشيء المسمّى بصانع العالم.

ثمّ قال:و يقال:إنّ عضد الدوله وقعت فى يده قصّه و هو يتصفّح القصص فأمر بصلب صاحبها،ثمّ أتبع الخادم خادما آخر يقول له:قل للمطهّر -و كان وزيره-لا يصلبه،و لكن أخرجه من الحبس فاقطع يده اليمنى،ثمّ أتبعه خادما ثالثا فقال:بل تقول له يقطع أعصاب رجليه،ثمّ أتبعه خادما آخر فقال له:ينقله إلى القلعه بسيراف فى قيوده فيجعله هناك،فاختلف دواعيه فى ساعه واحده أربع مرّات (۱).

قلت:و الظاهر أنّ الخبر الذى روى عن النبى صلّى اللّه عليه و آله:«ما من آدميّ إلاّ و قلبه بين إصبعين من أصابع اللّه» (۲)فى معنى كلامه عليه السّلام :

«عرفت اللّه بفسخ العزائم و حلّ العقود» بأن يكون معناه أنّه تعالى يتصرّف فى قلوب عبيده كيف شاء بعزمها على أمر،و عقدها له فيفسخها و يحلّها،و بالعكس،كتصرّف من أخذ خاتما بين إصبعيه فيه،و يشهد له قوله تعالى: «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» (۳)، و الحديث القدسى:«لا تقضوا أوقاتكم بسبّ الملوك فإنّ قلوبها بيدى أجعلها

۱- ۱) شرح ابن أبى الحديد ۴:۳۵۰. [۱]

۲- ۲) أخرجه ابن ماجه فى سننه ۱:۷۲ ح ۱۹۹،و أحمد فى مسنده ۴:۱۸۲،و [۲]الحاكم فى المستدرك،و الطبرانى فى معجمه الكبير،و الدار قطنى فى الصفات عنهم منتخب كنز العمال ۱:۱۱۴،و:۱۱۶ عن النواس بن سمعان عن النبى صلّى اللّه عليه و آله، و روى أيضا عن طريق أنس بن مالك و عبد اللّه بن عمر و أمّ سلمه عن النبى صلّى اللّه عليه و آله،و أخرجه الصدوق فى علل الشرائع ۲:۶۰۴ ح ۷۵ [۳] عن الباقر عليه السّلام،و شرحه الشريف الرضى فى المجازات النبويه:۳۴۶،و [۴]الشريف المرتضى فى أماليه ۲:۲ المجلس(۲۲)،و تنزيه الأنبياء:۱۲۵،و [۵]ابن قتيبه فى تأويل المختلف:۲۰۸،و لفظ الكتاب للرضى.

۳- ۳) الانفال:۲۴. [۶]

رحیما علیکم» (۱).

و أمّا قول المصنّف فی(مجازاته النبویّه):إنّ معنی قلبه بین إصبعین من أصابع اللّه هو:أنّ الإصبع بمعنی النّعمه،و الأثر الجمیل کقول الراعی:

ضعیف العصا بادی العروق تری له علیها إذا ما أجدب النّاس إصبعا

أی:ما من آدمی إلّا و قلبه من اللّه سبحانه بین نعمتین حسنتین:إحداهما ما منّ اللّه علیه من معرفه خالقه و رازقه،و الأخری ما امتنّ علیه من تحسین خلقه و توسیع رزقه (۲).

فکما تری،فإنّ الموضوع فی النّعمتین اللّتین قالهما نفس الإنسان لا قلبه،فإن صحّ فی الأولی جعل القلب موضوعا بتکلّف،ففی الثانیه غیر صحیح،مع أنّ الأولی غیر صحیحه فی نفسها،فکم آدمیّ لم یرزق معرفه خالقه و رازقه،بل هم أکثر من العارفین بربّهم،مع أنّ الخبر تضمن أنّه ما من آدمیّ إلاّ و هو کذا،و أیضا فرق بین قولهم:لفلان علیّ إصبع،و قولهم:أمری بین إصبعیه،فالأوّل بمعنی:أنّ له عندی نعمه،و أمّا الثانی فبمعنی:أمری بیده،و مثله الخبر.و کیف کان ففی(عیون ابن قتیبه):أتی رجل یزید بن أبی مسلم برقعه یسأله أن یرفعها إلی الحجّاج،فنظر فیها یزید فقال:لیست هذه من الحوائج التی ترفع إلی الأمیر.فقال الرجل:فإنّی أسألک أن ترفعها فلعلّها توافق قدرا فیقضیها و هو کاره.فأدخلها و أخبره بمقالته.فنظر فی الرقعه، و قال له:قل للرّجل:إنّها وافقت قدرا،و قد قضیناها،و نحن له کارهون (۳).

و فی(أغانی أبی الفرج)قال أحمد بن خلّاد:حدّثنی أبی قال:کنت أکلّم

۱- ۱) أخرجه الصدوق فی أمالیه:۲۹۹ ح ۹ المجلس(۵۸)و النقل بالمعنی.

۲- ۲) المجازات النبویه:۳۴۶ ح ۲۶۸،و [۱]بین اللفظ المنقول و لفظ المجازات [۲]فرق کثیر.

۳- ۳) عیون الأخبار لابن قتیبه ۳:۱۳۰ و [۳]النقل بتصرف یسیر.

بشّار الشاعر و أردّ عليه سوء مذهبه بميله إلى الإلحاد،فكان يقول:لا أعرف إلاّ ما عاينته أو عاينت مثله.و كان الكلام يطول بيننا،فقال لى يوما:ما أظنّ الأمر يا أبا خالد إلاّ كما تقول،و أنّ الّذى نحن فيه خذلان،و لذلك أقول:

طبعت على ما فىّ غير مخيّر هواى و لو خيّرت كنت المهذّبا

أريد فلا أعطى و أعطى فلم أرد و قصّر علمى أن أنال المغيّبا

فأصرف عن قصدى و علمى مقصّر و أمسى و ما أعقبت إلاّ التعجّبا

(۱)

۳۵

الحكمه(۳۵۱)

و قال عليه السّلام:

عِنْدَ تَنَاهِى الشِّدَّهِ تَكُونُ الْفَرْجَهُ- وَ عِنْدَ تَضَايُقِ حَلَقِ الْبَلاَءِ يَكُونُ الرَّخَاءُ هو أحد الشواهد و الأدلّه أيضا على وجود البارى تعالى،فالفرج و الرّخاء للشخص لئلاّ يهلك كدفع الآفات عن العالم لئلاّ يفنى دليل على وجود صانع حكيم رؤوف رحيم،وضع للإنسان شدّه كما للعالم آفه حكمه، و يرفعهما بعد حين رأفه و رحمه،و قد صنّف فى حكايات من فرّج عنهم بعد غايه الشدّه كتب،و منها كتاب لأبى الحسن المدائنى،و كتاب لحسين بن سعد الدهستانىّ،و كتاب لابن أبى الدنيا البغدادىّ،و كتاب لمحسن بن على التنوخى.

و فى(تاريخ بغداد)فى يعقوب بن داود السلمى الذى استوزره المهدىّ، ثمّ غضب عليه لإطلاقه علويا أمره بقتله فحبسه فى المطبق:قال يعقوب:

حبسنى المهدىّ فى بئر و بنيت علىّ قبّه،فمكثت فيها خمس عشره حجّه

۱- ۱) الأغانى ۳:۲۲۷. [۱]

مضى صدر من خلافه الرشيد،و كان يدلى إلىّ فى كلّ يوم رغيف و كوز من ماء،و أوذن بأوقات الصلوات،فلمّا كان فى رأس ثلاث عشره حجّه أتانى آت فى منامى،فقال:

حنا على يوسف ربّ فأخرجه من قعر جبّ و بيت حوله غمم

فحمدت اللّه و قلت:أتى الفرج.فمكثت حولا لا أرى شيئا،ثمّ أتانى ذلك الآت بعد حول،فقال:

عسى الكرب الّذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائف و يفكّ عان و يأتى أهله النائى الغريب

فلمّا أصبحت نوديت،فظننت أنّى أوذن بالصلاه فدلّى لى حبل أسود و قيل لى:اشدد به وسطك.ففعلت،فأخرجونى فلمّا قابلت الضوء غشى بصرى.فانطلقوا بى فأدخلونى على الرّشيد...فقال لى الرّشيد:و اللّه ما شفّع فيك أحد غير أنّى حملت الليله صبيّه لى على عنقى،فذكرت حملك إيّاى على عنقك فرثيت لك (۱).

و فى(المعجم)أنشد لإبراهيم الصولى:

ربما تجزع النّفوس من الأمر له فرجه كحلّ العقال

و نكت بقلمه ثمّ قال:

و لربّ نازله يضيق بها الفتى ذرعا و عند اللّه منها المخرج

كملت فلمّا استحكمت حلقاتها فرجت و كنت أظنّها لا تفرج

(۲)

۱- ۱) تاريخ بغداد ۱۴:۲۶۴ و [۱]النقل بتصرف.

۲- ۲) معجم الادباء للحموى ۱:۱۸۶. [۲]

من الخطبه(۸۱)

و من خطبه له علیه السّلام عجیبه:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی عَلاَ بِحَوْلِهِ وَ دَنَا بِطَوْلِهِ- مَانِحِ کُلِّ غَنِیمَهٍ وَ فَضْلٍ وَ کَاشِفِ کُلِّ بَلِیَّهٍ وَ أَزْلٍ- أَحْمَدُهُ عَلَی عَوَاطِفِ کَرَمِهِ وَ سَوَابِغِ نِعَمِهِ- وَ أُومِنُ بِهِ أَوَّلاً بَادِیاً وَ أَسْتَهْدِیهِ قَرِیباً هَادِیاً- وَ أَسْتَعِینُهُ قَادِراً قَاهِراً وَ أَتَوَکَّلُ عَلَیْهِ کَافِیاً نَاصِراً أقول:و روی(أمالی الشیخ الطوسی-أمالی-ج ۲ ص ۲۹۶ المجلس(۲۰) الشیخ)مسندا عن ابن عبّاس:قال:خطب أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال:«الحمد للّه الذی لا یحویه مکان،و لا یحدّه زمان،علا بطوله،و دنا بحوله،سابق کلّ غنیمه و فضل،و کاشف کلّ عظیمه و أزل، أحمده علی جود کرمه،و سبوغ نعمه،و أستعینه علی بلوغ رضاه،و الرّضا بما قضاه،و أؤمن به إیمانا،و أتوکّل علیه إیقانا،و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه الذی رفع السماء فبناها،و سطح الأرض فطحاها «أَخْرَجَ مِنْها ماءَها وَ مَرْعاها وَ الْجِبالَ أَرْساها» (۱)لا یئوده خلق،و هو العلی العظیم...» (۲).

قول المصنّف : «و من خطبه له عجیبه» هکذا فی(المصریه)،و لکن فی (ابن أبی الحدید):«و من خطبه له علیه السّلام و تسمّی بالغرّاء و هی من الخطب العجیبه» (۳)و فی(ابن میثم):«و من خطبه له علیه السّلام و هی من الخطب العجیبه و تسمّی الغرّاء» (۴)،و فی(خطّیه مصححه)تاریخها سنه(۱۰۷۵):«و من خطبه له علیه السّلام عجیبه تسمّی الغرّاء»،و هذا الاختلاف عجیب،و لعلّ فی النسخ

۱- ۱) النازعات:۳۱-۳۲. [۱]

۲- ۲) أخرجه أبو جعفر الطوسی فی أمالیه ۲:۲۹۶ المجلس(۲۰). [۲]

۳- ۳) لفظ ابن أبی الحدید ۲:۸۵«و [۳]تسمّی بالغراء و هی من الخطب العجیبه».

۴- ۴) لفظ ابن میثم ۲:۲۳۰«و [۴]هی من الخطب العجیبه».

تصحیفا،و کیف کان فمن اتّفاق الثلاثه علی فقره(و تسمی الغرّاء)یعلم سقوطها من(المصریه)،إلّا أنّ قول المصنّف فی آخر الخطبه:«و من النّاس من یسمّی هذه الخطبه الغرّاء،لا یناسب ثبوتها،و لعلّه نسی قوله فی الأوّل، و کیف کان،فقال ابن أبی الحدید بعد ذکر نکات فی ألفاظ العنوان و معانیها:

«و هذه اللّطائف و الدقائق من معجزاته علیه السّلام » (۱).

«الحمد للّه الذی علا بحوله» أی:بقوّته،قال ابن میثم:و قد أثنی علیه السّلام علی اللّه تعالی فی هذا الفصل باعتبارات أربعه من نعوت جلاله،الأوّل:کونه علیّا،و إذ لیس المراد به العلوّ المکانیّ لتقدّسه عن الجسمیّه کما سبق،فالمراد العلوّ المعقول له باعتبار کونه مبدأ کلّ موجود و مرجعه،فهو العلیّ المطلق الّذی لا أعلی منه فی وجود و کمال رتبه و شرف،کما سبق بیانه،و لمّا عرفت أنّ معنی الدّنوّ إلی کلّ موجود صدر عن قدرته و قوّته،لا جرم جعل للحوقه له مبدأ هو حوله (۲).

«و دنا بطوله» أی:بمنّه،قال ابن میثم:لمّا عرفت أنّ معنی الدنوّ و القرب فی حقّه تعالی لیس مکانیّا أیضا،کان اعتبارا تحدّثه عقولنا له تعالی من قرب إفاضه نعمه علی قوابلها،و قربه من إبصار البصائر فی صوره نعمه نعمه منها،و لذلک جعل طوله مبدأ لدنوّه (۳).

«مانح» أی:معط.

«کلّ غنیمه» «وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقی إِلَیْکُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَیاهِ الدُّنْیا فَعِنْدَ اللّهِ مَغانِمُ کَثِیرَهٌ» (۴).

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ۲:۸۶.

۲- ۲) شرح ابن میثم ۲:۲۳۱.

۳- ۳) شرح ابن میثم ۲:۲۳۱.

۴- ۴) النساء:۹۴. [۱]

«و فضل» «وَ يُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ » (۱).

«و كاشف كلّ بليّه و أزل» أى:ضيق،قال ابن ميثم:(مانح)و(كاشف) إشاره إلى كلّ نعمه صدرت عنه تعالى على قابلها،فمبدؤه جوده و رحمته، سواء كانت وجوديّه كالصّحه و المال و العقل و غيرها،أو عدميه كدفع البأساء و الضرّاء،و إليه الإشاره بقوله تعالى: «وَ ما بِكُمْ مِنْ نِعْمَهٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ ثُمَّ إِذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ» (۲)،و قوله تعالى: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ» (۳).

قلت:و كلامه عليه السّلام من الأوّل إلى هنا فى ثنائه عليه تعالى باعتبارات بيّنها عليه السّلام من حوله تعالى و طوله،و ما نحيته و كاشفيته،نظير قوله تعالى:

«سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى اَلَّذِى خَلَقَ فَسَوّى وَ الَّذِى قَدَّرَ فَهَدى وَ الَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعى فَجَعَلَهُ غُثاءً أَحْوى» (۴)،فأمر-تعالى-بوجوب تسبيحه و الثناء عليه باعتبارات بيّنها من خلقه فتسويته،و تقديره فهدايته،و إخراجه المرعى .

«أحمده على عواطف» من إضافه الصّفه.

«كرمه» مفرد بمعنى الجمع .

«و سوابغ» أى:كوامل.

«نعمه» «وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَهً وَ باطِنَهً» (۵).

قال ابن ميثم:قوله عليه السّلام(أحمده)الى قوله(نعمه)تنبيه للسامعين على مبدأ استحقاقه لاعتبار الحمد،و هو كرمه،قال بعض الفضلاء:الكريم هو الذى

۱- ۱) هود:۳. [۱]

۲- ۲) النحل:۵۳-۵۴. [۲]

۳- ۳) شرح ابن ميثم ۲:۲۳۱،و الآيه(۶۲) [۳]من سوره النمل.

۴- ۴) الأعلى:۱-۵. [۴]

۵- ۵) لقمان:۲۰. [۵]

إذا قدر عفا،و إذا وعد وفا،و إذا أعطى زاد على منتهى الرجاء،و لا يبالى كم أعطى و لا لمن أعطى،و إن رفع إلى غيره حاجه لا يرضى،و إذا جفا عاتب و ما استقصى،و لا يضيع من لاذ به و التجأ،و يغنيه عن الوسائل و الشفعاء.فمن اجتمعت له هذه الاعتبارات حقيقه من غير تكلّف فهو الكريم المطلق،و ليس ذلك إلاّ اللّه تعالى،و الأجمع الأمنع فى رسم هذا الاعتبار يعود إلى فيضان الخير عنه من غير بخل و منع و تعويق على كلّ من يقدر أن يقبله بقدر ما يقبله، و عواطف كرمه هى نعمه و آثاره الخيريّه التى تعود على عباده مرّه بعد أخرى،و نعمه السابغه التى لا قصور فيها عن قبول قابلها (۱).

«و أؤمن به أوّلا بادیا» أى:ظاهرا.أوّلا بادیا حالان من الضمير فى(به) كقوله عليه السّلام بعد:قريبا هاديا،و قادرا قاهرا،و كافيا ناصرا،و الكلّ للثبوت كقوله تعالى: «قائِماً بِالْقِسْطِ» (۲)بمعنى أنّه يجب الايمان به تعالى لكونه أوّلا و مبدأ لجميع الأشياء،و لكونه تعالى ظاهرا جليّا بآثاره،و خلائقه عند جميع العقلاء.

و أمّا قول ابن أبى الحديد:«أوّلا منصوب على الظّرفيه،كأنّه قال:قبل كلّ شىء (۳)»فبلا معنى،فأىّ شىء يقول فى قوله عليه السّلام: (باديا)و الظاهر أنّه جعله ظرفا لقول(الصحاح):تقول:ما رأيته مذ عام أوّل،و مذ عام أوّل (۴).فمن رفع الأوّل جعله صفه لعام كأنّه قال:أوّل من عامنا،و من نصبه جعله كالظّرف كأنّه قال:مذ عام قبل عامنا .

«و أستهديه قريبا هاديا» و الاستهداء من البعيد و لو كان هاديا أو القريب

۱- ۱) شرح ابن ميثم ۲:۲۳۱. [۱]

۲- ۲) آل عمران:۱۸. [۲]

۳- ۳) شرح ابن أبى الحديد ۲:۸۶. [۳]

۴- ۴) صحاح اللغه،الجوهرى ۵:۱۸۳۸ [۴] ماده(أول).

غير الهادى بلا ثمر،و لا يجمعهما حقيقه غيره تعالى فيجب الاستهداء منه .

«و أستعينه قادرا قاهرا» هكذا فى(المصريه)،و الصواب:(و أستعينه قاهرا قادرا)كما فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخوئى و الخطّيه) (۱).

قال ابن ميثم:استعانته طلب المعونه منه على ما ينبغى من طاعته، و سلوك سبيله،و القاهر هو الّذى لا يجرى فى ملكه بخلاف حكمه،بل كلّ موجود مسخّر تحت حكمه و قدرته،و حقير فى قبضته،و القادر هو الّذى إذا شاء فعل و إذا لم يشأ لم يفعل،و إن لم يلزم أنّه لا يشاء فلا يفعل كما سبق بيانه، و ظاهر أنّه باعتبار هذين الوصفين مبدأ للاستعانه (۲).

«و أتوكّل عليه كافيا ناصرا» قال ابن ميثم:التوكّل-كما علمت-يعود إلى اعتماد الانسان فى ما يرجو أو يخاف على غيره،و الكافى اعتبار كونه معطيا لكلّ قابل من خلقه ما يكفى استحقاقه من منفعه،و دفع مضرّه،و النّاصر هو اعتبار إعطائه النّصر لعباده على أعدائهم بإفاضه هدايته و قوّته،و ظاهر أنّه تعالى باعتبار هذين الوصفين مبدأ لتوكّل عباده عليه،و إلقاء مقاليد أمورهم إليه (۳).

قلت:و لذا قال نوح عليه السّلام لقومه: «يا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقامِي وَ تَذْكِيرِي بِآياتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَ لا تُنْظِرُونِ» (۴).

و مثله قال الحسين عليه السّلام يوم الطفّ لأهل الكوفه،كما رواه أبو مخنف (۵).

۱- ۱) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۸۵،و شرح الخوئى ۲:۲۴۰،لكن فى شرح ابن ميثم ۲:۲۳۰« [۱]قادرا قاهرا»أيضا.

۲- ۲) شرح ابن ميثم ۲:۲۳۲.

۳- ۳) المصدر نفسه.

۴- ۴) يونس:۷۱. [۲]

۵- ۵) رواه الطبرى فى تاريخه ۴:۳۲۲ [۳] سنه(۶۱)عن أبى مخنف،لكن ليس فى كتاب مقتل الحسين المنسوب إلى أبى مخنف. [۴]

۳۷

الحکمه(۱۳)

و قال علیه السّلام:

مَنْ ضَیَّعَهُ الْأَقْرَبُ أُتِیحَ لَهُ الْأَبْعَدُ أقول:هو أیضا إحدی آیات اللّه تعالی،فمن ضیّعه الأقرب لو لم یقدّر له الأبعد لهلک،و نری أنّ کثیرا من المؤمنین الّذین یتبرّأ منهم أقاربهم، و یدعونهم یقدّر اللّه لهم من یخدمهم من الأباعد،کما أنّ موسی علیه السّلام لمّا ألقته أمّه فی الیمّ أخذه عدوّه و ربّاه (۱).

۳۸

الحکمه(۸۴)

و قال علیه السّلام:

بَقِیَّهُ السَّیْفِ أَبْقَی عَدَداً وَ أَکْثَرُ وَلَداً أقول:الأصل فی العنوان أنّ الحصین بن المنذر کتب إلیه علیه السّلام کما فی العقد -العقد الفرید-ج ۴ ص ۲۵۶ ،أنّ السیف أکثر فی ربیعه،فوقّع علیه السّلام فی جوابه:بقیّه السّیف أنمی عددا (۲).

و فی(بیان الجاحظ-البیان و التبیین-ج ۲ ص ۳۵۵ الجاحظ):قال علیّ کرّم اللّه وجهه:بقیه السّیف أنمی عددا و أکرم ولدا،و وجد النّاس ذلک بالعیان الّذی صار إلیه ولده من نهک السّیف، و کثره الذّرء و کرم النّجل (۳).

و قال ابن أبی الحدید:قال شیخنا أبو عثمان(یعنی الجاحظ):لیته علیه السّلام

۱- ۱) القصه مذکوره فی قوله تعالی فی سوره طه:۳۹.

۲- ۲) العقد الفرید ۴:۲۵۶. [۱]

۳- ۳) البیان و التبیین ۲:۳۵۵. [۲]

لمّا ذكر الحكم ذكر العلّه،ثم قال:قد وجدنا مصداق قوله أولاده،و أولاد الزّبير،و بنى المهلّب و أمثالهم (۱).

قلت:أمّا العلّه فالعنايه الإلهيه بجبران من وقع عليه ظلم،فمضر حيث كانت فيهم السلطنه،و كانوا أعداء ربيعه فأكثروا من إفنائهم،ثمّ الّذى وجدت فى كتاب الجاحظ الاقتصار على ولده (۲)،و أمّا جمعه معهم ولد الزّبير و ولد المهلّب-كما نقل-ففى غير محلّه،حيث إنّ الزبير إنّما قتل جمع من ولده أيّام نهوض عبد الملك فقط،فقتل مع عبد اللّه بن الزبير ابناه الزبير و عروه،و أخوه المنذر،و ابن أخيه عمرو بن عروه،و قتل مع مصعب أخيه ابنه عيسى،كما أنّ المهلّب قتل جمع من ولده أيّام خرج يزيد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك.

و أمّا ولده عليه السّلام فكان القتل فيهم فى كلّ زمان فى مدّه سلطنه بنى أميه و سلطنه بنى العباس،سوى وقعه الطفّ التى أرادوا فيها استيصالهم حتّى قتلوا رضيعهم و أرادوا قتل عليهم،حتّى صنّف فى مقاتلهم كتب كثيره بالخصوص،و منها(مقاتل الطالبيين)لأبى الفرج الاصبهانى الأموىّ،و مع ذلك ولده عليه السّلام أكثر من جميع طوائف قريش حتّى مع العباسيين،مع بنى هاشم،و قد كانوا كثروا أيام سلطنتهم،و قد كان المأمون أمر بإحصائهم لمّا أراد جعل علىّ بن موسى الرضا عليه السّلام ولى عهده،فكانوا ثلاثه و ثلاثين ألفا صغيرا و كبيرا،فقال المأمون للنّاس أنّه نظر فى ولد العباس و ولد علىّ عليه السّلام فلم يجد فى وقته أحدا أفضل و لا أحقّ بالأمر من علىّ بن موسى عليه السّلام.نقل ذلك

۱- ۱) شرح ابن أبى الحديد ۴:۲۷۹. [۱]

۲- ۲) قال الجاحظ فى البيان و التبيين ۲:۳۵۵:« [۲]قال المهلب:ليس أنمى من بقيه السيف،فوجد الناس تصديق قوله فيما نال أولاده من السيف و صار فيهم من النماء،و قال على بن أبى طالب:بقيّه السيف أنمى عددا و أكرم ولدا.و وجد الناس ذلك بالعيان الذى صار إليه من ولده من نهك السيف و كثره الذرء و كرم النجل»فقال فى:۳۵۶:«و لم يظهر من عدد القتلى مثل الذى يظهر فى آل أبى طالب و آل الزبير و آل المهلب».

الطبری و المسعودی (۱)،بل المعروف من جمیع قریش-منذ قرون و فی کلّ قرن-کلّ صقع مشحون من ولده علیه السّلام،و ذلک من آیات اللّه الخاصّه فیه علیه السّلام.

قال محمّد بن محمّد بن النعمان فی(إرشاده):و من آیات اللّه تعالی فیه علیه السّلام أنّه لم یمن أحد فی ولده و ذریّته بمثل ما منی علیه السّلام فی ذرّیته،و ذلک أنّه لم یعرف خوف شمل جماعه من ولد نبیّ،و لا إمام،و لا ملک زمان،و لا برّ و لا فاجر کالخوف الّذی شمل ذرّیه أمیر المؤمنین علیه السّلام،و لا لحق أحدا من القتل و الطرد عن الدّیار و الأوطان و الإخافه و الإرهاب ما لحق ذرّیه أمیر المؤمنین علیه السّلام و ولده،و لم یجر علی طائفه من الناس من ضروب النّکال ما جری علیهم من ذلک،فقتلوا بالفتک و الغیله و الاحتیال،و بنی علی کثیر منهم و هم أحیاء البنیان،و عذّبوا بالجوع و العطش حتّی ذهبت أنفسهم علی الهلاک، و أحوجهم ذلک إلی التمزّق فی البلاد،و مفارقه الدیار و الأهل و الأوطان، و کتمان نسبهم عن أکثر الناس،و بلغ بهم الخوف إلی الاستخفاء عن أحبائهم فضلا عن الأعداء،و بلغ هربهم من أوطانهم إلی أقصی الشرق و الغرب، و المواضع النائیه عن العماره،و زهد فی معرفتهم أکثر الناس،و رغبوا عن تقریبهم،و الاختلاط بهم مخافه علی أنفسهم و ذراریهم من جبابره الزمان، و هذه کلّها أسباب تقتضی انقطاع نظامهم و اجتثاث أصولهم و قلّه عددهم، و هم مع ما وصفناه أکثر ذرّیه من الأنبیاء و الصالحین و الأولیاء،بل أکثر من ذراری کلّ أحد من الناس،قد طبقوا بکثرتهم البلاد،و غلبوا فی الکثره علی ذراری أکثر العباد.

۱- ۱) الطبری فی التاریخ ۷:۱۳۲، [۱]سنه(۲۰۰)،و المسعودی فی المروج ۳:۴۴۰،و [۲]لفظ المسعودی«و أحصی فی هذه السنه ولد العباس فبلغوا ثلاثه و ثلاثین ألفا ما بین ذکر و أنثی»و روی قول المأمون للناس فی الرضا علیه السّلام الطبری فی التاریخ ۷: ۱۳۹ [۳] سنه(۲۰۱)،و المسعودی فی المروج ۳:۴۴۱. [۴]

هذا مع اختصاص مناكحهم فی أنفسهم دون البعداء،و حصرها فی ذوی أنسابهم دینه من الأقرباء،و فی ذلک خرق العاده علی ما بیّناه،و هو دلیل الآیه الباهره فی أمیر المؤمنین علیه السّلام کما وصفناه و بیّناه،و هذا ما لا شبهه فیه (۱).

قلت:و کثره أولاد أمیر المؤمنین علیه السّلام مع قتلهم و حبسهم و طردهم فی کلّ زمان و مکان شاهده لتصدیق وعد اللّه تعالی نبیّه صلّی اللّه علیه و آله الکوثر،کما أنّ انقراض جماهیر قریش الشانئین للنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أهل بیته علیهم السّلام دلیل لتصدیق وعید اللّه تعالی شانئه صلّی اللّه علیه و آله لکونه أبتر بالخصوص،مضافا الی وعیده تعالی الظالمین عموما بقطع دابرهم فی قوله تعالی: «فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِینَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ» (۲).و ممّا یشهد لقوله علیه السّلام فی کون بقیّه السّیف أکثر عددا عنایه منه تعالی ببقاء النوع الإنسانی فی غیر الظالمین،فبعد الحربین العالمیتین کانت النساء فی أوربا (۳)- کما قالوا-لم یلدن غیر البنین لفناء رجال کثیرین منهنّ.

۳۹

الحکمه(۱۳۹)

و قال علیه السّلام:

تَنْزِلُ الْمَعُونَهُ عَلَی قَدْرِ الْمَئُونَهِ أقول:هو أیضا أحد الأدله علی وجود الخالق الرّازق،و ذلک أمر مشاهد بالعیان،فالإنسان إذا کان وحده یکون رزقه بقدره نوعا،و إذا صار ذا زوجه

۱- ۱) الإرشاد للمفید:۱۶۴. [۱]

۲- ۲) الأنعام:۴۵. [۲]

۳- ۳) لم یختص هذا الحرب بأوربا،بل قلّما یوجد بلد لم تسر إلیه الفتنه فی العالم.

یزداد فی رزقه بقدرها،و إذا صار ذا أولاد یزداد فی رزقه بقدرهم،بمعنی أنّه لا یمکن أن یرزق أقل،و إلاّ فقد یرزق من وحده بقدر مئونه عدّه.

و المراد ما إذا تعرض للرّزق أو لم یکن له حیله،و إلاّ ففی الخبر:من جلس فی بیته و دعا للرّزق مع تمکّنه یکون ممّن لا یستجاب لهم (۱).

قال ابن أبی الحدید:کان علی بعض الموسرین رسوم لجماعه من الفقراء یدفعها إلیهم کلّ سنه فاستکثرها فأمر کاتبه بقطعها،فرأی فی المنام کأنّ له أموالا کثیره فی داره تصعدها أقوام من الأرض إلی السماء و هو یجزع من ذلک،فیقول:یا ربّ رزقی،فقیل له:إنّما رزقناک هذه لتصرفها فی ما کنت تصرفها فیه،فإذا قطعت ذلک رفعناها منک،و جعلناها لغیرک.فلمّا أصبح أمر کاتبه بإعاده تلک الرسوم أجمع (۲).

قلت:و فی(تاریخ بغداد):أنّ الواقدیّ کتب رقعه إلی المأمون یذکر فیها غلبه الدّین و غمّه بذلک.فوقّع المأمون علی ظهرها:فیک خلّتان السخاء و الحیاء،فأمّا السّخاء فهو الّذی أطلق ما ملکت،و أمّا الحیاء فهو الّذی منعک من اطّلاعنا علی ما أنت علیه،و قد أمرنا بکذا و کذا،فإن کنّا أصبنا إرادتک فی بسط یدک فإنّ خزائن اللّه مفتوحه،و أنت کنت حدّثتنی-و أنت علی قضاء الرّشید- عن محمّد بن إسحاق عن الزهری عن أنس أنّ النبی صلّی اللّه علیه و آله قال للزّبیر:إنّ باب الرزق مفتوح بباب العرش ینزّل اللّه علی العباد أرزاقهم علی قدر نفقاتهم،فمن قلّل قلّل له،و من کثّر کثّر له.قال الواقدی:و کنت قد أنسیت هذا الحدیث فکان

۱- ۱) هذا المعنی أخرجه الحمیری فی قرب الإسناد:۳۸،و الکلینی بخمس طرق فی الکافی ۲:۵۱۱ ح ۲ و ۳،و [۱] ۵:۶۵ ح ۱،و ۵:۷۷ ح ۱،و الصدوق فی الفقیه ۲:۳۹ ح ۱۰ و بطریقین فی الخصال:۱۶۰ ح ۲۰۸،و:۲۹۹ ح ۷۱،و الطوسی فی التهذیب ۶:۳۲۲ ح ۸ و أمالیه ۲:۲۹۲ المجلس ۱۹،و الکراجکی فی کنز الفوائد:۲۹۱،و [۲]ابن إدریس فی السرائر عنه الوسائل ۴: ۱۱۶۰ ح ۴،و جمع آخر.

۲- ۲) شرح ابن أبی الحدید ۴:۳۰۹. [۳]

تـذکرته إیّای أحبّ إلیّ من جائزته-قال الراوی:بلغنی أنّ الجائزه کانت مائه ألف درهم-فکان الحـدیث أحبّ إلیه من مائه ألف (۱).

۴۰

الحکمه(۱۴۴)

و قال علیه السّلام:

یَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَی قَـدْرِ الْمُصِـیبَهِ- وَ مَنْ ضَـرَبَ یَدَهُ عَلَی فَخِذِهِ عِنْدَ مُصِـیبَتِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ «ینزل الصّبر علی قدر المصـیبه» نزول الصبر علی قدر المصیبه أیضا هو إحدی آیاته تعالی و حکمه و ألطافه علی عبیده،کنزول المعونه علیهم علی قدر مئونتهم.

و فی(توحیـد المفضل)-بعد ذکر نعمه الحافظه،و أنّه لولاها لاختلّ حال الناس-:و أعظم من النّعمه علی الإنسان فی الحفظ النّعمه فی النّسـیان،فإنّه لو لا النسـیان لما سـلا أحد عن مصیبه،و لا انقضت له حسره،و لا مات له حقد، و لا استمتع بشیء من متاع الدّنیا مع تـذکّر الآفـات،و لاـ رجـاء غفله من سـلطان، و لاـ فتره من حاسـد.أفلا تری کیف جعـل فی الانسـان الحفـظ و النسـیان و هما مختلفان متضادّان،و جعل له فی کلّ منهما ضـرب من المصـلحه؟و ما عسـی أن یقول الّذین قسّـموا الأشیاء بین خالقین متضادّین فی هذه الأشیاء المتضادّه المتباینه،و قد تراها تجتمع علی ما فیه الصّلاح و المنفعه (۲).

و روی(الکـافی)عن الصـادق علیه السّـلام أیضـا:أنّ المیّت إذا مـات بعث اللّه تعـالی ملکا إلی أوجع أهله،فمسـح علی قلبه،فأنساه لوعه الحزن،و لو لا ذلک

۱- ۱) تاریخ بغداد ۳:۱۹،و [۱]النقل بتصرف یسیر.

۲- ۲) توحید المفضل:۷۸. [۲]

لم تعمر الدّنيا (۱).

و عنه علیه السّلام أیضا:إنّ اللّه تبارک و تعالی تطوّل علی عباده بثلاث:ألقی علیهم الرّیح بعد الرّوح،و لو لا ذلک ما دفن حمیم حمیما،و ألقی علیهم السّلوه، و لو لا ذلک لانقطع النّسل،و ألقی علی هذه الحبّه الدابّه،و لو لا ذلک لکنزها ملوکهم کما یکنزون الذّهب و الفضّه (۲).

«و من ضرب یده علی فخذه عند مصیبته حبط أجره» و فی(المصریه)بدل (أجره):(عمله)و هو تصحیف (۳)،و کیف کان روی الفقره(تحف العقول ابن شعبه-تحف العقول-ص ۲۲۱) عنه علیه السّلام (۴)،و لکن رواه(الکافی ۳الکلینی-الکافی-ج ۳ ص ۲۲۴ ح ۴)عن الصادق علیه السّلام عن النبی صلّی اللّه علیه و آله ۵،و لا غرو فإنّ النبیّ و الوصیّ-صلوات اللّه علیهما و علی آلهما-کانا کنفس واحده، و موجبیّته للحبط لکشفه عن عدم رضاء العبد بقضاء ربّه فلا بدّ أن یحبط أجره.

۱- ۱) أخرجه الکلینی فی الکافی ۳:۲۲۷ ح ۱،و [۱]الصدوق فی الفقیه ۱:۱۱۲ ح ۲۱.

۲- ۲) أخرجه الکلینی فی الکافی ۳:۲۲۷ ح ۲،و [۲]الصدوق فی الفقیه ۱:۱۱۸ ح ۸،و علل الشرائع ۱:۲۹۹ ح ۱،و [۳]الخصال ۱: ۱۱۲ ح ۸۷،و أخرج معناه أیضا الصدوق فی علل الشرائع ۱:۲۹۹ ح ۲. [۴]

۳- ۳) لفظ شرح ابن أبی الحدید ۴:۳۱۰،و [۵]شرح ابن میثم ۵:۳۱۹« [۶]أجره»أیضا.

۴- ۴) روی ابن شعبه فی تحف العقول:۲۲۱ هذا اللفظ:«و من ضرب بیده علی فخذه عند المصیبه حبط أجره،و الصنیعه لا تکون صنیعه إلّا عند ذی حسب أو دین،و اللّه ینزل الصبر علی قدر المصیبه».

الحکمه(۱۵)و(۴۵۹)

و قال علیه السّلام:

تَذِلُّ الْأُمُورُ لِلْمَقَادِیرِ حَتَّی یَکُونَ الْحَتْفُ فِی التَّدْبِیرِ یَغْلِبُ الْمِقْدَارُ عَلَی التَّقْدِیرِ حَتَّی تَکُونَ الْآفَهُ فِی التَّدْبِیرِ و قد مضی هذا المعنی فی ما تقدّم بروایه تخالف بعض هذه الألفاظ .

أقول:و حکاه الجهشیاری فی(وزرائه)بلفظ آخر فقال:دخل یحیی البرمکیّ علی الرّشید لما ابتدأت حاله فی الفساد و هو خال فرجع فعرف خبره.

فقال لبعض الخدم:الحقّ یحیی و قل له:خنتنی فاتّهمتنی،فأبلغه الرّسول فقال له:قل للرّشید:إذا أنقضت المدّه کان الحتف فی الحیله.و اللّه ما انصرفت عن خلوتک إلّا تخفیفا عنک.قال و هذا کلام لعلیّ بن أبی طالب کرّم اللّه مثواه:«إذا انقضت المدّه کان الهلاک فی العدّه»قال:و سرق هذا المعنی ابن الرومی فقال:

غلط الطّبیب علیّ غلطه مورد عجزت محالته عن الأصدار

و الناس یلحون الطبیب و إنّما غلط الطبیب إصابه المقدار

(۱)و رواه(إرشاد الشیخ المفید-الإرشاد-ص ۱۵۹ المفید)مع الأصل فیه،و أنّ أصل المعنی لیزدجرد آخر ملوک فارس،فقال:سأل أمیر المؤمنین علیه السّلام شاهزنان بنت کسری حین أسرت:ما حفظت عن أبیک بعد وقعه الفیل؟قال:حفظت عنه أنّه کان یقول:«إذا غلب اللّه علی أمر ذلّت المطامع دونه،و إذا انقضت المدّه کان الحتف فی الحیله».

فقال علیه السّلام:ما أحسن ما قال أبوک!تذلّ الأمور للمقادیر حتّی یکون الحتف فی التّدبیر (۲).

ص:۴۰۰

۱- ۱) الوزراء للجهشیاری:۲۲۷ و [۱]النقل بتصرف یسیر.

۲- ۲) الإرشاد للمفید:۱۵۹. [۲]

و ممّا یشهد للمعنی ما فی(عیون القتیبیّ):إنّ أبا مسلم لما قدم المدائن فی الیوم الّذی قتل فیه جعل یضرب بالسّوط معرفه برذونه و یقول بالفارسیه کلاما معناه:ما تغنی المعرفه إذا لم تقدر علی دفع المحتوم.ثم قال:«جارّه ذیلها تدعو یا ویلها بدجله أو حولها،کأنّا بعد ساعه قد صرنا فی دجله» (۱).

و ما فی(تاریخ الطبری):قال أبو مسلم لنیزک:إنّی و اللّه ما رأیت طویلا أعقل منک،فما تری فی إتیانی المنصور،فقد جاءت هذه الکتب،و قد قال القوم ما قالوا؟قال:لا- أری أن تأتیه،و أری أن تأتی الرّی فتقیم بها،فیصیر ما بین خراسان و الرّی لک،و هم جندک،ما یخالفک أحد-إلی أن نقل قول أبی مسلم- رأیت أنّ أوجّه أبا إسحاق إلی المنصور،فیأتینی برأیه فإنّه ممّن أثق به، فوجّهه،فلمّا قدم تلقّاه بنو هاشم بکلّ ما یحبّ،و قال له المنصور:اصرفه عن وجهه و لک ولایه خراسان،و أجازه فرجع أبو اسحاق إلی أبی مسلم،فقال له:

ما أنکرت شیئا رأیتهم معظّمین لحقّک-إلی أن قال-فقال له:نیزک:قد أجمعت علی الرّجوع؟قال:نعم،و تمثّل:

ما للرّجال مع القضاء محاله ذهب القضاء بحیله الأقوام

(۲)و یشهد له ما فی(المروج):ذکر المدائنی و العتبی و غیرهما أنّ مروان حین نزل علی الزاب جرّد من رجاله من اختاره من سائر جیشه من أهل الشام و الجزیره و غیرهم مائه ألف فارس علی مائه ألف قارح،فلمّا کان یوم الوقعه و أشرف عبد اللّه بن علیّ فی المسوّده،و فی أوائلهم البنود السّود یحملها الرّجال علی الجمال البخت،و قد جعلت أقتابها من خشب الصفصاف و الغرب، قال مروان لمن قرب منه:أما ترون رماحهم کأنّهم النّخل غلظا،أما ترون إلی

۱- ۱) رواه ابن قتیبه فی عیون الأخبار ۱:۲۶ و [۱]النقل بتصرف یسیر.

۲- ۲) تاریخ الطبری ۶:۱۳۲ [۲] سنه(۱۳۷).

أعلامهم فوق هذه الإبل كأنّها قطع من الغمام سود،فبينا هو كذلك إذ طار من أفرجه هنالك قطعه من الغرابيب سود فاجتمعت على أوّل رايات عبد اللّه بن على و اتّصل سوادها بسواد تلك الرّايات و البنود،و مروان ينظر فتطيّر من ذلك،فقال:أما ترون السّواد قد اتّصل بالسواد،و كان الغرابيب كالسحب سوادا،ثمّ نظر إلى أصحابه المحاربين،و قد استشعروا الجزع و الفزع و الفشل فقال:إنّها لعدّه و ما تنفع العدّه إذا انقضت المدّه (۱).

و ما فى(تاريخ الطبرى):كان مروان لما لقيه أهل خراسان لا يدبّر شيئا إلّا كان فيه الخلل و الفساد،كان يوم انهزم واقفا و الناس يقتتلون إذ أمر بالأموال فأخرجت فقال للنّاس:اصبروا و قاتلوا فهذه الأموال لكم،فجعل ناس يصيبون من ذلك المال،فأرسلوا إليه أنّ الناس قد مالوا على هذا المال و لا نأمنهم أن يذهبوا به،فأرسل إلى ابنه عبد اللّه أن سر فى أصحابك إلى مؤخر عسكرك،فاقتل من أخذ من ذلك المال و امنعهم،فمال عبد اللّه برايته و أصحابه فقال النّاس الهزيمه فانهزموا (۲).

و فى(أذكياء ابن الجوزى)-باب فى من احتال فانعكس عليه مقصوده- و نقل أمورا،و منها:عن علىّ بن المحسن عن أبيه قال:حدّثنا جماعه من أهل جند سابور-و فيهم كتّاب و تجّار و غير ذلك-أنّه كان عندهم فى سنه نيف و أربعين و ثلاثمائه شابّ من كتّاب النصارى و هو ابن أبى الطيب القلانسى، فخرج إلى بعض شأنه فى الرّستاق،فأخذته الأكراد و عذّبوه و طالبوه أن يشترى نفسه منهم،و كتب إلى أهله انفذوا إلىّ أربعه دراهم أفيون و اعلموا أنّى أشربها فتلحقنى سكته،فلا تشكّ الأكراد أنّى متّ فيحملونى إليكم،فإذا

۱- ۱) مروج الذهب ۳:۲۵۰. [۱]

۲- ۲) تاريخ الطبرى ۶:۹۰ [۲] سنه(۱۳۲).

حصلت عندكم فأدخلونی الحمام و اضربونی ليحمی بدنی و سوّكونی بالايارج،فإنّی أفيق،و كان سمع أنّ من شرب أفيونا أسكت،فإذا أدخل الحمّام و ضرب و سوّك بالأيارج برأ،فلم يعلم مقدارا لشربه،فشرب أربعه دراهم،فلم يشكّ الأكراد فی موته،فلفّوه فی شیء و أنفذوه إلی أهله،فلمّا حصل عندهم أدخلوه الحمّام و ضربوه و سوّكوه،فما تحرّك و أقام فی الحمّام أيّاما،و رآه أهل الطب فقالوا:قد تلف كم شرب؟قالوا:أربعه دراهم.فقالوا:هذا الوشوی فی جهنّم ما عاش.إنّما يجوز أن يفعل هذا بمن شرب أربعه دوانيق أو وزن درهم أو حواليه.فأمّا هذا فقد مات.فلم يقبل أهله ذلك،فتركوه فی الحمّام حتّی أراح و تغيّر فدفنوه،و انعكست الحيله عليه.

و منها:روی أنّ بلال بن أبی برده بن أبی موسی الأشعریّ كان فی حبس الحجّاج و كان يعذّبه،و كان كلّ من مات فی الحبس رفع خبره إلی الحجّاج،فيأمر بإخراجه و تسليمه إلی أهله.فقال بلال للسجّان:خذ منّی عشره آلاف درهم و أخرج اسمی إلی الحجاج فی الموتی،فإذا أمرك بتسليمی إلی أهلی هربت فی الأرض،فلم يعرف الحجّاج خبری،و إن شئت أن تهرب معی فعلت و علیّ غناك أبدا.فأخذ السجّان المال و رفع اسمه فی الموتی،فقال الحجّاج مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلی أهله حتّی أراه،هاته.فعاد إلی بلال، فقال:اعهد.قال:و ما الخبر؟قال:إنّ الحجاج قال كيت و كيت،فإن لم أحضرك إليه ميّتا قتلنی و علم أنّی أردت الحيله عليه،و لا بدّ أن أقتلك خنقا،فبكی بلال و سأله أن لا يفعل،فلم يكن إلی ذلك طريق،فأوصی،فأخذه السجّان و خنقه و أخرجه إلی الحجاج،فلمّا رآه ميّتا قال:سلّمه إلی أهله،فأخذوه،و قد اشتری القتل لنفسه بعشره آلاف درهم و جعلت الحيله عليه (۱).

۱- ۱) رواه ابن الجوزی فی الأذكياء:۱۱۰ و النقل بتصرف يسير.

ثم معلوم بعد جمعنا بين العنوانين أنّ قول المصنّف فى الثانى «و قد مضى هذا المعنى» إشاره إلى ذكره فى الأوّل باختلاف فى بعض ألفاظه.

۴۲

الحكمه(۷)

و قال عليه السّلام:

اعْجَبُوا لِهَذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ وَ يَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ- وَ يَسْمَعُ بِعَظْمٍ وَ يَتَنَفَّسُ فِى خُرْمٍ أقول:و كذا يجب أن يتعجّب من محالّها،و من طعوم فيها:

أمّا الأوّل،ففى(توحيد المفضل):انظر الآن يا مفضّل إلى هذه الحواسّ التى خصّ بها الإنسان فى خلقه،و شرّف بها على غيره،كيف جعلت العينان فى الرّأس كالمصابيح فوق المناره،ليتمكّن من مطالعه الأشياء،و لم تجعل فى الأعضاء التى تحتهنّ كاليدين الرّجلين فتعترضها الآفات و يصيبها من مباشره العمل و الحركه ما يعلّلها و يؤثّر فيها و ينقص منها،و لا فى الأعضاء التى وسط البدن كالبطن و الظهر فيعسر تقلّبها و اطلاعها نحو الأشياء،فلمّا لم يكن لها فى شىء من هذه الأعضاء موضع كان الرّأس أسنى المواضع للحواسّ،و هو بمنزله الصومعه لها،فجعل الحواسّ خمسا تلقى خمسا،لكيلا يفوتها شىء من المحسوسات،فخلق البصر ليدرك الألوان،فلو كانت الألون و لم يكن بصر يدركها لم تكن فيها منفعه،و خلق السمع ليدرك الأصوات،فلو كانت الأصوات و لم يكن سمع يدركها لم يكن فيها إرب،و كذلك سائر الحواسّ (۱).

و أمّا الثانى فروى أبو نعيم فى(حليته)عن عمرو بن جميع قال:دخلت

۱- ۱) توحيد المفضل:۵۸. [۱]

علی جعفر بن محمد أنا و ابن أبی لیلی و أبو حنیفه.فقال لابن أبی لیلی:من هذا معک؟ قال:هذا رجل له بصر و نفاذ فی أمر الدین.قال:لعلّه یقیس الدّین برأیه.

قال:نعم.فقال جعفر لأبی حنیفه:ما اسمک؟قال:نعمان.قال:یا نعمان! هل قست رأسک بعد؟قال:کیف أقیس رأسی؟قال:ما أراک تحسن شیئا،هل علمت ما الملوحه فی العینین،و المراره فی الأذنین،و الحراره فی المنخرین، و العذوبه فی الشفتین؟قال:لا.قال:ما أراک تحسن شیئا،قال:فهل علمت کلمه أوّلها کفر و آخرها إیمان؟فقال ابن أبی لیلی:یا بن رسول اللّه!أخبرنا بهذه الأشیاء التی سألته عنها.

فقال:أخبرنی أبی عن جدّی أنّ النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال:إنّ اللّه تعالی بمنّه و فضله جعل لابن آدم الملوحه فی العینین لأنّهما شحمتان،و لو لا ذلک لذابتا، و إنّ اللّه تعالی بمنّه و فضله و رحمته علی ابن آدم جعل المراره فی الأذنین حجابا من الدّواب،فإن دخلت الرأس دابّه و التمست إلی الدّماغ فإذا ذاقت المراره التمست الخروج،و إنّ اللّه تعالی بمنّه و فضله و رحمته علی ابن آدم جعل الحراره فی المنخرین یستنشق بهما الرّیح،و لو لا ذلک لأنتن الدّماغ،و إنّ اللّه تعالی بمنّه و کرمه و رحمته لابن آدم جعل العذوبه فی الشفتین یجد بها استطعام کلّ شیء (۱).

«اعجبوا لهذا الانسان» قال ابن میثم:نبّه علیه السّلام علی لطف خلق الإنسان ببعض أسرار حکمه اللّه تعالی فیه و غایته من ذلک الاستدلال علی حکمه صانعه و مبدعه،و ذکر أربعه من محالّ النظر و الاعتبار،و هی:آله البصر

۱- ۱) أخرجه أبو نعیم فی حلیه الأولیاء ۳:۱۹۶،و رواه ابن شهر آشوب فی المناقب ۴:۲۵۲،و [۱]الطبرسی فی الاحتجاج ۲: ۳۵۸. [۲]

و الكلام و السّمع و التنفّس،و خصّها بالذكر لكونها مع ضعفها ضروريه فى وجود الإنسان على شرفه و علوّ رتبته فى المخلوقات،و لا يقوم إلّا بها ليكون ذلك محلّ التعجّب و اعتبار لطف الصانع الحكيم (۱).

«ينظر بشحم» قال ابن ميثم:أراد بالشّحم الذى ينظر به الرّطوبه المسمّاه فى عرف الأطباء بالبيضه أو الرطوبه الجليديه،فإنّ العين مركبه من سبع طبقات و ثلاث رطوبات،كلّ منها يختصّ فى عرفهم باسم (۲).

و قال ابن أبى الحديد:قيل:أمّا الإبصار فقد اختلف فيه،فقيل:إنّه بخروج شعاع من العين يتّصل بالمرئى،و قيل:إنّ القوّه المبصره التى فى العين تلاقى بذاتها المرئيات فتبصرها،و قال قوم:بل يتكيّف الهواء بالشعاع البصرى من غير خروج،فيصير الهواء باعتبار تكيّفه بالشعاع به آله للعين فى الإدراك، و قال المحققون من الحكماء:إنّ الإدراك البصرى هو بانطباع أشباح المرئيات فى الرطوبه الجليديّه من العين عند توسط الهواء الشّفاف المضىء كما تنطبع الصوره فى المرآه (۳).

قلت:و يصدّق الأخير أخبارهم عليهم السّلام،فورد أن الديصانى قال لهشام بن الحكم:أ يقدر ربّك-إذا كان قادرا-أن يدخل الدّنيا كلّها فى البيضه،لا يكبّر البيضه و لا يصغّر الدّنيا؟فراجع هشام فى ذلك الصادق عليه السّلام،فقال عليه السّلام له:كم حواسّك؟قال:خمس.قال:أيّها أصغر؟قال:الناظر.قال:و كم قدر النّاظر؟قال:

مثل العدسه أو أقلّ.فقال له:انظر أمامك و فوقك و أخبرنى بما ترى.فقال:أرى سماء و أرضا و دورا و قصورا و جبالا و أنهارا.فقال عليه السّلام:إنّ الّذى قدر أن

۱- ۱) شرح ابن ميثم ۵:۲۴۲.

۲- ۲) شرح ابن ميثم ۵:۲۴۳.

۳- ۳) شرح ابن أبى الحديد ۴:۲۴۴. [۱]

يدخل الّذى تراه العدس أو أقلّ قادر على أن يدخل الدّنيا كلّها فى البيضه،لا يصغّر الدّنيا و لا يكبّر البيضه (۱).

«و يتكلّم بلحم» قال ابن ميثم:و عنى عليه السّلام باللّحم اللّسان،فإنّه لحم أبيض رخو تلتفّ به عروق صغار كثيره فيها دم،و لذلك يتبيّن أحمر و تحته عروق و شريانات و أعصاب كثيره،و تحته فوهتان يسيل منهما اللّعاب ينتهيان إلى لحم غددى رخو موضوع فى أصله يسمى مولّد اللّعاب،و بهاتين الفوهتين يبقى للّسان و ما حوله النّداوه الطبيعيّه (۲).

قلت:و فى(توحيد المفضل):أطل الفكر يا مفضّل فى الصّوت و الكلام و تهيئه آلاته فى الإنسان،فالحنجره كالأنبوبه لخروج الصوت،و اللّسان و الشفتان و الأسنان لصياغه الحروف و النّغم،ألا ترى أنّ من سقطت أسنانه لم يقم السّين،و من سقطت شفته لم يصحّح الفاء،و من ثقل لسانه لم يفصح الرّاء،و أشبه شيء بذلك المزمار الأعظم،فالحنجره تشبه قصبه المزمار، و الرّئه تشبه الزّق الذى ينفخ فيه لتدخل الرّيح،و العضلات التى تقبض على الرّئه ليخرج الصوت كالأصابع التى تقبض على الزّق حتّى تجرى الريح فى المزامير،و الشّفتان و الأسنان التى تصوغ الصوت حروفا و نغما كالأصابع التى تختلف فى فم المزمار،فتصوغ صفيره ألحانا،غير أنّه و إن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالآله و التعريف،فإنّ الزمار فى الحقيقه هو المشبه بمخرج الصوت-إلى أن قال-تأمّل يا مفضّل ما أنعم اللّه به على الإنسان من هذا المنطق الذى يعبّر به عمّا فى ضميره و ما يخطر بقلبه و ينتجه فكره،و به

۱- ۱) أخرجه الكلينى فى الكافى ۱:۷۹ ح ۴،و [۱]الصدوق فى التوحيد:۱۲۲ ح ۱،و حديث البيضه جاء بألفاظ أخرى عن عيسى و على و الرضا عليه السّلام،مرّ تخريجه فى العنوان(۵)من هذا الفصل.

۲- ۲) شرح ابن ميثم ۵:۲۴۳.

يفهم عن غيره ما فی نفسه،و لو لا ذلک کان بمنزله البهائم المهمله التی لا تخبر عن نفسها بشیء،و لا تفهم عن مخبر شیئا (۱).

قلت:و لکون نعمه اللّسان بتلک المثابه فی تمییز الإنسان من الحیوان، قال الرّحمن-جلّ و علا-فی مقام الامتنان: «خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَیانَ» (۲).

«و یسمع بعظم» قال ابن میثم:و أراد بالعظم الذی یسمع به العظم المسمّی الحجریّ،و هو عظم صلب فیه مجری الأذن،کثیر التعاریج و العطفات،یمرّ کذلک إلی أن یلقی العصبه النّابته من الدّماغ،التی هی مجری الروح الحامل للقوّه السامعه... (۳).

قلت:و فی(توحید المفضل):و کذلک من عدم السّمع یختلّ فی أمور کثیره،فإنّه یفقد روح المخاطبه و المحاوره،و یعدم لذّه الأصوات و اللّحون المشجیه المطربه،و تعظم المئونه علی النّاس فی محاورته حتّی یتبرّموا به، و لا یسمع شیئا من أخبار الناس و أحادیثهم حتّی یکون کالغائب و هو شاهد، و کالمیّت و هو حیّ (۴).

و فی أذکار السّجدتین«سجد وجهی للّذی خلقه و شقّ سمعه و بصره» (۵).

«و یتنفّس فی خرم» بالضّمّ،و هو ثقب الأنف،قال ابن میثم:و فی هذه و أمثالها من بدن الإنسان و سائر الحیوان عبره لمن اعتبر،و کمال شهاده

۱- ۱) توحید المفضل:۶۲،۷۹. [۱]

۲- ۲) الرحمن:۳-۴. [۲]

۳- ۳) شرح ابن میثم ۵:۲۴۳.

۴- ۴) توحید المفضل:۶۰. [۳]

۵- ۵) هذا الذکر أخرجه الکلینی فی الکافی ۳:۳۲۱ ح ۱،و [۴]الطوسی فی التهذیب ۲:۷۹ ح ۶۳،و رواه القاضی النعمان فی دعائم الاسلام ۱:۱۶۴ [۵] عن الصادق علیه السّلام.

بوجود الصانع الحكيم لها،و من نظر فی تشريح بدن الإنسان حضرته شواهد من الحكم الإلهيه يحار فيها لبّه و يدهش فيها عقله.و قرأ الصادق عليه السّلام قوله تعالی: «وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً» (۱)ثمّ قال:كيف لا يكون ضعيفا و هو ينظر بشحم،و يسمع بعظم،و ينطق بلحم (۲).

۴۳

الحكمه(۳۰۲)

و قال عليه السّلام:

مَا الْمُبْتَلَی الَّذِی قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلاَءُ- بِأَحْوَجَ إِلَی الدُّعَاءِ- مِنَ الْمُعَافَی الَّذِی لاَ يَأْمَنُ الْبَلاَءَ أقول:هو أيضا إحدی آياته تعالی،روی(الكافی)عن سيف بن ليث قال:

خلّفت ابنا لی عليلا بمصر عند خروجی منها،و ابنا لی آخر أسنّ منه كان وصيّی و قيّمی علی عيالی،و فی ضياعی،فكتبت إلی أبی محمّد عليه السّلام أسأله الدّعاء لابنی العليل.فكتب عليه السّلام إليّ:قد عوفی ابنك المعتلّ،و مات الكبير وصيّك و قيّمك،فاحمد اللّه و لا تجزع فيحبط أجرك،فورد عليّ الخبر أنّ ابنی قد عوفی من علته و مات الكبير يوم ورد جواب أبی محمّد عليه السّلام (۳).

و روی(العيون)عن محمّد بن داود قال:كنت أنا و أخی عند الرّضا عليه السّلام فأتاه من أخبره أنّه قد ربط ذقن محمد بن جعفر،فمضی أبو الحسن عليه السّلام و مضينا معه و إذا لحياه قد ربطا،و إذا إسحاق بن جعفر و ولده و جماعه آل

۱- ۱) النساء:۲۸. [۱]

۲- ۲) شرح ابن ميثم ۵:۲۴۳. [۲]

۳- ۳) أخرجه الكلينی فی الكافی ۱:۵۱۱ ح ۱۸،و [۳]رواه ابن شهر آشوب فی المناقب ۴:۴۳۳،و [۴]الإربلی فی كشف الغمه ۳:۲۱۴ [۵]عن سيف بن الليث،و روی معناه الإربلی فی كشف الغمه ۳:۲۱۲،و [۶]الراوندی فی الخرائج عنه بحار الأنوار ۵۰:۲۶۹ ح ۳۱،و:۲۷۴ ح ۴۴ [۷] كلاهما عن علی بن يزيد و حجاج بن يوسف العبدی.

أبی طالب یبکون،فجلس أبو الحسن علیه السّلام عند رأسه و نظر فی وجهه فتبسّم، فنقم من کان فی المجلس علیه،فقال بعضهم:إنّما تبسّم شامتا بعمّه.قال:

و خرج لیصلّی فی المسجد،فقلنا له:قد سمعنا فیک من هؤلاء ما نکره حین تبسّمت.فقال أبو الحسن علیه السّلام إنّما تعجبت من بکاء إسحاق و هو یموت-و اللّه- قبله و یبکیه محمّد.قال:فبرئ محمّد و مات إسحاق (۱).

و قال الشاعر:

کم مریض عاش من بعد یأس بعد موت الطبیب و العوّاد

قد یصاد القطا فینجو سلیما و یحلّ القضاء بالصیّاد

و قال أیضا:

أ کان الجبان یری أنّه یدافع عند الفرار الأجل

فقد یدرک الحادثات الجبان و یسلم منها الشجاع البطل

۴۴

من الخطبه(۱۹۷)

بعد ذکر الصّلاه و الزکاه و أداء الأمانه:

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَی لَا یَخْفَی عَلَیْهِ- مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِی لَیْلِهِمْ وَ نَهَارِهِمْ- لَطُفَ بِهِ خُبْراً وَ أَحَاطَ بِهِ عِلْماً أَعْضَاؤُکُمْ شُهُودُهُ- وَ جَوَارِحُکُمْ جُنُودُهُ وَ ضَمَائِرُکُمْ عُیُونُهُ وَ خَلَوَاتُکُمْ عِیَانُهُ «إنّ اللّه سبحانه و تعالی» هکذا فی(المصریه)،و کلمه(و تعالی)زائده لعدم وجودها فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه) (۲).

۱- ۱) أخرجه الصدوق فی العیون ۲:۲۰۶ ح ۶،و [۱]أخرج فی معناه هو فی العیون ۲:۲۰۶ ح ۷ [۲] بروایه أخری،و الطبری فی دلائل الإمامه:۱۷۱،و رواه ابن شهر آشوب فی المناقب ۴:۳۴۰،و [۳]نقله عن دلائل الامامه ابن طاوس فی فرج المهموم: ۲۳۱. [۴]

۲- ۲) فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۵۴۹،و [۵]فی شرح ابن میثم ۳:۴۶۲« [۶]سبحانه و تعالی»أیضا.

«لا يخفى عليه ما العباد مقترفون» أى:مكتسبون للذّنب «يَعْلَمُ ما تَكْسِبُ كُلَّ نَفْسٍ» (۱).

«فى ليلهم و نهارهم» «سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سارِبٌ بِالنَّهارِ» (۲).

«لطف به خبرا» «يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللّهُ إِنَّ اللّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ» (۳).

«و أحاط به علما» «وَ قَدْ أَحَطْنا بِما لَدَيْهِ خُبْراً» (۴).

«أعضاؤكم شهوده» استشهد له بقوله تعالى: «وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللّهِ إِلَى النّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتّى إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ وَ قالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لا أَبْصارُكُمْ وَ لا جُلُودُكُمْ وَ لكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمّا تَعْمَلُونَ» (۵).

و بما فى(تفسير القمّيّ)فى قوله تعالى: «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ» (۶)قال:إذا جمع اللّه تعالى الخلق يوم القيامه دفع إلى كلّ إنسان كتابه فينظرون فيه،فينكرون أنّهم عملوا من ذلك شيئا،فتشهد عليهم الملائكه فيقولون:يا ربّ ملائكتك يشهدون لك ثمّ

۱- ۱) الرعد:۴۲. [۱]

۲- ۲) الرعد:۱۰. [۲]

۳- ۳) لقمان:۱۶. [۳]

۴- ۴) الكهف:۹۱. [۴]

۵- ۵) فصلت:۱۹-۲۲. [۵]

۶- ۶) يس:۶۵. [۶]

يحلفون أنّهم لم يعملوا من ذلك شيئا،و هو قوله تعالى: «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَما يَحْلِفُونَ لَكَمْ» (۱)فاذا فعلوا ذلك ختم اللّه على ألسنتهم و تنطق جوارحهم بما كانوا يكسبون (۲).

«و جوارحكم جنوده» فاذا كانت جوارح النّاس شهوده يصحّ أن يقال:إنّها أيضا جنوده «وَ لِلّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» (۳).

«و ضمائركم عيونه» أى:جواسيسه «يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِي الصُّدُورُ» (۴).

«و خلواتكم عيانه» «أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» (۵).

۴۵

الحكمه(۲۷۳)

و قال عليه السّلام:

اعْلَمُوا عِلْماً يَقِيناً أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ- وَ إِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ وَ اشْتَدَّتْ طَلِبَتُهُ- وَ قَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ- أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ- وَ لَمْ يَحُلْ بَيْنَ الْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَ قِلَّةِ حِيلَتِهِ- وَ بَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ- وَ الْعَارِفُ لِهَذَا الْعَامِلُ بِهِ- أَعْظَمُ النَّاسِ رَاحَةً فِي مَنْفَعَةٍ- وَ التَّارِكُ لَهُ الشَّاكُّ فِيهِ- أَعْظَمُ النَّاسِ شُغْلًا فِي مَضَرَّةٍ- وَ رُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَى- وَ رُبَّ مُبْتَلًى مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَى- فَزِدْ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ

۱- ۱) المجادله:۱۸. [۱]

۲- ۲) تفسير على بن إبراهيم القمى ۲:۲۱۶. [۲]

۳- ۳) الفتح:۴. [۳]

۴- ۴) غافر:۱۹. [۴]

۵- ۵) هود:۵. [۵]

فِی شُکْرِکَ- وَ قَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِکَ- وَ قِفْ عِنْدَ مُنْتَهَی رِزْقِکَ أقول:و رواه ابن شعبه الحرّانیّ فی(تحف عقوله ابن شعبه الحرانی- تحف العقول-ص ۱۵۵)،و زاد بعد قوله:«ما سمّی له فی الذکر الحکیم»:«إنّه لن یزداد امرؤ نقیرا بحذقه،و لن ینتقص نقیرا بحمقه»،و بدّل قوله:«فزد أیّها المستمع فی شکرک»بقوله:«فأفق أیّها المستمتع من سکرک» (۱).

و رواه(الکافی الکلینی-الکافی-ج ۵ ص ۸۱ ح ۹)فی باب الإجمال فی الطلب مع زیادات و اختلافات یسیره (۲)،و کیف کان فهو أیضا من آیاته تعالی،و إنّ الأمر لیس بید الخلائق، و إنّه لا یقع إلّا ما أراد الخالق .

«اعلموا علما یقینا» لا یختلجکم فیه شک.

«أنّ اللّه لم یجعل للعبد و إن عظمت حیلته» و تدابیره.

«و اشتدّت طلبته» و سعیه.

«و قویت مکیدته» و فطانته.

«أکثر» مفعول لقوله:«لم یجعل».

«ممّا سمّی» و عیّن.

«له فی الذکر الحکیم» و هو لفظ القرآن،قال تعالی: «ذلِکَ نَتْلُوهُ عَلَیْکَ مِنَ الْآیاتِ وَ الذِّکْرِ الْحَکِیمِ» (۳).

و الظاهر أنّ المراد به فی کلامه علیه السّلام اللّوح المحفوظ الّذی فیه مقدرات الخلق،و کیف کان نری ما قاله علیه السّلام بالمشاهده و العیان،فکثیر من الناس ممّن لهم فطانه زائده یدبّرون تدبیرات لزیاده أرزاقهم و لا یتیسر لهم إلّا ما قدّر اللّه

۱- ۱) تحف العقول:۱۵۵،و لفظه:«ما کتب له فی الذکر الحکیم أیّها الناس أنّه لن یزداد امرؤ نقیرا بحذقه و لن ینتقص نقیرا بحمقه».

۲- ۲) الکافی للکلینی ۵:۸۱ ح ۹.

۳- ۳) آل عمران:۵۸. [۱]

تعالى لهم.

و روى(الكافى)عن الباقر عليه السّلام قال:قال النبى صلّى اللّه عليه و آله فى حجّه الوداع:ألا إنّ الرّوح الأمين نفث فى روعى أنّه لا تموت نفس حتّى تستكمل رزقها.فاتّقوا اللّه عزّ و جلّ و أجملوا فى الطلب،و لا يحملنّكم استبطاء شىء من الرزق أن تطلبوه بشىء من معصيه اللّه،فإنّ اللّه تعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالا،و لم يقسّمها حراما،فمن اتّقى اللّه تعالى و صبر أتاه اللّه برزقه من حلّه،و من هتك حجاب السّتر و عجلّ فأخذه من غير حلّه،قصّ به من رزقه الحلال،و حوسب عليه يوم القيامه (۱).

و روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام:كم من متعب نفسه مقتّر عليه،و مقتصد فى الطلب قد ساعدته المقادير (۲).

و روى عن الثمالى قال:ذكر عند علىّ بن الحسين عليه السّلام غلاء السّعر.

فقال:و ما علىّ من غلائه،إن غلا فهو عليه،و إن رخص فهو عليه (۳).

و عن الصادق عليه السّلام:لو كان العبد فى حجر لأتاه اللّه برزقه،فأجملوا فى الطّلب (۴).

۱- ۱) أخرجه الكلينى فى الكافى ۵:۸۰ ح ۱،و [۱]بفرق يسير علاء بن رزين فى أصله:۱۵۳،و عاصم بن حميد فى أصله:۲۳، و الاسكافى فى التمحيص:۵۲ ح ۱۰۰،و [۲]الكلينى بثلاث روايات فى الكافى ۲:۷۴ ح ۲،و ۵:۸ [۳]۰ ح ۳،و ۵:۸۳ ح ۱۱، و الصدوق فى أماليه:۲۴۱ ح ۱ المجلس ۴۹،و [۴]المفيد فى المقنعه:۹۰،و الطوسى فى التهذيب ۶:۳۲۱ ح ۱،و رواه أبو القاسم الكوفى فى الأخلاق عنه المستدرك ۲:۴۱۸،الباب ۱۰ ح ۱۳،و [۵]الديلمى فى أعلام الدين عنه المستدرك ۲:۴۱۸ الباب ۱۰ ح ۱۰. [۶]

۲- ۲) أخرجه الكلينى فى الكافى ۵:۸۱ ح ۶،و [۷]الاسكافى فى التمحيص:۵۳ ح ۱۰۱،و [۸]الصدوق فى الفقيه ۴:۲۷۶ ضمن وصيته عليه السّلام لابن الحنفيه.

۳- ۳) أخرجه الكلينى فى الكافى ۵:۸۱ ح ۷،و [۹]الصدوق فى الفقيه ۳:۱۷۰ ح ۱۳،و التوحيد:۳۸۸ ح ۳۴،و [۱۰]الطوسى فى التهذيب ۶:۳۲۱ ح ۲.

۴- ۴) أخرجه الكلينى فى الكافى ۵:۸۱ ح ۴،و [۱۱]الاسكافى فى التمحيص ح:۵۳ ۱۰۳. [۱۲]

«و لم يحل» تعالى.

«بين العبد فى ضعفه» فى بدنه.

«و قلّه حيلته» فى أموره.

«و بين أن يبلغ ما سمّى له فى الذكر الحكيم» من الرزق،بل الغالب كون رزقهم أكثر،قال الصادق عليه السّلام:إنّ اللّه تعالى وسّع فى أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء،و يعلموا أنّ الدّنيا ليس ينال ما فيها بعمل و لا حيله (۱).

«و العارف لهذا» أى:العارف بأنّه لا ينال إلّا ما قدّر له.

«العامل به» على طبق علمه.

«أعظم النّاس راحه فى منفعه» حيث إنّه يعلم أن ما قدّر له يأتيه بلا تعب، قال الصادق عليه السّلام:إذا فتحت بابك،و بسطت بساطك،فقد قضيت ما عليك (۲).

«و التّارك له الشاكّ فيه» بظنّه أنّ الرّزق بجدّه و جهده.

«أعظم النّاس شغلا فى مضرّه» حيث إنّه يكدّ ليله و نهاره و يسلب راحته، و لا يحصل له إلّا ما قدّر له .

«و ربّ منعم عليه مستدرج» أى:مأخوذ تدريجا،و الأصل فيه قوله تعالى:

«وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ» (۳).

«بالنّعمى» فكانت سبب غرّته،فلو لم يكن منعما عليه كان له أولى،قال تعالى: «أَ يَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِينَ نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ»

۱- ۱) أخرجه الكلينى فى الكافى ۵:۸۲ ح ۱۰،و [۱]الاسكافى فى التمحيص:۵۳ ح ۱۰۲،و [۲]الصدوق فى علل الشرائع ۱:۹۲ ح ۱، و [۳]الطوسى فى التهذيب ۶:۳۲۲ ح ۵،و رواه الورّام فى تنبيه الخواطر ۱:۱۴ [۴] عن الصادق عليه السّلام.

۲- ۲) أخرجه الكلينى فى الكافى ۵:۷۹ ح ۱،و [۵]الصدوق فى الفقيه ۳:۱۰۰ ح ۴۲،و الطوسى فى التهذيب ۶:۳۲۳ ح ۷،و أخرج معناه أيضا الصدوق فى الفقيه ۳:۱۰۰ ح ۴۱،كلّهم عن الصادق عليه السّلام.

۳- ۳) الأعراف:۱۸۲. [۶]

لا يَشْعُرُونَ (۱).

«و ربّ مبتلى مصنوع له» من اللّه تعالى.

«بالبلوى» أى:بالابتلاء،روى(التوحيد)عن النبى صلّى اللّه عليه و آله قال:قال تعالى:

«إنّ من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلّا بالفقر و لو أغنيته لأفسده ذلك » (۲).

«فزد أيّها المستمع و قف عند منتهى رزقك» و لا تطمع فى الزياده عليه سفاهه،و قد عرفت ما بدّل(التّحف)الجمله (۳).

و رواها(الكافى):«فاتّق اللّه أيّها الساعى من سعيك،و قصّر من عجلتك،و انتبه من سنه غفلتك،و تفكّر فى ما جاء عن اللّه تعالى على لسان نبيّه صلّى اللّه عليه و آله (۴).

۴۶

الحكمه(۸۴)

و من خطبه له عليه السّلام:

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ وَ خَبَرَ الضَّمَائِرَ- لَهُ الْإِحَاطَهُ بِكُلِّ شَىْءٍ وَ الْغَلَبَهُ لِكُلِّ شَىْءٍ- وَ الْقُوَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ «قد علم السّرائر» «وَ اللّهُ يَعْلَمُ إِسْرارَهُمْ» (۵)، «أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ» (۶).

۱- ۱) المؤمنون:۵۵-۵۶. [۱]

۲- ۲) أخرجه الصدوق فى التوحيد:۴۰۰ ح ۱،و علل الشرائع ۱:۱۲ ح ۷،و [۲]أخرج فى معناه الكلينى فى الكافى ۲:۹۰ ح ۴. [۳]

۳- ۳) مرّ فى بدء هذا العنوان من تحف العقول:۱۵۶.

۴- ۴) الكافى للكلينى ۵:۸۲ ح ۹،و [۴]فى بعض نسخ الكافى« [۵]فأفق أيّها الساعى».

۵- ۵) محمد:۲۶. [۶]

۶- ۶) التوبه:۷۸. [۷]

«و خبر» بالفتح:أی علم.

«الضّمائر» «فَإِنَّهُ یَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفی» (۱) «وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ یُبَیِّتُونَ ما لا یَرْضی مِنَ الْقَوْلِ » (۲).

«له الإحاطه بکلّ شیء» «وَ لِلّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ کانَ اللّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ مُحِیطاً » (۳).

«و الغلبه لکلّ شیء» «وَ اللّهُ غالِبٌ عَلی أَمْرِهِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النّاسِ لا یَعْلَمُونَ» (۴).

أراد نمرود و فرعون منع تولّد إبراهیم و موسی علیهما السّلام،و أراد إخوه یوسف دفعه عمّا قدّر له من الرّفعه (۵)،فصاروا مغلوبین فی قبال أمره تعالی .

«و القوّه علی کلّ شیء» «وَ لَوْ یَرَی الَّذِینَ ظَلَمُوا إِذْ یَرَوْنَ الْعَذابَ أَنَّ الْقُوَّهَ لِلّهِ جَمِیعاً» (۶).

۱- ۱) طه:۷. [۱]

۲- ۲) النساء:۱۰۸. [۲]

۳- ۳) النساء:۱۲۶. [۳]

۴- ۴) یوسف:۲۱. [۴]

۵- ۵) منع تولّد إبراهیم لم یجئ فی القرآن،لکن أخرجه علی بن إبراهیم فی تفسیره ۱:۲۰۷ و الکلینی فی الکافی ۸:۳۶۶ ح ۵۵۸،و [۵]الصدوق فی کمال الدّین ۱:۱۳۸ ح ۷،و [۶]رواه الراوندی فی قصص الأنبیاء عنه البحار ۱۲:۴۲ ح ۳۱ مسندا عن الصادق علیه السّلام،و أخرجه المسعودی فی إثبات الوصیّه:۲۹ مرسلا عن العالم علیه السّلام،و رواه موقوفا أو بلا اسناد الطبری فی التاریخ ۱:۱۶۳-۱۶۵،و المسعودی فی مروج الذهب ۱:۵۶،و الثعلبی فی العرائس:۷۳-۷۴،و الطبرسی فی مجمع البیان ۴:۳۲۵،و أما قصه منع تولّد موسی علیه السّلام فجاءت فی القرآن،طه:۳۸-۴۰،و القصص:۴-۹،و أمّا قصه أخوه یوسف علیه السّلام فجاءت مفصّله فی القرآن فی سوره یوسف.

۶- ۶) البقره:۱۶۵. [۷]

من الخطبه(۹۹)

و من خطبه له علیه السّلام أخری:

الْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ وَ الْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ- بِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ- وَ بِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً- يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانَ- وَ الْقَلْبُ اللِّسَانَ قول المصنّف : «و من خطبه له علیه السّلام أخری» هکذا فی(المصریه)،و لا معنی لکلمه(أخری)،فإنّ کلّ خطبه من الکتاب غیر سابقتها،و فیها نقص.ففی(ابن أبی الحدید) (۱):«و من خطبه له علیه السّلام،و هی من الخطب التی تشتمل علی ذکر الملاحم»و کذا(ابن میثم) (۲)بدون قوله:«و هی من الخطب الّتی»و مثل(ابن میثم): (الخطیه)،لکن فیها«الملحمه»بدل(الملاحم).

قوله علیه السّلام : «الأوّل قبل کلّ أوّل،و الآخر بعد کلّ آخر» روی(توحید الصدوق) أنّ الصادق علیه السّلام سئل عن قوله تعالی: «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ» ،فقال:الأوّل لا عن أوّل کان قبله،و لا عن بدء سبقه،و الآخر لا عن نهایه کما یعقل من صفه المخلوقین،و لکن قدیم أوّل آخر لم یزل و لا یزال،بلا بدء و لا نهایه،لا یقع علیه الحدوث،و لا یحول من حال إلی حال،خالق کلّ شیء (۳).

«بأوّلیّته وجب أن لا أوّل له» أی:بأوّلیته قبل جمیع الأشیاء وجب أن لا یکون له أوّل،فیکون شیء قبله.

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۹۲. [۱]

۲- ۲) شرح ابن میثم ۳:۹. [۲]

۳- ۳) أخرجه الصدوق فی التوحید:۳۱۳ ح ۱،و معانی الأخبار:۱۲ ح ۱،و الکلینی فی الکافی ۱:۱۱۶ ح ۶ [۳] عن میمون اللّبان عن الصادق علیه السّلام،و قد مرّ فی العنوان(۵،۱۹)من هذا الفصل.

«و بآخريّته أن لا آخر له» هكذا فى(المصريه)،و الصواب ما فى(ابن أبى الحديد) (۱):(و بآخريته وجب أن لا آخر له).

و فى(توحيد الصدوق)أيضا عن ابن أبى يعفور:سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قوله تعالى: «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ» ،و قلت:أمّا الأوّل فقد عرفناه،و أمّا الآخر فبيّن لنا تفسيره.فقال:إنّه ليس شىء إلّا يبيد أو يتغيّر أو يدخله الغير و الزّوال أو ينتقل من لون إلى لون،و من هيئه إلى هيئه،و من صفه إلى صفه،و من زياده إلى نقصان،و من نقصان إلى زياده،إلّا ربّ العالمين،فإنّه لم يزل و لا يزال واحدا،هو الأوّل قبل كلّ شىء،و هو الآخر على ما لم يزل،لا تختلف عليه الصفات و الأسماء ما يختلف على غيره،مثل الإنسان الّذى يكون ترابا و مرّه لحما،و مرّه دما،و مرّه رفاتا و رميما،و كالتّمر الّذى يكون مرّه بلحا،و مرّه بسرا،و مرّه رطبا،و مرّه تمرا،فيتبدّل عليه الأسماء و الصفات،و اللّه عزّ و جلّ بخلاف ذلك (۲).

«و أشهد أن لا إله إلّا اللّه شهاده يوافق فيها السّر الإعلان» لا كشهاده اليهود «وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنّا وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ » (۳).

«و القلب اللّسان» لا كشهاده المنافقين «إِذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللّهِ وَ اللّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَ اللّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ» (۴)، «يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ» (۵).

۱- ۱) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۹۲،و لفظ شرح ابن ميثم ۳:۹ [۱] نحو الطبعه المصريه.

۲- ۲) أخرجه الصدوق فى التوحيد:۳۱۴ ح ۲،و الكلينى فى الكافى ۱:۱۱۵ ح ۵،و [۲]قد مرّ فى العنوان(۱)من هذا الفصل.

۳- ۳) البقره:۱۴. [۳]

۴- ۴) المنافقون:۱. [۴]

۵- ۵) الفتح:۱۱. [۵]

من الخطبه(۱۸۱)

فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ- فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ- وَ لَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَ جَعَلَ لَهُ عَلَماً بَادِياً- وَ آيَهً مُحْكَمَهً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ- فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ وَ سَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ- وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ- عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ- وَ لَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ- وَ إِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ- وَ تَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ- قَدْ كَفَاكُمْ مَئُونَهَ دُنْيَاكُمْ وَ حَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ- وَ افْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ وَ أَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى- وَ جَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وَ حَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ- فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ وَ نَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ- وَ تَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ- إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ وَ إِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ- قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَهً كِرَاماً لَا يُسْقِطُونَ حَقّاً وَ لَا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا «فعظّموا منه سبحانه ما عظّم من نفسه» «قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ تُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ» (۱)، «وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» (۲)، «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ»

ص:۴۲۰

۱- ۱) آل عمران:۲۶-۲۷. [۱]

۲- ۲) البقره:۱۱۵. [۲]

«قَدِيرٌ وَ أَنَّ اللّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً» (۱)، «قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً» (۲)، «وَ ما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ وَ السَّماواتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ» (۳)، «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَ ما ذلِكَ عَلَى اللّهِ بِعَزِيزٍ » (۴).

«فإنّه لم يخف» من أخفى.

«عنكم شيئا من دينه» فقد قال تعالى فى كتابه: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِی وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً» (۵)،و المراد الإكمال بالكتاب و العتره معا،فقد قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى المتواتر عنه:إنّى تارك فيكم الثقلين:كتاب اللّه و عترتى،و انّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض (۶).

«و لم يترك شيئا رضيه أو كرهه إلّا و جعل له» أى:لما رضيه أو كرهه.

«علما» أى:علامه.

«باديا» أى:ظاهرا،أى من سنّته.

۱- ۱) الطلاق:۱۲. [۱]

۲- ۲) الكهف:۱۰۹. [۲]

۳- ۳) الزمر:۶۷. [۳]

۴- ۴) إبراهيم:۱۹-۲۰. [۴]

۵- ۵) المائده:۳. [۵]

۶- ۶) اسناد هذا الحديث يزيد على المئات عن طريق أهل السنه و الاماميه و الزيديه، [۶]أقتصر على ما أخرجه و صحّحه مسلم فى صحيحه ۴:۱۸۷۳ و ۱۸۷۴ ح ۳۶،۳۷ بأربع طرق،و الحاكم فى مستدرك الصحيحين عنه إحياء الميت:۱۱ ح ۶ عن زيد بن أرقم عن النبى صلى اللّه عليه و آله،و أخرجه صاحب صحيفه الرضا عليه السّلام فيه:۵۹ ح ۸۳،و صاحب مسند زيد بن على فيه:۴۰۴،و القاضى الصعدى فى درر الأحاديث:۵۲ عن الرضا عليه السّلام،و زيد بن على،و الهادى إلى الحق عن على عليه السّلام عن النبى صلّى اللّه عليه و آله،و جمع بعض طرقه الصدوق فى كمال الدين ۲۳۴:۱-۲۴۱،و [۷]السيوطى فى إحياء الميت:۱۱-۴۸.

«و آیه» بمعنی أو آیه.

«محکمه» غیر متشابهه من کتابه.

«تزجر عنه» أی:عن ذلک الشّیء الّذی کرهه.

«أو تدعو إلیه» أی:إلی ذاک الشیء الّذی رضیه،و قد قال النبی صلّی اللّه علیه و آله فی حجّه وداعه:«یا أیّها الناس و اللّه ما من شیء یقرّبکم من الجنّه و یباعدکم من النار إلاّ و قد أمرتکم به،و ما من شیء یقرّبکم من النّار و یباعدکم من الجنّه إلاّ و قد نهیتکم عنه » (۱).

«فرضاه فی ما بقی» من الزّمان أو من النّاس.

«واحد» فالنّاس عنده سواء.

«و سخطه فی ما بقی واحد» لکون حلاله و حرامه علی حالهما إلی الأبد .

«و اعلموا أنّه لن یرضی عنکم بشیء سخطه علی من کان قبلکم» من الأمم الماضیه أو ممّن کان فی عصر الرّسول صلّی اللّه علیه و آله.

«و لن یسخط» أی:لن یغضب.

«علیکم بشیء رضیه ممّن کان قبلکم» لکون حکم الجمیع واحدا .

«و إنّما تسیرون فی أثر بیّن» من الدّین «قَدْ تَبَیَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَیِّ» (۲).

«و تتکلّمون برجع قول قد قاله الرّجال من قبلکم» قال ابن أبی الحدید:یعنی کلمه التوحید(لا إله إلاّ اللّه)قد قالها الموحّدون من قبل هذه الملّه لا تقلیدا،بل بالنّظر و الدّلیل،فقولوها أنتم کذلک (۳).

قلت:لم أفهم کیفیه دلاله(رجع القول)علی ما قال،و إنّما المستفاد من

---

۱ - ۱) هذا صدر خطبه الکلینی رواها فی الکافی ۲:۷۴ ح ۲،و عاصم بن حمید فی أصله:۲۳،و رواه أبو القاسم الکوفی فی الأخلاق عنه المستدرک ۲:۴۱۹ ح ۱۳،و [۱]الدیلمی فی أعلام الدین [۲]عنه المستدرک ۲:۴۱۸ ح ۱۰. [۳]

۲- ۲) البقره:۲۵۶. [۴]

۳- ۳) شرح ابن أبی الحدید ۲:۵۲۳. [۵]

مورد آیه «وَ لَوْ تَرى إِذِ الظّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لا أَنْتُمْ لَكُنّا مُؤْمِنِينَ قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَ نَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الْهُدى بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ وَ قالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ إِذْ تَأْمُرُونَنا أَنْ نَكْفُرَ بِاللّهِ» (۱)کون رجع القول تکرارا لمجاوبه بین فریقین،و لعلّ الرجع هنا بمعنی النّفع،کما قیل فی قوله تعالی: «وَ السَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ » (۲).

«قد کفاکم مئونه دنیاکم» «وَ فِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَ ما تُوعَدُونَ فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ» (۳).

«و حثّکم علی الشّکر» «وَ لَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلّهِ وَ مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» (۴)، «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ» (۵).

«و افترض من ألسنتکم الذّکر» صادرا عن القلب «وَ اذْكُرُوا اللّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (۶)، «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ وَ لا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ » (۷).

«و أوصاکم بالتّقوی» «وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ»

۱- ۱) سبأ:۳۱-۳۳. [۱]

۲- ۲) الطارق:۱۱. [۲]

۳- ۳) الذاریات:۲۲-۲۳. [۳]

۴- ۴) لقمان:۱۲. [۴]

۵- ۵) ابراهیم:۷. [۵]

۶- ۶) الجمعه:۱۰. [۶]

۷- ۷) الأعراف:۲۰۵. [۷]

«وَ إِيّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللّهَ» (۱).

«و جعلها منتهى رضاه» من عباده «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ» (۲).

«و حاجته من خلقه» «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (۳).

«فاتّقوا اللّه الّذى أنتم بعينه» «وَ أَنَّ هذا صِراطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (۴)، «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَ نَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» (۵)، «وَ هُوَ الَّذِى يَتَوَفّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَ يَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضى أَجَلٌ مُسَمًّى» (۶).

«و نواصيكم بيده» «ما مِنْ دَابَّةٍ إِلّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها إِنَّ رَبِّى عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» (۷).

«و تقلّبكم فى قبضته» «وَ اللّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَ مَثْواكُمْ» (۸)، «فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى الْبِلادِ » (۹).

«إن أسررتم علمه» «يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» (۱۰)،

۱- ۱) النساء:۱۳۱. [۱]

۲- ۲) الحجرات:۱۳. [۲]

۳- ۳) البقره:۱۸۳. [۳]

۴- ۴) الأنعام:۱۵۳. [۴]

۵- ۵) ق:۱۶.

۶- ۶) الأنعام:۶۰. [۵]

۷- ۷) هود:۵۶. [۶]

۸- ۸) محمّد:۱۹. [۷]

۹- ۹) غافر:۴. [۸]

۱۰- ۱۰) الفرقان:۶. [۹]

«تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّهِ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِما أَخْفَيْتُمْ وَ ما أَعْلَنْتُمْ» (۱)، «يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَ ما تُعْلِنُونَ» (۲).

«و إن أعلنتم كتبه» «وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ» (۳)، «وَ نَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَ آثارَهُمْ وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ» (۴)، «ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» (۵).

«قد وكلّ بكم» هكذا فى(المصريه)،و الصواب:(بذلك)كما فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيّه) (۶).

«حفظه كراما» «وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَهً حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَ هُمْ لا يُفَرِّطُونَ» (۷).

«لا يسقطون حقّا و لا يثبتون باطلا» لا ككتّاب الأمراء و الملوك يثبتون الباطل على النّاس و يسقطون الحقّ لهم.

قال تعالى: «وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ» (۸)، «إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ» (۹)، «وَ يَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَهً وَ لا كَبِيرَهً إِلاّ أَحْصاها»

۱- ۱) الممتحنه:۱. [۱]

۲- ۲) النمل:۲۵. [۲]

۳- ۳) القمر:۵۳. [۳]

۴- ۴) يس:۱۲. [۴]

۵- ۵) ق:۱۸.

۶- ۶) فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۵۲۲،و شرح ابن ميثم ۳:۳۹۸« [۵]بكم»أيضا.

۷- ۷) الأنعام:۶۱. [۶]

۸- ۸) الانفطار:۱۰-۱۲. [۷]

۹- ۹) ق:۱۷.

«وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً» (۱).

۴۹

من الخطبه(۱۹۳)

وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ- أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَ لَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً- عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ وَ أَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ- فَاسْتَفْتِحُوهُ وَ اسْتَنْجِحُوهُ وَ اطْلُبُوا إِلَيْهِ وَ اسْتَمْنِحُوهُ- فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ وَ لاَ أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ- وَ إِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ وَ فِي كُلِّ حِينٍ وَ أَوَانٍ- وَ مَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَ جَانٍّ- لاَ يَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ وَ لاَ يَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ- وَ لاَ يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ وَ لاَ يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ- وَ لاَ يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ وَ لاَ يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ- وَ لاَ تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ وَ لاَ يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ- وَ لاَ تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ وَ لاَ تُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ- وَ لاَ تَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ- قَرُبَ فَنَأَى وَ عَلاَ فَدَنَا وَ ظَهَرَ فَبَطَنَ- وَ بَطَنَ فَعَلَنَ وَ دَانَ وَ لَمْ يُدَنْ- لَمْ يَذْرَأِ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ وَ لاَ اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلاَلٍ «و اعلموا عباد اللّه أنّه لم يخلقكم عبثا» «أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ» (۲).

«و لم يرسلكم هملا» كإبل بلا راع «أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى» (۳).

«علم مبلغ نعمه عليكم و أحصى إحسانه إليكم» و إنّما الخلق لا يعلمون

۱- ۱) الكهف:۴۹. [۱]

۲- ۲) المؤمنون:۱۱۵. [۲]

۳- ۳) القيامه:۳۶-۴۰. [۳]

مبلغ نعمه و لا يحصون مقدار إحسانه،قال تعالى: «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّهِ لا تُحْصُوها » (۱).

«فاستفتحوه» فإنّه القادر على فتح أبواب النّعم عليكم.

«و استنجحوه» فهو القادر لإنجاح حوائجكم.

«و اطلبوا إليه» مطالبكم كلّيها و جزئيها،و فى الخبر:أوحى إلى موسى:

اطلب منّى جميع حوائجك حتّى علف شاتك و ملح خميرك (۲).

«و استمنحوه» و روى(استميحوه) (۳)و كلّ منهما بمعنى اطلبوا العطاء منه تعالى: «وَ سْئَلُوا اللّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيماً» (۴).

«فما قطعكم عنه حجاب» كالملوك و الأمراء.

«و لا أغلق عنكم دونه باب» كأهل الدّنيا .

«و إنّه لبكلّ مكان» قال رجلان من علماء اليهود له عليه السّلام:أين ربّك؟ فقال عليه السّلام لهما-ضاربا لهما مثلا-:أقبل ملك من المشرق و ملك من المغرب، و ملك من السماء،و ملك من الأرض.فقال صاحب المشرق لصاحب المغرب:

من أين أقبلت؟قال:من عند ربّى.و قال صاحب المغرب لصاحب المشرق:من أين أقبلت؟قال من عند ربّى.و قال الخارج من الأرض للنّازل من السّماء:من أين أقبلت؟قال من عند ربّى.و قال النّازل من السماء للخارج من الأرض:من أين أقبلت؟قال:من عند ربّى (۵).

«و فى كلّ حين» أى:زمان،عطف على(لبكلّ).

۱- ۱) إبراهيم:۳۴. [۱]

۲- ۲) رواه ابن فهد فى عدّه الداعى عنه الجواهر السنيّه:۶۱ و [۲]النقل بالمعنى.

۳- ۳) نقل هذه الروايه ابن أبى الحديد فى شرحه ۲:۵۳۹.

۴- ۴) النساء:۳۲. [۳]

۵- ۵) أخرجه الصدوق ضمن حديث طويل فى التوحيد:۱۸۰ ح ۱۵ [۴] عن على عليه السّلام.

«و أوان» أی:وقت،لأنّه خالق الأوقات و الأزمنه،کما أنّه خالق الأمکنه.

«و مع کلّ إنس و جان» «ما یَکُونُ مِنْ نَجْوی ثَلاثَهٍ إِلاّ هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَهٍ إِلاّ هُوَ سادِسُهُمْ وَ لا أَدْنی مِنْ ذلِکَ وَ لا أَکْثَرَ إِلاّ هُوَ مَعَهُمْ أَیْنَ ما کانُوا ثُمَّ یُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا یَوْمَ الْقِیامَهِ إِنَّ اللّهَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ » (۱).

«لا یثلمه» أی:لا یورد علیه خللا،یقال:«فی الإناء ثلم»إذا انکسر من شفته شیء.

«العطاء» کما یثلم الخلق.

«و لا ینقصه» بالفتح،هنا متعدّ،و یأتی لازما یقال:«نقص الشیء و نقصته».

«الحباء» أی:العطاء،و کیف یثلمه عطاء،و ینقصه حباء،و هو الّذی إذا أراد شیئا یقول له کن فیکون.

«و لا یستنفده» أی:لا یجعل ما عنده فانیا،یقال:«نفد الشیء»إذا أفنی.

«سائل» «وَ لِلّهِ خَزائِنُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» (۲).

«و لا یستقصیه» أی:لا یبلغ أقصاه.

«نائل» أی:عطاء کالنوال .

«و لا یلویه» أی:لا یمیله.

«شخص عن شخص» آخر کالنّاس.

«و لا یلهیه» آخر کالخلائق.

«و لا تحجزه» أی:لا تمنعه.

«هبه» لأحد.

۱- ۱) المجادله:۷. [۱]

۲- ۲) المنافقون:۷. [۲]

«عن سلب» عن آخر، «يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَ إِناثاً وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً» (۱).

«لا تولهه» أی:لا تغفله.

«رحمه» لأحد.

«عن عقاب» لآخر «إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَ ذُو عِقابٍ أَلِيمٍ» (۲).

فإن قيل:إنّ غيره تعالى قد يهب لواحد،و يسلب آخر،و يغضب على رجل،و يرحم آخر،و يعاقب شخصا،و يترحم على آخر.فأىّ امتياز له تعالى؟ قلت:غيره تعالى يفعل ما ذكر على التعاقب على حسب حال تعرض له من حصول رقّه أو ثوره أو غيرهما،و هو تعالى يفعل جميع ذلك فى وقت واحد بدون حصول تأثّر له.

«و لا تجنّه» بالفتح و الضمّ،قال الجوهرى:جننت الميّت و أجننته،أى:

واريته (۳).

«البطون عن الظهور،و لا تقطعه الظهور عن البطون» قال ابن أبى الحديد:

الظهور و البطون مصدران،تقول:ظهر ظهورا،و بطن بطونا (۴).

قلت:و يحتمل أن يكونا جمع الظهر و البطن،و يكون المراد أنّ الخلائق إذا وردوا فى بطون الأشياء تكون ظهورها عنهم مستوره و بالعكس،و الخالق ليس كذلك،بل بطون الأشياء و ظهورها عنده سواء .

«قرب» «وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا»

۱- ۱) الشورى:۴۹-۵۰. [۱]

۲- ۲) فصلت:۴۳. [۲]

۳- ۳) صحاح اللغه للجوهرى ۵:۲۰۹۳ [۳] ماده(جنن).

۴- ۴) شرح ابن أبى الحديد ۲:۵۳۹ و النقل بالمعنى.

«دَعانِ» (۱).

«فنأی» أی:بعد «رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَیْکَ قالَ لَنْ تَرانِی وَ لکِنِ انْظُرْ إِلَی الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَکانَهُ فَسَوْفَ تَرانِی فَلَمّا تَجَلّی رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَکًّا وَ خَرَّ مُوسی صَعِقاً» (۲).

«و علا» «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی الَّذِی خَلَقَ فَسَوّی وَ الَّذِی قَدَّرَ فَهَدی وَ الَّذِی أَخْرَجَ الْمَرْعی» (۳).

«فدنا» أی:قرب «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَیْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِیدِ» (۴).

«و ظهر فبطن» «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ» (۵).

«و بطن فعلن» «قالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِی اللّهِ شَکٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» (۶).

و روی(توحید الصدوق)عن أحمد بن محسن المیثمی،قال:کنت عند أبی منصور المتطبّب،فقال:أخبرنی رجل من أصحابی،قال:کنت أنا و ابن أبی العوجاء،و عبد اللّه بن المقفّع فی المسجد الحرام.فقال ابن المقفّع:ترون هذا الخلق؟-و أومأ بیده إلی موضع الطّواف-ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانیه،إلاّ ذلک الشیخ الجالس-یعنی جعفر بن محمّد علیه السّلام-فأما الباقون فرعاع و بهائم.فقال له ابن أبی العوجاء:و کیف أوجبت هذا الاسم لهذا الشیخ

۱- ۱) البقره:۱۸۶. [۱]

۲- ۲) الأعراف:۱۴۳. [۲]

۳- ۳) الأعلی:۱-۴. [۳]

۴- ۴) ق:۱۶.

۵- ۵) الحدید ابراهیم:۳. [۴]

۶- ۶) :۱۰.

دون هؤلاء؟قال:لأنّی رأیت عنده ما لم أر عندهم.فقال ابن أبی العوجاء:لا بدّ من اختبار ما قلت فیه منه.فقال له ابن المقفع:لا تفعل،فإنّی أخاف أن یفسد علیک ما فی یدک.فقال:لیس ذا رأیک،و لکنّک تخاف أن یضعف رأیک عندی فی إحلالک إیّاه المحلّ الّذی وصفت.فقال له ابن المقفّع:أمّا إذا توهّمت علی هذا فقم إلیه،و تحفظ ما استطعت من الزّلل،و لا تثن عنانک إلی استرسال یسلمک إلی عقال و سمه مالک أو علیک.قال:فقام ابن أبی العوجاء و بقیت أنا و ابن المقفّع فرجع إلینا و قال:یا بن المقفّع!ما هذا ببشر!و إن کان فی الدنیا روحانی یتجسّد إذا شاء ظاهرا و یتروّح إذا شاء باطنا فهو هذا.فقال له:و کیف ذاک؟ فقال:جلست إلیه فلمّا لم یبق عنده غیری ابتدأنی،فقال:ان یکن الأمر علی ما یقول هؤلاء،و هو علی ما یقولون-یعنی أهل الطّواف-فقد سلموا و عطبتم، و إن یکن أمر علی ما تقولون و لیس کما تقولون فقد استویتم أنتم و هم.

فقلت له:یرحمک اللّه،و أیّ شیء نقول،و أیّ شیء یقولون؟ما قولی و قولهم إلّا واحد.قال:فکیف یکون قولک و قولهم واحدا،و هم یقولون:إنّ لهم معادا و ثوابا و عقابا و یدینون بأنّ للسّماء إلها و أنّها عمران،و أنتم تزعمون أنّ السماء خراب لیس فیها أحد؟ قال:فاغتنمتها منه،فقلت له:ما منعه إن کان الأمر کما تقول أن یظهر لخلقه و یدعوهم إلی عبادته حتّی لا یختلف منهم اثنان،و لم احتجب عنهم، و أرسل إلیهم الرّسل،و لو باشرهم بنفسه کان أقرب إلی الایمان به؟ فقال لی:ویلک،و کیف احتجب عنک من أراک قدرته فی نفسک:نشوءک و لم تکن،و کبرک بعد صغرک،و قوّتک بعد ضعفک،و ضعفک بعد قوّتک، و سقمک بعد صحتک،و صحتک بعد سقمک،و رضاک بعد غضبک،و غضبک بعد رضاک،و حزنک بعد فرحک،و فرحک بعد حزنک،و حبّک بعد بغضک،

و بغضک بعد حبّک،و عزمک بعد إبائک،و إباءک بعد عزمک،و شهوتک بعد کراهتک،و کراهتک بعد شهوتک،و رغبتک بعد رهبتک،و رهبتک بعد رغبتک، و رجاک بعد یأسک،و یأسک بعد رجاک،و خاطرک بما لم یکن فی وهمک، و عزوب ما أنت معتقده عن ذهنک...و ما زال یعدّ علیّ قدرته التی هی فی نفسی التی لا أدفعها حتّی ظننت أنّه سیظهر إلهه فیما بینی و بینه (۱).

«و دان» أی:جزی «فَلَوْ لا إِنْ کُنْتُمْ غَیْرَ مَدِینِینَ تَرْجِعُونَها إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ» (۲).

«لم یدن» بلفظ المجهول،أی:و لم یجزه أحد،قال تعالی: «لا یُسْئَلُ عَمّا یَفْعَلُ وَ هُمْ یُسْئَلُونَ » (۳).

«لم یذرأ» الذّرء:الخلق المتفرّق الکثیر،کما فی قوله تعالی: «وَ ما ذَرَأَ لَکُمْ فِی الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ» (۴)، «وَ جَعَلُوا لِلّهِ مِمّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعامِ نَصِیباً» (۵)، «جَعَلَ لَکُمْ مِنْ أَنْفُسِکُمْ أَزْواجاً وَ مِنَ الْأَنْعامِ أَزْواجاً یَذْرَؤُکُمْ فِیهِ» (۶).

«الخلق» أی:مخلوقاته.

«باحتیال» و حیله «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ» (۷).

«و لا استعان بهم» أی:بخلقه.

۱- ۱) أخرجه الصدوق فی التوحید:۱۲۵ ح ۴،و [۱]الکلینی فی الکافی ۱:۷۴ ح ۲،و [۲]قد مرّ الحدیث فی العنوان(۴)من هذا الفصل.

۲- ۲) الواقعه:۸۶-۸۷. [۳]

۳- ۳) الأنبیاء:۲۳. [۴]

۴- ۴) النحل:۱۳. [۵]

۵- ۵) الأنعام:۱۳۶. [۶]

۶- ۶) الشوری:۱۱. [۷]

۷- ۷) یس:۸۲. [۸]

«لكلال» أى:عىّ و مسّ تعب،قال تعالى: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما فِي سِتَّهِ أَيّامٍ وَ ما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ» (۱).

۵۰

من الخطبه(۸۹)

وَ قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَ قَلَّلَهَا- وَ قَسَّمَهَا عَلَى الضِّيقِ وَ السَّعَهِ-فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ- مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَ مَعْسُورِهَا- وَ لِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَ الصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَ فَقِيرِهَا- ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا- وَ بِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا- وَ بِفُرَجِ أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا- وَ خَلَقَ الْآجَالَ فَأَطَالَهَا وَ قَصَّرَهَا وَ قَدَّمَهَا وَ أَخَّرَهَا- وَ وَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا- وَ جَعَلَهُ خَالِجاً لِأَشْطَانِهَا- وَ قَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا «و قدّر الأرزاق فكثّرها و قلّلها» «اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ » (۲).

«و قسّمها على الضّيق و السّعه» «نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياهِ الدُّنْيا» (۳).

«فعدل فيها» لأنّ تقديره تعالى و تقسيمه عزّ و جلّ على وفق الحكمه،و فى الخبر:من منعه تعالى منعه ما ليس له،و من أعطاه فإنّما أعطاه ما ليس له،فهو المتفضّل بما أعطى و العادل فى ما منع،و لا يفعل إلّا ما كان حكمه و صوابا، و من وجد فى نفسه حرجا فى شىء ممّا قضى فقد كفر (۴).

۱- ۱) ق:۳۸.

۲- ۲) العنكبوت:۶۲. [۱]

۳- ۳) الزخرف:۳۲. [۲]

۴- ۴) أخرجه الصدوق فى ذيل حديث فى معنى لفظ(الجواد)فى العيون ۱:۱۱۶ ح ۴۱،و معانى الأخبار:۲۵۶ ح ۱،و الخصال: ۴۳ ح ۳۶.

«ليبتلى» أى:يمتحن.

«من أراد بميسورها و معسورها» أى:يمتحن بعضا بالميسور،و بعضا بالمعسور،و روى التوحيد عن أنس عن النبى صلّى اللّه عليه و آله فى حديث قال:قال تعالى:

و إنّ من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلّا بالفقر،و لو أغنيته لأفسده ذلك،و إن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلّا بالغناء،و لو أفقرته لأفسده ذلك (۱).

«و ليختبر» أى:يمتحن.

«بذلك الشكر و الصبر من غنيّها و فقيرها» هل يشكر غنيّها،و هل يصبر فقيرها،و فى(الكافى)عن الكاظم عليه السّلام يقول تعالى:إنّى لم أغن الغنىّ لكرامه به علىّ،و لم أفقر الفقير لهوان به علىّ،و ممّا ابتليت به الأغنياء بالفقراء،و لو لا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنّه (۲).

«ثمّ قرن بسعتها عقابيل» جمع عقبول،و هى قرح صغار تخرج بالشفه من بقايا المرض،و المراد هنا الشدائد.

«فاقتها» فقالوا:الفقر الموت الأحمر،و لا شىء أمرّ منه .

«و بسلامتها طوارق» و الأصل فى الطروق الإتيان ليلا،و هنا كنايه عن البغته.

«آفاتها» فحكمته اقتضت جعل الدّنيا كذلك لئلّا يخلد النّاس إليها و ينسوا إلههم .

«و بفرج» بالضمّ فالفتح،جمع فرجه.

---

۱ - ۱) أخرجه الصدوق فى التوحيد:۴۰۰ ح ۱،و علل الشرائع ۱:۱۲ ح ۷،و [۱]الكلينى فى الكافى ۲:۹۰ ح ۴،و [۲]قد مرّ فى العنوان (۴۵)من هذا الفصل.

۲- ۲) أخرجه الكلينى فى الكافى ۲:۲۶۵ ح ۲۰،و [۳]الاسكافى فى التمحيص:۴۷ ح ۶۹. [۴]

«أفراحها» و مسارّها.

«غصص» الأصل فی الغصّه اعتراض الطعام فی الحلق.

«أتراحها» جمع التّرح ضدّ الفرح،و لم تر فی الدّنیا فرحا لا یخلطه ترح، و الحکمه ما مرّ .

«و خلق الآجال فأطالها و قصّرها و قدّمها و أخّرها» بدون أن یطلع علیها أحدا، و الجاهل و العالم فی ذلک سواء حتّی الأطباء،قال تعالی: «هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَهٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَهٍ ثُمَّ یُخْرِجُکُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّکُمْ ثُمَّ لِتَکُونُوا شُیُوخاً وَ مِنْکُمْ مَنْ یُتَوَفّی مِنْ قَبْلُ وَ لِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّی وَ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ » (۱).

«و وصل بالموت أسبابها» أی:أسباب الآجال،و المراد الأمراض و الآفات .

«و جعله» أی:الموت.

«خالجا» أی:جاذبا.

«لأشطانها» أی:حبالها الطویله .

«و قاطعا لمرائر» جمع مریره،حبل اشتدّ فتله.

«أقرانها» أی:حبالها،و إضافه مرائر إلیه من إضافه الصّفه، «وَ لِکُلِّ أُمَّهٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا یَسْتَأْخِرُونَ ساعَهً وَ لا یَسْتَقْدِمُونَ» (۲).

۵۱

من الخطبه(۸۹)

فیها بعد ما مرّ:

عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِینَ- وَ نَجْوَی الْمُتَخَافِتِینَ وَ خَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ- وَ عُقَدِ عَزِیمَاتِ الْیَقِینِ- وَ مَسَارِقِ إِیمَاضِ الْجُفُونِ- وَ مَا ضَمِنَتْهُ

۱- ۱) غافر:۶۷. [۱]

۲- ۲) الأعراف:۳۴. [۲]

أَكْنَانُ الْقُلُوبِ- وَ غَيَابَاتُ الْغُيُوبِ- وَ مَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ- وَ مَصَايِفُ الذَّرِّ وَ مَشَاتِي الْهَوَامِّ- وَ رَجْعِ الْحَنِينِ مِنَ الْمُولَهَاتِ وَ هَمْسِ الْأَقْدَامِ- وَ مُنْفَسَحِ الثَّمَرَهِ مِنْ وَلَائِجِ غُلُفِ الْأَكْمَامِ- وَ مُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ مِنْ غِيرَانِ الْجِبَالِ وَ أَوْدِيَتِهَا- وَ مُخْتَبَإِ الْبُعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الْأَشْجَارِ وَ أَلْحِيَتِهَا- وَ مَغْرِزِ الْأَوْرَاقِ مِنَ الْأَفْنَانِ- وَ مَحَطِّ الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ- وَ نَاشِئَهِ الْغُيُومِ وَ مُتَلَاحِمِهَا- وَ دُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا- وَ مَا تَسْفِي الْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا وَ تَعْفُو الْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا- وَ عَوْمِ بَنَاتِ الْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ الرِّمَالِ- وَ مُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الْأَجْنِحَهِ بِذُرَا شَنَاخِيبِ الْجِبَالِ- وَ تَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ الْأَوْكَارِ- وَ مَا أَوْعَبَتْهُ الْأَصْدَافُ- وَ حَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبِحَارِ- وَ مَا غَشِيَتْهُ سُدْفَهُ لَيْلٍ أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ- وَ مَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدَّيَاجِيرِ- وَ سُبُحَاتُ النُّورِ وَ أَثَرِ كُلِّ خَطْوَهٍ- وَ حِسِّ كُلِّ حَرَكَهٍ وَ رَجْعِ كُلِّ كَلِمَهٍ- وَ تَحْرِيكِ كُلِّ شَفَهٍ وَ مُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَهٍ- وَ مِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّهٍ وَ هَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّهٍ- وَ مَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَهٍ أَوْ سَاقِطِ وَرَقَهٍ- أَوْ قَرَارَهِ نُطْفَهٍ أَوْ نُقَاعَهِ دَمٍ وَ مُضْغَهٍ- أَوْ نَاشِئَهِ خَلْقٍ وَ سُلَالَهٍ- لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كُلْفَهٌ- وَ لَا اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَهٌ- وَ لَا اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَ تَدْبِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلَالَهٌ وَ لَا فَتْرَهٌ- بَلْ نَفَذَ فِيهِمْ عِلْمُهُ وَ أَحْصَاهُمْ عَدُّهُ- وَ وَسِعَهُمْ عَدْلُهُ وَ غَمَرَهُمْ فَضْلُهُ- مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ «عالم السّرّ» «يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى» (۱).

«من ضمائر المضمرين» «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ ما»

۱- ۱) طه:۷. [۱]

«يُعْلِنُونَ » (۱).

«و نجوى المتخافتين» «أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلاّ هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلاّ هُوَ سادِسُهُمْ وَ لا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْثَرَ إِلاّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (۲).

«و خواطر رجم الظّنون» ممّا لا حقيقه له،و لا وجود له إلاّ فى الخيال،قال الجوهرى:الرّجم أن يتكلّم الرّجل بالظنّ.

قال تعالى: «رَجْماً بِالْغَيْبِ» (۳)يقال:صار فلان رجما لا يوقف على حقيقه أمره (۴).

«و عقد» بالضّمّ فالفتح جمع عقده.

«عزيمات اليقين» أى:قطع يطابق الواقع .

«و مسارق» جمع مسرق،يقال:هو يسارق النظر.إذا اهتبل غفلته.

«إيماض» من أو مضت المرأه إذا ساقت النظر.

«الجفون» من العيون،و الأصل فى كلامه عليه السّلام قوله تعالى: «يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِي الصُّدُورُ » (۵).

«و ما ضمنته» أى:جعلته فى ضمنها.

«أكنان» جمع الكنّ،بمعنى السّتره.

۱- ۱) النمل:۷۴. [۱]

۲- ۲) المجادله:۷. [۲]

۳- ۳) الكهف:۲۲. [۳]

۴- ۴) صحاح اللغه للجوهرى ۵:۱۹۲۸ [۴] ماده(رجم).

۵- ۵) غافر:۱۹. [۵]

«القلوب» «وَ رَبُّکَ یَعْلَمُ ما تُکِنُّ صُدُورُهُمْ وَ ما یُعْلِنُونَ » (۱).

«و غیابات» جمع الغیابه،یقال:غیابه الجب.أی:قعره.

«الغیوب» جمع الغیب خلاف الشهود،و الأصل فی الغیب المطمئنّ من الأرض،قال لبید فی بقره أکل السّبع ولدها:

و تسمّعت رزّ الأنیس فراعها عن ظهر غیب و الأنیس سقامها

(۲)و الغیب ما غاب من العین یقال:شاه ذات غیب.إذا کانت ذات شحم، لتغیبه عن العین.

قال تعالی: «فَلَمّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ إِنِّی أَعْلَمُ غَیْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما کُنْتُمْ تَکْتُمُونَ » (۳).

«و ما أصغت» أی:استمعت.

«لاستراقه» من استرق السمع،أی:استمع مستخفیا کأنّه یسرق الخبر.

«مصائخ الأسماع» و المصائخ جمع المصیخه،ما فیها قوّه السّماع، و الأسماع جمع السمع،أی:الآذان السّمعیه،قال تعالی: «وَ لَقَدْ جَعَلْنا فِی السَّماءِ بُرُوجاً وَ زَیَّنّاها لِلنّاظِرِینَ وَ حَفِظْناها مِنْ کُلِّ شَیْطانٍ رَجِیمٍ إِلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبِینٌ » (۴).

«و مصائف الذّرّ» الذّرّ جمع ذرّه أصغر النّمل،و مصائفها مواضعها فی الصیف .

«و مشاتی الهوامّ» الهوامّ جمع الهامّه،قال الجوهری:لا یقع اسم الهامّه إلّا

۱- ۱) القصص:۶۹. [۱]

۲- ۲) أورده لسان العرب ۱:۶۵۵ [۲] ماده(غیب).

۳- ۳) البقره:۳۳. [۳]

۴- ۴) الحجر:۱۶-۱۸. [۴]

على المخوف من الأحناش.و مشاتيها مواضعها فى الشتاء (۱).

«و رجع الحنين» قال الجوهرى:حنين النّاقه:صوتها فى نزاعها إلى ولدها (۲).

«من المولهات» جمع المولهه،أى:التى فرّق بينها و بين ولدها فهى عليه و الهه .

«و همس الأقدام» أى:أخفى صوتها،قال تعالى: «فَلا تَسْمَعُ إِلّا هَمْساً » (۳).

«و منفسح الثمره» أى:متّسعها.

«من ولائج» جمع الوليجه،أى:مداخل.

«غلف» بضمّتين:جمع غلاف.

«الأكمام» جمع الكمّ،بالكسر وعاء الطّلع و غطاء النّور،قال:

بوائج فى أكمامها لم تفتّق

(۴).

و أما الكمّ بالضّمّ فهو كمّ القميص،و ليس بمراد هنا .

«و منقمع» أى:مختفى.

«الوحوش» أى:حيوانات البرّ.

«من غيران» بالكسر جمع غار كالكهف فى الجبل.

«الجبال و أوديتها» جمع الوادى،و فى(المصباح):الوادى:كلّ منفرج بين

۱- ۱) صحاح اللغه للجوهرى ۵:۲۰۶۲ [۱] ماده(همم).

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهرى ۵:۲۱۰۴ [۲] ماده(حنن).

۳- ۳) طه:۱۰۸. [۳]

۴- ۴) أورده لسان العرب ۱۲:۵۲۶ [۴] ماده(كمم)،و نسبه إلى الشمّاخ و صدره: قضيت أمورا ثم غادرت بعدها .

جبال أو آكام يكون منفذا للسّيل (۱).

«و مختبأ» أى:مختفى.

«البعوض» قال الجوهرىّ:البعوض البق (۲).

«بين سوق» بالضّمّ،جمع ساق.

«الأشجار و ألحيتها» بفتح الهمزه،جمع اللّحاء:قشر الشّجر .

«و مغرز» من غرزت الشىء بالإبره.

«الأوراق» جمع الورق،و المراد ورق الشجر.

«من الأفنان» جمع الفنّ:غصن الشجر .

«و محطّ» أى:محلّ نزول.

«الأمشاج» أى:نطفه الرّجل و المرأه،جمع المشيج،مثل يتيم و أيتام، يقال:نطفه أمشاج.لماء الرجل يختلط بماء المرأه و دمها.

قال تعالى: «إِنّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَهٍ أَمْشاجٍ» (۳).

«من مسارب» جمع مسرب،أى:مجرى.

«الأصلاب» قال تعالى: «يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ » (۴).

«و ناشئه» قال الجوهرى:النّشىء أوّل ما ينشأ من السّحاب (۵).

«الغيوم» جمع الغيم،يقال:غامت السّماء،إذا أطبق بها السحاب.

«و متلاحمها» أى:متضاعفها .

«و درور» أى:سيلان.

۱- ۱) المصباح المنير ۲:۳۷۲ [۱] ماده(ودى).

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهرى ۳:۱۰۶۶ ماده(بعض).

۳- ۳) الإنسان:۲. [۲]

۴- ۴) الطارق:۷. [۳]

۵- ۵) صحاح اللغه للجوهری ۱:۷۷ [۴] ماده(نشأ).

«قطر السّحاب فی متراکمها» أی:مجتمعها،و رکوب بعضها بعضا .

«و ما تسفی» من سفت الرّیح التّراب إذا ذرته.

«الأعاصیر» جمع الإعصار،و هو ریح تثیر الغبار فیرتفع إلی السماء کأنّه عمود،قال تعالی: «فَأَصابَها إِعْصارٌ فِیهِ نارٌ» (۱).

و یقال:هو ریح تثیر سحابا ذات رعد و برق.

«بذیولها» التی تلاقی الأرض .

«و تعفو» من عفت الرّیح المنزل:درسته.

«الأمطار بسیولها» أی:السّیول الحاصله منها .

«و عوم» أی:سباحه.

«بنات الأرض» روی«نبات»بتقدیم النّون (۲)،فتکون إضافه العوم إلیه مجازا،و بتقدیم الباء فیکون المراد بها الحشرات و الهوامّ التی تکون فی تلال الرّمال،فتکون نسبه العوم إلیها استعاره.

«فی کثبان الرمال» أی:تلالها،قال الجوهری:کلّ ما انصبّ فی شیء فقد انکثب فیه،و منه سمّی الکثیب من الرّمل،لأنّه انصبّ فی مکان فاجتمع فیه، و الجمع:الکثبان (۳).

«و مستقرّ ذوات الأجنحه» أی:الطیور.

«بذری» بالضّمّ،جمع ذروه،أی:أعالی.

«شناخیب الجبال» أی:رؤوسها .

«و تغرید» من غرّد الطائر اذا صوّت و غنّی.

۱- ۱) البقره:۲۶۶. [۱]

۲- ۲) نقل هذه الروایه ابن میثم فی شرحه ۲:۳۸۳.

۳- ۳) صحاح اللغه للجوهری ۱:۲۰۹ [۲] ماده(کثب).

«ذوات المنطق» أی:طیور تتغنّی،و لیس کلّ طیر کذلک.

«فی دیاجیر» جمع دیجور،أی:ظلمه.

«الأوکار» جمع الوکر:عشّ الطائر .

«و ما أوعبته» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(و ما أوعته)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخوئی و الخطیّه) (۱)،و قالوا:و فی نسخه«و ما أودعته» (۲).و معنی(ما أوعته):جعلت له وعاء.

«الأصداف» جمع الصّدف:غشاء الدّرّه .

«و حضنت» من:حضن الطائر بیضه،إذا ضمّه إلی نفسه تحت جناحه، و کذلک المرأه إذا حضنت ولدها.

«علیه أمواج البحار» یفهم من کلامه علیه السّلام أنّ أمواج البحار تربّی أشیاء حیّه و غیر حیّه .

«و ما غشیته» أی:حوته.

«سدفه» أی:ظلمه.

«لیل» قال النّابغه:

فإنّک کاللّیل الّذی هو مدرکی و إن خلت أن المنتأی عنک واسع

(۳) «أو ذرّ» من ذرّت الشّمس،أی:طلعت.

«علیه شارق» أی:طالع،یقال:لا آتیک ما ذرّ شارق.

«نهار» و المراد بشارق النّهار:الشّمس .

«و ما اعتقبت» أی:تعاقبت.

۱- ۱) کذا فی شرح الخوئی ۳:۱۳۱،لکن فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۶۷،و شرح ابن میثم ۲:۳۶۷«ما أوعبته»أیضا.

۲- ۲) أمّا ابن أبی الحدید فأورد فی متن الخطبه فی ۲:۱۶۷«أوعبته»،و عند شرح الفقره فی:۱۶۷«ما أودعته»و لم یصرّح إلی کونه فی نسخه أخری،و الظاهر غلط الناسخ،و أما ابن میثم و الخوئی فلم نجد فی شرحیهما هذه الروایه أصلا.

۳- ۳) أورده التفتازانی فی المطول:۲۸۶ باب الإیجاز و الإطناب و المساواه. [۱]

«علیه أطباق» أی:طبقات.

«الدّیاجیر» أی:الظلم .

«و سبحات النّور» أی:أشعّته .

«و أثر کلّ خطوه» أی:قدم .

«و حسّ» أی:صوت خفی.

«کلّ حرکه» من کلّ متحرک .

«و رجع کلّ کلمه» أی:أثرها فی الهواء بالتموّج .

«و تحریک کلّ شفه» بکلام جهر أو خفی .

«و مستقرّ کلّ نسمه» أی:کلّ نفس إنسانا أو غیره،قال تعالی: «وَ ما مِنْ دَابَّهٍ فِی الْأَرْضِ إِلاّ عَلَی اللّهِ رِزْقُها وَ یَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَ مُسْتَوْدَعَها کُلٌّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ » (۱).

«و مثقال کلّ ذرّه» «وَ ما یَعْزُبُ عَنْ رَبِّکَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّهٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا فِی السَّماءِ وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَکْبَرَ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ» (۲).

«و هماهم» جمع همهمه،ترديد الصّوت فی الصدر.

«کلّ نفس هامّه» بالتّشدید،أی:قاصده لشیء لا تدری تفعله أم لا،قال الشاعر:

هممت و لم أفعل و کدت و لیتنی ترکت علی عثمان تبکی حلائله

(۳) «و ما علیها من ثمر شجره» هکذا فی النسخ (۴)،و قال ابن أبی الحدید:«و ما علیها»أی:ما علی الأرض،فجاء بالضمیر و لم یسبق ذکر صاحبه اعتمادا علی

۱- ۱) هود:۶. [۱]

۲- ۲) یونس:۶۱. [۲]

۳- ۳) أورده الزمخشری فی الکشاف ۲:۴۵۵. [۳]

۴- ۴) نهج البلاغه ۱:۱۸۰،و [۴]شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۶۷،و [۵]شرح ابن میثم ۲:۳۶۸.

فهم المخاطب،كما قال تعالى: «كُلَّ مَنْ عَلَيْها فانٍ» (۱).

قلت:و الأظهر حصول سقط فى الكلام أو تقديم و تأخير أو تحريف،و لا يبعد أن يكون الأصل(و ما ينع من ثمر شجره)من قوله تعالى: «انْظُرُوا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَ يَنْعِهِ» (۲)،و إلاّ فمقتضى السياق أن يكون(قراره نطفه)و ما بعده عطفا على(ثمر شجره)كقوله:«ساقط ورقه»و لا معنى له .

«أو ساقط ورقه» «وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ إِلاّ يَعْلَمُها وَ لا حَبَّهٍ فِى ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلاّ فِى كِتابٍ مُبِينٍ » (۳).

«أو قراره نطفه» «ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَهً فِى قَرارٍ مَكِينٍ » (۴).

«أو نقاعه دم» الظاهر أنّ المراد بنقاعه دم:العلقه،بقرينه ذكر النّطفه قبلها و المضغه بعدها.

و قال الجوهرى:دم ناقع،أى:طرىّ،قال الشاعر قسام بن روامه:

و ما زال من قتلى رزاح بعالج دم ناقع أو جاسد غير ما صح

و قال أبو سعيد:يريد بالنّاقع الطّرىّ،و بالجاسد القديم (۵).

«و مضغه» أى:قطعه لحم،قال تعالى: «ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَهَ عَلَقَهً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَهَ مُضْغَهً » (۶).

«أو ناشئه خلق» و المراد نطفه تصير منشأ مولود،و ليس كلّ نطفه كذلك.

۱- ۱) شرح ابن أبى الحديد [۱] ۲:۱۶۹،و الآيه(۲۶)من سوره الرحمن.

۲- ۲) الأنعام:۹۹. [۲]

۳- ۳) الأنعام:۵۹. [۳]

۴- ۴) المؤمنون:۱۳. [۴]

۵- ۵) صحاح اللغه للجوهرى ۳:۱۲۹۲ [۵] ماده(نقع).

۶- ۶) المؤمنون:۱۴. [۶]

«و سلاله» أی:الخلاصه،قال تعالی: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ طِینٍ » (۱).

«لم یلحقه» هکذا فی(المصریّه)،و الصواب:(لم تلحقه)کما فی(ابن أبی الحدید و الخطیه) (۲).

«فی ذلک کلفه» أی:مشقّه،قال تعالی: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما فِی سِتَّهِ أَیّامٍ وَ ما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ » (۳).

«و لا اعترضته فی حفظ ما ابتدعه» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(ما ابتدع)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطّیه) (۴).

«من خلقه عارضه» تمنعه من الحفظ،قال تعالی: «وَسِعَ کُرْسِیُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لا یَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَ هُوَ الْعَلِیُّ الْعَظِیمُ » (۵).

«و لا اعتورته» أی:لا اعترضته.

«فی تنفیذ الأمور» و إمضائها.

«و تدبیر المخلوقین» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(و تدابیر المخلوقین)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخوئی و الخطیّه) (۶).

«ملاله و لا فتره» أی:ضعف،و کیف تلحقه کلفه أو تعترضه عارضه أو تعتوره فتره فی خلقه و أمره،و هو الّذی إذا أراد شیئا یقول له کن فیکون؟!

۱- ۱) المؤمنون:۱۲. [۱]

۲- ۲) فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۶۷،و شرح ابن میثم ۲:۳۶۸« [۲]لم یلحقه»أیضا.

۳- ۳) ق:۳۸.

۴- ۴) کذا فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۶۷،لکن فی شرح ابن میثم ۲:۳۶۸« [۳]ما ابتدعه»أیضا.

۵- ۵) البقره:۲۵۵. [۴]

۶- ۶) کذا فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۶۷،و شرح الخوئی ۳:۱۳۱،لکن فی شرح ابن میثم ۲:۳۶۸«تدبیر»أیضا.

«بل نفذ فيهم علمه» «يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ » (۱).

«و أحصاهم عدّه» «لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا » (۲).

«و وسعهم عدله» «وَ تَمَّتْ كَلِمَهُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » (۳).

«و غمرهم» من غمره الماء إذا علاه.

«فضله» «وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ » (۴).

«مع تقصيرهم عن كنه» أى:حقيقه.

«ما هو أهله» «وَ ما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ وَ السَّماواتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ» (۵).

هذا،و قال ابن أبى الحديد بعد نقل هذا العنوان:لو سمع النّضر بن كنانه هذا الكلام لقال لقائله ما قاله علىّ بن إسماعيل بن جريح لإسماعيل بن بلبل:

قالوا أبو الصّقر من شيبان قلت لهم كلّا و لكن لعمرى منه شيبان

و كم أب قد علا بابن ذرى شرف كما علا برسول اللّه عدنان

إذن كان يفتخر به على عدنان و قحطان بل كان يقرّ به عين أبيه إبراهيم خليل الرّحمن،و يقول له:إنّه لم يعف ما شيّدت من معالم التوحيد،بل أخرج اللّه لك من ظهرى ولدا ابتدع من علوم التوحيد فى جاهليه العرب ما لم تبتدعه أنت فى جاهليّه النّبط،بل لو سمع هذا الكلام أرسطا طاليس القائل بأنّه تعالى لا

۱- ۱) البقره:۲۵۵. [۱]

۲- ۲) مريم:۹۴. [۲]

۳- ۳) الأنعام:۱۱۵. [۳]

۴- ۴) البقره:۲۵۱. [۴]

۵- ۵) الزمر:۶۷. [۵]

يعلم الجزئيات لخشع قلبه وقفّ شعره،و اضطرب فكره.ألا ترى ما عليه من الرّواء و المهابه،و العظمه،و الفخامه،و المتانه و الجزاله،مع ما قد أشرب من الحلاوه و الطّلاوه،و اللطف و السّلاسه،و لا أرى كلاما يشبه هذا إلاّ أن يكون كلام الخالق سبحانه،فإنّ هذا الكلام نبعه من تلك الشجره،و جدول من ذلك البحر،و جذوه من تلك النّار،و كأنّه عليه السّلام شرح قوله تعالى: «وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاّ هُوَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ إِلاّ يَعْلَمُها وَ لا حَبَّهٍ فِي ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ» (۱).

قلت:قد أجاد فی ما أفاد،لكن عرفت ممّا نقلنا من الآيات فی شرح الفقرات أنّ كلامه عليه السّلام تفسير لما قاله من الآيه و لآيات أخر.

۵۲

الحكمه(۴۷۰)

و قال عليه السّلام-فی نسخه-و سئل عن التّوحيد و العدل،فقال عليه السّلام:

التَّوْحِيدُ أَلاَّ تَتَوَهَّمَهُ وَ الْعَدْلُ أَلاَّ تَتَّهِمَهُ و أقول:و قال الصادق عليه السّلام:أمّا التّوحيد فأن لا تجوز على ربّك ما جاز عليك،و أمّا العدل فأن لا تنسب إلى خالقك ما لامك عليه (۲).

و فی الخبر:أنّ أبا الصّلت الهرويّ قال للرّضا عليه السّلام:لأيّ علّه أغرق اللّه تعالى الدنيا كلّها فی زمن نوح عليه السّلام و فيهم الأطفال و من لا ذنب له؟فقال:ما كان فيهم الأطفال لأنّ اللّه تعالى أعقم أصلاب قوم نوح عليه السّلام و أرحام نسائهم أربعين عاما،فانقطع نسلهم فغرقوا و لا طفل فيهم،و ما كان اللّه تعالى ليهلك

۱- ۱) شرح ابن أبی الحديد ۲:۱۶۷، [۱]مرّ نقله و تحقيق ما نقل عن ارسطا طاليس فی شرح خطبه الرضی،و الآيه(۵۹)من سوره الأنعام. [۲]

۲- ۲) أخرجه الصدوق فی التوحيد:۹۶ ح ۱.

بعذابه من لا ذنب له،و أمّا الباقون من قوم نوح عليه السّلام فأغرقوا لتكذيبهم لنبيّ اللّه نوح عليه السّلام،و سائرهم أغرقوا برضاهم بتكذيب المكذّبين،و من غاب عن أمر فرضى به كان كمن شهده و أتاه (۱).

۵۳

من الخطبه(۲۱۲)

و من خطبه له عليه السّلام:

وَ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ وَ حَكَمٌ فَصَلَ أقول:قال ابن أبى الحديد ابن أبى الحديد-شرح نهج البلاغه-ج ۳ ص ۲۳ :الضمير فى(أنّه)يرجع إلى القضاء و القدر المذكور فى صدر هذه الخطبه،و لم يذكره الرّضى رحمه اللّه (۲).

قلت:إن وجد،فالخطبه كما ذكر،و إلاّ فنقول:إنّ الضمير فيه يرجع إليه تعالى،و لو كان راجعا إلى القدر كما ذكر لكانت القاعده أن يقول:«عدل عدل فيه،و حكم فصل فيه»و لا يحتاج إلى تكلّف أنّه نسب العدل إلى القضاء مجازا، و حينئذ ف(عدل)بمعنى:عادل،و استعماله كذلك كثير،كالخلق بمعنى المخلوق،و(حكم)بفتحتين،بمعنى:الحاكم.

و فى الخبر:أنّ يهوديا سأله عليه السّلام عمّا ليس للّه،و عمّا ليس عند اللّه،و عمّا لا يعلمه اللّه.

فقال على عليه السّلام:أمّا ما لا يعلمه اللّه فذلك قولكم يا معشر اليهود:عزير ابن اللّه.و اللّه لا يعلم له ولدا،و أمّا ما ليس عند اللّه فليس عند اللّه ظلم للعبيد،و أمّا ما ليس للّه فليس للّه شريك.أشهد ألاّ إله إلاّ اللّه،و أنّ محمّدا رسول اللّه (۳).

۱- ۱) أخرجه الصدوق فى التوحيد:۳۹۲ ح ۲،و العيون ۲:۷۴ ح ۲،و [۱]علل الشرائع ۱:۳۰ ح ۱. [۲]

۲- ۲) شرح ابن أبى الحديد ۳:۲۳. [۳]

۳- ۳) أخرجه صاحب صحيفه الرضا عليه السّلام فيه:۸۴ ح ۱۹۳،و الصدوق فى التوحيد:۳۷۷ ح ۲۳ و العيون ۱:۱۱۶ ح ۴۰،و ۲: [۴]۴۵ ح ۱۷۲ بطريقين،و أبو على الطوسى فى أماليه ۱:۲۸۲ المجلس(۱۰)،و [۵]أخرجه ضمن حديث طويل محمد بن على بن إبراهيم فى عجائب الأحكام:۱۰۱ ح ۱۷۰،و رواه الطبرسى فى الاحتجاج ۱:۲۰۷. [۶]

و ورد أنّ أبا حنيفه خرج من عند الصادق علیه السّلام فاستقبله الکاظم علیه السّلام و هو یومئذ غلام،فقال له:یا غلام!ممّن المعصیه)فقال:لا یخلو من ثلاث:إمّا أن یکون من اللّه تعالی-و لیست منه-فلا ینبغی للکریم أن یعذّب عبده بما لا یکتسبه،و إمّا أن یکون من اللّه و من العبد-و لیس کذلک-فلیس ینبغی للشریک القویّ أن یظلم الشریک الضعیف،و إمّا أن یکون من العبد-و هی منه-فإن عاقبه اللّه فبذنبه،و إن عفا عنه فبکرمه و جوده (۱).

هذا،و ممّا یدخل فی موضوع کتابه،و لم ینقله ممّا هو راجع إلی التوحید ما رواه الکلینی عن البرقیّ و العطّار مرفوعا،و الصدوق فی اسنادین عن الصادق علیه السّلام أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام استنهض الناس فی حرب معاویه فی المرّه الثانیه فلمّا حشد الناس قام خطیبا،فقال:

«الحمد للّه الواحد الأحد الصمد،المتفرّد الّذی لا من شیء کان،و لا من شیء خلق ما کان،قدره بان بها من الأشیاء،و بانت الأشیاء منه،فلیست له صفه تنال،و لا حدّ یضرب له فیه الأمثال،کلّ دون صفاته تحبیر اللّغات،و ضلّ هناک تصاریف الصّفات،و حار فی ملکوته عمیقات مذاهب التفکیر،و انقطع دون الرّسوخ فی علمه جوامع التفسیر،و حال دون غیبه المکنون حجب من الغیوب،تاهت فی أدنی أدانیها طامحات العقول فی لطیفات الأمور،فتبارک اللّه الّذی لا یبلغه بعد الهمم،و لا یناله غوص الفطن،و تعالی الذی لیس له وقت معدود،و لا أجل ممدود،و لا نعت محدود.سبحان الّذی لیس له أوّل مبتدأ،و لا غایه منتهی،و لا آخر یفنی،سبحانه هو کما وصف نفسه،و الواصفون لا

---

۱ - ۱) أخرجه الصدوق فی التوحید:۹۶ ح ۲،و العیون ۱:۱۱۳ ح ۳۷،و [۱]أمالیه:۳۳۴ ح ۴ المجلس(۶۴)،و [۲]المرتضی فی الفصول ۱:۴۳،و الکراجکی فی کنز الفوائد:۱۷۱،و ابن شعبه فی تحف العقول:۴۱۱،و [۳]رواه الطبرسی فی الاحتجاج ۲:۳۸۷. [۴]

يبلغون نعته،و حدّ الأشياء كلّها عند خلقه إبانه لها من شبهه،و إبانه له من شبهها،لم يحلل فيها فيقال هو فيها كائن،و لم ينأ عنها فيقال هو منها بائن، و لم يخل منها فيقال له أين،لكنّه سبحانه أحاط بها علمه،و أتقنها صنعه، و أحصاها حفظه،لم يعزب عنه خفيّات غيوب الهوى،و لا غوامض مكنون ظلم الدّجى،و لا ما فى السماوات العلى إلى الأرضين السّفلى.

لكلّ شىء منها حافظ و رقيب،و كلّ شىء منها بشىء محيط،و المحيط بما أحاط منها،الواحد الأحد الصّمد،الّذى لا يغيّره صروف الزّمان،و لا يتكأده صنع شىء كان،إنّما قال لما شاء كن فكان.

ابتدع ما خلق بلا مثال سبق،و لا تعب و لا نصب،و كلّ صانع شىء،فمن شىء صنع،و اللّه لا من شىء صنع ما خلق،و كلّ عالم فمن بعد جهل تعلّم،و اللّه لم يجهل و لم يتعلّم،أحاط بالأشياء علما قبل كونها،فلم يزدد بكونها علما علمه بها قبل أن يكوّنها كعلمه بعد تكوينها،لم يكوّنها لتشديد سلطان،و لا خوف من زوال و نقصان،و لا استعانه على ضدّ مناو،و لا ندّ مكاثر،و لا شريك مكابر،لكن خلائق مربوبون،و عباد داخرون.

فسبحان الّذى لا يئوده خلق ما ابتدأ،و لا تدبير ما برأ،و لا من عجز و لا من فتره بما خلق اكتفى،علم ما خلق،و خلق ما علم،لا بالتفكير فى علم حادث أصاب ما خلق،و لا شبهه دخلت عليه فى ما لم يخلق،لكن قضاء مبرم،و علم محكم،و أمر متقن،توحّد بالرّبوبيه،و خصّ نفسه بالوحدانيّه،و استخلص بالمجد و الثناء،و تفرّد بالتّوحيد و المجد و الثناء،و توحّد بالتحميد،و تمجّد بالتّمجيد،و علا عن اتّخاذ الأبناء،و تطهّر و تقدّس عن ملامسه النساء، و عزّ و جلّ عن مجاوره الشركاء.

فليس له فى ما خلق ضدّ،و لا له فى ما ملك ندّ،و لم يشركه فى ملكه أحد.

الواحد الأحد الصمد،المبيد للأبد،و الوارث للأمد،الّذى لم يزل و لا يزال وحدانيّا أزليّا قبل بدء الدهور،و بعد صرف الأمور،الّذى لا يبيد و لا ينفد.

بذلك أصف ربّى،فلا إله إلاّ اللّه من عظيم ما أعظمه،و من جليل ما أجلّه، و من عزيز ما أعزّه،و تعالى اللّه عمّا يقول الظالمون علّوا كبيرا» (۱).

لكن مرّ بعض فقراتها فى العناوين المتقدّمه باتّفاق و اختلاف.

و ما رويناه بأسنادهما عن محمّد البرقى،عن أحمد بن النضر و غيره، عن عمرو بن ثابت (۲)،عن رجل سمّاه،عن أبى إسحاق السبيعى عن الحارث الأعور قال:خطب أمير المؤمنين عليه السّلام خطبه بعد العصر فعجب النّاس من حسن صفته،و ما ذكره من تعظيم اللّه تعالى.قال أبو إسحاق:فقلت للحارث:

أو ما حفظتها؟قال:كتبتها.فأملاها علينا من كتابه:

«الحمد للّه الّذى لا يموت،و لا تنقضى عجائبه،لأنّه كلّ يوم فى شأن من إحداث بديع لم يكن،الّذى لم يلد فيكون فى العزّ مشاركا،و لم يولد فيكون موروثا هالكا،و لم تقع عليه الأوهام فتقدّره شبحا ماثلا،و لم تدركه الأبصار فيكون بعد انتقالها حائلا.الذى ليست فى أوّليّته نهايه،و لا لآخريته حدّ و لا غايه،الّذى لم يسبقه وقت و لم يتقدّمه زمان،و لا يتعاوره زياده و لا نقصان، و لا يوصف بأين و لا بم و لا مكان.الّذى بطن من خفيّات الأمور،و ظهر فى العقول بما يرى فى خلقه من علامات التدبير.الّذى سئلت الأنبياء عنه فلم تصفه بحدّ،و لا ببعض،بل وصفته بفعاله،و دلّت عليه بآياته.لا تستطيع عقول

۱- ۱) أخرجها الكلينى فى الكافى ۱:۱۳۴ ح ۱،و [۱]الصدوق فى التوحيد:۴۱ ح ۳. [۲]

۲- ۲) كذا فى التوحيد، [۳]لكن فى الكافى [۴]احمد بن النضر،و غيره عمّن ذكره عن عمرو بن ثابت،و الظاهر أن روايه أحمد عن عمرو بغير واسطه كما يشهد عليه النظر فى الطبقات،و ما أخرجه البرقى فى المحاسن:۵۸۳ ح ۷۱،و الكلينى فى الكافى ۶:۳۸۵ ح ۲ [۵] عن أحمد بن النضر عن عمرو بن أبى المقدام(و أبو المقدام كنيه ثابت أبيه)،قال:رأيت أبا جعفر عليه السّلام و هو يشرب فى قدح من خزف.

المتفكّرين جحده،لأنّ من كانت السّماوات و الأرض فطرته،و ما فيهنّ و ما بينهنّ،و هو الصانع لهنّ،فلا مدفع لقدرته.الّذى نأى من الخلق فلا شىء كمثله، الّذى خلق الخلق لعبادته،و أقدرهم على طاعته بما جعل فيهم،و قطع عذرهم بالحجج،فعن بيّنه هلك من هلك،و بمنّه نجا من نجا،و للّه الفضل مبدئا و معيدا، ثمّ إنّ اللّه-و له الحمد-افتتح الحمد لنفسه،و ختم أمر الدّنيا و محلّ الآخره بالحمد لنفسه،فقال: «وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ قِيلَ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» (۱).

الحمد للّه اللاّبس الكبرياء بلا تجسّد،و المرتدى بالجلال بلا تمثيل، و المستوى على العرش بغير زوال،و المتعالى على الخلق بلا تباعد منهم و لا ملامسه منه لهم،ليس له حدّ ينتهى إلى حدّه،و لا له مثل فيعرف بمثله،ذلّ من تجبّر غيره،و صغر من تكبّر دونه،و تواضعت الأشياء لعظمته،و انقادت لسلطانه و عزّته،و كلّت عن إدراكه طروف العيون،و قصرت دون بلوغ صفته أوهام الخلائق.الأوّل قبل كلّ شىء و لا قبل له،و الآخر بعد كلّ شىء و لا بعد له.

الظاهر على كلّ شىء بالقهر له،و المشاهد لجميع الأماكن بلا انتقال إليها،لا تلمسه لا مسه و لا تحسّه حاسّه. «هُوَ الَّذِى فِى السَّماءِ إِلهٌ وَ فِى الْأَرْضِ إِلهٌ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ» (۲)أتقن ما أراد من خلقه من الأشباح كلّها لا بمثال سبق إليه، و لا لغوب دخل عليه فى خلق ما خلق لديه،ابتدأ ما أراد ابتداءه،و أنشأ ما أراد إنشاءه،على ما أراد من الثّقلين الجنّ و الإنس،ليعرفوا بذلك ربوبيّته،و تمكّن فيهم طاعته.

نحمده بجميع محامده كلّها على جميع نعمائه كلّها،و نستهديه لمراشد أمورنا،و نعوذ به من سيّئات أعمالنا،و نستغفره للذّنوب الّتى سبقت منّا...».

۱- ۱) الزمر:۷۵. [۱]

۲- ۲) الزخرف:۸۴. [۲]

و هی أیضا کسابقتها فی اشتمال العناوین المتقدّمه علی بعض فقراتها.

و ما رواه الصدوق مسندا عن الرضا علیه السّلام عن آبائه علیهم السّلام:خطب أمیر المؤمنین علیه السّلام النّاس فی مسجد الکوفه،فقال:

«الحمد للّه الذی لا من شیء کان،و لا من شیء کوّن ما قد کان،مستشهد بحدوث الأشیاء عن أزلیّته،و بما وسمها به من العجز علی قدرته،و بما اضطرّها إلیه من الفناء علی دوامه،لم یخل منه مکان فیدرک بأینیّته،و لا له شبه مثال فیوصف بکیفیّته،و لم یغب عن علمه شیء فیعلم بحیثیّته،مباین لجمیع ما أحدث فی الصفات،و ممتنع عن الإدراک بما ابتدع من تصریف الذّوات،و خارج بالکبریاء و العظمه من جمیع تصرّف الحالات،محرّم علی بوارع ثاقبات الفطن تحدیده،و علی عوامق ناقبات الفکر تکییفه،و علی غوائص سابحات الفطر تصویره،لا- تحویه الأماکن لعظمته،و لا تذرعه المقادیر لجلاله،و لا تقطعه المتقاییس لکبریائه.ممتنع عن الأوهام أن تکتنهه، و عن الأفهام أن تستغرقه،و عن الأذهان أن تمثّله،قد یئست من استنباط الإحاطه به طوامح العقول،و نضبت عن الإشاره إلیه بالاکتناه بحار العلوم، و رجعت بالصّغر عن السّموّ إلی وصف قدرته لطائف الخصوم.

واحد لا من عدد،و دائم لا بأمد،و قائم لا بعمد،لیس بجنس فتعادله الأجناس،و لا بشبح فتضارعه الأشباح،و لا کالأشیاء فتقع علیه الصفات،قد ضلّت العقول فی أمواج تیّار إدراکه،و تحیّرت الأوهام عن إحاطه ذکر أزلیّته، و حصرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته،و غرقت الأذهان فی لجج أفلا-ک ملکوته.مقتدر بالآلاء،و ممتنع بالکبریاء و متملّک علی الأشیاء،فلا دهر یخلقه، و لا وصف یحیط به،قد خضعت له ثوابت الصعاب فی محلّ تخوم قرارها،

و أذعنت له رواصن الأسباب فی منتهی شواهق أقطارها.مستشهد بکلّیه الأجناس علی ربوبیته،و بعجزها علی قدرته،و بفطورها علی قدمته،و بزوالها علی بقائه،فلا لها محیص عن إدراکه إیّاها،و لا خروج من إحاطته بها،و لا احتجاب عن إحصائه لها،و لا امتناع من قدرته علیها.کفی بإتقان الصنع لها آیه،و بمرکب الطبع علیها دلاله،و بحدوث الفطر علیها قدمه،و بإحکام الصّنعه لها عبره.فلا إلیه حدّ منسوب،و لا له مثل مضروب،و لا شیء عنه محجوب.

تعالی عن ضرب الأمثال و الصفات المخلوقه علوّا کبیرا» (۱).

و ما رواه أیضا مسندا عن الباقر علیه السّلام عن آبائه علیهم السّلام،قال:أمیر المؤمنین علیه السّلام فی خطبه خطبها بعد موت النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بسبعه أیّام،و ذلک حین فرغ من جمع القرآن،فقال:

«الحمد للّه الّذی أعجز الأوهام أن تنال إلّا وجوده،و حجب العقول أن تتخیل ذاته فی امتناعها من الشبه و الشکل،بل هو الّذی لم یتفاوت فی ذاته، و لم یتبعّض بتجزئه العدد فی کماله.فارق الأشیاء لا علی اختلاف الأماکن، و تمکّن منها لا علی الممازجه،و علمها لا بأداه لا یکون العلم إلّا بها،و لیس بینه و بین معلومه علم غیره.إن قیل:کان فعلی تأویل أزلیّه الوجود،و إن قیل:لم یزل فعلی تأویل نفی العدم.فسبحانه و تعالی عن قول من عبد سواه،و اتّخذ إلها غیره علوّا کبیرا» (۲).

و رواه(الروضه)و(التحف)واصفین له بالخطبه المعروفه بالوسیله (۳).

۱- ۱) أخرجه الصدوق فی التوحید:۶۹ ح ۲۶،و [۱]العیون ۱:۹۹ ح ۱۵. [۲]

۲- ۲) أخرجه الصدوق فی التوحید:۷۹ ح ۲۷. [۳]

۳- ۳) أخرجه الکلینی فی الکافی ۸:۱۸ ح ۴،و [۴]ابن شعبه فی تحف العقول:۹۲ باختلاف کثیر.

و ما رواه(الروضه)بعنوان الخطبه الطالوتيّه مسندا عن ابن التيهان أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام خطب الناس بالمدينه،فقال:

«الحمد للّه الذى لا إله إلاّ هو،كان حيّا بلا كيف،و لم يكن له كان،و لا كان لكانه كيف،و لا كان له أين،و لا كان فى شىء،و لا كان على شىء،و لا ابتدع لكانه مكانا،و لا قوى بعد ما كوّن شيئا،و لا كان ضعيفا قبل أن يكوّن شيئا،و لا كان مستوحشا قبل أن يبتدع شيئا،و لا يشبه شيئا و لا كان خلوا عن الملك قبل إنشائه،و لا يكون خلوا منه بعد ذهابه.

كان إلها حيّا بلا حياه،و مالكا قبل أن ينشئ شيئا،و مالكا بعد إنشائه للكون،و ليس يكون للّه كيف،و لا أين،و لا حدّ يعرف،و لا شىء يشبهه،و لا يهرم لطول بقائه،و لا يضعف لذعره،و لا يخاف كما تخاف خليقته من شىء، و لكن سميع بغير سمع،و بصير بغير بصر،و قوّى بغير قوّه من خلقه،لا تدركه حدق الناظرين،و لا يحيط بسمعه سمع السّامعين.إذا أراد شيئا كان بلا مشوره،و لا مظاهره و لا مخابره،و لا يسأل أحدا عن شىء من خلقه أراده» (۱).

و ما رواه أيضا مسندا عن الباقر عليه السّلام،قال:خطب أمير المؤمنين عليه السّلام فقال:

«الحمد للّه الخافض الرّافع،الضارّ النّافع،الجواد الواسع،الجليل ثناؤه، الصّادقه أسماؤه،المحيط بالغيوب،و ما يخطر على القلوب،الذى جعل الموت بين خلقه عدلا و أنعم بالحياه عليهم فضلا،فأحيا و أمات،و قدّر الأقوات، أحكمها بعلمه تقديرا،و أتقنها بحكمته تدبيرا،إنّه كان خبيرا بصيرا،هو الدّائم بلا فناء،و الباقى إلى غير منتهى.يعلم ما فى الأرض و ما فى السماء، «وَ ما»

۱- ۱) أخرجه الكلينى فى الكافى ۸:۳۱ ح ۵. [۱]

«بَيْنَهُما وَ ما تَحْتَ الثَّرى» (۱).

و ما رواه مسندا عن الصادق علیه السّلام أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام خطب یوم الجمعه،فقال:

«الحمد للّه أهل الحمد،و ولیّه و منتهی الحمد و محلّه،البدء البدیع،الأجلّ الأعظم،و الأعزّ الأکرم،المتوحّد بالکبریاء،و المتفرّد بالآلاء،القاهر بعزّه، و المسلّط بقهره،الممتنع بقوّته،المهیمن بقدرته،و المتعالی فوق کلّ شیء بجبروته،المحمود بامتنانه و بإحسانه،المتفضّل بعطائه،و جزیل فوائده، الموسّع برزقه،المسبغ بنعمه،نحمده علی آلائه،و تظاهر نعمائه،حمدا یزن عظمه جلاله،و یملأ قدر آلائه و کبریائه» (۲).

و ما رواه المسعودی فی(إثباته)مرسلا من خطبته علیه السّلام فی انتقال نور النبی صلّی اللّه علیه و آله:

«الحمد للّه الّذی توحّد بصنع الأشیاء،و فطر أجناس البرایا علی غیر مثال سبقه فی إنشائها،و لا إعانه معین علی ابتداعها،بل ابتداعها بلطف قدرته، فامتثلت لمشیّته خاضعه مستحدثه لأمره.الواحد الأحد،الدائم بغیر حدّ و لا أمد،و لا زوال و لا نفاد،و کذلک لم یزل و لا یزال.لا تغیّره الأزمنه،و لا تحیط به الأمکنه،و لا تبلغ مقامه الألسنه،و «لا تَأْخُذُهُ سِنَهٌ وَ لا نَوْمٌ» (۳).لم تره العیون فتخبر عنه برؤیته،و لم تهجم علیه العقول فیتوهم کنه صفته،و لم تدر کیف هو إلّا بما أخبر عن نفسه.لیس لقضائه مردّ،و لا لقوله مکذّب.

ابتدع الأشیاء بغیر تفکیر،و خلقها بلا ظهیر و لا وزیر،فطرها بقدرته، و صیّرها بمشیّته،و صاغ أشباحها،و برأ أرواحها،و استنبط أجناسها،خلقا

۱- ۱) أخرجه الکلینی فی الکافی ۸:۱۷۰ ح ۱۹۳،و الآیه(۶) [۱]من سوره طه.

۲- ۲) أخرجه الکلینی فی الکافی ۸:۱۷۳ ح ۱۹۴. [۲]

۳- ۳) البقره:۲۵۵. [۳]

مبروّا مذروّا فی أقطار السماوات و الأرضین،لم یأت بشیء علی غیر ما أراد أن یأتی علیه،لیری عباده آیات جلاله و آلائه.فسبحانه لا إله إلاّ هو الواحد القهّار-إلی أن قال-لقد لطف علمک،و جلّت قدرتک عن التفسیر،إلاّ بما دعوت إلیه من الاقرار بربوبیّتک و أشهد أن الأعین لا تدرکک،و الأوهام لا تلحقک، و العقول لا تصفک،و المکان لا یسعک،و کیف یسع المکان من خلقه و کان قبله، أم کیف تدرکه الأوهام،و کیف تؤمر الأوهام،و لا نهایه له و لا غایه،و کیف یکون له نهایه و غایه،و هو الّذی ابتدأ الغایات و النّهایات،أم کیف تدرکه العقول،و لم یجعل لها سبیلا إلی إدراکه،و کیف یکون لها سبیل إلی إدراکه، و قد لطف بربوبیّته عن المحاسّه و المجاسّه،و کیف لا یلطف عنهما من لا ینتقل عن حال إلی حال،و قد جعل الانتقال نقصا و زوالا؟! فسبحانک ملأت کلّ شیء،و باینت کلّ شیء.فأنت الّذی لا یفقدک شیء، و أنت الفعّال لما تشاء،تبارکت یا من کلّ مدرک من خلقه،و کلّ محدود من صنعه.أنت الّذی لا یستغنی عنک المکان و الزمان،و لا نعرفک إلاّ بانفرادک بالوحدانیّه و القدره» (۱).

و ما نقله البحرانی فی(الصحیفه العلویّه):

«الحمد للّه أوّل محمود،و آخر معبود،و أقرب موجود.البدء بلا معلوم لأزلیّته و لا آخر لأوّلیته،و الکائن قبل الکون بلا کیان،و الموجود فی کلّ مکان بلا عیان،و القریب من کلّ نجوی بغیر تدان.علنت عنده الغیوب،و ضلّت فی عظمته القلوب،فلا الأبصار تدرک عظمته،و لا القلوب علی احتجابه تنکر معرفته،یمثل فی القلوب بغیر مثال تحدّه الأوهام أو تدرکه الأحلام.

ثمّ جعل من نفسه دلیلا علی تکبّره عن الضّدّ و النّدّ،و الشّکل و المثل،

۱- ۱) أخرجه المسعودی فی إثبات الوصیه:۱۰۶. [۱]

فالوحدانیه آیه الربوبیّه،و الموت الآتی علی خلقه مخبر عن خلقه و قدرته،ثمّ خلقهم من نطفه و لم یکونوا شیئا دلیل علی إعادتهم خلقا جدیدا بعد فنائهم کما خلقهم أوّل مرّه.

و الحمد للّه ربّ العالمین،الّذی لم یضرّه بالمعصیه المتکبّرون،و لم ینفعه بالطاعه المتعبّدون،الحلیم عن الجبابره المدّعین،و المهمل الزّاعمین له شرکاء فی ملکوته،الدّائم فی سلطانه بغیر أمد،و الباقی فی ملکه بعد انقضاء الأبد،و الفرد الواحد الصّمد،و المتکبّر عن الصّاحبه و الولد،رافع السماء بغیر عمد،و مجری السّحاب بغیر صفد،قاهر الخلق بغیر عدد،لکن هو اللّه الواحد الفرد الأحد،الّذی «لَمْ یَلِدْ وَ لَمْ یُولَدْ وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ کُفُواً أَحَدٌ» (۱).

الحمد للّه الذی لم یخل من فضله المقیمون علی معصیته،و لم یجازه لأصغر نعمه المجتهدون فی طاعته.الغنیّ الّذی لا یضنّ برزقه علی جاحده، و لا ینقص عطایاه أرزاق خلقه،خالق الخلق و مفنیه،و معیده و مبدیه و معاقبه، عالم ما أکنّته السرائر،و أخبته الضمائر،و اختلفت به الألسن،و أنسته الأزمن.

الحیّ الذی لا یموت،و القیّوم الّذی لا ینام،و الدّائم الذی لا یزول،و العدل الّذی لا یجوز،الصافح عن الکبائر بفضله،و المعذب من عذّب بعدله،لم یخف الفوت فحلم،و علم الفقر إلیه فرحم،و قال فی محکم کتابه: «وَ لَوْ یُؤاخِذُ اللّهُ النّاسَ بِما کَسَبُوا ما تَرَکَ عَلی ظَهْرِها مِنْ دَابَّهٍ» (۲).أحمده حمدا أستزیده فی نعمته، و أستجیر به من نقمته،و أتقرّب إلیه بالتصدیق لنبیّه المصطفی لوحیه، المتحیّز لرسالته،المختصّ بشفاعته» (۳).

و فی الجمیع فقرات مرّت فی العناوین السابقه.

۱- ۱) الاخلاص:۳-۴. [۱]

۲- ۲) فاطر:۴۵. [۲]

۳- ۳) الصحیفه العلویّه [۳]الأولی:۳۲ الخطبه(۲).

الفصل الثانی: فی خلق السّماء و الأرض و الشمس و القمر و النّجوم و العرش و الکرسیّ

اشاره

ص:۴۵۹

مرّ فی الفصل الأوّل قوله علیه السّلام:«و أنشأ الأرض فأمسکها من غیر اشتغال،و أرساها علی غیر قرار،و أقامها بغیر قوائم،و رفعها بغیر دعائم، و حصّنها من الأود و الاعوجاج،و منعها من التّهافت و الانفراج.أرسی أوتادها، و ضرب أسدادها،و استفاض عیونها،و خدّ أودیتها،فلم یهن ما بناه،و لا ضعف ما قوّاه»مع شرحه (۱).

۱

من الخطبه(۱)

بعد ما مرّ فی سابقه:

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الْأَجْوَاءِ- وَ شَقَّ الْأَرْجَاءِ وَ سَكَائِكَ الْهَوَاءِ- فَأَجْرَی فِیهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَیَّارُهُ- مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ حَمَلَهُ عَلَی مَتْنِ الرِّیحِ الْعَاصِفَهِ- وَ الزَّعْزَعِ الْقَاصِفَهِ فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ- وَ سَلَّطَهَا عَلَی شَدِّهِ وَ قَرَنَهَا إِلَی حَدِّهِ- الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِیقٌ وَ الْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِیقٌ- ثُمَّ أَنْشَأَ

۱- ۱) مرّ فی العنوان(۲۵)من الفصل الأول شرح الخطبه(۱۸۴).

سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا- وَ أَدَامَ مَرَبَّهَا وَ أَعْصَفَ مَجْرَاهَا- وَ أَبْعَدَ مَنْشَأَهَا فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ- وَ إِثَارَهِ مَوْجِ الْبِحَارِ فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ- وَ عَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ- تَرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ وَ سَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ- وَ رَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ- فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ وَ جَوٍّ مُنْفَهِقٍ- فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ- جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً- وَ عُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ سَمْكاً مَرْفُوعاً- بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا وَ لَا دِسَارٍ يَنْظِمُهَا ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَهِ الْكَوَاكِبِ وَ ضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ- وَ أَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً وَ قَمَراً مُنِيراً- فِي فَلَكٍ دَائِرٍ وَ سَقْفٍ سَائِرٍ وَ رَقِيمٍ مَائِرٍ أقول:مرّ فی أوّل الفصل السابق الكلام فی مستنده (۱).

«ثم أنشأ سبحانه» قالوا:(ثمّ)هنا للتّفصيل بعد الإجمال فی سابقه.

«فتق» و الفتق ضدّ الرّتق.

«الأجواء» جمع الجوّ،و فسّر الجوّ بشيئين ما بين السماء و الأرض، و الفضاء الواسع،لكن الصواب الثانی،حيث إنّ كلامه عليه السّلام فی الجوّ قبل خلق الأرض و السماء،و قد قال أبو عمرو فی قول طرفه:

يا لك من قبّره بمعمر خلالك الجوّ فبيضی و اصفری

(۲)الجو:ما اتسع من الأوديه.

«و شقّ» مصدر عطف علی(فتق).

«الأرجاء» و الأرجاء جمع رجا،أی:النّاحيه،قال تعالی: «وَ الْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها» (۳).

۱- ۱) مرّ فی العنوان(۱)من الفصل الأول فی شرح الخطبه(۱).

۲- ۲) أورده لسان العرب ۵:۶۹ [۱] ماده(قبر)و الشاعر:طرفه و قيل كليب بن ربيعه.

۳- ۳) الحاقه:۱۷. [۲]

«و سكائك الهواء» فى(اللّسان):السّكاك و السّكاكه:الهواء بين السماء و الأرض،و قيل:الّذى لا يلاقى أعنان السماء.و منه قولهم:لا أفعل ذلك و لو نزوت فى السّكاك،أى:فى السماء.و فى حديث الصّبيّه المفقوده قالت:فحملنى على خافيه من خوافيه،ثمّ دوّم بى فى السّكاك (۱).

السّكاك و السّكاكه:الجوّ،و هو ما بين السماء و الأرض،و منه حديث علىّ عليه السّلام: «شقّ الأرجاء و سكائك الهواء» .السّكائك:جمع السّكاكه،و هى السّكاك،كذؤابه و ذوائب (۲).و قال أيضا:السّكّه الطريق المستوى،و به سمّيت سكك البريد.قال الشماخ:

حنّت على سكه السّارى فجاوبها حمامه من حمام ذات أطواق

ثم قال:و قال الشماخ:

نضربهم إذا أخذوا السكائكا

(۳)هذا،و بدّل(مطالب السؤول -مطالب السؤول-ص ۲۸)قوله «و سكائك الهواء» بقوله«رتق الهواء» (۴).و كيف كان فقال ابن أبى الحديد:ظاهر كلامه عليه السّلام أنّ الفضاء الّذى هو الفراغ الذى يحصل فيه الأجسام خلقه اللّه تعالى،و لم يكن من قبل،و هذا يقتضى كون الفضاء شيئا،لأنّ المخلوق لا يكون عدما محضا،و ليس ذلك ببعيد،فقد ذهب إليه قوم من أهل النظر،و جعلوه جسما لطيفا خارجا عن مشابهه هذه الأجسام،و منهم من جعله مجرّدا (۵).

قلت:و الصواب كونه جسما لطيفا يشهد له قول السجاد عليه السّلام فى تسبيح

۱- ۱) نقله أيضا ابن الاثير فى النهايه ۲:۳۸۵ [۱] ماده(سكك).

۲- ۲) لسان العرب ۱۰:۴۴۱ [۲] ماده(سكك).

۳- ۳) المصدر نفسه. [۳]

۴- ۴) فى مطالب السؤول:۲۸«رافق الهواء»و الظاهر أنّه تحريف.

۵- ۵) شرح ابن أبى الحديد ۱:۲۷. [۴]

الصحيفه:«سبحانک تعلم وزن الفیء و الهواء» (۱).و یمکن أن یکون قوله علیه السّلام:

«و سکائک الهواء» إشاره إلی ما اکتشفوه فی هذه العصور من أمواج الهواء التی تحمل الأصوات فی الرادیات .

«فأجری فیها ماء متلاطما تیّاره» أی:موجه،و فی(الصحاح):یقال قطع عرقا تیّارا،أی:سریع الجریه،و قال عدی:

کالبحر یقذف بالتّیّار تیّارا

.(۲)

«متراکما» أی:متراکبا.

«زخّاره» من زخر الوادی إذا امتدّ جدّا و ارتفع.

«حمله علی متن الریح العاصفه» أی:الشدیده.

«و الزّعزع» أی:المحرّکه للأشیاء.

«القاصفه» أی:الکاسره لها،یقال قصفت الرّیح السفینه،قال المجلسی:

و هذه الرّیح غیر الهواء المذکور أوّلا،کما سیأتی فی قول الصادق علیه السّلام للزّندیق:الرّیح علی الهواء و الهواء تمسکه القدره (۳).فیمکن أن تکون مقدّمه فی الخلق علیه و متأخره عنه أو مقارنه له (۴).

«فأمرها بردّه و سلّطها علی شدّه و قرنها إلی حدّه» قال المجلسی:أی:أمر الرّیح أن تحفظ الماء،و تردّه بالمنع عن الجری الّذی سبقت الإشاره إلیه بقوله:

«فأجری فیها ماء» ،فکان قبل الردّ قد خلّی و طبعه-أی:عن الجری الّذی یقتضیه طبعه-و قوّاها علی ضبطه کالشیء المشدود،و جعلها مقرونه إلی

۱- ۱) ملحقات الصحیفه السجادیه الکامله:۳۱۹، [۱]الدعاء(۱)و قد مرّ فی العنوان(۲۱)من الفصل الأوّل.

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهری ۲:۶۰۳ [۲] ماده(تیر).

۳- ۳) الظاهر أنّه أشار إلی ما جاء فی البحار ۶۰:۱۵ ح ۱۹ [۳] عن احتجاج الطبرسی،و هو فی الاحتجاج ۲:۳۵۰، [۴]لکن لیس بهذه الألفاظ،و روی قریبا منه البرسی فی المشارق:۴۳،و المجلسی فی البحار ۵۷:۲۰۱ [۵] عن علی علیه السّلام.

۴- ۴) بحار الأنوار ۵۷:۱۸۳. [۶]

انتهائه محیطه به (۱).

قلت:مقتضی کلامه أنّ اللّه تعالی أجری الماء أوّلا فی الهواء المجرّد بجعل الهواء حاملا له،و أنّ الماء کان جاریا حینئذ علی مقتضی طبعه من الحرکه إلی السفل،ثمّ حمله علی ظهر الرّیح فقسرت جریه و عکسته،مع أنّ ظاهر کلامه علیه السّلام أنّ جریه أوّلا فی الهواء کان بتوسّط حمله علی ظهر الرّیح، فإنّ الظاهر أنّ قوله علیه السّلام: «حمله علی متن الرّیح العاصفه...» حال من(ماء)فی قوله: «فأجری فیها ماء...» أی:أجری الماء حاملا له علی متن الریح،و لو کان المعنی کما ذکر لقال علیه السّلام:(ثم حمله).

«الهواء من تحتها فتیق» أی:منشقّ.

«و الماء من فوقها دفیق» قال الجوهری:دفقت الماء أدفقه دفقا،أی:

صببته،فهو ماء دافق،أی:مدفوق،کما قالوا:سرّ کاتم.أی:مکتوم،لأنّه من قولک:دفق الماء علی ما لم یسمّ فاعله (۲).

قلت:بل الظاهر أنّ قولهم:ماء دافق،و مثله ماء دفیق،کما هنا بمعنی و ثّاب،قال تعالی: «فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ» (۳).

قال المجلسی فی معنی قوله: «الهواء من تحتها فتیق و الماء من فوقها دفیق» أی:الهواء الذی هو محلّ الرّیح مفتوق،أی:مفتوح منبسط من تحت الرّیح الحامله للماء،و الماء دفیق من فوقها،أی:مصبوب مندفق،و الغرض أنّه سبحانه بقدرته ضبط الماء المصبوب بالرّیح الحامله له،کما ضبط الرّیح بالهواء المنبسط،و هو موضع العجب (۴).

۱- ۱) المصدر نفسه،و قال عقیب کلامه فی حدیث الصادق علیه السّلام:«و یمکن أن یکون المراد بها ما تحرک منه کما هو المشهور».

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهری ۴:۱۴۷۵ [۱] ماده(دفق).

۳- ۳) الطارق:۵-۶. [۲]

۴- ۴) بحار الأنوار ۵۷:۱۸۴. [۳]

قلت:بل الظاهر أنّ الغرض أنّ مقتضى الطبيعه أن يكون الماء تحت، و الرّيح فوقه،و الهواء فوقها،و هو تعالى جعل الرّيح وسطا و الماء فوقها و الهواء تحتها،و هو موضع العجب .

«ثمّ أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبّها» اعتقم:من قولهم:رحم معقومه،أى:

مشدوده لا تلد .

«و أدام مربّها» أى اقامتها فى محلّها،من قولهم:مربّ الإبل لمكان لزمته.

قال المجلسى:الظاهر أنّ هذه الريح غير ما جعلها اللّه محلاّ للماء،بل هى مخلوقه من الماء كما سيأتى فى الروايه (۱).

قلت:كون هذه الرّيح غير الأولى لا يحتاج فيه إلى الاستناد إلى الروايه الدّالّه على خلقها من الماء،بل نفس هذه الفقره مع ظهورها فى عدم خلقها من ذلك الماء كالصريحه فى التّغاير للتعبير بقوله: «ثمّ أنشأ...» .

و قال ابن أبى الحديد:استدلّ الراوندى لتغاير الرّيح الثانيه مع الأولى بتعريف الأولى و تنكير الثانيه،و ردّه بأنّه ليس مستفادا من مجرّدهما،بل من كون إحداهما تحت الماء و الأخرى فوقه (۲).

قلت:و أىّ مانع من أن يجعل مقدارا من ريح واحده تحت الماء،و مقدارا فوقه؟فالصواب أن يستند إلى التّعبير بفقره «ثمّ أنشأ » .

«و أعصف» أى:أشدّ.

«مجراها» أى:جريانها.

«و أبعد منشأها» من منتهاها .

«فأمرها بتصفيق» قال الجوهرى:الصّفق:الضرب الذى يسمع

۱- ۱) المصدر نفسه. [۱]

۲- ۲) شرح ابن أبى الحديد ۱:۲۹،و [۲]النقل بالمعنى.

له صوت (۱).

«الماء الزخّار» أی:الکثیر.

«و إثاره» من:أثار الغبار.

«موج البحار» بجعله فوق و تحت .

«فمخضته» أی:حرّکته.

«مخض السّقاء» أی:سقاء اللّبن لأخذ زبده .

«و عصفت به» أی:بالماء.

«عصفها بالفضاء» أی:حرّکت الماء مثل تحریکها للفضاء .

«تردّ أوّله إلی» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(علی)کما فی(ابن أبی الحدید و الخطیه) (۲).

«آخره و ساجیه» أی:ساکنه.

«إلی» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(علی)کما فی(ابن أبی الحدید و الخطیه) (۳).

«مائره» أی:متحرّکه،قال الأعشی:

کأنّ مشیتها من بیت جارتها مور السّحابه لا ریث و لا عجل

(۴) «حتّی عبّ عبابه» أی:ارتفع سیله و موجه،أو صوّت.

«و رمی بالزّبد» أی:زبد الماء.

«رکامه» أی:متراکمه .

«فرفعه فی هواء منفتق» أی:منشقّ.

۱- ۱) صحاح اللغه للجوهری ۴:۱۵۰۷ [۱] ماده(صفق).

۲- ۲) فی شرح ابن أبی الحدید ۱:۲۷،و شرح ابن میثم ۱:۱۳۱«الی آخره»أیضا.

۳- ۳) فی شرح ابن أبی الحدید ۱:۲۷،و شرح ابن میثم ۱:۱۳۱« [۲]الی مائره»أیضا.

۴- ۴) أورده لسان العرب ۵:۱۸۶ [۳] ماده(مور).

«و جوّ منفهق» أی:متّسع.

«فسوّی منه سبع سماوات» و روی(الکافی)عن الباقر علیه السّلام قال:کان کلّ شیء ماء،و کان عرشه علی الماء،فأمر اللّه تعالی الماء فاضطرم نارا،ثمّ أمر النار فخمدت،فارتفع من خمودها دخان فخلق اللّه السماوات من ذلک الدّخان، و خلق الأرض من الرّماد (۱).

و روی فی خبر آخر عنه علیه السّلام:و خلق الشیء الذی جمیع الأشیاء منه، و هو الماء الذی خلق الأشیاء منه،فجعل نسب کلّ شیء إلی الماء،و لم یجعل للماء نسبا یضاف إلیه،و خلق الرّیح من الماء،ثمّ سلّط الرّیح علی الماء، فشققت الرّیح متن الماء حتّی صار من الماء زبد علی قدر ما شاء أن یثور، فخلق من ذلک الزبد أرضا بیضاء نقیه لیس فیها صدع و لا ثقب و لا صعود و لا هبوط و لا شجره،ثمّ طواها فوضعها فوق الماء،ثمّ خلق اللّه النّار من الماء فشققت النّار متن الماء حتّی ثار من الماء دخان علی قدر ما شاء اللّه أن یثور، فخلق من ذلک الدّخان سماء صافیه نقیه لیس فیها صدع و لا ثقب (۲).

و روی(تفسیر القمی)عن الصادق علیه السّلام فی خبر قال:کان عرشه علی الماء،و الماء علی الهواء،و الهواء لا یحدّ و لم یکن یومئذ خلق غیرهما،و الماء یومئذ عذب فرات،فلمّا أراد أن یخلق الأرض أمر الرّیاح فضربت الماء حتّی صار موجا،ثمّ أزبد فصار زبدا واحدا،فجمعه فی موضع البیت،ثمّ جعله جبلا من زبد،ثمّ دحا الأرض من تحته،فقال: «إِنَّ أَوَّلَ بَیْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذِی بِبَکَّهَ مُبارَکاً» (۳)ثم مکث الرّب تبارک و تعالی ما شاء،فلمّا أراد أن یخلق

۱- ۱) أخرجه الکلینی فی الکافی [۱]فی صدر حدیث فی موضعین ۸:۹۵ ح ۶۸،و:۱۵۳ ح ۱۴۲.

۲- ۲) أخرجه الکلینی ضمن حدیث فی الکافی ۸:۹۴ ح ۶۷. [۲]

۳- ۳) آل عمران:۹۶. [۳]

السماء أمر الرياح،فضربت البحور حتّى أزبدت بها فخرج من ذلك الموج- و الزّبد من وسطه-دخان ساطع من غير نار،فخلق منه السماء،و جعل فيها البروج و النجوم،و منازل الشمس و القمر،و أجراها فی الفلک،و کانت السماء خضراء علی لون الماء الأخضر،و کانت الأرض غبراء علی لون الماء العذب، و کانتا مرتوقتین لیس لهما أبواب (۱).

«جعل سفلاهنّ موجا مکفوفا» عن السقوط،و فی خبر سؤال الرّجل الشامی عن الباقر علیه السّلام و سأله عن السماء الدّنیا ممّ هی؟قال:من موج مکفوف (۲).

«و علیاهنّ سقفا محفوظا» هکذا فی(النّهج)،و لکن فی(مطالب السؤول) نقله«و سقفا محفوظا»بدون کلمه(علیاهنّ) (۳)،و علیه یصیر المعنی کون سفلاهنّ سقفا محفوظا ککونها موجا مکفوفا،و کأنّه أصحّ.فقال تعالی:

«وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ هُمْ عَنْ آیاتِها مُعْرِضُونَ» (۴)فجعل السّفلی سقفا محفوظا،و کذلک قوله علیه السّلام: «و سمکا مرفوعا» لم یخصّه اللّه تعالی

۱- ۱) أخرجه علی بن إبراهیم فی تفسیره ۲:۶۹،و [۱]قریب منه ما أخرجه صاحب تفسیر العسکری فیه:۶۹ عن النبی صلّی اللّه علیه و آله،و أخرجه الفرات الکوفی فی تفسیره:۶۶ عن علی علیه السّلام،و أخرجه العیاشی فی تفسیره ۱:۱۸۶ ح ۹۱، و الکلینی بروایتین فی الکافی ۴:۱۸۹ ح ۷،و ۸:۹ [۲]۴ ح ۶۷ عن الباقر علیه السّلام،و علی بن إبراهیم فی تفسیره ۱:۳۲۱ بلا عزو،و روی عن ابن عباس و ابن مسعود و ابن عمر و غیرهم موقوفا.

۲- ۲) أخرجه ضمن أسئله رجل من الشام لعلی علیه السّلام الصدوق فی علل الشرائع ۲:۵۹۳ ح ۴۴،و [۳]العیون:۱:۱۸۸ ح ۱، و [۴]أخرج معناه ابن أبی حاتم و أبو الشیخ و ابن مردویه عن ابن عباس عن النبی صلّی اللّه علیه و آله و ابن أبی حاتم عن أبی الجلد موقوفا،و ابن راهویه فی مسنده و ابن المنذر،و ابن أبی حاتم،و الطبرانی فی معجمه الأوسط،و أبو الشیخ عن الربیع بن أنس موقوفا عنهم الدرّ المنثور ۱:۴۴،و [۵]قد جاء ذکر(الموج المکفوف)فی أخبار أخری لم یسع المقام لذکرها.

۳- ۳) مطالب السؤول:۲۸.

۴- ۴) الأنبیاء:۳۲. [۶]

بالعليا.فقال: «أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها رَفَعَ سَمْكَها فَسَوّاها» (۱)، و قال عزّ و جلّ: «وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ» (۲)،بل قوله فی ما یأتی: «ثم زیّنها بزینه الکواکب» أیضا یشهد لزیاده کلمه(علیاهنّ)،و علیه فلا یحتاج إلی ما تکلّفه المجلسیّ فی شرح الفقره علی نقل(النّهج)،فقال:یخطر بالبال وجه آخر،و هو أن یکون المراد أنّه تعالی جعل الجهه السفلی من کلّ من السماوات موّاجه متحرّکه واقعا،أو فی النّظر،و الجهه العلیا منها سقفا محفوظا تستقرّ علیه الملائکه،و لا یمکن للشّیاطین خرقها (۳).

«بغیر عمد یدعمها» أی:یکون عمادا لها .

«و لا دسار» أی:مسمار.

«ینظمها» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(ینتظمها)کما فی(ابن أبی الحدید و الخطّیه) (۴).

«ثمّ زیّنها بزینه الکواکب» و لا ریب أنّ الضمیر فی(زیّنها)یرجع إلی السماء الدّنیا لقوله تعالی: «إِنّا زَیَّنَّا السَّماءَ الدُّنْیا بِزِینَهٍ الْکَواکِبِ» (۵)،و قوله عزّ و جلّ: «وَ لَقَدْ زَیَّنَّا السَّماءَ الدُّنْیا بِمَصابِیحَ» (۶).

«و ضیاء الثواقب» و الأصل فی الثقب:ثقب الدّرّ،و المراد ثقبها بضوئها، قال تعالی: «وَ ما أَدْراکَ مَا الطّارِقُ اَلنَّجْمُ الثّاقِبُ» (۷).

۱- ۱) النازعات:۲۷-۲۸. [۱]

۲- ۲) الطور:۵. [۲]

۳- ۳) بحار الأنوار ۵۷:۱۸۶. [۳]

۴- ۴) فی شرح ابن أبی الحدید ۱:۲۷،و [۴]شرح ابن میثم ۱:۱۳۱« [۵]ینظمها»أیضا.

۵- ۵) الصافات:۶. [۶]

۶- ۶) الملک الطارق:۵. [۷]

۷- ۷) :۳-۲.

و عن الصادق علیه السّلام:النّجم الثاقب:زحل،و مطلعه فی السماء السابعه، و أنّه ثقب بضوئه حتّی أضاء فی السّماء الدّنیا،فمن ثمّ سمّاه اللّه النّجم الثاقب (۱).

«و أجری فیها سراجا مستطیرا» قال تعالی: «وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهّاجاً» (۲)، و قال عزّ و جلّ: «وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ» (۳).

و قال الصادق علیه السّلام للمفضّل:فکّر الآن فی تنقّل الشّمس فی البروج الاثنی عشر لإقامه دور السّنه،و ما فی ذلک من التّدبیر...انظر إلی شروقها علی العالم کیف دبّر أن یکون،فإنّها لو کانت تبزغ فی موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها و منفعتها إلی کثیر من الجهات،لأنّ الجبال و الجدران کانت تحجبها عنها،فجعلت تطلع أوّل النّهار من المشرق،فتشرق علی ما قابلها من وجه المغرب،ثمّ لا تزال تدور و تغشی جهه بعد جهه حتّی تنتهی إلی المغرب،فتشرق علی ما استتر عنها فی أوّل النهار،فلا یبقی موضع من المواضع إلاّ أخذ بقسطه من المنفعه منها و الإرب الّتی قدّرت له (۴).

«و قمرا منیرا» «وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِیهِنَّ نُوراً» (۵).

«فی فلک دائر و سقف سائر و رقیم» أی:منتقش.

«مائر» أی:متحرّک،و الظاهر أنّ(دائر)خبر لکلمه(کلّ)محذوفه لا صفه ل(فلک)،و فی(فلک)متعلّق به،و مثله(سائر)و(مائر)،فیکون المعنی:کلّ من الکواکب و الشمس و القمر دائر فی فلک،و سائر فی سقف،و مائر فی رقیم.

۱- ۱) هذا مقتبس من حدیث طویل أخرجه الصدوق فی الخصال ۲:۴۸۹ ح ۶۸.

۲- ۲) النبأ:۱۳. [۱]

۳- ۳) یس:۳۸. [۲]

۴- ۴) توحید المفضل:۱۳۰. [۳]

۵- ۵) نوح:۱۶. [۴]

فیکون مساوقا لقوله تعالی-بعد ذکر الشمس و القمر-: «النَّهارِ وَ کُلٌّ فِی» (۱).

و قال الصادق علیه السّلام-بعد ذکر مقدار من حکمه تعالی فی الشمس و القمر و النّجوم-:مع ما فی تردّدها فی کبد السّماء مقبله و مدبره و مشرقه و مغربه من العبر،فإنّها تسیر أسرع السّیر و أحثّه،أ رأیت لو کانت الشمس و القمر و النجوم بالقرب منّا حتّی یتبیّن لنا سرعه سیرها بکنه ما هی علیه،ألم تکن تستخطف الأبصار بوهجها و شعاعها،کالّذی یحدث أحیانا من البروق إذا توالت و اضطرمت فی الجوّ؟!و کذلک لو أنّ أناسا کانوا فی قبه مکلّله بمصابیح تدور حولهم دورانا حثیثا،لحارت أبصارهم حتّی یخرّوا لوجوههم.فانظر کیف قدّر أن یکون مسیرها فی البعد البعید لکیلا تضرّ فی الأبصار،و تنکأ فیها بأسرع السرعه،لکیلا تتخلّف عن مقدار الحاجه فی مسیرها (۲).

۲

من الخطبه(۸۹)

(منها فی صفه السّماء):

وَ نَظَمَ بِلاَ تَعْلِیقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا- وَ لاَحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا وَ وَشَّجَ بَیْنَهَا وَ بَیْنَ أَزْوَاجِهَا- وَ ذَلَّلَ لِلْهَابِطِینَ بِأَمْرِهِ- وَ الصَّاعِدِینَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونَهَ مِعْرَاجِهَا- وَ نَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِیَ دُخَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَی أَشْرَاجِهَا- وَ فَتَقَ بَعْدَ الِارْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا- وَ أَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَی نِقَابِهَا- وَ أَمْسَکَهَا مِنْ أَنْ تُمُورَ فِی خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَیْدِهِ- وَ أَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَهً لِأَمْرِهِ- وَ جَعَلَ شَمْسَهَا آیَهً مُبْصِرَهً لِنَهَارِهَا- وَ قَمَرَهَا آیَهً

۱- ۱) یس:۴۰. [۱]

۲- ۲) توحید المفضل:۱۳۵. [۲]

مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا- فَأَجْرَاهُمَا فِی مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا- وَ قَدَّرَ سَیْرَهُمَا فِی مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا- لِیُمَیِّزَ بَیْنَ اللَّیْلِ وَ النَّهَارِ بِهِمَا- وَ لِیُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِینَ وَ الْحِسَابِ بِمَقَادِیرِهِمَا- ثُمَّ عَلَّقَ فِی جَوِّهَا فَلَکَهَا وَ نَاطَ بِهَا زِینَتَهَا- مِنْ خَفِیَّاتِ دَرَارِیِّهَا وَ مَصَابِیحِ کَوَاکِبِهَا- وَ رَمَی مُسْتَرِقِی السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا- وَ أَجْرَاهَا عَلَی أَذْلَالِ تَسْخِیرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا- وَ مَسِیرِ سَائِرِهَا وَ هُبُوطِهَا وَ صُعُودِهَا وَ نُحُوسِهَا وَ سُعُودِهَا «و نظم بلا تعلیق رهوات فرجها» قال ابن أبی الحدید فی شرح الفقره:

یقول علیه السّلام:کانت السماء أوّل ما خلقت غیر منتظمه الأجزاء بل بعضها أرفع و بعضها أخفض،فنظمها سبحانه،فجعلها بسیطا واحدا،نظما اقتضته القدره الإلهیّه من غیر تعلیق،أی:لا کما ینظم الإنسان ثوبا مع ثوب أو عقدا مع عقد بالتّعلیق و الخیاطه.و تبعه الخوئی فی ذلک (۱).

قلت:فیه أوّلا:إنّه هل کان بناؤه تعالی للسّماء کبناء الناس لشیء أوّلا غیر منظم لعدم فهمهم الخلل،ثمّ ینظمونه بعد الوقوف علی خلله تعالی عن ذلک؟ و ثانیا:إنّ المعنی الذی قال یستلزم استعمال(الرهوات)فی معنیین، قال(الصحاح):الرّهو و الرّهوه:المکان المرتفع و المنخفض أیضا،و یجتمع فیه الماء (۲).و هو من الأضداد،و استعمال المشترک فی معنیین غیر جائز، و الأظهر أنّ رهوات فی کلامه علیه السّلام بمعنی المنفتحات،کقوله تعالی: «وَ اتْرُکِ الْبَحْرَ رَهْواً» (۳).و المراد نظمها أوّلا،و یشهد له إضافتها إلی فرجها.

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۴۷،و [۱]شرح الخوئی ۳:۹۵.

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهری ۶:۲۳۶۵ [۲] ماده(رهو).

۳- ۳) الدخان:۲۴. [۳]

«و لاحم صدوع انفراجها» أی:جعلها ملصقه ابتداء .

«و وشّج» أی:خلّط،و الأصل فیه الاشتباک،و لهذا یطلق الوشیجه علی عرق الشّجر،و علی لیف یفتل لشدّ الحمل،لأنّهما یشتبکان.

«بینها و بین أزواجها» أی:قرائنها،کقوله تعالی: «احْشُرُوا الَّذِینَ ظَلَمُوا وَ أَزْواجَهُمْ» (۱).

و قال ابن میثم:المراد بأزواجها نفوسها التی هی الملائکه المساویه (۲).

و ردّه المجلسیّ بنقل المرتضی:الإجماع من المسلمین علی أنّ الأفلاک لا شعور لها و لا إراده.و قال:یمکن أن یراد بالأزواج الملائکه الموکّلون بها،أو القاطنون فیها،أو أشباهها من الکواکب و الأفلاک الجزئیه،أو أشباحها فی الجسمیه و الإمکان من الأرضیات (۳).و هو کما تری،لا سیّما الأوّل و الأخیر من وجوهه.فلا معنی للتّوشیج بین السماوات و الملائکه،و بینها و بین الأرضیات .

«و ذلّل للهابطین» أی:للملائکه الهابطین.

«بأمره» من السماء .

«و الصاعدین بأعمال خلقه» من الأرض.

«حزونه» أی:خشونه.

«معراجها» أی:العروج إلیها .

«ناداها» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(و ناداها)کما فی(ابن أبی

۱- ۱) الصافات:۲۲. [۱]

۲- ۲) شرح ابن میثم ۲:۳۴۶.

۳- ۳) بحار الأنوار ۵۷:۱۲۸،و [۲]أمّا ما نقله عن المرتضی فعن ملحقات الدرر و الغرر له،لکن لم یصرح المجلسی بکونه من الملحقات،و نقل ابن طاوس فی فرج المهموم:۴۱ قول المرتضی و نقده بتفصیل.

الحدید و ابن میثم و الخطیّه) (۱).

«بعد إذ هی دخان» الأصل فی کلامه علیه السّلام قوله تعالی: «ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِیا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً قالَتا أَتَیْنا طائِعِینَ فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِی یَوْمَیْنِ وَ أَوْحی فِی کُلِّ سَماءٍ أَمْرَها» (۲)،و النّداء فی کلامه علیه السّلام،کالقول فی الآیه،حالیّ لا مقالیّ .

«فالتحمت عری» جمع عروه،عروه الکوز و غیره.

«أشراجها» جمع الشّرج،قال الفیروز آبادی:الشّرج محرّکه العری و منفسح الوادی و مجره السماء،و فرج المرأه،و انشقاق القوس (۳).

قلت:و الظاهر أنّ الأصل فی معناه الانشقاق فهو یجمع معانی ذکرها، و لکن ذکر(النهایه)له معنیین آخرین فقال:و فی حدیث الصوم:فأمرنا النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالفطر فأصبح الناس شرجین،یعنی نصفین:نصف صیام، و نصف مفاطیر.و فی حدیث مازن:فلا رأیهم رأیی،و لا شرجهم شرجی.

یقال:لیس هو من شرجه،أی:من طبقته و شکله،و منه حدیث علقمه:و کان نسوه یأتینها مشارجات لها.أی:أتراب و أقران (۴).

قلت:و یمکن إرجاعهما إلیه أیضا،و کیف کان فقال ابن أبی الحدید:

أشراجها:جمع شرج،و هو عری العیبه،و أشرجت العیبه،أی:أقفلت أشراجها، و تسمّی مجرّه السماء شرجا تشبیها بشرج العیبه (۵).

قلت:لم یقل أحد أنّ الشرج عری العیبه،بل مطلق العری،و منشأ و هم

۱- ۱) کذا فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۴۶، [۱]لکن لا توجد(الواو)فی شرح ابن میثم ۲:۳۴۵. [۲]

۲- ۲) فصلت:۱۱-۱۲. [۳]

۳- ۳) القاموس المحیط ۱:۱۹۵ [۴] ماده(شرج).

۴- ۴) النهایه لابن الأثیر ۲:۴۵۶ [۵] ماده(شرج).

۵- ۵) شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۴۷. [۶]

ابن أبی الحدید أنّ الجوهری قال:شرح العیبه عراها (۱).ففسّر شرح العیبه بعری العیبه،لا مطلق الشّرح.ثمّ علی تفسیره ما ذا یجعله معنی الکلام،فیصیر معناه:فالتحمت عری عری عیبتها،و هو بلا معنی،کما أنّ ما ذکره من أنّ مجرّه السماء سمّیت شرجا تشبیها بشرج العیبه،لم یذکره أحد،و أیّ شباهه بینهما حتّی تشبّه به .

«و فتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها» قال تعالی: «أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما» (۲)لکن الأخبار فسّرت الآیه بأنّ السماء کانت رتقا لا تمطر،و الأرض رتقا لا تنبت.ففتقتا بالأمطار و النّبات (۳).

و أمّا قوله علیه السّلام: «صوامت أبوابها» فقال ابن أبی الحدید:هو و قوله بعد:

«علی نقابها» صریح فی أنّ للسّماء أبوابا،و هو مطابق لقوله تعالی: «لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ» (۴)،و القرآن و کلام هذا الامام المعظّم أولی بالاتّباع من کلام الفلاسفه الّذین أحالوا الخرق علی الفلک (۵).

و قال المجلسی:و فتق صوامت الأبواب،إمّا کنایه عن إیجاد الأبواب فیها و خرقها بعد ما کانت رتقا لا باب فیها،أو فتح الأبواب المخلوقه فیها حین ایجادها،و هذه الأبواب هی الّتی منها عروج الملائکه و هبوطها و صعود أعمال

۱- ۱) صحاح اللغه للجوهری ۱:۳۲۴ [۱] ماده(شرج).

۲- ۲) الأنبیاء:۳۰. [۲]

۳- ۳) هذا التفسیر نقله الکلینی فی الکافی ۸:۹۴ ح ۶۷،و [۳]الإربلی فی کشف الغمه ۲:۳۳۸،و [۴]الطبرسی فی الاحتجاج ۲: ۳۲۶ [۵] عن الباقر علیه السّلام،و علی بن إبراهیم فی تفسیره ۲:۶۹ [۶] عن الصادق علیه السّلام،و نقله الفریابی،و عبد بن حمید فی مسنده،و الحاکم فی المستدرک،و البیهقی فی الأسماء و الصفات،و [۷]ابن المنذر و أبو نعیم فی حلیه الأولیاء،و [۸]بروایتین ابن أبی حاتم عنهم الدرّ المنثور ۴:۲۱۷،و [۹]صاحب تنویر المقباس فیه ۳:۲۵۹ عن ابن عباس،و نقله الطوسی فی التبیان ۷:۲۱۵ [۱۰] عن الباقر و الصادق علیهما السّلام و عکرمه و ابن زید.

۴- ۴) الأعراف:۴۰. [۱۱]

۵- ۵) شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۴۷ و [۱۲]النقل بالمعنی.

العباد و أدعيتهم و أرواحهم،كما قال تعالى: «لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ» (۱)و التى تنزل منها الأمطار كما أشار إليه تعالى بقوله: «فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ» (۲).

قلت:لقائل أن يقول:إنّ الآيه الأولى كنايه عن عدم المبالاه بهم،فبعدها:

«وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّهَ حَتّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِياطِ» (۳)و الآيه المتقدمه كما عرفت،و بالجمله،كلامه عليه السّلام كالقرآن لا صراحه فيه فى ما ادّعيا .

«و أقام رصدا من الشّهب الثّواقب على نقابها» نقاب،جمع نقب:الطريق بين الموضعين.قال تعالى: «وَ أَنّا لَمَسْنَا السَّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً وَ أَنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً» (۴)،لكن ظاهر كلامه عليه السّلام أنّ الإرصاد كان من الأوّل،و ظاهر الآيه حكايه عن الجنّ أنّه كان أخيرا،و المراد بعد مولد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و جمع بينهما بكونه أوّلا خفيفا و شدّد أخيرا .

«و أمسكها من أن تمور» أى:تضطرب،قال تعالى: «يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً» (۵)و المراد فى القيامه.

«فى خراق» جمع خرق،أى:متّسعات.

«الهواء بأيده» أى:بقوّته،قال تعالى: «وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ» (۶)، «إِنَّ اللّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَ لَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ»

۱- ۱) الأعراف:۴۰. [۱]

۲- ۲) بحار الأنوار ۷:۱۲۹،و الآيه(۱۱) [۲]من سوره القمر.

۳- ۳) الأعراف:۴۰. [۳]

۴- ۴) الجن:۸-۹. [۴]

۵- ۵) الطور:۹. [۵]

۶- ۶) الذاريات:۴۷. [۶]

«بَعْدِهِ » (۱).

«و أمرها أن تقف مستسلمه لأمره» «وَ أَوْحی فِی کُلِّ سَماءٍ أَمْرَها » (۲).

«و جعل شمسها آیه مبصره لنهارها،و قمرها آیه ممحوّه من لیلها» «وَ جَعَلْنَا اللَّیْلَ وَ النَّهارَ آیَتَیْنِ فَمَحَوْنا آیَهَ اللَّیْلِ وَ جَعَلْنا آیَهَ النَّهارِ مُبْصِرَهً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّکُمْ» (۳).

قال الصادق علیه السّلام للمفضّل:فکّر یا مفضّل فی طلوع الشمس و غروبها لإقامه دولتی النّهار و اللّیل،فلو لا طلوعها لبطل أمر العالم کلّه،فلم یکن الناس یسعون فی معائشهم،و یتصرّفون فی أمورهم،و الدّنیا مظلمه علیهم،و لم یکونوا یتهنّؤون بالعیش مع فقدهم لذّه النّور و روحه،و الإرب فی طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الإطناب فی ذکره،و الزّیاده فی شرحه.

بل تأمّل المنفعه فی غروبها،فلو لا غروبها لم یکن للنّاس هدوء و لا قرار مع عظم حاجتهم إلی الهدوء و الرّاحه لسکون أبدانهم،و جموم حواسّهم، و انبعاث القوّه الهاضمه لهضم الطعام،و تنفیذ الغذاء إلی الأعضاء،ثم کان الحرص یستحملهم من مداومه العمل و مطاولته علی ما یعظم نکایته فی أبدانهم،فإنّ کثیرا من النّاس لو لا جثوم هذا اللّیل بظلمته علیهم لم یکن لهم هدوء و لا قرار حرصا علی الکسب و الجمع و الادّخار،ثمّ کانت الأرض تستحمی بدوام الشّمس بضیائها،و یحمی کلّ ما علیها من حیوان و نبات، فقدّرها اللّه بحکمته و تدبیره تطلع وقتا و تغرب وقتا،بمنزله سراج یرفع لأهل البیت تاره لیقضوا حوائجهم،ثمّ یغیب عنهم مثل ذلک لیهدءوا و یقروا،فصار

۱- ۱) فاطر:۴۱. [۱]

۲- ۲) فصلت:۱۲. [۲]

۳- ۳) الإسراء:۱۲. [۳]

النّور و الظلمه مع تضادّهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم و قوامه.

ثمّ فكّر بعد هذا فى ارتفاع الشّمس و انحطاطها لإقامه هذه الأزمنه الأربعه من السّنه،و ما فى ذلك من التّدبير و المصلحه،ففى الشّتاء تعود الحراره فى الشجر و النّبات،فيتولّد فيهما موادّ الثّمار،و يستكثف الهواء فينشأ منه السّحاب و المطر،و تشدّ أبدان الحيوان و تقوى،و فى الرّبيع تتحرّك و تظهر الموادّ المتولّده فى الشتاء،فيطلع النّبات و تنوّر الأشجار،و يهيج الحيوان للسّفاد،و فى الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار،و تتحلل فضول الأبدان،و يجفّ وجه الأرض،فتهيّأ للبناء و الأعمال،و فى الخريف يصفو الهواء،و ترتفع الأمراض،و تصحّ الأبدان،و يمتدّ اللّيل،فيمكن فيه بعض الأعمال لطوله و طيب الهواء فيه إلى مصالح أخرى لو تقصّيت لذكرها لطال الكلام.

فكّر الآن فى تنقّل الشّمس فى البروج الاثنى عشر لإقامه دور السنه، و ما فى ذلك من التدبير،فهو الدور الّذى تصحّ به الأزمنه الأربعه من السنه، الشتاء و الربيع و الصيف و الخريف،و تستوفيها على التّمام،و فى هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلاّت و الثمار،و تنتهى إلى غاياتها،ثمّ تعود فيستأنف النّشوء و النموّ،ألا ترى أنّ السنه مقدار مسير الشّمس من الحمل إلى الحمل؟فبالسنه و أخواتها يكال الزّمان من لدن خلق اللّه تعالى العالم إلى كلّ وقت و عصر من غابر الأيّام،و بها يحسب النّاس الأعمار و الأوقات الموقّته للدّيون،و الإجارات و المعاملات،و غير ذلك من أمورهم،و بمسير الشمس تكمل السنه،و يقوم حساب الزّمان على الصّحه-إلى أن قال:- و لو تخلّفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم،بل كيف

كـان يكون لهم مع ذلـك بقاء،أفلا ترى كيف كان يكون للناس هـذه الأمور الجليله التى لم يكن عنهم فيه حيله،فصارت تجرى على مجاريها لا تفتل،و لا تتخلّف عن مواقيتها لصلاح العالم و ما فيه بقاؤه-إلى أن قال:- فكّر فى إنارته(أى القمر)فى ظلمه اللّيل و الإـرب فى ذلـك،فإنّه مع الحاجه إلى الظلمه لهـدوء الحيوان و برد الهواء على النّبات لم يكن صـلاح فى أن يكون اللّيل ظلمه داجيه لا ضـياء فيها،فلا يمكن فيه شـىء من العمل لأنّه ربّما احتاج الناس إلى العمل باللّيل لضـيق الوقت عليهم فى بعض الأعمال فى النّهـار، و لشـدّه الحرّ و إفراطه،فيعمـل فى ضوء القمر أعمالاـ شتّى كحرث الأـرض، و ضـرب اللّبن،و قطع الخشب،و ما أشـبه ذلـك،فجعـل ضوء القمر معونه للنـاس على معائشـهم إذا احتـاجوا إلى ذلك و أنسا للسائرين،و جعل طلوعه فى بعض الليل دون بعض،و نقص مع ذلـك عن نور الشّـمس و ضـيائها لكيلا ينبسط الناس فى العمل انبساطهم بالنّهار،و يمتنعوا من الهـدوء و القرار فيهلكهم ذلـك، و فى تصـرّف القمر خـاصه فى مهلّه و محـاقه و زيادته و نقصانه و كسوفه من التنبيه على قـدره اللّه تعالى خالقه المصرّف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون (۱).

و عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى الخطاب إلى الشّمس عند طلوعها:«أيّتها الشمس البديعه التصوير،المعجزه التقدير،التى جعلت سراجا للأبصار، و نفعا لسـكّان الأمصار،شـروقك حياه،و غروبك وفاه،إن طلعت بأمر عزيز، و إن رجعت إلى مسـتقر حريز،أسأل الّـذى زيّن بـك السـماء،و ألبسـك الضـياء، و صـدع لـك أركـان المطالع،و حجبك بالشـعاع اللّامع،فلا يشـرف بك شـىء إلاّ امتحق،و لا يواجهك بشر إلاّ احترق،أن يهب لنا بك من الصّحه و دفع العلّه،

۱- ۱) توحيد المفضل:۱۲۸. [۱]

و ردّ العزبه،و كشف الكربه...» (۱).

و عن السجّاد عليه السّلام فى الخطاب إلى القمر عند مستهلّه:أيّها الخلق المطيع، الدّائب السّريع،المتردّد فى منازل التقدير،المتصرّف فى فلك التدبير،آمنت بمن نوّر بك الظّلم،و أوضح بك البهم،و جعلك آيه من آيات ملكه،و علامه من علامات سلطانه،و امتهنك بالزّياده و النّقصان،و الطّلوع و الأفول،و الإناره و الكسوف،فى كلّ ذلك أنت له مطيع،و إلى إرادته سريع.سبحانه ما أعجب ما دبّر فى أمرك،و ألطف ما صنع فى شأنك،جعلك مفتاح شهر حادث لأمر حادث،فأسأل اللّه ربّى و ربّك،و خالقى و خالقك،و مقدّرى و مقدّرك، و مصوّرى و مصوّرك أن يصلّى على محمّد و آله،و أن يجعلك هلال بركه لا تمحقها الأيّام،و طهاره لا تدنسها الآثام،هلال أمن من الآفات و سلامه من السّيئات،هلال سعد لا نحس فيه،و يمن لا نكد معه،و يسر لا يمازجه عسر، و خير لا يشوبه شرّ،هلال أمن و إيمان و نعمه و إحسان و سلامه و إسلام.

اللّهم صلّ على محمّد و آله،و اجعلنا من أرضى من طلع عليه،و أزكى من نظر إليه،و أسعد من تعبّد لك فيه،و وفّقنا فيه للتّوبه،و أعصمنا فيه من الحوبه،و احفظنا من مباشره معصيتك،و أوزعنا فيه شكر نعمتك،و ألبسنا فيه جنن العافيه،و أتمم علينا باستكمال طاعتك فيه المنّه،إنّك المنّان الحميد ...» (۲).

«فأجراهما» هكذا فى(المصريه)،و الصواب:(و أجراهما)كما فى(ابن

---

۱ - ۱) رواه المحدث النورى فى الصحيفه العلويه [۱]الثانيه:۲۰۰ عن ظهر نسخه عتيقه من كتاب لبّ اللباب،و أشار إليه ابن طاوس فى جمال الأسبوع:۲۳۰.

۲ - ۲) الصحيفه السجاديه الكامله:۲۰۹ الدعاء ۴۳،و [۲]رواه بفرق يسير القاضى القضاعى فى دستور المعالم:۱۳۰،و أبو على الطوسى فى أماليه ۲:۱۰۹ المجلس ۱۷ [۳] عن على عليه السّلام.

أبی الحدید و ابن میثم و الخطیّه) (۱).

«فی مناقل» جمع منقل،اسم مکان.

«مجراهما» مجری مصدر میمی .

«و قدّر سیرهما» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(مسیرهما)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه) (۲).

«فی مدارج درجهما» أی:حرکتهما،قال تعالی فی الأوّل: «وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ» (۳)و فی الثانی: «وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتّی عادَ کَالْعُرْجُونِ الْقَدِیمِ» (۴).

و روی الصولی عن ابن عبّاس فی منازل القمر أنّها ثمانیه و عشرون، ینزل القمر کلّ لیله منزلا منها،و هی:الشّرطان،و البطین،و الثّریا،و الدّبران، و الهقعه،و الهنعه،و الذراع،و النّثره،و الطرف،و الجبهه،و الزّبره،و الصرفه، و العواء،و السماک،و الغفر،و الزّبانا،و الإکلیل،و القلب،و الشّوله،و النّعائم، و البلده،و سعد الذّابح،و سعد بلع،و سعد السّعود،و سعد الأخبیه،و الفرغ المقدّم و الفرغ المؤخّر،و بطن الحوت (۵).

و فی(الصحاح):و النّعائم منزل من منازل القمر،و هی ثمانیه أنجم

۱- ۱) فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۴۷،و شرح ابن میثم ۲:۳۴۵«فأجراهما»أیضا.

۲- ۲) فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۴۷،و شرح ابن میثم ۲:۳۴۵«یسرهما»أیضا.

۳- ۳) یس:۳۸. [۱]

۴- ۴) یس:۳۹. [۲]

۵- ۵) لم أجده فی أدب الکاتب.و [۳]أخرجه الخطیب فی کتاب النجوم عنه الدرّ المنثور ۵:۲۶۴ عن ابن عباس،و قال الآلوسی فی روح المعانی ۱۷:۲۳-۱۹: [۴]روی هذا عن ابن عباس و غیره ثم شرحه شرحا بسیطا،و یستفاد منه:إن الشرطان علی زنه عدنان،و البطین علی سهیل،و الدبران علی سرطان،و الهقعه و الهنعه علی ضربه،و الزبره علی عمده،و الزبانا علی سکاری.

كأنّها سرير معوج،أربعه صادره و أربعه وارده (۱).

«ليميّز بين اللّيل و النّهار» اختلف فى أن أيّهما أسبق،فروى الطبرىّ عن ابن عباس تقدّم اللّيل و عن آخرين العكس (۲).

و روى ابن طاوس فى(نجومه)عن كتاب(واحده بن جمهور القمى) أنّ من مسائل ذى الرئاستين للرضا عليه السّلام:أنّ الناس تذاكروا بين يدى المأمون فى خلق الليل و النّهار،فقال بعض:خلق اللّه النهار قبل الليل،و قال بعض:خلق اللّه الليل قبل النّهار،فرجعوا بالسؤال إلى أبى الحسن الرضا عليه السّلام فقال عليه السّلام:إنّ اللّه عزّ و جلّ خلق النهار قبل الليل،و خلق الضياء قبل الظلمه،فإن شئتم أوجدتكم ذلك من النجوم،و إن شئتم من القرآن.فقال ذو الرئاستين:أوجدنا من الجهتين جميعا.فقال عليه السّلام:أمّا من النجوم فقد علمت أنّ طالع العالم السرطان،و لا يكون ذلك إلّا و الشمس فى شرفها فى نصف النهار،و أمّا من القرآن فاستمع قوله تعالى فيه: «لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لاَ اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» (۳).و رواه عن دلائل النعمانى أيضا (۴).

«و ليعلم عدد السّنين» السّنين الشمسيه،و السّنين القمريّه.

«و الحساب بمقاديرهما» الأصل فيه قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ ما خَلَقَ اللّهُ ذلِكَ إِلاّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» (۵)، «وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ»

۱- ۱) صحاح اللغه للجوهرى ۵:۲۰۴۴ [۱] ماده(نعم).

۲- ۲) تاريخ الطبرى ۱:۴۱-۴۲.

۳- ۳) يس:۴۰. [۲]

۴- ۴) نقله عن كتاب ابن جمهور فى فرج المهموم:۹۶،و عن كتاب النعمانى فيه:۹۵،و نقله معناه أيضا الطبرسى فى مجمع البيان ۸:۴۲۵ عن العياشى عن الرضا عليه السّلام يونس.

۵- ۵) :۵.

«فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ وَ كُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلًا» (۱)، «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّهِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنّاسِ وَ الْحَجِّ» (۲).

و مرّ قول الصادق عليه السّلام للمفضّل:فكّر الآن فى تنقّل الشمس فى البروج الاثنى عشر لإقامه دور السّنه-إلى أن قال-و استدل بالقمر،ففيه دلاله جليله تستعملها العامّه فى معرفه الشهور،و لا يقوم عليه حساب السّنه،لأنّ دوره لا يستوفى الأزمنه الأربعه و نشوّ الثّمار و تصرّمها،و لذلك صارت شهور القمر و سنوه تتخلف عن شهور الشمس و سنيها،و صار الشهر من شهور القمر ينتقل،فيكون مرّه بالشتاء و مرّه بالصيف (۳).

«ثمّ علّق فى جوّها فلكها» الظاهر أنّ معناه أنّه تعالى علّق فى جوّ السماء فلك الشّهب و الشمس و القمر،قال تعالى: «وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » (۴).

«و ناط» أى:علق و ألصق.

«بها زينتها من خفيات دراريها» أى:كواكبها الصغار التى كالدّرّ .

«و مصابيح» من إضافه الصّفه.

«كواكبها» أى:كواكب كالسّراج .

«و رمى مسترقى» على وزن مفتعلى،لأنّه من سرق.

«السّمع» أى:شياطين مسترقين للسّمع.

«بثواقب شهبها» «وَ لَقَدْ جَعَلْنا فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَ زَيَّنّاها لِلنّاظِرِينَ وَ حَفِظْناها مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ رَجِيمٍ إِلّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ»

۱- ۱) الإسراء:۱۲. [۱]

۲- ۲) البقره:۱۸۹. [۲]

۳- ۳) توحيد المفضل:۱۳۰. [۳]

۴- ۴) يس:۴۰. [۴]

شِهابٌ مُبِينٌ (۱).

«و أجراها على إذلال تسخيرها» «وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ» (۲)، «وَ النُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ» ... «لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ » (۳).

«من ثبات ثابتها و مسير سائرها» كلّ منهما لحكمه،قال الصادق عليه السّلام للمفضّل:فكّر فى هذه النجوم التى تظهر فى بعض السنه و تحتجب فى بعضها،كمثل الثّريّا و الجوزاء و الشّعريين و سهيل،فإنّها لو كانت بأسرها تظهر فى وقت واحد لم يكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس و يهتدون بها لبعض أمورهم،كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثّور و الجوزاء إذا طلعت،و احتجابها إذا احتجبت،فصار ظهور كلّ واحد منها و احتجابه فى وقت غير وقت الآخر،لينتفع الناس بما يدلّ عليه كلّ واحد منهما على حدته،و ما جعلت الثّريا و أشباهها تظهر حينا و تحتجب حينا إلّا لضرب من المصلحه،و كذلك جعلت بنات نعش ظاهره لا تغيب لضرب آخر من المصلحه،فإنّها بمنزله الأعلام التى يهتدى بها الناس فى البرّ و البحر للطرق المجهوله،و كذلك انّها لا تغيب و لا تتوارى،فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاءوا،و صار الأمران جميعا على اختلافهما موجّهين نحو الإرب و المصلحه.

و فيها مآرب أخرى علامات و دلالات على أوقات كثيره من الأعمال كالزّراعه و الغراس،و السفر فى البرّ و البحر،و أشياء ممّا يحدث فى الأزمنه

۱- ۱) الحجر:۱۶-۱۸. [۱]

۲- ۲) إبراهيم:۳۳. [۲]

۳- ۳) النحل:۱۲-۱۳. [۳]

من الأمطار و الرياح،و الحرّ و البرد،و بها يهتدى السائرون فى ظلمه الليل لقطع القفار الموحشه و اللّجج الهائله (۱).

و قال عليه السّلام-و نقله الخوئى أيضا-:فكّر يا مفضّل فى النجوم و اختلاف مسيرها،فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك،و لا تسير إلّا مجتمعه،و بعضها مطلقه تنتقل فى البروج،و تفترق فى مسيرها،فكلّ واحد منها يسير سيرين مختلفين:

أحدهما عامّ مع الفلك نحو المغرب،و الآخر خاصّ لنفسه نحو المشرق، كالنّمله التى تدور على الرّحى،فالرّحى تدور ذات اليمين،و النمله تدور ذات الشمال،و النّمله فى ذلك تتحرّك حركتين مختلفتين،إحداهما بنفسها فتتوجّه أمامها،و الأخرى مستكرهه مع الرّحى تجذبها إلى خلفها.فاسأل الزّاعمين أنّ النجوم صارت على ما هى عليه بالإهمال من غير عمد،و لا صانع لها ما منعها أن تكون كلّها راتبه أو تكون كلّها منتقله،فإنّ الإهمال معنى واحد،فكيف صار يأتى بحركتين مختلفتين على وزن و تقدير؟ففى هذا بيان أنّ مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد و تدبير،و ليس بإهمال كما يزعم المعطّله.

فإن قال قائل:و لم صار بعض النجوم راتبا،و بعضها منتقلا؟قلنا:إنّها لو كانت كلّها راتبه لبطلت الدّلالات التى يستدلّ بها من تنقل المتنقله، و مسيرها فى كلّ برج من البروج،كما يستدلّ على أشياء ممّا يحدث فى العالم بتنقّل الشمس و النجوم فى منازلها،و لو كانت كلّها منتقله لم يكن لمسيرها منازل تعرف،و لا رسم يوقف عليه،لأنّه إنّما يوقف عليه بمسير المنتقله منها بتنقلها فى البروج الرّاتبه،كما يستدلّ على سير السائر فى الأرض بالمنازل التى يجتاز عليها و لو كان تنقّلها بحال واحده لا ختلط نظامها و بطلت المآرب

۱- ۱) توحيد المفضل:۱۳۴. [۱]

فیها،و لساغ لقائل أن یقول:إنّ کینونتها علی حال واحده توجب علیها الإهمال (۱).

«و هبوطها و صعودها» روی أنّ الصادق علیه السّلام سئل عن الحرّ و البرد ممّا یکونان،فقال علیه السّلام:إنّ المرّیخ کوکب حارّ،و زحل کوکب بارد،فإذا بدأ المریخ فی الارتفاع انحطّ زحل،و ذلک فی الرّبیع،فلا یزالان کذلک کلّما ارتفع زحل درجه انحطّ المرّیخ درجه حتّی ینتهی المرّیخ فی الهبوط،و ینتهی زحل فی الارتفاع فیجلو زحل،و ذلک فی أوّل الشتاء،و آخر الخریف،فلذلک یشتدّ البرد.

و کلّما ارتفع هذا هبط هذا،و کلّما هبط هذا ارتفع هذا.فإذا کان فی الصیف یوم بارد،فالفعل فی ذلک للقمر،و إذا کان فی الشتاء یوم حار،فالفعل فی ذلک للشمس (۲).

«و نحوسها و سعودها» قالت أهل النجوم:زحل النّحس الأکبر،و مرّیخ النّحس الأصغر،و المشتری السّعد الأکبر،و زهره السّعد الأصغر،و عطارد مع السّعد سعد و مع النّحس نحس،و النیران الشمس و القمر سعدان من التّثلیث و التسدیس،و نحسان من المقابله و التّربیع،و المقارنه و الرّأس سعد، و الذنب و الکبد نحسان (۳).

و قال الجوهری:سعود النجوم عشره:أربعه منها فی برج الجدی، و الدّلو ینزلها القمر،و هی:سعد الذابح،و سعد بلع،و سعد الأخبیه،و سعد السّعود،و هو کوکب منفرد نیّر،و أمّا السّته التی لیست من المنازل:فسعد ناشره،و سعد الملک،و سعد البهام،و سعد الهمام،و سعد البارع،و سعد مطر،

۱- ۱) توحید المفضل:۱۳۲،و [۱]شرح الخوئی ۳:۱۰۲.

۲- ۲) أخرجه الکلینی فی الکافی ۸:۳۰۶ ح ۴۷۴،و [۲]النقل بتصرف فی اللفظ.

۳- ۳) کذا نقل ابن میثم فی شرحه ۲:۳۵۱.

و كلّ سعد من هذه السّته كوكبان،بين كلّ كوكبين فى رأى العين قدر ذراع، و هى متناسقه،و أمّا سعد الأخبيه فثلاثه أنجم كأنّها أثافىّ،و رابع تحت واحد منهنّ،و سعد بلع من منازل القمر كوكبان متقاربان زعموا أنّه طلع لما قال تعالى للأرض: «ابْلَعِى ماءَكِ» (۱)يعنى سمّى بلع لذلك (۲).

و فى(كنايات الجرجانى):و العرب تكنّى عن الحشرات بجنود سعد، و يريدون سعد الأخبيه،لأنّه إذا طلع انتشرت الهوام و خرج منها ما كان مختبئا،و يقال لذلك سمّى سعد الأخبيه،قال الشاعر:

قد جاء سعد مؤذنا بشرّه مؤذنه جنوده بحرّه

(۳)هذا،و من أمثالهم:أسعد أم سعيد (۴).و الأصل فيه أنّ سعدا و سعيدا ابنا ضبّه خرجا،فرجع سعد و فقد سعيد،فصار سعيد ممّا يتشأم به.

و منها،قولهم:بكلّ واد بنو سعد (۵).و الأصل فيه أنّ الأضبط بن قريع السعدى من سعد بن زيد مناه بن تميم رأى جفوه من قومه،فتحوّل فى قبائل أخرى،فرأى أيضا منهم الجفوه،فرجع،و قال:بكل واد بنو سعد.

هذا،و فى(وزراء هلال بن محسن الصّابى)قال أبو العبّاس بن الفرات:

إنّ منجّما أخبره أنّه لم ينزل زحل فى برج السّنبله إلّا حدثت حادثه،و قد جرت العاده بذلك على مضىّ الأوقات،و من ذلك أنّه نزل هذا البرج سنه ثمان

۱- ۱) اشاره الى قوله تعالى: «وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِى ماءَكِ» هود:۴۴. [۱]

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهرى ۱:۴۸۵ [۲] ماده(سعد).

۳- ۳) نقله عن الكنايات للجرجانى ابن أبى الحديد فى شرحه ۴:۵۱۵،و النقل بتصرف فى اللفظ.

۴- ۴) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ۱:۳۲۹،و [۳]الزمخشرى فى المستقصى ۱:۱۶۸، [۴]قال الميدانى:يضرب فى العنايه بذى الرحم،و فى الاستخبار أيضا عن الأمرين الخير و الشّر أيّهما وقع،و قال الزمخشرى:يضرب فى النجح و الخيبه و الخير و الشر.

۵- ۵) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ۱:۱۰۵. [۵]

للهجره،فكان فی تلك السنه فتح خيبر و مكّه،و نزل فی سنه(۳۸)فكانت حرب صفّين بين علی عليه السّلام و معاويه،و نزل فی سنه(۶۸)فكان فيها حرب المختار و عبد الملك و قضيّه عبد اللّه بن الزبير،و نزل فيه سنه(۹۸)فمات سليمان بن عبد الملك،و انتقل الأمر إلی عمر بن عبد العزيز،و نزل فی سنه(۱۲۸)فظهر أبو مسلم و جرت قضيه مروان بن محمّد،و نزل فی سنه(۱۵۸)فمات المنصور،و نزل فی سنه(۱۸۸)فأوقع الرّشيد بالبرامكه،و نزل فی سنه(۲۱۸) فتوفّی المأمون،و نزل فی سنه(۲۴۸)فتوفّی المنتصر و قتل المتوكّل،و نزل فی سنه(۲۷۸)فتوفّی الموفّق،و حدث من الأمور ما حدث (۱).

هذا و يقال:أسعده اللّه فهو مسعود،و لا يقال:مسعد علی خلاف أصله.

۳

من الخطبه(۸۹)أيضا

و منها فی صفه الأرض و دحوها علی الماء:

كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَی مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَهٍ- وَ لُجَجٍ بِحَارٍ زَاخِرَهٍ تَلْتَطِمُ أَوَاذِیُّ أَمْوَاجِهَا- وَ تَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا- وَ تَرْغُو زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا- فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا- وَ سَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا- وَ ذَلَّ مُسْتَخْذِياً إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا- فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِياً مَقْهُوراً- وَ فِی حَكَمَهِ الذُّلِّ مُنْقَاداً

۱- ۱) كذا فی الوزراء للصابی:۲۴۸، [۱]أمّا اتفاق الطبری و المسعودی فإن فتح خيبر كان فی سنه(۷)و فتح مكه سنه(۸) و حرب صفين سنه(۳۶)و حرب المختار سنه(۶۶)و حرب عبد الملك و ابن الزبير سنه(۷۲)و موت سليمان سنه (۹۹)و موقعه الزاب بين أصحاب أبی مسلم و مروان سنه(۱۳۲)و موت المنصور سنه(۱۵۸)و إيقاع الرشيد بالبرامكه سنه(۱۸۷)و موت المأمون سنه(۲۱۸)و موت المنتصر سنه(۲۴۸)و قتل المتوكل سنه(۲۴۷)و موت الموفق سنه(۲۷۸)ثم ان الحوادث المذكوره ليس أكثرها مهم،ففی التاريخ حوادث كثيره أعظم منها،و هذه الأقوال من خرافات المنجّمين.

أَسِيراً- وَ سَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ- وَ رَدَّتْ مِنْ نَحْوَهِ بَأْوِهِ وَ اعْتِلَائِهِ وَ شُمُوخِ أَنْفِهِ وَ سُمُوِّ غُلَوَائِهِ- وَ كَعَمَتْهُ عَلَى كِظَّهِ جَرْيَتِهِ فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ- وَ لَبَدَ بَعْدَ زَيَفَانِ وَثَبَاتِهِ- فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا- وَ حَمَلَ شَوَاهِقَ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ الْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا- فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا- وَ فَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَ أَخَادِيدِهَا- وَ عَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا- وَ ذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا- فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا- وَ تَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا- وَ رُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الْأَرَضِينَ وَ جَرَاثِيمِهَا- وَ فَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَ بَيْنَهَا وَ أَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا- وَ أَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا- ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الْأَرْضِ- الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا- وَ لَا تَجِدُ جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا- حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا- وَ تَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا- أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُمَعِهِ وَ تَبَائُنِ قَزَعِهِ- حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ وَ الْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كِفَفِهِ- وَ لَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ فِي كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ وَ مُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ- أَرْسَلَهُ سَحّاً مُتَدَارِكاً قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ- تَمْرِيهِ الْجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ وَ دَفَعَ شَآبِيبِهِ-.فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرْكَ بِوَانِيهَا- وَ بَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبْءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا- أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ- وَ مِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ الْأَعْشَابَ فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَهِ رِيَاضِهَا- وَ تَزْدَهِي بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ أَزَاهِيرِهَا- وَ حِلْيَهِ مَا سُمِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا- وَ جَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغاً لِلْأَنَامِ وَ رِزْقاً لِلْأَنْعَامِ- وَ خَرَقَ الْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا- وَ أَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا أقول:رواه أئمّه غريب اللّغه كما يفهم من تفسير(النهايه ابن الأثير-النهايه-ج ۱ ص ۳۴ ماده(أذى))لبعض

فقراتها،كقوله عليه السّلام:تلتطم أواذيّ أمواجها (۱)،و غيره كما يأتى .

«كبس» أى:أهجم.

«الأرض على مور» أى:مضطرب،من إضافه الصّفه.

«أمواج مستفحله» قيل:أى:هايجه هيجان الفحول،و قيل:أى:صائله .

«و لجج» جمع لجّه،قال الجوهرى:لجّه الماء بالضمّ:معظمه (۲).

«بحار زاخره» أى:الممتده المرتفعه .

«تلتطم أواذيّ» جمع آذيّ،أى:شدائد،و تفسير الجوهرى،و الفيروز آبادى للاذيّ بالموج غلط (۳)،و إنّما يأتى صفه الموج كما فسّره(النّهايه) (۴)، و إضافته من باب إضافه الصّفه.

«أمواجها» أى:أمواج تلك البحار .

«و تصطفق» من صفقت العود فاصطفق إذا حرّكت أوتاره،قال:

و يوم كظلّ الرّمح قصّر طوله دم الزقّ عنّا و اصطفاق المزاهر

(۵) «متقاذفات» أى:قذف هذا بذاك،و قذف ذاك بهذا.

«أثباجها» جمع ثبج،أى:أوساطها،ففى(الأساس):التقم لقما مثل أثباج القطا،و هى أوساطها،قال ذو الرّمّه:

بجرع كأثباج القطا المتتابع

و يمكن أن يكون استعاره من الثّبج،بمعنى ما بين الكاهل إلى الظهر، كقول الراعى:

۱- ۱) النهايه لابن الأثير ۱:۳۴ ماده(أذى).

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهرى ۱:۳۳۸ [۱] ماده(لجج).

۳- ۳) صحا اللغه للجوهرى ۶:۲۲۶۶ ماده(أذى).

۴- ۴) النهايه لابن الأثير ۱:۳۴ [۲] ماده(أذى).

۵- ۵) أورده لسان العرب ۱۰:۲۰۵ [۳] ماده(صفق)و الشاعر ابن الطثريه.

إذا الرّمل قدّم أثباجه أبان لراكبها المخصر

(۱)و الأول أظهر،و فی خبر أمّ حرام:قوم یرکبون ثبج هذا البحر (۲)،أی:

وسطه و معظمه .

«و ترغو» من رغا البعیر إذا صوّت.

«زبدا» تمییز.

«کالفحول» أی:کالإبل الفحول.

«عند هیاجها» أی:هیجانها للسّفاد .

«فخضع» استعاره لسکونه.

«جماح» استعاره أیضا،من جمح الفرس براکبه إذا غلبه.

«الماء المتلاطم» من البحار الزّاخره.

«لثقل حملها» بالأرض .

«و سکن هیج» أی:هیجان.

«ارتمائه» أی:ترامیه.

«إذ وطئته بکلکلها» أی صدرها،و المراد کلّها،فالوطی بالکلکل لا یمکن إلّا بالکلّ .

«و ذلّ مستخذیا» أی:مسترخیا و منقادا .

«إذ تمعکت علیه» أی:تمرّغت،و تدلّکت علیه.

«بکواهلها» الکاهل مقدّم ظهر البعیر الذی یکون علیه المحمل،و هو أیضا کنایه عن الکلّ،فالتّمعک بالکواهل یستلزمه.

۱- ۱) أساس البلاغه:۴۳ [۱] ماده(ثبج).

۲- ۲) هذا اللفظ أخرجه مسلم فی صحیحه ۳:۱۵۱۸ ح ۱۹۱۲،و الترمذی فی سننه ۴:۱۷۸ ح ۱۶۴۵،و النسائی فی سننه ۶:۴۰،و

مالک فی الموطا:۴۷۹،و [۲]روی حدیث أمّ حرام بألفاظ أخری أیضا.

«فأصبح بعد اصطخاب» من اصطخاب الطير،أی:اختلاط أصواتها.

«أمواجه ساجیا» أی:ساکنا لیّنا.

«مقهورا،و فی حکمه» بفتحتین:ما أحاط بحنکی الفرس من لجامه.

«الذّلّ منقادا أسیرا» کفرس ملجم لصاحبه،و من صار أسیرا لک .

«و سکنت الأرض مدحوّه» أی:مبسوطه.

«فی لجّه تیّاره» أی:موجه .

«و ردّت من نخوه بأوه» أی:کبره.

«و اعتلائه» أی:تعالیه .

«و شموخ» أی:ارتفاع.

«أنفه و سموّ» أی:علوّ.

«غلوائه» أی:غلوّه،و تجاوزه عن حدّه .

«و کعمته» أی:شدّت فاه.

«علی کظّه» أی:امتلاء.

«جریته» أی:جریانه .

«فهمد» أی:سکن.

«بعد نزقاته» من نزق الفرس،أی:نزا .

«و لبد» أی:أقام و لصق.

«بعد زیفان» أی:تبختر،قال ابن أبی الحدید:و یروی(زفیان)أی:شدّه (۱).

«وثباته» الوثبات جمع الوثبه .

«فلمّا سکن هیاج» هکذا فی(المصریه)و الصواب:(هیج)کما فی(ابن أبی

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۵۴.

الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (۱).

«الماء من تحت أكنافها» أى:جوانبها .

«و حمل شواهق» أى:مرتفعات.

«الجبال» و الأصل الجبال الشواهق.

«الشمّخ» هكذا فى(المصريه)،و الكلمه زائده لعدم وجودها فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (۲).

«البذّخ» أى:العوالى.

«على أكتافها،فجّر» جواب(لمّا).

«ينابيع العيون» يفهم من إضافته عليه السّلام الينابيع إلى العيون كون الينبوع غير العين،و أنّ الينبوع أصل العين،و محل خروج الماء،و العين ماؤه المجتمع،لا كما توهّم من اتّحادهما.

«من عرانين أنوفها» قال الجوهرى:عرنين الأنف تحت مجتمع الحاجبين، و هو أوّل الأنف حيث يكون فيه الشّمم (۳).

«و فرّقها» أى:فرّق الينابيع.

«فى سهوب» أى:واسعات.

«بيدها» البيد جمع البيداء،أى:الأرض البرّ.

«و أخاديدها» أخاديد جمع أخدود،أى:شقّ فى الأرض مستطيل .

«و عدّل حركاتها» ظاهر كلامه عليه السّلام أنّ للأرض حركات متعدّده.

و فى(الهيئه و الإسلام):و حكماء عصرنا يذكرون لكره الأرض خمس

۱- ۱) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۵۴،لكن فى شرح ابن ميثم ۲:۳۶۵« [۱]هياج»أيضا.

۲- ۲) يوجد فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۵۴،و شرح ابن ميثم ۲:۳۶۵ [۲] لفظ«الشمّخ».

۳- ۳) صحاح اللغه للجوهرى ۶:۲۱۶۳ [۳] ماده(عرن).

حرکات مختلفه و هی المشهوره،و حکی(فیلکس ورنه)عنهم القول بإحدی عشره حرکه،و قد انتخبت من کتبهم حرکات ثمانیه:

الأولی:الحرکه المحوریه علی منطقه الاستواء،و هی فی حیّزها و موضعها،و لذلک تسمی بالحرکه الوضعیه و الاستوائیه،و یتمّ دورها فی (۲۳)ساعه و(۵۸)دقیقه و(۴۹)ثانیه،و یحصل منها اللیل و النهار،و تتولد من ترکّب هذه الحرکه مع جزء من الحرکه السنویه الحرکه الیومیه کما تقدّم، فیتم الدور فی(۲۴)ساعه.

الثانیه:الحرکه السنویه حول مرکز الشمس علی منطقه البروج فی دائره بیضیّه،و یتمّ دورها فی(۳۶۵)یوما و(۶)ساعات و(۸)دقائق و(۳۸) ثانیه،و بها تحصل الأشهر الأشهر الفرسیّه و الرّومیه و النّجومیه و نحوها،و تتولّد الحرکه المیلیّه من هذه الحرکه بسبب انحراف محور الأرض عن سطح دائره البروج(۲۳)درجه و نصف تقریبا،و هذه الحرکه محور الأرض عن سطح دائره البروج(۲۳)درجه و نصف تقریبا،و هذه الحرکه غیر مستقلّه،و بها نری للشّمس فی کلّ سنه کرّا من الشّمال إلی نقطه الجنوب،ثمّ رجوعها منها إلی نقطه الشمال،و لو عدّت هذه الحرکه و الحرکه الیومیّه مستقلّتین بلغت الحرکات عشرا.

الثالثه:الحرکه الإقبالیّه:أی إقبال دائره البروج إلی دائره الاستواء فی کلّ(۶۷۰)عاما درجه واحده،و هذه الحرکه محصوره فی زاویه ثلاث درجات،و لا تکمل دوره مستدیره.فلا نرتقب زمانا تنطبق فیه إحدی الدائرتین علی الأخری کما کان القدماء یتوقّعون ذلک،و به فسّر بعضهم قیامه الدّنیا.

الرابعه:حرکه نقطتی الأوج و الحضیض حول المحیط من دائره البروج فی کلّ(۲۰۹۳۱)سنه دوره کامله بسبب تجاذب المشتری و الزهره

مع الأرض،و بذلک تتغیّر أزمنه الفصول.ففی سنه(۶۴۸)کانت نقطه الحضیض علی نقطه الانقلاب الصیفی.فکانت أیّام الصیف مساویه لأیّام الربیع،و بهذه الحرکه تقرب الأرض من الشمس فی نقطه الحضیض ثلاثمائه ألف فرسخ بالنسبه إلی أوجها،فتزداد قوّه جاذبیّه الشمس فی الأرض قدر الخمس ممّا کان لها قبلئذ.

و من آثار اشتداد هذه القوّه سرعه تحرّک الأرض فی فلکها کلّ یوم إحدی و ستین دقیقه،مع أنّها تتحرّک فی أوجها کلّ یوم سبعا و خمسین دقیقه من فلکها.

و من آثارها أیضا ارتفاع السائلات المستنبطه علی وجه الأرض کمیاه البحار المحیطه و تراکمها نحو أقرب نقاط الأرض إلی الشمس،علی هذا فنحن الآن نری المیاه متراکمه فی النواحی الجنوبیه من عرض أربعین درجه، بحیث توجد ثمّه بقاع تلمع بصفاح متّسعه کالأقطار الشمالیه،لکن الأمر ینعکس بعد الیوم بخمسه آلاف سنه،حیث تنتقل نقطه الحضیض الی شمالنا، فتتجه المیاه نحو الشمال طالبه أقرب النقاط إلی الشمس،فتحسر الأقطار الجنوبیه قناع الغمر عن أوجهها و تبدی محاسنها و ما أودع اللّه فیها لنوع البشر،و یصبح فیها العمران و العلم و التمدّن الأواخر،و تدعونا نحوها مبشّرات،و یمسی فی شمالنا الغرق و الخراب و العطاله و تزجرنا بالخروج منذرات،فتعرف الامم عند ذلک أثمان المراکب البحریه و الهوائیه،و یومئذ ینجو المخفّون.

الخامسه:حرکه تقدیم الاعتدالین الربیعی و الخریفیّ،و بها تری الثوابت متحرکه علی موازاه دائره البروج فی(۲۶۰۰۰)سنه شمسیّه مرّه، و کان القدماء یظنّون أنّ الثوابت بأسرها مرکوزه فی ثخن فلک یدور دوره فی تلک المدّه.

السادسه:الحركه الرّقصيه أو الارتعاش القمرى،و هى التى تعرض على محورى الأرض،فتميل بذلك إلى دائره البروج فى كلّ(۲۹)سنه مرّه، اكتشفها الفلكىّ(بر ادله)سنه(۱۸۴۴ م)و منشؤها تأثير الجاذبيتين من الشمس و القمر فى أرضنا مع تسطيحها القطبى و تفرطحها الاستوائى، و ينتقل محور الأرض بهذه الحركه فى دوره عقدتى القمر بمقدار(۱۸ درجه و كسر)إلى الجنوب و الشمال.

السابعه:الارتعاش الشمسى،قال فى(الحدائق):النّجوم ما معناه أنّ الأرض يرتعش محورها-أى يرتعش محورها من طرف قطبيها- بجاذبيّه الشمس،و تتمّ فى سنه شمسيّه و غايتها دقيقه من الفلك.

الثامنه:الحركه التبعيه،و هى سير الأرض كباقى السيارات بتبعيّه الشمس فى الفضاء المهول حول مركز مجهول،و الأرجح أنّ الحركات أكثر مما وصلوا إليه... (۱).

نقلناه بطوله لاشتماله على وجود حركات للأرض،و إن كانت تفاصيل ما قاله غير معلومه،و نكله إلى أهل فنّه.

«بالرّاسيات» أى:الثابتات،صفه(الجبال)مقدّره.

«من جلاميدها» أى:صخورها العظيمه .

«و ذوات» أى:بصاحبات.

«الشّناخيب» أى:الرّؤوس،قال الجوهرى:الشنخوبه و الشنخوب واحد شناخيب الجبل،و هى رؤوسه (۲).

«الشّمّ» أى:الطوال.

۱- ۱) الهيئه و الاسلام ۱:۸۳،و النقل بتصرف يسير.

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهرى ۱:۱۵۲ [۱] ماده(شنخب).

«من صياخيدها»أی:شدادها .

«فسکنت من المیدان» أی:من الاضطراب و الحرکه غیر المعتدله.

«لرسوب» هکذا فی(المصریه)و الصواب:(برسوب)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه) (۱)من رسب الشیء فی الماء،أی:سفل فیه.

«الجبال فی قطع» بالکسر فالفتح:جمع قطعه،و قال ابن أبی الحدید:

و یروی بالکسر فالسکون،أی:طنفسه الرّجل،و هو استعاره،کأنّه جعل الأرض ناقه و جعل لها قطعا (۲).

قلت:إنّما کان یناسب ما قاله لو کان علیه السّلام قال:(برکوب الجبال)لا(برسوب الجبال)،فالصواب الأوّل،مع أنّ قرینتها(جوبات)أیضا جمع.

«أدیمها» هکذا فی النسخ (۳)،و الظاهر کونه مصحّف(أیادیهما)أی:

متونها،و أمّا(أدیمها)فهو ما ظهر منها،و لا مناسبه له،مع أنّ قرینته (خیاشیمها)أیضا جمع.

«و تغلغلها» قال الجوهری:الغلغله سرعه السیر،و تغلغل الماء فی الشجر إذا تخللها (۴).

و الظاهر أنّ المراد هنا الثانی،بأن یکون المعنی تخلّلت الجبال فی الأرض تخلّل الماء فی الشجر .

«متسرّبه» أی بلا مانع للجبال من التّخلل،قال الجوهری:السارب الذاهب علی وجهه فی الأرض.و قولهم:اذهب فلا أنده سربک،أی:لا أردّ إبلک،تذهب حیث شاءت.و کانوا یقولون فی الجاهلیّه للمرأه:اذهبی فلا أنده

۱- ۱) فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۵۴،و [۱]شرح ابن میثم ۲:۳۶۵«لرسوب»أیضا.

۲- ۲) شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۵۶،و [۲]النقل بالمعنی.

۳- ۳) کذا فی نهج البلاغه ۱:۱۷۴،و [۳]شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۵۴،و [۴]شرح ابن میثم ۲:۳۶۵.

۴- ۴) صحاح اللغه للجوهری ۵:۱۷۸۳ [۵] ماده غلغل().

سربک،فتطلّق (۱).

«فی جوبات» الجوبات جمع الجوبه،أی:الحفره المستدیره الواسعه.

«خیاشیمها» أی أنوفها .

«و رکوبها» أی:رکوب الجبال.

«أعناق سهول الأرضین» أی:مسطحاتها.

«و جراثیمها» و هی ضدّ سهولها،و فی(النهایه):الجراثیم:أماکن مرتفعه عن الأرض مجتمعه من تراب أو طین (۲).

«و فسّح» أی:وسّع.

«بین الجوّ و بینها» أی:و بین الأرض .

«و أعدّ الهواء متنسّما» أی:سبب تنفّس.

«لساکنها» من البشر و غیره.

قال الصادق علیه السّلام للمفضّل:أنبّهک یا مفضّل علی الرّیح و ما فیها،أ لست تری رکودها إذا رکدت،کیف یحدث الکرب الّذی یکاد أن یأتی علی النفوس، و یمرّض الأصحّاء،و ینهک المرضی،و یفسد الثّمار،و یعفّن البقول،و یعقّب الوباء فی الأبدان،و الآفه فی الغلات؟ففی هذا بیان أنّ هبوب الرّیح من تدبیر الحکیم فی صلاح الخلق.و أنبّئک عن الهواء بخلّه أخری،فإنّ الصّوت أثر یؤثّره اصطکاک الأجسام فی الهواء،و الهواء یؤدّیه إلی المسامع،و الناس یتکلّمون فی حوائجهم،و معاملاتهم،طول نهارهم و بعض لیلهم،فلو کان أثر هذا الکلام یبقی فی الهواء کما یبقی الکتاب فی القرطاس لامتلأ العالم منه، فکان یکربهم و یفدحهم،و کانوا یحتاجون فی تجدیده و الاستبدال به إلی أکثر

۱- ۱) صحاح اللغه للجوهری ۱:۱۴۶ [۱] ماده(سرب).

۲- ۲) النهایه لابن الأثیر ۱:۲۹۴ [۲] ماده(جرثم).

ممّا يحتاج إليه فى تجديد القراطيس،لأنّ ما يلفظ من الكلام أكثر ممّا يكتب، فجعل الخلّاق الحكيم جلّ قدسه هذا الهواء قرطاسا خفيّا يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم،ثم يمحى فيعود جديدا نقيّا،و يحمل ما حمل أبدا بلا انقطاع.و حسبك بهذا النّسيم المسمّى هواء عبره و ما فيه من المصالح،فإنّه حياه هذه الأبدان،و الممسك لها من داخل بما يستنشق منه من خارج بما يباشر من روحه،و فيه تطرد هذه الأصوات فيؤدّى البعد البعيد،و هو الحامل لهذه الأرواح ينقلها من موضع إلى موضع.

أ لا ترى كيف تأتيك الرّائحه من حيث تهبّ الريح؟فكذلك الصوت،و هو القابل لهذا الحرّ و البرد اللّذين يتعاقبان على العالم لصلاحه،و منه هذه الريح الهابّه،فالرّيح تروّح عن الأجسام و تزجى السّحاب من موضع إلى موضع ليعمّ نفعه حتّى يستكثف فيمطر و تفضّه حتّى يستخفّ فيتفشى،و تلقح الشّجر،و تسيّر السّفن،و ترخى الأطعمه،و تبرّد الماء،و تشبّ النار،و تجفّف الأشياء النديّه.و بالجمله إنّما تحيى كلّما فى الأرض،فلو لا الرّيح لذوى النّبات و لمات الحيوان،و حمت الأشياء و فسدت (۱).

«و أخرج إليها أهلها على تمام مرافقها» و كمال مصالحها.

قال الصادق عليه السّلام للمفضّل:يا مفضّل!أوّل العبر و الدّلاله على البارى جلّ قدسه تهيئه هذا العالم،و تأليف أجزائه و نظمها على ما هى عليه،فإنّك إذا تأمّلت العالم بفكرك،و خبرته بعقلك وجدته كالبيت المبنى المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده،فالسّماء مرفوعه كالسّقف،و الأرض ممدوده كالبساط، و النجوم مضيئه كالمصابيح،و الجواهر مخزونه كالذخائر،و كلّ شىء فيها لشأنه معدّ.

۱- ۱) توحيد المفضل:۱۴۰. [۱]

و الإنسان كالمملّك ذلك البيت،و المخوّل جميع ما فيه،و ضروب النّبات مهيّأه لمآربه،و صنوف الحيوان مصروفه فى مصالحه و منافعه،ففى هذا دلاله واضحه على أنّ العالم مخلوق بتقدير و حكمه،و نظام و ملاءمه،و أنّ الخالق له واحد،و هو الّذى ألّفه و نظمه بعضا إلى بعض (۱).

«ثمّ لم يدع» أى:لم يترك.

«جرز» بتقديم الرّاء على الزاى،أرض انقطع عنها النبات،و فيه لغات:

بضمّتين،و فتحتين،و ضمّ فسكون،و فتح فسكون.

«الأرض التى تقصر مياه العيون عن روابيها» أى:عواليها .

«و لا تجد جداول» قال الجوهرى:الجدول:النهر الصغير (۲).

«الأنهار» و المراد الكبيره.

«ذريعه» أى:وسيله.

«إلى بلوغها» أى بلوغ تلك الروابى كرؤوس الجبال و الآكام،أو بلوغ تلك الأرض الجرز كأراض ليست فيها أنهار و لا عيون .

«حتّى أنشأ لها ناشئه سحاب تحيى مواتها،و تستخرج نباتها» بالأمطار النازله من السحاب،قال الصادق للمفضّل:تأمّل نزول المطر على الأرض، و التّدبير فى ذلك فإنّه جعل ينحدر عليها من علوّ ليغشى ما غلظ و ارتفع منها فيرويه،و لو كان إنّما يأتيها من بعض نواحيها لما علا المواضع المشرفه منها،و يقلّ ما يزرع فى الأرض،ألا ترى أنّ الذى يزرع سيحا أقلّ من ذلك؟! فالأمطار هى التى تطبق الأرض،و ربما تزرع هذه البرارى الواسعه، و سفوح الجبال و ذراها،فتغلّ الغلّه الكثيره،و بها يسقط عن الناس فى كثير

۱- ۱) توحيد المفضل:۴۷. [۱]

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهرى ۴:۱۶۵۴ [۲] ماده(جدل).

من البلدان مئونه سياق الماء من موضع إلى موضع،و ما يجرى فى ذلك بينهم من التّشاجر و التظالم،حتى يستأثر بالماء ذو العزّه و القوّه،و يحرمه الضعفاء.ثمّ إنّه حين قدّر أن ينحدر على الأرض انحدارا جعل ذلك قطرا شبيها بالرشّ ليغور فى قعر الأرض فيرويها،و لو كان يسكبه انسكابا كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها،ثمّ كان يحطم الزّرع القائمه إذا اندفق عليها،فصار ينزل نزولا- رقيقا،فينبت الحبّ المزروع،و يحيى الأرض و الزّرع القائم،و فى نزوله أيضا مصالح أخرى،فإنّه يليّن الأبدان،و يجلو كدر الهواء،فيرتفع الوباء الحادث من ذلك،و يغسل ما يسقط على الشجر و الزّرع من الدّاء المسمّى باليرقان،إلى أشباه هذا من المنافع (۱).

«ألّف غمامها» أى:سحابها.

«بعد افتراق لمعه» بالضّمّ فالفتح:جمع لمعه بالضّمّ فالسّكون،أى:

قطعاته،سمّيت القطعه من الغمام لمعه للمعانها،كما سمّيت القطعه من النبات إذا يبست لمعه للمعانها،و كما سمّيت قطعه من الجسد لم يصبها الماء فى الوضوء و الغسل لمعه للمعانها .

«و تباين» أى:انفصال.

«قزعه» بالضم فالفتح أيضا،جمع قزعه بالضّمّ فالسّكون،أى:قطعه الرقيقه التى تعدو سريعا.و الأصل فى القزعه السرعه فى العدو .

«حتّى إذا تمخّضت» الأصل فى المخاض قرب الولاده،قال:

تمخّضت المنون له بيوم أنى و لكلّ حامله تمام

(۲) «لجّه» قالوا:لجّه الماء معظمه.

۱- ۱) توحيد المفضل:۱۴۹. [۱]

۲- ۲) أورده أساس البلاغه:۴۲۲ [۲] ماده(مخض)،و لسان العرب ۷:۲۳۰ [۳] ماده(مخض).

«المزن» أی:السحابه البیضاء.

«فیه» الضمیر فیه راجع إلی الغمام کما فی(لمعه)و(قزعه)،و قال ابن أبی الحدید:الهاء فی(فیه)یرجع إلی المزن (۱)،و هو کما تری .

«و التمع برقه فی کففه» بالکسر فالفتح:جمع کفّه بالفتح،أی:فی أطرافه، و سمّی الطرف کفّه لأنّ الشیء إذ انتهی إلی الطرف کفّ عن الزیّاده،کما أنّ الرزق الکفاف یکفّ صاحبه عن النّاس .

«و لم ینم ومیضه» قال الجوهری:و مض البرق و میضا لمع لمعا خفیفا، و لم یعترض فی نواحی الغیم،فإن اعترض فهو الخفو،فإن استطال فی وسط السماء و شقّ الغیم من غیر أن یعترض یمینا و شمالا فهو العقیقه (۲).

«فی کنهور» قال الجوهری:و الکنهور:العظیم من السحاب (۳).و جعله (القاموس)خماسیا کسفرجل (۴).

«ربابه» قال الجوهری:رباب سحاب أبیض واحدته ربابه (۵).و مراده أنّه اسم جنس کتمر و تمره.و توهّم ابن أبی الحدید (۶)أنّ مراده کونه جمعا.

و قال الجوهری أیضا:و یقال:إنّ رباب السّحاب الذی تراه کأنّه دون السحاب قد یکون أبیض و قد یکون أسود (۷).

«و متراکم سحابه» الّذی بعضه فوق بعض.

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۵۶. [۱]

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهری ۳:۱۱۱۳ [۲] ماده(و مض).

۳- ۳) صحاح اللغه للجوهری ۲:۸۱۱ [۳] ماده(کهر).

۴- ۴) القاموس المحیط ۲:۱۲۹ ماده(کنهور).

۵- ۵) صحاح اللغه للجوهری ۱:۱۳۳ ماده(ربب).

۶- ۶) شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۵۶. [۴]

۷- ۷) صحاح اللغه للجوهری ۱:۱۳۳ [۵] ماده(ربب).

«أرسله سحّا» أی:صابّا.

«متدارکا» أی:ملحقا آخره بأوّله .

«قد أسفّ» أی:دنا من الأرض،قال عبید فی سحاب قرب من الأرض کثیرا:

دان مسفّ فویق الأرض هیدبه یکاد یدفعه من قام بالراح

(۱) «هیدبه» قال الجوهری:هیدب السحاب:ما تهدّب منه إذا أراد الودق کأنّه خیوط (۲).

«تمریه» قال الجوهری:الرّیح تمری السحاب و تمتریه،أی:تستدرّه (۳).

«الجنوب درر» أی:صبّ.

«أهاضیبه» أی:مطراته،و المراد مطره بعد مطره .

«و دفع شآبیبه» جمع شؤبوب،أی:دفعه بعد دفعه،قال الشاعر:

کأنّ ثناياها بنات سحابه سقاهنّ شؤبوب من الغیث باکر

و بنات سحابه:البرد .

«فلمّا ألقت السّحاب برک» قال الجوهری:البرک الصدر (۴).

«بوانیها» قال الجزری:البوانی فی الأصل أضلاع الصدر.و قیل:الأکتاف و القوائم،الواحده بانیه،و من حقّ هذه الکلمه أن تجیء فی باب الباء و النون و الیاء،و إنّما ذکرناها هاهنا حملا علی ظاهرها،فإنّها لم ترد حیث وردت إلّا مجموعه،و منه حدیث علیّ علیه السّلام:ألقت السماء برک بوانیها (۵).

۱- ۱) أورده لسان العرب ۹:۱۵۴ [۱] ماده(سفف)،و قال:إنّه لأوس بن حجر أو عبید بن الأبرص.

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهری ۱:۲۳۷ [۲] ماده(هدب).

۳- ۳) صحاح اللغه للجوهری ۶:۲۴۹۱ [۳] ماده(مری).

۴- ۴) صحاح اللغه للجوهری ۴:۱۵۷۴ ماده(برک).

۵- ۵) النهایه [۴]ابن الأثیر-النهایه-ج ۱ ص ۱۶۴ [۵] ماده(بون) لابن الأثیر ۱:۱۶۴ ماده(بون).

و ممّا نقلنا يظهر لك ما فى قول ابن أبى الحديد أنّ بوانيها تثنيه بوان، على فعال بكسر الفاء،و هو عمود الخيمه و الجمع بون بالضمّ.قال الشّاعر:

أصبر من ذى ضاغط عركرك ألقى بوانى زوره للبرك

قال:و من روى بوانيها(أى بلفظ الجمع)أراد لواصقها من قولك:قوس بانيه.إذا التصقت بالوتر،و الروايه الأولى أصحّ...

و مع أنّه ليس للسّحاب عمودان حتّى يكون ما قاله صحيحا،و الشعر الذى استشهد به دالّ على ضدّ مراده،و(البوانى)فيه أيضا جمع(بانيه)، و مراد الشاعر ب(ذى ضاغط عركرك)الجمل القوىّ،فالمعنى أنّه أصبر من جمل قوى ألقى بوانى زوره،أى:اضلاع صدره للمبرك .

«و بعاع» فى(النهايه):البعاع شدّه المطر،و منهم من يرويها بالثّاء المثلّثه،من:ثعّ يثعّ،إذا تقيّأ،أى:قذفها فى البطحاء،و منه حديث على عليه السّلام:ألقت السحاب بعاع ما استقلّت به من الحمل (۱).

«ما استقلّت به» أى:ارتفعت به.

«من العبء» أى:الحمل،قال الشاعر:

الحامل العبء الثقيل عن الجانى بغير يد و لا شكر

(۲) «المحمول عليها» أى:على السّحاب .

«أخرج» جواب لمّا،و فاعله هو تعالى.

«به» أى:بعبئها.

«من هوامد الأرض» أى:أراض لا نبات فيها.

«النبات» و الأصل فيه قوله عليه السّلام من «فلما ألقت» إلى «النبات» قوله تعالى:

۱- ۱) النهايه لابن الأثير ۱:۱۴۰ [۱] ماده(بعع).

۲- ۲) أورده لسان العرب ۱:۱۱۷ [۲] ماده(عبا)و الشاعر:زهير.

«وَ هُوَ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ حَتّی إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَیِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ کَذلِکَ نُخْرِجُ الْمَوْتی لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ » (۱).

«و من زعر الجبال» من إضافه الصفه،أی:جبال قلیله النبات.

«الأعشاب» أی:أخرج منها الأعشاب،و الأعشاب جمع العشب:الکلأ الرطب .

«فهی تبهج بزینه ریاضها» کمرأه تبهج بزینه حلیها و ألبستها المتلوّنه .

«و تزدهی» أی:تتکبّر.

«بما ألبسته من ریط» قیل:ریطه:کلّ ثوب رقیق لیّن.

«أزاهیرها» أزاهیر جمع زهره،بالفتح،و زهره النّبت نوره .

«و حلیه» عطف علی(ما)فی قوله(بما)لا علی قوله(ریط)کما هو المتبادر فی بادی النظر،کما لا یخفی علی من تدبّر.

«ما سمطت» قال الجوهریّ:السّمط:الخیط ما دام فیه الخرز،و إلّا فهو سلک،قال طرفه:

مظاهر سمطی لؤلؤ و زبرجد

(۲) «به من ناضر» أی:رونق.

«أنوارها» أنوار جمع نور بالفتح،أی:أزهارها،قال تعالی: «وَ تَرَی الْأَرْضَ هامِدَهً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَیْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ کُلِّ زَوْجٍ بَهِیجٍ» (۳).

۱- ۱) الأعراف:۵۷. [۱]

۲- ۲) صحاح اللغه للجوهری ۳:۱۱۳۴ [۲] ماده(سمط).

۳- ۳) الحج:۵. [۳]

قال ابن عمران المخزومی:أتیت مع أبی والیا کان علی المدینه من قریش،و عنده أعرابی یقال له ابن مطیر،و اذا مطر جود،فقال له الوالی:صفه.

فقال:دعنی أشرف و أنظر.فأشرف و نظر،ثم قال:

کثرت لکثره و دقه أطباؤه فإذا تحلّب فاضت الأطباء

و له رباب هیدب لرفیفه قبل التبعّق دیمه و طفاء

و کأنّ بارقه حریق تلتقی ریح علیه و عرفج و إلاء

و کأنّ ریقه و لمّا یحتفل و دق السماء عجاجه طخیاء

مستضحک بلوامع مستعبر بمدامع لم تمرها الأقذاء

فله بلا حزن و لا بمسرّه ضحک یؤلّف بینه و بکاء

حیران متّبع صباه یقوده و جنوبه کنف له ورهاء

ثقلت کلاه فبهّرت أصلابه و تبعّجت عن مائه الأحشاء

غدق تبعّج بالأباطح مزّقت تلک السّیول و مالها أشلاء

غرّ محجّله دوالج ضمّنت حمل اللّقاح و کلّها عذراء

سحم فهنّ إذا عبسن فواحم سود و هنّ إذا ضحکن وضاء

لو کان من لجج السواحل ماؤه لم یبق فی لجج السواحل ماء

(۱) «و جعل ذلک بلاغا للأنام و رزقا للأنعام» قال تعالی: «وَ فاکِهَهً وَ أَبًّا مَتاعاً لَکُمْ وَ لِأَنْعامِکُمْ » (۲).

«و خرق العجاج» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(الفجاج)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه) (۳).و الفجاج جمع الفج:الطریق الواسع

۱- ۱) نقله ابن عبد ربه فی العقد الفرید ۴:۴۸. [۱]

۲- ۲) عبس:۳۱-۳۲. [۲]

۳- ۳) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۵۴،لكن فى شرح ابن ميثم ۲:۳۶۶«العجاب»أيضا.

بين الجبلين.

«فى آفاقها» أى أطرافها،قال تعالى: «وَ جَعَلْنا فِيها فِجاجاً سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» (۱).

و قال الصادق عليه السّلام:فلو لا امتداد هذه الأرض كيف كانت تتّسع لمساكن الناس و مزارعهم و مراعيهم و منابت أخشابهم و أحطابهم،و العقاقير العظيمه،و المعادن الجسيم غناؤها (۲).

«و أقام المنار» للنّاس بنجوم السماء،قال تعالى: «وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» (۳).

«للسالكين على جوادّ» بالتشديد،جمع الجادّه.

«طرقها» أى:طرق الأرض.

۴

الخطبه(۲۰۹)

و من خطبه له عليه السّلام:

وَ كَانَ مِن اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ- وَ بَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ- أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ- الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَساً جَامِداً- ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً- فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ- وَ قَامَتْ عَلَى حَدِّهِ وَ أَرْسَى أَرْضاً يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ- وَ الْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ- قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ وَ أَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ- وَ وَقَفَ الْجَارِى مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ- وَ جَبَلَ جَلَامِيدَهَا وَ نُشُوزَ مُتُونِهَا وَ أَطْوَادَهَا- فَأَرْسَلَهَا فِى مَرَاسِيهَا- وَ أَلْزَمَهَا

۱- ۱) الأنبياء:۳۱. [۱]

۲- ۲) توحيد المفضل:۱۴۲. [۲]

۳- ۳) النحل:۱۶. [۳]

قَرَارَتَهَا- فَمَضَتْ رُءُوسُهَا فِی الْهَوَاءِ- وَ رَسَتْ أُصُولُهَا فِی الْمَاءِ- فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا- وَ أَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِی مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَ مَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا- فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا وَ أَطَالَ أَنْشَازَهَا- وَ جَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً وَ أَرَّزَهَا فِیهَا أَوْتَاداً- فَسَکَنَتْ عَلَی حَرَکَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِیدَ بِأَهْلِهَا أَوْ تَسِیخَ بِحِمْلِهَا أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا- فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَکَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِیَاهِهَا- وَ أَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَهِ أَکْنَافِهَا- فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً- وَ بَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً- فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّیٍّ رَاکِدٍ لاَ یَجْرِی وَ قَائِمٍ لاَ یَسْرِی- تُکَرْکِرُهُ الرِّیَاحُ الْعَوَاصِفُ- وَ تَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ- «إِنَّ فِی ذلِکَ لَعِبْرَهً لِمَنْ یَخْشی» (۱)أقول:رواها أیضا أئمّه غریب اللّغه کما یفهم من تفسیر(النهایه ابن الأثیر-النهایه- ج ۱ ص ۲۱۲ ماده(ثعجر))لبعض فقراتها (۲).

«و کان من اقتدار جبروته» إضافه الاقتدار الی جبروته تعالی مع أنّ الأصل إضافته إلیه تعالی،کما فی نسبه الإکرام إلی مثوی یوسف علیه السّلام فی قوله تعالی: «أَکْرِمِی مَثْواهُ» (۳)مع أنّ الأصل النسبه إلیه علیه السّلام للدلاله علی المبالغه.

«و بدیع» عطف علی(اقتدار)و البدیع:ما لا مثال له قبله.

«لطائف صنعته» و کیف لا،و قد خلق الأرض و السماوات السبع من ماء کما خلق کلّ شیء من ماء؟! «أن جعل من ماء البحر الزّاخر» أی:المرتفع الممتدّ.

۱- ۱) النازعات:۲۶. [۱]

۲- ۲) النهایه لابن الأثیر ۱:۲۱۲ ماده(ثعجر).

۳- ۳) یوسف:۲۱. [۲]

«المتراكم» أى:الذى بعضه فوق بعض.

«المتقاصف» أى:المتدافع.

«يبسا جامدا» قال ابن أبى الحديد:اليبس بالتّحريك:المكان يكون رطبا، ثمّ ييبس،و منه قوله تعالى: «فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً» (۱).

و اليبس بالسكون:اليابس خلقه:«حطب يبس»،هكذا يقوله أهل اللّغه.و فيه كلام لأنّ الحطب ليس يابسا خلقه،بل كان رطبا من قبل،فالأصوب أن يقال:لا تكون هذه اللفظه محرّكه إلاّ فى المكان (۲).

قلت:فى ما قاله أوّلا:إنّ اليبس بالتحريك ليس مختصا بالمكان،فيأتى وصف المرأه و الشّاه أيضا،قال الرّاجز:

إلى عجوز شنه الوجه يبس

(۳)فقوله:«فالأصوب»خلاف الصواب.

و ثانيا:إنّ التفصيل الذى ذكره لم يقله جميع أهل اللّغه كما هو مفهوم كلامه،و إنّما قاله الجوهرى (۴)،و أمّا الفيروز آبادى فعكس،فقال:يابس و يبس، و ييبس و يبس:كان رطبا فجفّ،كاتّبس،و ما أصله اليبوسه و لم يعهد رطبا فيبس بالتحريك.و أمّا طريق موسى فى البحر،فإنّه لم يعهد قطّ طريقا لا رطبا و لا يابسا،إنّما أظهره اللّه لهم حينئذ مخلوقا على ذلك.و تسكّن الباء أيضا ذهابا إلى أنّه و إن لم يكن طريقا فإنّه موضع كان فيه ماء فيبس (۵).

و ثالثا:إنّ مناقشته بعدم كون الحطب يابسا خلقه فى غير محلّه،يقال:

۱- ۱) طه:۷۷. [۱]

۲- ۲) شرح ابن أبى الحديد ۳:۱۸. [۲]

۳- ۳) أورده لسان العرب ۶:۲۶۱ [۳] ماده(يبس).

۴- ۴) صحاح اللغه للجوهرى ۲:۹۹۰ ماده(يبس).

۵- ۵) القاموس المحيط ۲:۲۶۱ [۴] ماده(يبس).

حطب يبس.قال ثعلب:كأنّه خلقه (۱)،قال علقمه:

تخشخش أبدان الحديد عليهم كما خشخشت يبس الحصاد جنوب

(۲)و رابعا:إنّ الآيه «فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً» لا كما نقله (۳).

«ثمّ فطر» أى:خلق اختراعا.

و عن ابن عباس:كنت لا أدرى ما «عَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ» (۴)حتّى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر.فقال:أحدهما:أنا فطرتها.يقول:أنا ابتدأت حفرها (۵).

«منه أطباقا» أى:سماوات أطباقا،قال تعالى: «أَ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً» (۶)، «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً» (۷).

«ففتقها سبع سماوات بعد ارتتاقها» «أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما» (۸).

«فاستمسكت بأمره» «وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها» (۹).

«و قامت على حدّه» الضمير راجع إليه تعالى،أى:قامت السماوات على تحديده تعالى لها.

۱- ۱) قول ثعلب و البيت نقلهما لسان العرب ۶:۲۶۱ [۱] ماده(يبس).

۲- ۲) قول ثعلب و البيت نقلهما لسان العرب ۶:۲۶۱ [۲] ماده(يبس).

۳- ۳) لم يظهر لى فرق بين ما نقل الشارح و ما نقل ابن أبى الحديد و لا رسم المصحف.

۴- ۴) يوسف:۱۰۱. [۳]

۵- ۵) مرّ تخريج الحديث فى العنوان(۱)من الفصل الأول.

۶- ۶) نوح:۱۵. [۴]

۷- ۷) الملك:۳. [۵]

۸- ۸) الأنبياء:۳۰. [۶]

۹- ۹) فصلت:۱۲. [۷]

«و أرسى أرضاً» هكذا فى(المصريه)و ليست الجمله فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخوئى و الخطيه) (۱)رأسا،فيعلم عدم وجودها فى النّهج،و إن كان المعنى بدونها مختلّا،لأنّه يصير الضمير فى قوله بعد «يحملها الأخضر» راجعا إلى السماوات السبع،و ليس كذلك،و لذا تكلّف الخوئى فى أنّ الضمير فى(يحملها)راجع إلى(الأرض)المستفاده من اليبس (۲)،و هو كما ترى.

فالظاهر أنّ(المصريه)نقلت الجمله من نسخه خلطت حاشيه بالمتن.

«يحملها الأخضر» فسّر ابن أبى الحديد الأخضر بالبحر،و يسمّى أيضا خضاره معرفه غير مصروف (۳).

قلت:لم يقل أحد بإطلاق الأخضر مجرّدا على البحر،بل مع الوصف بالمثعنجر،لأنّه بمعنى السائل.نعم،خضاره مجرّده تطلق عليه.ثمّ سوق كلامه أنّ الأخضر غير منصرف،و ليس كذلك،بل خضاره غير منصرف.

قال الجوهرى:خضاره بالضّمّ:البحر،معرفه لا تجرى،تقول:هذا خضاره طاميا (۴).و لو كان عبّر:و خضاره معرفه غير مصروف،لسلم.

«المثعنجر» قال الفيروز آبادى:المثعنجر:السائل من ماء أو دمع،و بفتح الجيم وسط البحر،و ليس فى البحر ماء يشبهه (۵).

و قال الجزرى فى حديث علىّ عليه السّلام «يحملها الأخضر المثعنجر» :هو أكثر موضع فى البحر ماء،و الميم و النون زائدتان،و منه حديث ابن عباس:

۱- ۱) كذا فى شرح الخوئى ۷:۳۲۷،و توجد الجمله فى شرح ابن أبى الحديد ۳:۱۸،و شرح ابن ميثم:۴:۲۴.

۲- ۲) شرح الخوئى ۷:۳۲۸.

۳- ۳) شرح ابن أبى الحديد ۳:۱۹. [۱]

۴- ۴) صحاح اللغه للجوهرى ۲:۶۴۷ [۲] ماده(خضر).

۵- ۵) القاموس المحيط ۱:۳۸۲ [۳] ماده(ثعجر).

فإذا علمی بالقرآن فی علم علیّ علیه السّلام کالقراره فی المثعنجر (۱).القراره:الغدیر الصغیر (۲).

قال ابن أبی الحدید:تصغیر المثعنجر:مثیعج و مثیعیج (۳).

قلت:أخذه من(الصحاح)لکنّه غلط منه،لأنّ المثعنجر رباعیّ مزید فیه، أصله ثعجر،لا ثلاثی مزید فیه أصله ثعج.

قال فی(القاموس):قول الجوهری و الصغانیّ تصغیر المثعنجر:مثیعج و مثیعیج (۴)غلط،و الصواب:ثعیجر،کما تقول فی محرنجم:حریجم (۵).

«و القمقام» یأتی لمعان أحدها البحر،و هو المراد هنا.

«المسخّر» من اللّه تعالی.

«قد ذلّ لأمره» و المراد أمره التکوینی.

«و أذعن» أی:خضع.

«لهیبته،و وقف الجاری منه» بعد حمله للأرض.

«لخشیته» الطبیعیه .

«و جبل» أی:خلق.

«جلامیدها» أی:صخورها الشدیده.

«و نشوز» أی:ارتفاع.

۱- ۱) أخرجه الحکیم الترمذی فی شرح الفتح المبین عنه ینابیع الموده:۷۰ بفرق یسیر،و روی معناه المفید و أبو علی الطوسی و النقاش و الحموینی و الإربلی،و قد مرّ تخریجه فی شرحه خطبه الرضی.

۲- ۲) النهایه لابن الأثیر ۱:۲۱۲ [۱] ماده(ثعجر).

۳- ۳) شرح ابن أبی الحدید ۳:۲۰. [۲]

۴- ۴) کذا ذکر الجوهری تصغیره فی صحاح اللغه ۲:۶۰۵ [۳] ماده(ثعجر)،لکن لم یذکر الصغانی فی التکمله ۲:۴۳۶ ماده (ثعجر)تصغیرا له.

۵- ۵) القاموس المحیط ۱:۳۸۲ [۴] ماده ثعجر().

«متونها» أی:ما صلب منها.

«و أطوادها» أی:جبالها.

«فأرسلها فی مراسیها» أی:فی مواقفها (۱).

«و رست» أی:ثبتت،و فی نسخه(و رسبت) (۲)،من رسب فی الماء،إذا هبط فیه.

«أصولها» أی:عروقها.

«فی الماء» لکون الأرض علی الماء .

«فأنهد» أی:أنهض.

«جبالها عن سهولها» سهل الأرض خلاف حزنها.

«و أساخ» أی:أغاص،من:ساخت قدمه فی الأرض،إذا غاصت فیها.

«قواعدها» و أساسها.

«فی متون أقطارها» أی:جوانبها.

«و مواضع أنصابها» أی:فی مواضع نصبت فیها.

«فأشهق» أی:أعلی.

«قلالها» قلال جمع قلّه،أعلی الجبل.

«و أطال» أی:جعل طویلا.

«أنشازها» أی:ارتفاعاتها.

«و جعلها للأرض عمادا» أی:عمودا.

«و أرّزها» أی:أثبتها،من أرزت الشجره:ثبتت.

۱- ۱) لم یتعرّض الشارح لشرح الفقرتین:«و ألزمها قرارتها،فمضت رؤوسها فی الهواء».

۲- ۲) لم نجد أحدا من الشرّاح نقل هذه الروايه.

«فيها أوتادا» قال تعالى: «وَ الْجِبالَ أَوْتاداً » (۱).

«فسكنت على حركتها» أى:مع حركتها،فإن(على)فى مثل الموضع بمعنى(مع)،كقوله تعالى: «الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ» (۲)،و قوله تعالى: «وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً» (۳)،و كقول الشاعر:

و إنّى على ليلى لزار و إنّنى على ذاك فى ما بيننا مستديمها

(۴)و قوله:

على جوده ما جاد بالمال حاتم

(۵) «من أن تميد» أى:تضطرب.

«بأهلها» كوقت يحصل الزلزال.

«أو تسيخ» أى:تغوص.

«بحملها» كبناء لم يستحكم أساسه.

«أو تزول عن مواضعها» التى عيّنها اللّه تعالى لها،قال فى(الهيئه و الاسلام):يظهر من قوله عليه السّلام: «أو تزول عن مواضعها» تحرّك الأرض فى مدار مخصوص،فإنّ الأرض عند المتأخّرين لها مواضع لا تحصى،لكنّها جميعا فى مدار معيّن بإزاء البروج الاثنى عشر،فيتمّ على هذا تفسير قوله عليه السّلام: «على حركتها» بحركه الأرض السنويه،و أنّ الجبال و عروقها هى

۱- ۱) النبأ:۷. [۱]

۲- ۲) إبراهيم:۳۹. [۲]

۳- ۳) الإنسان:۸. [۳]

۴- ۴) أورده السيوطى فى شواهد المغنى ۱:۶۱،و الشاعر إمّا قيس بن الملوح أو غيره.

۵- ۵) أورده لسان العرب ۱۲:۱۱۵ [۴] ماده(حتم)و الشاعر الفرزدق،و صدره: على حاله لو أنّ فى القوم حاتما

الحافظه لهیئه أجزاء الأرض المانعه من تفرّقها و اضطرابها و زوالها عن مواضعها المخصوصه فی فلکها المخصوص،و أمّا علی القول بالسکون- کما علیه المتقدّمون-فلا یتمّ هذا الکلام الکامل،إذا الجسم لا یکون ذا مواضع إلّا بتحرّکه الانتقالی،و الساکن لا یکون إلّا ذا موضع واحد.

ثمّ استدلّ صاحب الکتاب لحرکه الأرض بآیات:

منها: «الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ مَهْداً» (۱).قال:و المهد یتحرّک سریعا بلا میلان.

و منها: «هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً» (۲).قال:فإنّ الذّلول إبل تمتاز بنعومه الحرکه و سرعه السیر.

و منها: «وَ تَرَی الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَهً وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللّهِ الَّذِی أَتْقَنَ کُلَّ شَیْءٍ» (۳).قال:فلو کان المراد القیامه کما قالوا لما کان لقوله:

«صُنْعَ اللّهِ الَّذِی أَتْقَنَ کُلَّ شَیْءٍ» مناسبه.

و منها: «وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها» (۴).قال:بناء علی أنّ المراد بالدّحو:

الدّفع و الدحرجه-کما یفهم من اللّغه و من موارد استعماله-دون البسط،کما هو المشهور.ثمّ تعرّض للاستدلال علی مدّعاه بکون المراد من الدّحو فی الآیه الدّفع و الدّحرجه دون البسط الّذی قال غیره (۵).

قلت:الظاهر أنّ المشهور فسّروه باللازم،فإنّ دحرجه الملفوف تستلزم بسطه،و ممّا یمکن أن یستدلّ به علی ما قال،و إن لم یتفطّن له قول الحمیری

۱- ۱) طه:۵۳. [۱]

۲- ۲) الملک:۱۵. [۲]

۳- ۳) النمل:۸۸. [۳]

۴- ۴) النازعات:۳۰. [۴]

۵- ۵) الهیئه و الاسلام ۱:۸۲،و النقل بتصرف یسیر.

فی تشبیهه رمی أمیر المؤمنین علیه السّلام للصّخره العظیمه التی کانت علی عین فی طریق صفین بکره رماها قوی:

فکأنّها کره بکفّ حزوّر عبل الذّراع دحا بها فی ملعب

(۱)کما أنّه فاته الاستدلال بکلامه علیه السّلام فی الخطبه(۷۰)«اللّهمّ داحی المدحوّات» (۲).فإنّه مثل قوله تعالی: «وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها» (۳).و استدلّ بخبر(الاحتجاج)عن الصادق علیه السّلام:أنّ الأشیاء تدلّ علی حدوثها من دوران الفلک بما فیه،و هی سبعه أفلاک،و تحرّک الأرض و من علیها (۴).و استدلّ بآیات و أخبار أخر لیس لها وضوح دلاله،کقوله تعالی: «فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِیا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً قالَتا أَتَیْنا طائِعِینَ» (۵)،فقال فی معناه: «ائْتِیا» أی:انتقلا و تحرکا من حیز کما، «طَوْعاً» لنظام هذه الشمس،أو «کَرْهاً» عنها و طوعا لنظام آخر،و اتّباعا لجاذبیه عالم آخر، «قالَتا» بلسان الحال: «أَتَیْنا طائِعِینَ» لهذا النظام،خاضعین لنوامیس هذه الجاذبیه التی سنّها اللّه تعالی فی هذا العالم (۶).و هو کما تری .

«فسبحان من أمسکها بعد موجان میاهها» «إِنَّ اللّهَ یُمْسِکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَ لَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَکَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ» (۷).

«و أجمدها بعد رطوبه أکنافها» أی:جوانبها.

۱- ۱) هذا بیت من القصیده البائیه نقله المفید فی الإرشاد:۱۷۸ و غیره. [۱]

۲- ۲) نهج البلاغه ۱:۱۲۰. [۲]

۳- ۳) النازعات:۳۰. [۳]

۴- ۴) رواه الطبرسی فی الاحتجاج ۲:۳۳۸ [۴] ضمن حدیث طویل.

۵- ۵) فصلت:۱۱. [۵]

۶- ۶) الهیئه و الاسلام ۱:۷۱،۷۴.

۷- ۷) فاطر:۴۱. [۶]

«فجعلها لخلقه مهادا» «أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً» (۱).

«و بسطها لهم فراشا» «الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ فِراشاً وَ السَّماءَ بِناءً» (۲).

«فوق بحر لجّی» بالضمّ،أی:بحر مشتمل علی اللّجّات.

«راکد» أی:ساکن.

«لا یجری» کما یجری الیمّ.

«و قائم» فی مکانه.

«لا یسری» إلی موضع آخر .

«تکرکره» أی تردّده.

«الرّیاح العواصف» أی:الشدائد.

«و تمخضه» من مخضت اللّبن،إذا حرّکت سقاءه لأخذ زبده.

«الغمام» أی:السحاب.

«الـذّوارف» من ذرفت عینه إذا سال منها الـدّمع،شـبّه علیه السّـلام صبّ الغمام للقطر بنساء یسـکبن دموعهنّ،قال ابن أبی الحدید لیس قوله علیه السّلام: «و تمخضه الغمام الذوارف» صریحا فی أنّ السحب تنزل فی البحر فتغترف منه،کما قد یعتقد فی المشهور العامّی،نحو قول الشاعر:

کالبحر یمطره السحاب و ما لها فضل علیه لأنّه من مائه

بل یجوز أن تکون الغمام الذوارف تمخضه و تحرّکه بما ترسل علیه من الأمطار السائله منها (۳).

قلت:أصل کلامه علیه السّلام فی وصف البحر الذی یحمل الأرض،لقوله علیه السّلام

۱- ۱) النبأ:۶. [۱]

۲- ۲) البقره:۲۲. [۲]

۳- ۳) شرح ابن أبی الحدید ۳:۱۹. [۳]

أوّلا- «يحملها الأخضر المثعنجر» و قوله أخيرا: «فوق بحر لجّى» ،لا البحر الظاهر فى الأرض،و حينئذ فالظاهر وقوع تصحيف هنا أيضا،كما مرّ عند قوله: «و يحملها الأخضر المثعنجر» ،و أنّ الأصل «و لا تكركره الرياح العواصف،و لا تمخضه الغمام الذوارف» عطفا على قوله عليه السّلام: «لا يسرى» ، بمعنى أنّه بحر غير هذه البحار البارزه،و لو لا ما قلنا لكان تنافرا أيضا بين الجملتين،و بين قوله عليه السّلام: «راكد لا يجرى،و قائم لا يسرى» .

« «إِنَّ فِی ذلِکَ لَعِبْرَهً لِمَنْ یَخْشی» » اقتباس من القرآن آیه(۲۶)من:

و النازعات.

۵

الخطبه(۱۶۹)

و من خطبه له علیه السّلام لما عزم علی لقاء القوم بصفین:

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَ الْجَوِّ الْمَکْفُوفِ- الَّذِی جَعَلْتَهُ مَغِیضاً لِلَّیْلِ وَ النَّهَارِ- وَ مَجْرًی لِلشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ مُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّیَّارَهِ- وَ جَعَلْتَ سُکَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلَائِکَتِکَ- لَا یَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِکَ- وَ رَبَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِی جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنَامِ- وَ مَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَ الْأَنْعَامِ- وَ مَا لَا یُحْصَی مِمَّا یُرَی وَ مِمَّا لَا یُرَی- وَ رَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِی الَّتِی جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً- وَ لِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَی عَدُوِّنَا- فَجَنِّبْنَا الْبَغْیَ وَ سَدِّدْنَا لِلْحَقِّ- وَ إِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَیْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَهَ- وَ جَنِّبْنَا الْفِتْنَهَ- أَیْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ- وَ الْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ- الْعَارُ وَرَاءَکُمْ وَ الْجَنَّهُ أَمَامَکُمْ أقول:رواه ابن طاوس فی(مهجه ۲سید بن طاوس-مهج الدعوات-ص ۱۰۲)عن کتاب دعاء الحسین بن سعید

الأهوازی ۱الحسین بن سعید الأهوازی-کتاب دعاء الحسین بن سعید الأهوازی- باسناده عن یعقوب بن شعیب عن الصادق علیه السّلام قال:کان من دعاء أمیر المؤمنین یوم صفین:«اللّهم ربّ هذا السّقف المرفوع...فجنّبنا الکبر و سدّدنا للرّشد...و اعصم بقیّه أصحابی من الفتنه» (۱).

و رواه الطبری فی(تاریخه الطبری-تاریخ الطبری-ج ۴ ص ۱۰ سنه(۳۷))عن زید بن وهب،و زاد بعد قوله علیه السّلام:

«و ممّا لا یری»قوله:«من خلقک العظیم و ربّ الفلک التی تجری فی البحر بما ینفع الناس،و ربّ السحاب المسخّر بین السماء و الأرض،و ربّ البحر المسجور المحیط بالعالم» (۲).

و رواه نصر بن مزاحم فی(صفّینه نصر بن مزاحم-وقعه صفین-ص ۲۳۲) (۳).

«اللّهم ربّ السّقف المرفوع» هو لفظ القرآن فی التعبیر عن السماء،قال تعالی: «وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ» (۴).

«و الجوّ المکفوف» المراد بالجوّ المکفوف السماء کالسّقف المرفوع،و مرّ قوله علیه السّلام فی العنوان الأوّل من الفصل:«جعل سفلاهنّ موجا مکفوفا».

و فی(صفّین نصر):«اللهمّ ربّ هذا السّقف المحفوظ المکفوف الذی جعلته...» (۵).

قال الشهرستانی فی(الهیئه):یعنی علیه السّلام بالجوّ المکفوف الممنوع من الهطلان مع سیلان مادّته الأثیریه (۶).

«الّذی جعلته مغیضا للّیل و النّهار» قال ابن أبی الحدید:وجه المشارکه أنّ

۱- ۱) مهج الدعوات:۱۰۲. [۱]

۲- ۲) تاریخ الطبری ۴:۱۰ [۲] سنه(۳۷).

۳- ۳) وقعه صفین:۲۳۲. [۳]

۴- ۴) الطور:۵. [۴]

۵- ۵) وقعه صفین:۲۳۲،و [۵]لفظه«المکفوف»فی بعض النسخ.

۶- ۶) الهیئه و الاسلام ۱:۵۱.

المغيض أو الغيضه يتولّد منهما الشجر،و كذلك اللّيل و النّهار يتولّدان من جريان الفلك،كنبت الشجر من المغيضه و الأجمه (۱).

قلت:المغيض يستعمل فی الخفاء لا الظهور،قال تعالی: «وَ ما تَغِيضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ» (۲)،و يقال:غاض الكرام و فاض اللئام،و ابن أبی الحديد عكس.

و قال الشهرستانی:المغيض:موضع يمصّ الماء و يبلعه.فكأنّه عليه السّلام استعار لفظ اللّيل و النّهار لمعنی النور و الظلام،و شبّه انعدام ضوء النهار لمعنی النور و الظلام،و شبّه انعدام ضوء النهار فی الجوّ ليلا،و كذا انمحاء ظلام الليل فيه نهارا بمصّ الجوّ و ابتلاعه للظلام و الضياء،و يظهر من هذا التعبير ما استكشفه المتأخرون بآله(سبكتر سكوب)و غيرها أنّ الجوّ أو الهواء يشرب و يمصّ من النّور ما يقتضيه طبعه،و يمجّ الباقی إلينا،و قد فتح عليهم هذا الباب ألف باب من العلم،لكن باب مدينه العلم-أعنی عليّا عليه السّلام-قد علّمه النبیّ صلّی اللّه عليه و آله حسب الآثار الصحيحه ألف باب،يفتح له من كلّ باب ألف باب،و ربّما كان هذا و أشباهه من فروع هذه الأبواب التی يستكشف الحكيم منها ألف باب.و أيم اللّه سبحانه إنّ المتأمّل فی كلمات علیّ عليه السّلام بعد اطّلاعه علی فنون الفلسفه تنفجر عليه ينابيع الحكمه،و يصدق عندئذ من قال:«إنّ كلام علیّ عليه السّلام دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوقين» (۳).

«و مجری للشّمس و القمر» قال تعالی: «وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتّی عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ» (۴).

۱- ۱) شرح ابن أبی الحديد ۲:۴۷۲. [۱]

۲- ۲) الرعد:۸. [۲]

۳- ۳) الهيئه و الاسلام ۱:۵۱،و النقل بتصرف يسير.

۴- ۴) يس:۳۸-۳۹. [۳]

«و مختلفا للنّجوم السّيّاره» فی طلوعها و غروبها،قال الصادق علیه السّلام للمفضّل:فکّر یا مفضّل فی النجوم و اختلاف مسیرها،فبعضها لا تفارق مراکزها من الفلک،و لا تسیر إلّا مجتمعه،و بعضها مطلقه تنتقل فی البروج، و تفترق فی مسیرها،فکلّ واحد منها یسیر سیرین مختلفین:أحدهما عام مع الفلک نحو المغرب،و الآخر خاص لنفسه نحو المشرق،کالنّمله التی تدور علی الرّحی (۱).

هذا،و فی(أصل زید النّرسی)-و زید مختلف فیه-عن الصادق علیه السّلام فی خبر:و ربّ هود بن أسیه عافنی من کلّ عقرب و حیّه.قلت:و ما هود بن أسیه؟ قال:کوکبه فی السماء خفیه تحت الوسطی من الثلاث،الکواکب التی فی بنات النّعش المتفرّقات،ذلک أمان ممّا قلت (۲).

«و جعلت سکّانه سبطا» أی:طائفه.

«من ملائکتک» کما أن الأرض مسکن بنی آدم.

«لا یسأمون» أی:لا یملّون.

«من عبادتک» و إن أداموا،لا مثل البشر .

«و ربّ هذه الأرض التی جعلتها قرارا للأنام» «وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُکُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَکُمْ فِی الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلی حِینٍ» (۳)، «أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً» (۴)، «اللّهُ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ قَراراً وَ السَّماءَ بِناءً» (۵).

۱- ۱) توحید المفضل:۱۳۲. [۱]

۲- ۲) أصل زید النرسی:۵۷،و النقل بتقطیع.

۳- ۳) البقره:۳۶. [۲]

۴- ۴) النمل:۶۱. [۳]

۵- ۵) غافر:۶۴. [۴]

«و مدرجا» أی:مسلکا.

«للهوامّ» أی:الحشرات،یقال خلّ درج الضبّ،أی:طریقه لئلّا یسلک بین قدمیک،فتنتفخ.و فسّرت الهامّه-فی حدیث الاستعاذه«من کلّ سامّه و هامّه» (۱)-بحشره ذات سمّ لا تقتل کالعقرب،فی قبال السّامّه حشره ذات سمّ تقتل.و المراد هنا المطلق،لجعلها فی مقابل الأنعام.

«و الأنعام» أی:مطلق الحیوان،لا خصوص المال الرّاعیه،حیث جعل مقابلا للهوامّ .

«و ما لا یحصی» من خلقک.

«ممّا یری و ممّا لا یری» و ما لا یری قسمان،قسم منها لغیبوبته عنّا مثل ما فی العلویّات،و قسم منها لصغر جسمها حتّی لا تری بالعین،و فی القسم الثانی اخترعت أدوات تری بها .

«و ربّ الجبال الرّواسیّ» أی:الثوابت.

«التی جعلتها للأرض أوتادا» لئلّا تضطرب.

«و للخلق» الإنسان و أقسام الحیوان.

«اعتمادا» حتی یمکنهم السّکنی فیها .

«إن أظهرتنا علی عدوّنا» فبیده مفتاح الظفر و الهزیمه.

«فجنّبنا البغی» کما هو شأن أکثر الفاتحین.

«و سدّدنا» أی:وفّقنا.

«للحقّ» و ترک الباطل .

«و إنّ أظهرتهم علینا» «تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْکَ»

۱- ۱) أخرجه أبو یعلی و البزار فی مسندیهما عنهما المطالب العالیه ۲:۳۴۸ ح ۲۴۴۳ بلفظ،و الصدوق فی معانی الأخبار: ۱۷۳ ح ۱ بلفظ آخر،و ذکر الهامّه فی أحادیث الاستعاذه کثیر.

«مِمَّنْ تَشاءُ» (۱).

«فارزقنا الشهاده» فی الحرب دون الأسر بید العدوّ.

«و جنّبنا الفتنه» أی:الامتحان الذی یوجب الضلال .

«أین المانع للذمار» أی:ما یلزمک حفظه ممّا وراءک و یتعلّق بک .

«و الغائر» أی:الغیور.

«عند نزول الحقائق» أی:نزول أمور یحقّ علی الرجل أن یحمیها،و یدفع عنها کعرضه و حرمه،قالوا:کان ربیعه بن مکدم-من بنی فراس بن غنم- حامی الظّعن بعد موته،و ذلک أنّه عرض له فارسان من بنی سلیم و معه ظعائن من أهله یحمیهنّ وحده،فطاعنهما فرماه أحدهما بسهم أصاب قلبه، فنصب رمحه فی الأرض و اعتمد علیه،و هو ثابت فی سرجه لم یزل،فسارت الظّعائن حتّی بلغن بیوت الحیّ،و بنو سلیم قائمون بإزائه لا یقدمون علیه، و یظنّونه حیّا،حتّی قال قائل منهم:إنّی لا أراه إلاّ میّتا،و لو کان حیّا لتحرّک، فرموا فرسه بسهم،فوثب من تحته،فوقع و هو میّت،و فاتتهم الظعائن (۲).

«من أهل الحفاظ» بالکسر،أی:الّذین یحافظون علی ما یجب علیهم رعایته .

«العار وراءکم» إن أجحمتم عن عدوّکم بالفرار،بعث عبید اللّه بن زیاد إلی أبی بلال الخارجی،و قد کان خرج إلی آسک موضع بین أرّجان و رامهرمز، و هو فی أربعین و معبد بن أسلم الکلابی فی ألفین،فانهزم و ما ردّه شیء حتّی ورد البصره،فکان الناس یصیحون به:یا معبدا وراک أبو بلال حتّی شکاهم

۱- ۱) آل عمران:۲۶. [۱]

۲- ۲) نقله ابن أبی الحدید فی شرحه ۱:۱۱۳،و روی قریبا منه المسعودی فی مروج الذهب ۲:۳۲۸.

إلی ابن زیاد (۱).

و لمّا انهزم خالد بن الولید بالناس یوم مؤته بعد قتل جعفر و صاحبیه زید بن حارثه و عبد اللّه بن رواحه،و دنا من دخول المدینه جعل الناس یحثون علی الجیش التراب،و یقولون:یا فرّار،و کان فیهم سلمه بن هشام بن المغیره، فکان لا یحضر الصلاه مع النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،فقالت أمّ سلمه لا مرأته:لم لا یحضر؟ قالت:ما یستطیع،کلّما خرج صاح النّاس أ فررتم فی سبیل اللّه؟فقعد فی البیت و ما یخرج (۲).و من المضحک أنّ إخواننا سمّوا خالدا سیف اللّه بتلک الهزیمه (۳).

«و الجنّه أمامکم» إن أقدمتم علیه حتّی ترزقوا الشهاده،و روی(الکافی) عن النبی صلّی اللّه علیه و آله قال:للجنّه باب یقال له باب المجاهدین یمضون إلیه،فإذا هو مفتوح و هم متقلّدون بسیوفهم،و الجمع فی الموقف،و الملائکه ترحّب بهم (۴).

۶

من الخطبه(۱۵۸)

فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ وَ أَعْمَلَ فِکْرَهُ- لِیَعْلَمَ کَیْفَ أَقَمْتَ عَرْشَکَ وَ کَیْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَکَ- وَ کَیْفَ عَلَّقْتَ فِی الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِکَ- وَ کَیْفَ مَدَدْتَ عَلَی مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَکَ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِیراً- وَ عَقْلُهُ مَبْهُوراً وَ سَمْعُهُ وَالِهاً وَ فِکْرُهُ حَائِراً «فمن فرّغ قلبه» عن الشواغل.

۱- ۱) نقل القصه بطولها ابن أبی الحدید فی شرحه ۱:۴۴۸.

۲- ۲) نقله ابن هشام فی السیره ۴:۱۷،و [۱]الطبری فی التاریخ ۲:۳۲۳ [۲] سنه(۸).

۳- ۳) المدّعی أنّ النبی صلّی اللّه علیه و آله قال فی شأنه:«سیف من سیوف اللّه»نقله عن أکثر من ثلاثین طریقا المتقی فی منتخب کنز العمال ۴:۹۴،۹۵،و ۵:۱۷۴-۱۷۶.

۴- ۴) أخرجه فی صدر حدیث الکلینی فی الکافی ۵:۲ ح ۲،و [۳]الصدوق فی ثواب الأعمال:۲۲۵ ح ۲ و أمالیه:۴۶۲ ح ۸ المجلس(۸۵)،و [۴]الطوسی فی التهذیب ۶:۱۳۳ ح ۸.

«و أعمل فكره» بإطالته.

«ليعلم كيف أقمت عرشك» روى(توحيد الصدوق)بإسناده عن الصادق عليه السّلام قال:إنّ للعرش صفات كثيره مختلفه،له فى كلّ سبب وضع فى القرآن صفه على حده،فقوله: «رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» (۱)يقول:الملك العظيم، و قوله: «الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى» (۲)يقول:على الملك احتوى،و هذا ملك الكيفوفيّه فى الأشياء.ثمّ العرش فى الوصل متفرّد من الكرسىّ،لأنّهما بابان من أكبر أبواب الغيوب،و هما جميعا غيبان،و هما فى الغيب مقرونان،لأنّ الكرسى هو الباب الظاهر من الغيب الّذى منه مطلع البدء،و منه الأشياء كلّها.

و العرش هو الباب الباطن الّذى يوجد فيه علم الكيف و الكون،و القدر و الحدّ، و الأين و المشيئه،و صفه الإراده،و علم الألفاظ و الحركات و التّرك،و علم العود و البدء.

فهما فى العلم بابان مقرونان،لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسى، و علمه أغيب من علم الكرسى،فمن ذلك قال: «رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» (۳)،أى:

صفته أعظم من صفه الكرسى (۴).

و روى(روضه الفتال)مرسلا أنّه قال فى العرش تمثال جميع ما خلق اللّه فى البرّ و البحر،و هذا تأويل قوله تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَىْءٍ إِلّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ» (۵)،و إنّ بين القائمه من قوائم العرش و القائمه الثانيه خفقان الطير المسرع مسير ألف عام،و العرش يكسى كلّ يوم سبعين ألف لون من النور،لا

۱- ۱) التوبه:۱۲۹،و [۱]النمل:۲۶. [۲]

۲- ۲) طه:۵. [۳]

۳- ۳) التوبه:۱۲۹،و [۴]النمل:۲۶. [۵]

۴- ۴) أخرجه الصدوق فى التوحيد:۳۲۱ ح ۱.

۵- ۵) الحجر:۲۱. [۶]

يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق اللّه،و الأشياء كلّها فى العرش كحلقه فى فلاه.

و إن للّه تعالى ملكا يقال له حزقائيل،له ثمانيه عشر ألف جناح،ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائه عام،فخطر له خاطر:هل فوق العرش شىء؟ فزاده اللّه تعالى مثلها أجنحه أخرى،فكان له ستّه و ثلاثون ألف جناح،ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائه عام،ثمّ أوحى اللّه إليه:أيّها الملك طر،فطار مقدار عشرين ألف عام،لم ينل رأسه قائمه من قوائم العرش،ثمّ ضاعف اللّه له فى الجناح و القوّه،و أمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف عام و لم ينل أيضا، فأوحى اللّه إليه:أيّها الملك لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك و قوّتك لم تبلغ إلى ساق العرش.فقال الملك سبحان ربّى الأعلى.فأنزل اللّه عزّ و جلّ: «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» (۱).فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله:اجعلوها فى سجودكم (۲).

«خلقك» «وَ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» (۳)، «جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً وَ مِنَ الْأَنْعامِ أَزْواجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » (۴).

«و كيف علقت فى الهواء سماواتك» «اللّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها» (۵)، «خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها» (۶).

۱- ۱) الأعلى:۱. [۱]

۲ - ۲) رواه الفتّال فى روضه الواعظين ۱:۴۷،و [۲]ما روى عن النبى صلّى اللّه عليه و آله«اجعلوها فى سجودكم»قد جاء فى الأخبار كثيرا.

۳- ۳) المؤمنون:۷۹. [۳]

۴- ۴) الشورى:۱۱. [۴]

۵- ۵) الرعد:۲. [۵]

۶- ۶) لقمان:۱۰. [۶]

«و کیف مددت علی مور الماء» أی:اضطرابه و ذهابه و مجیئه.

«أرضک» فاستقرت .

«رجع طرفه» أی:عینه و بصره،قال تعالی: «لا یَرْتَدُّ إِلَیْهِمْ طَرْفُهُمْ» (۱).

«حسیرا» أی:کلیلا و منقطعا،و الأصل فیه قوله تعالی: «یَنْقَلِبْ إِلَیْکَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَ هُوَ حَسِیرٌ » (۲).

«و عقله مبهورا» أی:مغلوبا .

«و سمعه والها» أی:متحیّرا .

«و فکره حائرا» غیر واصل إلی مقصد.

۱- ۱) إبراهیم الملک:۴۳. [۱]

۲- ۲) :۴.

الفصل الثالث: فی خلق الملائکه

اشاره

ص:۵۲۹

۱

من الخطبه(۱)

ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا- فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلاَئِكَتِهِ- مِنْهُمْ سُجُودٌ لاَ يَرْكَعُونَ وَ رُكُوعٌ لاَ يَنْتَصِبُونَ- وَ صَافُّونَ لاَ يَتَزَايَلُونَ وَ مُسَبِّحُونَ لاَ يَسْأَمُونَ- لاَ يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعَيْنِ وَ لاَ سَهْوُ الْعُقُولِ- وَ لاَ فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَ لاَ غَفْلَةُ النِّسْيَانِ- وَ مِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ وَ أَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ- وَ مُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَ أَمْرِهِ- وَ مِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَ السَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ- وَ مِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ- وَ الْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ- وَ الْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ- وَ الْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ- نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ- مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّهِ- وَ أَسْتَارُ الْقُدْرَهِ- لاَ يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ- وَ لاَ يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ- وَ لاَ يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ وَ لاَ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ

ص:۵۳۱

قول المصنف : «فی خلق الملائکه» .

أقول:کنه الملائکه غیر معلوم لنا،و حیث إنّا لا نعرف أنفسنا بالکنه،قال تعالی: «وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی وَ ما أُوتِیتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِیلاً» (۱).فالملائکه الّذین لیسوا من جنسنا،و غیر مرئیین لنا أولی بعدم العرفان.

و مرّ فی الفصل الأوّل (۲)قوله علیه السّلام فی مقام بیان عدم إمکان الإحاطه بذاته تعالی:«بل إن کنت صادقا أیّها المتکلّف لوصف ربّک فصف جبرائیل و میکائیل و جنود الملائکه المقرّبین فی حجرات القدس مرجحنّین».و مرّ ثمه أیضا (۳)قوله علیه السّلام فی ذاک المقام فی ملک الموت:«هل تحسّ به إذا دخل منزلا، أم هل تراه إذا توفّی أحدا؟بل کیف یتوفّی الجنین فی بطن أمّه؟أ یلج علیه من بعض جوارحها،أم الرّوح أجابته بإذن ربّها،أم هو ساکن معه فی أحشائها؟ کیف یصف إلهه من یعجز عن صفه مخلوق مثله؟».

ثمّ اختلف فی لفظ(الملک)،هل هو مفرد فقط أو مشترک بینه و بین الجمع؟و فی مادّته هل هو فعل،أو مفل،أو معل؟ أمّا الأوّل،فقال الفیروز آبادی:إنّ الملک واحد الملائکه و الملائک (۴).

و قال الجوهری:الملک من الملائکه واحد و جمع (۵).

قلت:و هو الصواب،یشهد لمجیئه مفردا قوله تعالی: «إِنْ هذا إِلاّ مَلَکٌ»

۱- ۱) الإسراء:۸۵. [۱]

۲- ۲) مرّ فی الفصل الأول أواخر العنوان ۲۹.

۳- ۳) مرّ فی الفصل الأول العنوان ۳۰.

۴- ۴) القاموس المحیط ۳:۳۲۱ [۲] ماده(ملک).

۵- ۵) صحاح اللغه ۴:۱۶۱۱ [۳] ماده(ملک).

«كَرِيمٌ» (۱)،و لمجيئه جمعا قوله عزّ و جلّ: «وَ جاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكَ صَفًّا صَفًّا» (۲).

لا يقال:إنّه هنا اسم جنس لأنّا نقول:لا يقال:جاء الرّجل صفّا صفّا.بل (الرجال).

و أمّا الثانى فذهب إلى الأوّل ابن كيسان،و إلى الثّانى أبو عبيده،و إلى الثالث الكسائىّ (۳)،و لذا ذكره(القاموس)فى: (ألك)و(لأك)و(ملك) (۴).و استند أبو عبيده فى كونه من(لأك)-و تركت همزته لكثره الاستعمال فقيل:(ملك) فلمّا جمع ردّت،فقالوا:ملائك و ملائكه-إلى قول الشاعر:و هو إمّا عبد القيس الجاهلى فى بعض الملوك،أو أبو و جزه الإسلامى فى ابن الزّبير:

فلست لإنسىّ و لكن لملأك تنزّل من جوّ السّماء يصوب

(۵)قلت:أىّ دلاله فى البيت على كون(ملأك)من(لأك)،و من أين أنّ(ملأك) ليس بأصل على(فعلل)أسقطت همزته تخفيفا،كما أسقطت من(أرى)ماضيا و مستقبلا أفعالا و فعلا،و ردّت فى جمعه كما هى القاعده،و ليس(الملأك) منحصرا استعماله بذاك البيت،بل ورد فى بيت آخر نقله(اللّسان):

أيّها القاتلون ظلما حسينا أبشروا بالعذاب و التّنكيل

كلّ أهل السماء يدعو عليكم من نبىّ و ملأك و رسول

(۶)و يشهد لكون(ملك)فعل قوله تعالى: «قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى»

۱- ۱) يوسف:۳۱. [۱]

۲- ۲) الفجر:۲۲. [۲]

۳- ۳) مجمع البيان للطبرسى ۱:۷۳،و لسان العرب لابن منظور ۱:۴۹۶ [۳] ماده(ملك).

۴- ۴) القاموس المحيط ۳۲۱،۳۱۷،۲۹۳:۳ ماده(ألك و لأك و ملك).

۵- ۵) نقله عنه لسان العرب ۱۰:۴۹۶ [۴] ماده(ملك).

۶- ۶) لسان العرب ۱۰:۳۹۳ [۵] ماده(ألك).

«وُكِّلَ بِكَمْ ثُمَّ إِلى رَبِّكَمْ تُرْجَعُونَ» (۱).فلا ريب أنّه بمعنى المالكيه،و أمّا ما نقل (اللّسان)عن(محكم ابن سيده)أنّ رويشدا سمّى ملك الموت مالكا،فقال:

فأبلغ مالكا أنّا خطبنا فإنّا لم نلايم بعد أهلا

و قال:

غدا مالك يبغى نسائى كأنّما نسائى لسهمى مالك غرضان

و قال:

فيا ربّ فاترك لى جهينه أعصرا فمالك موت بالفراق دهانى

و قال:قال ابن سيده:ظنّ ملك الموت من(ملك)،فصاغ مالكا من ذلك فهو غلط منه،و مثل غلط رويشد كثير فى شعر الأعراب الجفاه (۲)،فهو كما ترى،فالأعراب كان فى اعتقاداتهم أوهام لا فى فهمهم اللّغات.

و أمّا من جعله من(ألك)فظنّ ترادف الملك و الرّسول و الألوك و المألكه الرّساله،فاستندوا إلى أبيات وردت فيها الألك و المألك و المألكه و المالك، كقول زيد بن حارثه:

الكنى إلى قومى و إن كنت نائيا فإنّى قطين البيت عند المشاعر

و قول عمرو بن شأس:

الكنى إلى قومى السّلام و رحمه الإله فما كانوا ضعافا و لا عزلا

و يروى:

الكنى إلى قومى السّلام رساله بآيه ما كانوا ضعافا و لا عزلا

و قول ابن أبى ربيعه:

الكنى إليها بالسّلام فإنّه ينكّر إلمامى بها و يشهّر

۱- ۱) السجده:۱۱. [۱]

۲- ۲) لسان العرب ۱۰:۴۸۲ [۲] ماده(لأك).و النقل بالمعنى.

و كقول الشاعر:

أبلغ أبا دختنوس مألكه عن الّذى قد يقال م الكذب

أى:من الكذب.و كقوله:

أبلغ يزيد بنى شيبان مألكه أبا ثبيت أما تنفكّ تأتكل

و قول عدى بن زيد:

أبلغ النعمان عنّى مألكا أنّه قد طال حبسى و انتظار

(۱)مع أنّه وهم،فالملائكه لا يحصى عددهم غير اللّه تعالى،و إنّما كان جبرائيل رسوله تعالى إلى أنبيائه،و قال عليه السّلام هنا: «و منهم أمناء على وحيه و ألسنه إلى رسله» .

«ثم فتق» أى:شقّ.

«ما بين السماوات العلى» و مرّ فى الفصل السابق (۲)قوله عليه السّلام:«و فتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها»،و قوله عليه السّلام (۳):«ففتقها سبع سماوات بعد ارتتاقها».

«فملأهنّ أطوارا» مختلفه.

«من ملائكته» فى(تفسير القمى):قال الصادق عليه السّلام:ما من شىء ممّا خلق اللّه أكثر من الملائكه،و أنّه ليهبط كلّ يوم أو فى كلّ ليله سبعون ألف ملك، فيأتون البيت الحرام فيطوفون به،ثمّ يأتون النبى صلّى اللّه عليه و آله ثمّ يأتون أمير المؤمنين عليه السّلام فيسلّمون عليه،ثمّ يأتون الحسين عليه السّلام فيقيمون عنده.فإذا كان عند السّحر،وضع لهم معراج إلى السماء ثمّ لا يعودون أبدا (۴)،و ما فى السماء

۱- ۱) لسان العرب ۳۹۲:۱۰-۳۹۳ [۱] ماده(ألك).

۲- ۲) مرّ فى الفصل الثانى العنوان ۲.

۳- ۳) مرّ فى الفصل الثانى العنوان ۴.

۴- ۴) تفسير القمى ۲۰۶:۲،و [۲]أمالى الطوسى ۲۱۸:۱ المجلس ۸. [۳]

موضع قدم إلّا و فيها ملك يسبّحه و يقدّسه (۱).

«منهم سجود لا يركعون» سجود هنا جمع ساجد،لا مصدر سجد .

«و ركوع» ركوع أيضا هنا جمع راكع.

«لا ينتصبون» أى:لا يقومون من الركوع،و فى(تفسير القمى)قال الصادق عليه السّلام:«إنّ للّه ملائكه ركّعا إلى يوم القيامه،و إنّ للّه ملائكه سجّدا إلى يوم القيامه » (۲).

«و صافّون» أقدامهم فى القيام بين يديه تعالى.

«لا يتزايلون» عن مواضعهم .

«و مسبّحون» أى:منزّهون له تعالى.

«لا يسأمون» أى:لا يملّون من تسبيحه،قال تعالى-كما فى التفسير- حكايه عن جبرئيل عليه السّلام للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله: «وَ ما مِنّا إِلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ وَ إِنّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَ إِنّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ» (۳)،و قبله و إن كان «وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّهِ نَسَباً» (۴)،إلاّ أنّ المراد بالجنّه هنا الملائكه،حيث زعموا أنّهم بناته، تعالى عن ذلك،و قال تعالى: «فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ هُمْ لا يَسْأَمُونَ» (۵)،و قال: «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ » (۶).

«لا يغشاهم نوم العين» هكذا فى(المصريه)،و الصواب:(العيون)كما فى

۱- ۱) تفسير القمى ۲:۲۵۵. [۱]

۲- ۲) تفسير القمى ۲:۲۰۶،و [۲]أخرج معناه ابن جرير و أبو نعيم فى حليه الأولياء عنهما الدرّ المنثور ۱:۴۶. [۳]

۳- ۳) الصافات:۱۶۴-۱۶۵. [۴]

۴- ۴) الصافات:۱۵۸. [۵]

۵- ۵) فصّلت:۳۸. [۶]

۶- ۶) الأنبياء:۲۰. [۷]

(ابن أبی الحدید و الخطیه) (۱)،و أمّا ما رواه(الإکمال)عن داود بن فرقد عن بعض أصحابنا عن الصادق علیه السّلام:ما من حیّ إلّا و هو ینام ما خلا اللّه وحده عزّ و جلّ،و الملائکه ینامون.

فقلت:یقول اللّه تعالی: «یُسَبِّحُونَ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ لا یَفْتُرُونَ» ،فقال:

أنفاسهم تسبیح (۲)،فالدّال علی نومهم مرسل،و التعلیل الّذی فیه علیل،فإنّه تعالی فی مقام بیان إظهار عظمته بخلقه من لا یفتر عن عبادته فرقا بینه و بین البشر،و لو احتسب النفس تسبیحا لأمکن ذلک فی البشر أیضا.

و أمّا ما فی علل ابن هاشم:«سئل الصادق علیه السّلام عن الملائکه:یأکلون و یشربون و ینکحون؟فقال:لا،إنّهم یعیشون بنسیم العرش.فقیل له:فما العلّه فی نومهم؟فقال:فرقا بینهم و بین اللّه تعالی،لأنّ الّذی لا تأخذه سنه و لا نوم هو اللّه تعالی» (۳)فمرسل أیضا،و مخالف للآیات المتقدّمه.إلّا أنّ الراوندیّ کأنّه جمع بین الخبرین و بین قوله علیه السّلام هنا،فقال:قوله علیه السّلام: «لا یغشاهم» یقتضی أنّ لهم نوما قلیلا لا یغفلهم،فأمّا الباری سبحانه و تعالی فإنّه لا تأخذه سنه و لا نوم أصلا (۴).

«و لا سهو العقول» هکذا فی النسخ (۵)،و لا یبعد أن یکون(العقول) مصحّف(الغفلات)لعدم مناسبه لإضافه السّهو إلی العقول،یشهد للاستظهار ما فی دعاء الصحیفه فی الملائکه:«و لا یقطعهم عن تعظیمک سهو

۱- ۱) کذا فی شرح ابن أبی الحدید ۱:۲۹،لکن فی شرح ابن میثم ۱:۱۳۲«العین»أیضا.

۲- ۲) کمال الدین للصدوق:۶۶۶،و [۱]یسمی هذا الکتاب(اکمال الدین)أیضا. [۲]

۳- ۳) أخرجه محمد بن علی بن إبراهیم فی العلل عنه البحار ۵۹:۱۹۳ ح ۵۴.و [۳]هذا الکتاب من الکتب المفقوده.

۴- ۴) نقله عنه ابن أبی الحدید فی شرحه ۱:۳۰.

۵- ۵) کذا فی شرح ابن أبی الحدید ۱:۲۹،و [۴]شرح ابن میثم ۱:۱۳۲،و [۵]نهج البلاغه ۱:۱۹. [۶]

الغفلات» (۱)،اللّهمّ إلاّ أن يقال:إنّ عقول البشر لمّا كانت ناقصه و يقع منها الخطأ نفى ذلك عن الملائكه،لكنّ الانصاف أنّ العقل لا يسهو،و إذا عجز عن فهم شىء لا يحكم،لا أنّه يحكم خطأ،كيف يحكم خطأ و هو الرّسول الباطن، و لولاه لم يغن الرّسول الظاهر؟! قال الباقر عليه السّلام:لمّا خلق اللّه العقل قال له:أقبل.فأقبل،ثمّ قال له:أدبر.

فأدبر،فقال:و عزّتى و جلالى ما خلقت خلقا أحسن منك،إيّاك آمر،و إيّاك أنهى، و إيّاك أثيب،و إيّاك أعاقب (۲).

و بالجمله للبشر سهو الغفلات،قالوا:قال قتاده يوما:ما نسيت شيئا قطّ.ثمّ قال لغلامه:ناولنى نعلى.فقال له:نعلك فى رجلك.

و فى(ميزان الذّهبى)قال الكلبى محمّد بن السائب:ما حفظت شيئا نسيته،و حضر(عقيب الكلام)الحجام فأومأ إلى لحيته،و فقبض قبضه فأراد أن يقول:خذ من ها هنا.فقال:خذ من هاهنا.فأخذها من وراء القبضه (۳).

«و لا فتره الأبدان» أى:انكسارها.

«و لا غفله النسيان» فإنّ كلّ ذلك مختصّ بالبشر،قال الصدوق فى (اعتقاداته):الملائكه روحانيون معصومون،لا يعصون اللّه ما أمرهم، و يفعلون ما يؤمرون،لا يأكلون و لا يشربون،و لا يألمون و لا يسقمون، و لا يشيبون و لا يهرمون،طعامهم و شرابهم التسبيح و التقديس،و عيشهم من نسيم العرش،و تلذّذهم بأنواع العلوم.خلقهم اللّه بقدرته أنوارا

۱- ۱) الصحيفه السجاديه:۳۵،الدعاء ۳. [۱]

۲ - ۲) أخرجه الكلينى بطريقين فى الكافى ۱:۱۰،ح ۱،و:۲۶،ح ۲۶،و [۲]البرقى بخمس طرق فى المحاسن:۱۹۲،ح ۴ - ۸،و [۳]الصدوق فى أماليه:۳۴۰،ح ۵،المجلس ۶۵،و [۴]صاحب مسند زيد بن على:۴۰۹،و جمع آخر و روايات أخرى مرّ تخريجه فى العنوان ۲۳ من الفصل الأول.

۳- ۳) ميزان الاعتدال ۳:۵۵۶.

و أرواحا كما شاء و أراد (۱).

ثمّ إنّه عليه السّلام جعل الساجدين و الراكعين و الصّافّين و المسبّحين طورا واحدا،لأنّه يجمعهم العباده المستغرقه لأوقاتهم،و أمّا سلبه النوم و السّهو و الفتره و الغفله عن هؤلاء،مع أنّ الظاهر شمولها لجميع الأصناف،فلعلّه لكون هؤلاء مظنّه هذه الأمور بأن يقطع عبادتهم النوم أو الفتره أو السّأمه،أو يحصل لهم السّهو و الغفله فيها،و عنها.

و يمكن أن يكون حصل فى الكلام تقديم و تأخير،و أنّ قوله عليه السّلام: «لا يغشاهم...و لا غفله النسيان» كان بعد قوله: «أطوارا من ملائكته » .

«و منهم أمناء على وحيه» قال تعالى: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ» (۲).

قال الصدوق:اعتقادنا فى كيفيّه نزول الوحى أنّ بين عينى إسرافيل لوحا،إذا أراد اللّه أن يتكلّم بالوحى ضرب اللّوح جبين إسرافيل،فنظر فيه فيقرأ ما فيه،فيلقيه إلى ميكائيل،و يلقيه ميكائيل إلى جبرئيل،فيلقيه جبرئيل إلى الأنبياء (۳).

«و ألسنه إلى رسله» قال تعالى: «وَ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى» (۴)،و قال: «قالُوا يا لُوطُ إِنّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ» (۵)،و قال: «فَنادَتْهُ الْمَلائِكَهُ وَ هُوَ قائِمٌ»

۱- ۱) الاعتقادات للصدوق:۳۴. [۱]

۲- ۲) الشعراء:۱۹۳-۱۹۴. [۲]

۳- ۳) الاعتقادات للصدوق:۳۰. [۳]

۴- ۴) هود:۶۹. [۴]

۵- ۵) هود:۸۱. [۵]

«يُصَلِّى فِى الْمِحْرابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى » (۱).

«و مختلفون بقضائه و أمره» قال تعالى: «وَ لَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ» (۲)، «فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً» (۳)، «فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها» (۴)، «إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَهِ مُنْزَلِينَ بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَهِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَهِ مُسَوِّمِينَ » (۵).

«و منهم الحفظه لعباده» قال تعالى: «وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَهً حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَ هُمْ لا يُفَرِّطُونَ» (۶).

و فى الخبر:أنّ مع كلّ إنسان ملكين يحفظانه من أن يقع من سطح أو يتردّى فى بئر،فإذا جاء أجله خلّياه (۷).

و فى(اعتقادات الصدوق):أنّ كلّ صنف من الملائكه يحفظ نوعا ممّا خلق (۸).

هذا إذا أريد بقوله عليه السّلام: «الحفظه لعباده» الحفظه لأنفسهم،و يمكن أن يراد به الأعمّ منها و من الحفظه لأعمالهم،فقد قال تعالى: «وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ» (۹).

۱- ۱) آل عمران:۳۹. [۱]

۲- ۲) الأنعام:۸. [۲]

۳- ۳) الذاريات:۴. [۳]

۴- ۴) الأحزاب:۹. [۴]

۵- ۵) آل عمران:۱۲۴-۱۲۵. [۵]

۶- ۶) الأنعام:۶۱. [۶]

۷- ۷) التوحيد للصدوق:۳۶۸ ح ۵،و [۷]تفسير العياشى ۲:۲۰۵ ح ۱۶،و تفسير القمى ۱:۳۶۰ و النقل بالمعنى.

۸- ۸) الاعتقادات للصدوق:۳۵. [۸]

۹- ۹) الانفطار:۱۰-۱۲. [۹]

و فی خبر:سئل الصادق علیه السّلام:ما علّه الملائکه الموکّلین بعباده یکتبون علیهم و لهم،و اللّه عالم السرّ و ما هو أخفی؟قال علیه السّلام:استعبدهم بذلک، و جعلهم شهودا علی خلقه،لیکون العباد لملازمتهم إیّاهم أشدّ علی طاعه اللّه مواظبه،و عن معصیته أشدّ انقباضا،و کم عبد یهمّ بمعصیته،فذکر مکانهم فارعوی و کفّ فیقول:ربّی یرانی،و حفظتی علیّ بذلک تشهد.و إنّ اللّه برأفته و لطفه أیضا و کلّهم بعباده یذبّون عنهم مرده الشیطان و هوامّ الأرض و آفات کثیره من حیث لا یرون بإذن اللّه إلی أن یجیء أمر اللّه تعالی (۱).

«و السّدنه» بفتح السین و الدّال،أی:الخزنه.

«لأبواب جنانه» و الظاهر سقوط کلمه(و نیرانه)بعد(جنانه)من الرواه، لیکون موافقا لقوله تعالی: «وَ سِیقَ الَّذِینَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَی الْجَنَّهِ زُمَراً حَتّی إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَیْکُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِینَ» (۲)،و قوله تعالی: «وَ سِیقَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِلی جَهَنَّمَ زُمَراً حَتّی إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ یَأْتِکُمْ رُسُلٌ مِنْکُمْ یَتْلُونَ عَلَیْکُمْ آیاتِ رَبِّکُمْ وَ یُنْذِرُونَکُمْ لِقاءَ یَوْمِکُمْ هذا قالُوا بَلی وَ لکِنْ حَقَّتْ کَلِمَهُ الْعَذابِ عَلَی الْکافِرِینَ » (۳).

«و منهم الثابته فی الأرضین السفلی أقدامهم» و فی نسخه من(ابن أبی الحدید):«فی الأرض السفلی أقدامهم» (۴)،و هو الأصح.

«و المارقه» أی:المتجاوزه.

«من السماء العلیا أعناقهم،و الخارجه من الأقطار» أی:أقطار

۱- ۱) الاحتجاج للطبرسی:۳۴۸. [۱]

۲- ۲) الزمر:۷۳. [۲]

۳- ۳) الزمر:۷۱. [۳]

۴- ۴) فی نسختنا من شرح ابن أبی الحدید ۳۰:۱«الأرضین»أیضا.

السماوات و الأرض.

«أركانهم» أی:جوانبهم و جوارحهم،روی الصدوق فی(توحیده)عن زید ابن وهب قال:سئل أمیر المؤمنین علیه السّلام عن قدره اللّه تعالی،فقام خطیبا فحمد اللّه و أثنی علیه،ثمّ قال:إنّ للّه تعالی ملائکه لو أنّ ملکا منهم هبط إلی الأرض ما وسعته لعظم خلقه و کثره أجنحته،و منهم من لو کلّفت الجنّ و الإنس أن یصفوه ما وصفوه لبعد ما بین مفاصله و حسن ترکیب صورته، و کیف یوصف من ملائکته من سبعمائه عام ما بین منکبیه و شحمه أذنیه، و منهم من یسدّ الأفق بجناح من أجنحته دون عظم بدنه،و منهم من السماوات إلی حجزته،و منهم من قدمه علی غیر قرار،فی جوّ الهواء الأسفل،و الأرضون إلی رکبتیه،و منهم من لو القی فی نقره إبهامه جمیع المیاه لوسعتها،و منهم من لو ألقیت السّفن فی دموع عینیه لجرت دهر الدّاهرین (۱).

و فی(تفسیر القمّی)عن الصادق علیه السّلام:إنّ للّه ملکا بعد ما بین شحمه أذنیه إلی عینیه مسیره خمسمائه عام خفقان الطیر (۲).

و قال علیه السّلام فی خبر المعراج:قال النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:ثمّ صعدنا إلی السماء السابعه-إلی أن قال-و ملکا من ملائکه اللّه خلقه کما أراد،رجلاه فی تخوم الأرضین السابعه،ثمّ أقبل مصعدا حتّی خرج فی الهواء إلی السماء السابعه، و انتهی فیها مصعدا حتّی استقرّ قرنه إلی قرب العرش،و هو یقول:سبحان ربی...و له جناحان فی منکبیه إذا نشرهما جاوزا المشرق و المغرب (۳).

«و المناسبه لقوائم العرش أکتافهم» حتّی تحتمل حملها،فی(اعتقادات

۱- ۱) التوحید للصدوق:۲۷۷ ح ۳. [۱]

۲- ۲) تفسیر القمی ۲:۲۰۶،و [۲]الکافی للکلینی ۸:۲۷۲،ح ۴۰۵،و [۳]التوحید للصدوق:۲۸۱ ح ۸.

۳- ۳) تفسیر القمی ۲:۱۰،و [۴]التوحید للصدوق:۲۷۹ ح ۴.

الصدوق):حمله العرش ثمانيه من الملائكه،لكلّ واحد منهم ثمانيه أعين،كلّ عين طباق الدّنيا،واحد منهم على صوره بنى آدم يسترزق اللّه تعالى لولد آدم، و واحد منهم على صوره الثور يسترزق اللّه تعالى للبهائم كلّها،و واحد منهم على صوره الأسد يسترزق اللّه تعالى للسّباع،و واحد منهم على صوره الدّيك يسترزق اللّه تعالى للطيور،فهم اليوم أربعه،فإذا كان يوم القيامه صاروا ثمانيه (۱).

و لكن قال شيخنا المفيد:الأحاديث التى رويت فى صفه الملائكه الحاملين للعرش أحاديث آحاد،و روايات أفراد لا يجوز القطع بها،و لا العمل عليها،و الوجه الوقوف عندها،و القطع على أنّ الأصل فى العرش هو الملك، و العرش المحمول جزء من الملك تعبّد اللّه،بحمله الملائكه (۲).

«ناكسه» أى:خافضه.

«دونه» تعالى.

«أبصارهم» فى دعاء الصحيفه فى الملائكه:«الخشّع الأبصار،فلا يرومون النّظر إليك،النّواكس الأذقان الّذين قد طالت رغبتهم فى ما لديك» (۳).

و قال ابن أبى الحديد:الضمير فى(دونه)راجع إلى العرش (۴).

قلت:قال ذلك لعدم إمكان النظر من أحد حتّى الملائكه إليه تعالى،لكن الظاهر رجوع الضمير إليه تعالى،و كون الكلام استعاره،مثل قوله تعالى:

«وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ» (۵).

۱- ۱) الاعتقادات للصدوق:۱۱،و [۱]مرّ تخريج أحاديثه فى العنوان ۲۹ من الفصل الأول.

۲- ۲) تصحيح الاعتقاد للمفيد:۳۱.

۳- ۳) الصحيفه السجاديه:۳۵،الدعاء ۳. [۲]

۴- ۴) شرح ابن أبى الحديد ۱:۳۰.

۵- ۵) القيامه:۲۲-۲۳. [۳]

«متلفّعون» أی:مشتملون،قال الشاعر:

لم تتلفّع بفضل مئزرها

(۱) «تحته بأجنحتهم» فلا یفارقون مراکزهم .

«مضروبه بینهم و بین من دونهم حجب العزّه و أستار القدره» هکذا فی النّسخ (۲)،و لا یبعد أن یکون وقع فی الکلام تحریف،و أنّ الأصل«مضروبه بینه و بینهم حجب العزّه و أستار القدره»کما لا یخفی.

و عن الصادق علیه السّلام:الشمس جزء من سبعین جزءا من نور الکرسی، و الکرسیّ جزء من سبعین جزءا من نور العرش،و العرش جزء من سبعین جزءا من نور الحجاب،و الحجاب جزء من سبعین جزءا من نور السّتر... (۳)

و روی القمی عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قال:قال جبرئیل:إنّ بین اللّه و بین خلقه سبعین ألف حجاب،و أقرب الخلق إلی اللّه أنا و إسرافیل و بیننا و بینه أربعه حجب.و فی الخبر العامی عن جبرئیل،قال:للّه دون العرش سبعون حجابا،لو دنونا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجهه (۴).

«لا یتوهّمون ربّهم بالتّصویر،و لا یجرون علیه صفات المصنوعین،و لا یحدّونه بالأماکن،و لا یشیرون إلیه بالنظائر» لکمال معرفتهم به تعالی، و انکشاف الحقائق علیهم،لا ککثیر من البشر الخابطین.

فی(ملل الشهرستانی):و أمّا المشبّهه الحشویه،فذکر الأشعری عن محمّد بن عیسی أنّه حکی عن نصر،و کهمش و أحمد الهجیمی أنّهم أجازوا علی ربّهم الملامسه و المصافحه،و أنّ المخلصین من المسلمین یعاینونه فی

۱- ۱) لسان العرب ۸:۳۲۱ [۱] ماده(لفع)و البیت لجریر،و ذیله:دعد و لم تغذ دعد بالعلب.

۲- ۲) کذا فی نهج البلاغه ۱:۲۰،و [۲]شرح ابن أبی الحدید ۱:۳۰،و شرح ابن میثم ۱:۱۳۲. [۳]

۳- ۳) التوحید للصدوق:۱۰۸،ح ۳.

۴- ۴) تفسیر القمی ۲:۱۰ [۴] ضمن حدیث طویل،و فی بعض نسخه:«تسعون ألف حجاب».

الـدّنيا و الآـخره إذا بلغوا من الريـاضه و الاجتهـاد إلى حـدّ الاخلاـص و الاتحـاد المحض.حكى الكعـبى عن بعضـهم يزورونه و يزورهم،و حكى عن داود الخوارزميّ قـال:اعفونى عن الفرج و اللّحيه و اسألونى عمّا وراء ذلك.و قال:إنّ معبودهم جسم و لحم و دم،و لـه جـوارح و أعضـاء مـن يـد و رجـل و رأس و لسـان و عينين و أذنين.قـال:و حكى أنّه قـال:هـو أجـوف من أعلاـه إلى صدره،مصـمت ما سوى ذلك،و أنّ له و فره سوداء،و له شعر قطط...و زادوا فى الأخبار أكاذيب نسبوها إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و أكثرها مقتبسه من اليهود،فإنّ التشبيه فيهم طباع،حتّى قالوا:اشـتكت عيناه فعادته الملائكه،و بكى على طوفان نوح حتّى رمدت عيناه،و أنّ العرش ليئطّ من تحته كأطيط الرّحل الجديد،و أنّه ليفضل من كلّ جانب أربعه أصابع.و روى المشبّهه أنّ النبى صلّى اللّه عليه و آله قال:لقينى ربّى فصافحنى و كافحنى،و وضع يده بين كتفى حتّى وجدت برد أنامله (۱).

إلى آخر ما نقل عنهم من الترّهات.تعالى اللّه عمّا يقولون علوّا كبيرا.

۲

من الخطبه(۸۹)

منها

فى صفه الملائكه:

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ- وَ عِمَارَهِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ- خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلَائِكَتِهِ- وَ مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا وَ حَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا- وَ بَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ- مِنْهُمْ فِى حَظَائِرِ الْقُدُسِ- وَ سُتُرَاتِ الْحُجُبِ وَ سُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ- وَ وَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ الَّذِى تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ- سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا- فَتَقِفُ خَاسِئَهً عَلَى حُدُودِهَا-.

۱- ۱) الملل و النحل ۱:۹۶. [۱]

أَنْشَأَهُمْ عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ وَ أَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ- «أُولِي أَجْنِحَةٍ» تُسَبِّحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ- لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صَنْعَتِهِ- وَ لَا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مَعَهُ مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ- «بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» (1)- جَعَلَهُمُ اللَّهُ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ- وَ حَمَّلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَ نَهْيِهِ- وَ عَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ- فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ- وَ أَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ- وَ أَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ- وَ فَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلًا إِلَى تَمَاجِيدِهِ- وَ نَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ- لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُؤْصِرَاتُ الْآثَامِ- وَ لَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي وَ الْأَيَّامِ- وَ لَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ- وَ لَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ- وَ لَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الْإِحَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ- وَ لَا سَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ- وَ مَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ- وَ لَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْبِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ- مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّحِ- وَ فِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ وَ فِي قَتْرَةِ الظَّلَامِ الْأَيْهَمِ- وَ مِنْهُمْ مَنْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى- فَهِيَ كَرَايَاتِ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ- وَ تَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ- تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ- قَدِ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ- وَ وَصَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَعْرِفَتِهِ- وَ قَطَعَهُمُ الْإِيقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَهِ إِلَيْهِ- وَ لَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ- قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ- وَ شَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ- وَ تَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشِيجَةُ

۱- ۱) الأنبياء:۲۶-۲۷. [۱]

خِيفَتِهِ- فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَهِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ- وَ لَمْ يُنْقِدْ طُولُ الرَّغْبَهِ إِلَيْهِ مَادَّهَ تَضَرُّعِهِمْ- وَ لاَ أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَهِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ- وَ لَمْ يَتَوَلَّهُمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ- وَ لاَ تَرَكَتْ لَهُمُ اسْتِكَانَهُ الْإِجْلاَلِ- نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ- وَ لَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُءُوبِهِمْ- وَ لَمْ تَغِضْ رَغَبَاتُهُمْ فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ- وَ لَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاهِ أَسَلاَتُ أَلْسِنَتِهِمْ- وَ لاَ مَلَكَتْهُمُ الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ الْجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ- وَ لَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَهِ مَنَاكِبُهُمْ- وَ لَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَهِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابُهُمْ-.وَ لاَ تَعْدُو عَلَى عَزِيمَهِ جِدِّهِمْ بَلاَدَهُ الْغَفَلاَتِ- وَ لاَ تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ- قَدِ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَهً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ- وَ يَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ- لاَ يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَهِ عِبَادَتِهِ- وَ لاَ يَرْجِعُ بِهِمُ الِاسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ- إِلاَّ إِلَى مَوَادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَهٍ مِنْ رَجَائِهِ وَ مَخَافَتِهِ- لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَهِ مِنْهُمْ فَيَنُوا فِي جِدِّهِمْ- وَ لَمْ تَأْسِرْهُمُ الْأَطْمَاعُ- فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ- وَ لَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ- وَ لَوِ اسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَجَلِهِمْ- وَ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ- وَ لَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ وَ لاَ تَوَلاَّهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ- وَ لاَ شَعَبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيَبِ- وَ لاَ اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ- فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَ لاَ عُدُولٌ- وَ لاَ وَنًى وَ لاَ فُتُورٌ- وَ لَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ إِلاَّ وَ عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ- أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَهِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً- وَ تَزْدَادُ عِزَّهُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً أقول:رواه أئمّه غريب اللّغه كما يظهر من نقل بعض فقراته

فی(النهایه) (۱).

«ثمّ خلق» اللّه.

«سبحانه لإسکان سماواته» کإسکان أرضه .

«و عماره» مصدر عمرت الخراب.

«الصفیح» أی:الجانب.

«الأعلی» أی:السماء،و قال الجزریّ:الصفیح من أسماء السماء،و منه حدیث علیّ علیه السّلام «و عماره الصّفیح الأعلی من ملکوته» (۲).

«من ملکوته» فی(الصحاح):الملکوت من الملک کالرهبوت من الرّهبه، یقال له:ملکوت العراق،و ملکوه العراق أیضا مثال الترقوه،و هو الملک و العزّ (۳).

«خلقا بدیعا من ملائکته ملأ بهم فروج» أی:شقوق.

«فجاجها» أی:طرقها الواسعه .

«و حشا بهم» أی:جعلهم فی حشو.

«فتوق» أی:شقوق.

«أجوائها» أی:متّسعها،فی خبر ابن أبی العوجاء مع الصادق علیه السّلام أنّه علیه السّلام قال له فی مقام إقناعه:لو کان الأمر کما تقولون لم یضرّ بالمتدیّنین، و إن کان کما یقولون فأنتم هالکون.فقال له ابن أبی العوجاء:ما قولی و قولهم إلّا واحدا.فقال علیه السّلام له:کیف یکون کذلک و هم یقولون:إنّ لهم معادا و ثوابا و عقابا،و یدینون بأنّ فی السماء إلها و أنّها عمران،و أنتم تزعمون أنّ السماء خراب لیس فیها أحد (۴)؟

۱- ۱) النهایه لابن الأثیر ۳:۳۵ [۱] ماده(صفح).

۲- ۲) النهایه لابن الأثیر ۳:۳۵ [۲] ماده(صفح).

۳- ۳) صحاح اللغه ۴:۱۶۱۰ [۳] ماده(ملک).

۴- ۴) الکافی للکلینی ۱:۷۴ ح ۲،و [۴]التوحید للصدوق:۱۲۵ ح ۴ [۵] ضمن حدیث طویل و النقل بالمعنی.

«و بين فجوات» أى:ساحات.

«تلك الفروج» أى:الشقوق المتقدّمه فى قوله عليه السّلام: «فروج فجاجها» .

«زجل» بفتحتين،أى:صوت.

«المسبّحين منهم فى حظائر القدس» و الأصل فى الحظر المنع،و سمّيت السماوات التى هى محالّ الملائكه حظائر القدس،لأنّ الشياطين-و هم أهل الرجس-ممنوعون منها .

«و سترات الحجب و سرادقات المجد» يمكن أن يكون(السترات) و(السرادقات)استعاره كما فى قول رؤبه:

يا حكم بن المنذر بن الجارود سرادق المجد عليك ممدود

(۱)و يمكن أن تكونا حقيقه،ففى خبر زيد بن وهب عنه عليه السّلام:الحجب سبعه، غلظ كلّ حجاب مسيره خمسمائه عام...ثمّ سرادقات الجلال،و هى سبعون سرادقا،فى كلّ سرادق سبعون ألف ملك،بين كلّ سرادق و سرادق مسيره خمسمائه عام (۲).

«و وراء ذلك الرّجيج» الأصل فى الرّجيج الحركه الشديده،كقوله تعالى:

«إِذا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا» (۳).و لازم الحركه الشديده تولد صوت،كقوله عليه السّلام فى ذى الثديه:«و أمّا شيطان الرّدهه فقد كفيته بصعقه سمعت لها وجبه قلبه و رجّه صدره» (۴).ثمّ الإشاره إلى الرّجيج فى قوله: «ذلك الرّجيج» مع عدم لفظه إنّما هو لتقدّمه بمعناه فى قوله: «زجل المسبّحين منهم » .

«الذى تستكّ منه الأسماع» أى:تذهب منه السامعه،قال عبيد بن الأبرص:

۱- ۱) لسان العرب ۱۰:۱۵۸ [۱] ماده(سردق).

۲- ۲) التوحيد ۲۷۷ ح ۳،و الخصال للصدوق:۴۰۰ ح ۱۰۹،باب السبعه.

۳- ۳) الواقعه:۴. [۲]

۴- ۴) رواه الشريف الرضى ضمن الخطبه القاصعه فى نهج البلاغه ۲:۱۵۶،الخطبه ۱۹۰.

دعا معاشر فاستكّت مسامعهم (۱)و الأصل فی السكّ اصطلام الأذن و قطعها،و فی الخبر مرّ صلّی اللّه علیه و آله بجدی أسكّ (۲).

«سبحات نور» أی:تجلّیاته و لمعاته.

«تردع» أی:تكفّ.

«الأبصار عن بلوغها» و المراد استكاك أسماع البشر،و ردع أبصارهم لو فرض بلوغهم إلی ذلك المحلّ،و یمكن أن یقرأ(الرّجیج)بالرّفع مبتدأ لقوله:

(وراء)،و یكون(سبحات)مصحّف(و سبحات)عطفا علی(الرّجیج)،و حینئذ فالمراد:استكاك أسماع الملائكه و ردع أبصارهم،و یشهد له ما فی(النهایه)أنّ فی الخبر:قال جبرئیل:للّه دون العرش سبعون حجابا لو دنونا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجه ربّنا (۳).

«فتقف» أی:الأبصار.

«خاسئه» أی:كلیله.

«علی حدودها» و لا تتجاوز .

«أنشأهم علی صور مختلفات،و أقدار متفاوتات» مرّ فی سابقه (۴)قوله علیه السّلام:

«و منهم الثابته فی الأرضین السّفلی أقدامهم،و المارقه من السماء العلیا أعناقهم،و الخارجه من الأقطار أركانهم،و المناسبه لقوائم العرش أكتافهم.

و مرّت ثمّه أخبار فی ذلك.

۱- ۱) لسان العرب ۱۰:۴۴۰ [۱] ماده(سككك).و ذیله:یا لهف نفسیّ لو یدعو بنی أسد.

۲- ۲) صحیح مسلم ۴:۲۲۷۲ ح ۲،و مسند أحمد ۳:۳۶۵،و الكافی للكلینی ۲:۱۲۹ ح ۹،و الزهد الأهوازی:۴۹ عن جابر.

۳- ۳) رواه الكیذری فی شرحه ۲:۵۲۶،و أبو الشیخ و ابن مردویه عنهما الدرّ المنثور ۱:۹۳. [۲]

۴- ۴) مرّ فی هذا الفصل العنوان ۱.

«أولی أجنحه» قال تعالی: «جاعِلِ الْمَلائِکَهِ رُسُلاً أُولِی أَجْنِحَهٍ مَثْنی وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ یَزِیدُ فِی الْخَلْقِ ما یَشاءُ إِنَّ اللّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ » (۱).

«تسبّح جلال عزّته» قال تعالی: «فَإِنِ اسْتَکْبَرُوا فَالَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ یُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ هُمْ لا یَسْأَمُونَ» (۲).و إسناد التسبیح إلی جلال عزّته للمبالغه،کقوله تعالی: «أَکْرِمِی مَثْواهُ» (۳).و أمّا(تسبّح)بلفظ الإفراد فالظاهر کونه صفه(أجنحه)فإن لم یکن(تسبّح)مصحّف(یسبّحون) یدلّ الکلام علی تسبیح أجنحه الملائکه له تعالی أیضا،و ورد تسبیح أجنحتهم،و باقی أعضائهم له تعالی.

ففی خبر عن جمیل عن الصادق علیه السّلام:إنّ فی السّماوات السّبع لبحارا عمق أحدها مسیره خمسمائه عام،فیها ملائکه قیام منذ خلقهم اللّه تعالی، و الماء إلی رکبهم،لیس فیهم ملک إلاّ و له ألف و أربعمائه جناح،فی کلّ جناح أربعه وجوه،فی کلّ وجه أربعه ألسن،لیس فیها جناح و لا وجه و لا لسان و لا فم إلاّ و هو یسبّح اللّه تعالی بتسبیح لا یشبه نوع منه صاحبه (۴).

و فی خبر عن ابن عبّاس عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله:إن للّه تعالی ملائکه لیس شیء من أطباق أجسادهم إلاّ و هو یسبّح اللّه تعالی و یحمده من ناحیه بأصوات مختلفه (۵).

«لا ینتحلون» أی:لا یدّعون لأنفسهم.

«ما ظهر فی الخلق من صنعته» هکذا فی(المصریه)و الصواب:(من

۱- ۱) فاطر:۱. [۱]

۲- ۲) فصّلت:۳۸. [۲]

۳- ۳) یوسف:۲۱. [۳]

۴- ۴) التوحید للصدوق:۲۸۱ ح ۹.

۵- ۵) التوحید للصدوق:۲۸۰ ح ۶.

صنعه)كما فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (۱)، «وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَهِ أَ هؤُلاءِ إِيّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ » (۲).

«و لاـ يـدّعون أنّهم يخلقون شـيئا ممّـا انفرد به» هكـذا فى(المصـريه)، و الصواب:(شـيئا معه ممّـا انفرد به)كما فى الثلاثه (۳)،قال تعالى حكايه عنهم:

«وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلاّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَ ما خَلْفَنا وَ ما بَيْنَ ذلِكَ وَ ما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا » (۴).

« «بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» » اقتباس من الآيه فى سوره الأنبياء و قبلها «وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ» (۵)، و بعدها «يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ لا يَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضى وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ » (۶).

«جعلهم فى ما هنالك أهل الأمانه على وحيه» فلا يمكن خيانتهم فيه «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ » (۷).

«و حمّلهم» بلفظ المصدر عطفا على(وحيه).

«إلى المرسلين ودائع أمره و نهيه» لاـ كمـا يقول الغلاـه من أنّ اللّه تعالى أرسل جبرئيل إلى علىّ عليه السّـلام فـذهب إلى محمّد صلّى اللّه عليه و آله.

۱- ۱) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۴۸،و [۱]لكن فى شرح ابن ميثم ۲:۳۵۱« [۲]صنعته»أيضا.

۲- ۲) سبأ:۴۰-۴۱. [۳]

۳- ۳) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۴۸،و لكن فى شرح ابن ميثم ۲:۳۵۱« [۴]شيئا ممّا»أيضا.

۴- ۴) مريم:۶۴. [۵]

۵- ۵) الأنبياء:۲۶. [۶]

۶- ۶) الأنبياء:۲۸. [۷]

۷- ۷) الشعراء:۱۹۳. [۸]

«و عصمهم» أی:حفظهم.

«من ریب» أی:شک.

«الشّبهات» أی:ریب یعرض من الشّبهات،قال شیخنا المفید:إنّ الملائکه معصومون ممّا یوجب لهم العقاب بالنّار،و علی هذا القول جمهور الإمامیه، و سائر المعتزله،و أکثر المرجئه،و جماعه من أصحاب الحدیث،و قد أنکر قوم من الإمامیه أن یکون الملائکه مکلّفین،و زعموا أنّهم إلی الأعمال مضطرّون، و وافقهم علی ذلک جماعه من أصحاب الحدیث (۱).

قلت:فیکون حال الملائکه عند أولئک حال الشمس و القمر و النجوم فی طلوعها و غروبها حیث سخّرت علی ذلک،و یردّهم قوله تعالی: «لا یَعْصُونَ اللّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ یَفْعَلُونَ ما یُؤْمَرُونَ» (۲)،و قوله تعالی: «یَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ یَفْعَلُونَ ما یُؤْمَرُونَ» (۳)،و قوله تعالی: «بَلْ عِبادٌ مُکْرَمُونَ لا یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ» (۴)الآیه المذکوره فی کلامه علیه السّلام، و یردّهم قوله علیه السّلام فی العنوان:«لا ینتحلون ما ظهر فی الخلق من صنعه...

فتقترع برینها علی فکرهم»،و قوله علیه السّلام:«قد استفرغتهم...فی قلوبهم عظما».

و أیّ شیء یقولون فی قوله تعالی: «وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَهِ إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها» ... «فَلَمّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ إِنِّی أَعْلَمُ غَیْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما کُنْتُمْ تَکْتُمُونَ» (۵)،و أیّ شیء یقولون فی قوله تعالی: «وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَهِ اسْجُدُوا»

۱- ۱) أوائل المقالات للمفید:۸۲. [۱]

۲- ۲) التحریم:۶. [۲]

۳- ۳) النحل:۵۰. [۳]

۴- ۴) الأنبیاء:۲۶-۲۷. [۴]

۵- ۵) البقره:۳۰-۳۳. [۵]

«لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ » (۱).

«فما منهم زائغ» أی:مائل.

«عن سبیل مرضاته» تعالی .

«و أمدّهم بفوائد المعونه» هکذا فی النسخ (۲)،و الصواب:(بعوائد المعونه)،أی:أمدّهم بالإعانه بدءا و عودا،و أمّا(فوائد)بالفاء فلا معنی له هنا.

قال الخوئی:قال الفیّومیّ:معونه مفعله،و جعله بعضهم فعوله من الماعون (۳).

قلت:إنّ ما قاله خلط،فلا خلاف فی أنّ(المعونه)من(العون)،و إنّما الخلاف فی(الماعون)،هل هو من المعن أو العون .

«و أشعر قلوبهم» أی:جعل کالشّعار لها.

«تواضع إخبات» مصدر أخبت،أی:خشع.

«السّکینه» أی:السکون و الطمأنینه و الوقار،قال تعالی: «وَ یُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلائِکَهُ مِنْ خِیفَتِهِ» (۴).

و فی حدیث المعراج:إنّ الملک منهم إلی جنب صاحبه ما کلّمه قطّ،و لا رفعوا رؤوسهم إلی ما فوقها،و لا خفضوها إلی ما تحتها خوفا من اللّه و خشوعا (۵).

«و فتح لهم أبوابا ذللا» أی:بلا صعوبه.

«إلی تماجیده» أی:تسابیحه جمع التّمجید،قال تعالی: «یُسَبِّحُونَ اللَّیْلَ»

۱- ۱) البقره:۳۴. [۱]

۲- ۲) کذا فی نهج البلاغه ۱:۱۶۹،و شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۴۸،و شرح ابن میثم ۲:۳۵۱.

۳- ۳) قاله الخوئی فی شرحه ۳:۱۰۴،و الفیومی فی المصباح المنیر ۲:۱۰۴ [۲] ماده(عون).و النقل بالمعنی.

۴- ۴) الرعد:۱۳. [۳]

۵- ۵) تفسیر القمی ۲:۷. [۴]

«وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ » (۱).

«و نصب لهم منارا واضحه» مرّ فی خطبه الکتاب (۲)کون(منار)جمعا، و لذا وصف بالواضحه.

«علی أعلام» متعلّق بقوله:و نصب،و الأعلام الجبال،و هو أحسن استعاره،کما فی قول الخنساء فی أخیها صخر:

و إنّ صخرا لتأتمّ الهداه به کأنّه علم فی رأسه نار

(۳) «توحیده» فلا یمکن أن یتطرّق إلیهم شکّ .

«لم تثقّلهم» بالتشدید:أی:لم تجعلهم ثقلاء الحمل.

«موصرات» أی:مضیّقات.

«الآثام» ککثیر من الناس،قال تعالی: «وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ وَ لَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيامَهِ عَمّا كانُوا يَفْتَرُونَ » (۴).

«و لم ترتحلهم» هکذا فی النسخ (۵)،و الظاهر کونه تصحیف(و لم ترحّلهم).

«عقب» أی:تعاقب.

«اللیالی و الأیّام» الحاصلتین من طلوع الشمس و غروبها،أی:لم یحملهم تعاقب اللیالی و الأیّام علی الرّحله کالنّاس،قال الشاعر:

أفناه قیل اللّه للشّمس ارجعی حتّی إذا و اراک أفق فارجعی

و لیس المعنی أن تعاقبهما لم یجعلهم راحله له،کما فی خبر:إنّ ابنی

۱- ۱) الأنبیاء:۲۰. [۱]

۲- ۲) مرّ فی شرح خطبه الرضی رحمه اللّه.

۳- ۳) المطول:۲۹۳،باب الایجاز. [۲]

۴- ۴) العنکبوت:۱۳. [۳]

۵- ۵) کذا فی نهج البلاغه ۱:۱۶۹،و [۴]شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۴۸،و [۵]شرح ابن میثم ۲:۳۵۲. [۶]

ارتحلنی (۱)...فلا معنی له هنا .

«و لم ترم» من الرّمی.

«الشّکوک بنوازعها» من:نزع فی القوس،أی:مدّها،و نسخه(بنوازغها) من(نزغ الشیطان)،کما حکاها الخوئی (۲)بلا مناسبه مع(لم ترم)من الرّمی.

نعم،إن قرئ(و لم ترم)بکسر الرّاء من(رام)أی:قصد یکون له ربط،لکنّه خلاف الظاهر حیث إنّ بعده(و لم تعترک).

«عزیمه أیمانهم» أی:أیمانهم الثابت الّذی لا یتزایل،بمعنی:أنّ الشکوک و إن کانت ذات روام نوازع لم تستطع أن تجعل ایمانهم هدفا لها .

«و لم تعترک» أی:و لم تقاتل،و الأصل فی العرک الدّلک،و فی القتال یدلک کلّ من القرنین الآخر.

«الظنون علی معاقد یقینهم» فتسلّط علی حلّه من قلوبهم،و المراد أنّ الملائکه لم یحصل لهم ظنون مخالفه لیقیناتهم فی المعارف الالهیه کما قد یتفق للبشر،و ذکر الظّنون بعد الشکوک کالاعتراک بعد الرّمی فی غایه الحسن .

«و لا قدحت قادحه» و القادحه:الدوده التی تقع فی الأشجار و الأسنان، قال جمیل:

۱- ۱) الأصل انّه صلّی اللّه علیه و آله سجد فرکبه الحسن علیه السّلام فأبطأ فی سجوده،فلما فرغ سئل عنه فقال:«إنّ ابنی ارتحلنی فکرهت أن أعجله»أخرجه النسائی فی سننه ۲:۲۲۹،و أحمد فی مسنده ۳:۴۹۳،و ۶:۴۶۷،و ابن عساکر بثلاث طرق فی ترجمه الحسن علیه السّلام:۹۱ ح ۱۵۴-۱۵۶،و بطریقین فی ترجمه الحسین علیه السّلام:۱۰۵ ح ۱۴۲ و ۱۴۳،و أبو یعلی فی مسنده عنه المطالب العالیه ۴:۷۲ ح ۳۹۹۸،و الطبری فی منتخب الذیل:۶۳،و البغوی و الطبرانی و سعید بن منصور عنهم منتخب کنز العمال ۵:۱۰۲.

۲- ۲) شرح الخوئی ۳:۱۰۴.

رمی اللّه فی عینی بثینه بالقذی و فی الغرّ من أنیابها بالقوادح

(۱) «الإحن» جمع الإحنه،أی:الحقد و الضغن.قال الشاعر:

إذا کان فی صدر ابن عمّک إحنه فلا تستثرها سوف یبدو دفینها

(۲) «فی ما بینهم» ککثیر من الناس .

«و لا سلبتهم الحیره» أی:التحیّر و عدم الاهتداء.

«ما لاق» أی:لصق،یقال:ما لاقت المرأه بقلب زوجها،أی:ما لصقت.

«من معرفته» أی:المعرفه له تعالی.

«بضمائرهم» متعلّق بقوله:لاق .

«و ما سکن» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(و سکن)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطّیه) (۳)عطفا علی لاق.

«من عظمته و هیبه جلالته فی أثناء» جمع ثنی.

«صدورهم» لا کبعض النّاس الّذین یسلب عنهم أیمانهم،کما حکی تعالی عن بعضهم: «وَ اتْلُ عَلَیْهِمْ نَبَأَ الَّذِی آتَیْناهُ آیاتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّیْطانُ فَکانَ مِنَ الْغاوِینَ » (۴).

«و لم تطمع فیهم الوساوس فتقترع» قال ابن أبی الحدید:تقترع من الاقتراع بالسّهام بأن یتناوب کلّ من الوساوس علیها،و یروی(فتفترع)بالفاء أی:

تعلو (۵).

قلت:معنی الافتعال من(قرع)بالقاف الاختیار،و ایقاد النّار و ضرب

۱- ۱) لسان العرب ۲:۵۵۵ [۱] ماده(قدح).

۲- ۲) لسان العرب ۱۳:۹ [۲] ماده(إحن)،و الشاعر:الاقیبل القینی.

۳- ۳) فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۴۹،و [۳]شرح ابن میثم ۲:۳۵۲«و [۴]ما سکن»أیضا.

۴- ۴) الأعراف:۱۷۵. [۵]

۵- ۵) شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۵۱. [۶]

القرعه،و من(فرع)بالفاء الافتضاض من(افترع البكر)و لم يتعدّ أحدهما بعلى، و الظاهر كون الكلمه تحريف(فتفرغ)من قوله تعالى: «رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً» (۱).

«بريبها» من(الريبه)،و قرئ(برينها) (۲)من «رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ» (۳)، و الأوّل أقرب إلى الوساوس.

«على فكرهم» فيكون المعنى:لو كانت الوساوس تطمع فيهم،يمكن أن تفرغ ارتياباتها على فكرهم كالبشر،لكنّهم ليسوا كذلك .

«منهم» الظاهر وقوع تقديم و تأخير،و أنّ قوله هذا إلى«من الحدود المتناهيه»كان بعد قوله المتقدّم:«و أقدار متفاوتات»،و قوله: «قد استفرغتهم» بعد «المتناهيه» إلى آخر العنوان كان بعد قوله: «على فكرهم» ليكون كلامه عليه السّلام فى وصف خلقتهم فى موضع،و فى وصف عبادتهم و طاعتهم فى موضع،و لا يكون الكلام مختلّا مختلطا.

«من هو فى خلق الغمام» أى:السّحاب،أى:خلقه كخلق الغمام.

«الدّلح» جمع الدّالح أى:الماشى بحمل ثقيل،يقال:دلح الرّجل و دلح البعير إذا مشيا بحملهما غير منبسطى الخطو لثقله عليهما.ثمّ وصف(الغمام) و هو مفرد(بالدّلح)و هو جمع من باب قولهم:بلد أخصاب و بلد سباسب و رمح اقصاد و برمه أعشار و ثوب أسمال و ثوب أخلاق من وصف المفرد بالجمع لإراده الأجزاء منه.

هذا،و قلنا إنّ قوله عليه السّلام: «فى خلق الغمام الدّلح» معناه أنّ خلقته كخلقته،

۱- ۱) الأعراف:۱۲۶. [۱]

۲- ۲) هذه روايه ابن أبى الحديد فى شرحه ۲:۱۴۹،و ابن ميثم فى شرحه ۲:۳۵۲،و نهج البلاغه ۱:۱۷۰،و الشارح نفسه فى متن الخطبه.

۳- ۳) المطففين:۱۴. [۲]

لقوله بعد: «و منهم من خرقت أقدامهم» ،و لأنّ(النهايه)نقله«و منهم كالسحائب الدّلح» (۱).و يمكن أن يراد به أنّ منهم من عمله صنع السّحاب الدّلح،و كذلك القول فى قوله عليه السّلام بعد: «و فى عظم الجبال الشمّخ،و فى قتره الظّلام الأيهم» على ما يأتى (۲).

و يشهد للحمل هنا ما فى دعاء الصحيفه-فى الصلاه على حمله العرش و كلّ ملك مقرّب-:«و خزّان المطر و زواجر السّحاب،و الّذى بصوت زجره يسمع زجل الرعود،و إذا سبحت به خفيفه السحاب التمعت صواعق البروق، و مشيّعى الثّلج و البرد و الهابطين مع قطر المطر إذا نزل» (۳).و عليه،فالكلام فى موضعه بدون تقديم و تأخير «و منهم من خرقت أقدامهم...من الحدود المتناهيه» و إن أمكن أيضا ربطه بتكلّف أكثر .

«و فى عظم الجبال الشمّخ» أى:الرّفيعه،ظاهره أن يكون خلقه فى عظم الجبال،و يمكن أن يراد به أنّهم مقيمون فى تلك الجبال موكّلون بها،و فى دعاء الصحيفه المتقدّم«و القوّام على خزائن الرياح و الموكّلين بالجبال فلا تزول » (۴).

«و فى قتره» أى:غبره.

«الظلام الأيهم» و الأصل فى(يهم)ما لا علاج له،و لذا قيل للفلاه التى لا يهتدى فيها:يهماء،و للبرّ الذى لا يهتدى فيه:أيهم،و المراد ظلام لا يهتدى فيه من شدّته.و(الأبهم)فى(المصريه)غلط،ففى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم

۱- ۱) النهايه لابن الأثير ۲:۱۲۹ [۱] ماده(دلح).

۲- ۲) يأتى فى تكمله هذا العنوان.

۳- ۳) الصحيفه السجاديه:۳۶ الدعاء ۳. [۲]

۴- ۴) المصدر نفسه.

و الخطيه) (۱)بالمثناه،و الكلام فيه كسابقه.

و فى الخبر:أنّ ذا القرنين لمّا انتهى إلى السدّ جاوزه فدخل فى الظّلمات فإذا هو بملك قائم على جبل طوله خمسمائه ذراع...فقال له ذو القرنين:من أنت؟قال:أنا ملك من ملائكه الرحمن موكّل بهذا الجبل،و ليس من جبل خلقه اللّه تعالى إلّا و له عرق متصل بهذا الجبل ... (۲)

«و منهم من خرقت أقدامهم» قال فى سابقه:«منهم من هو»حملا على لفظ (من)و هنا قال:«أقدامهم»حملا على معناها.

«تخوم» أى:منتهى.

«الأرض السّفلى» من الأرضين السّبع .

«فهى» أى:فأقدامهم.

«كرايات بيض قد نفذت» أى:جاوزت.

«فى مخارق الهواء» التى لا تمنع الأشياء من النفوذ فيها .

«و تحتها» أى:تحت تلك الأقدام.

«ريح هفّافه» أى:سريعه المرور فى هبوبها،كما ذكره الجزرىّ فى معنى السّكينه (۳).

«تحبسها» أى:تحبس الرّيح أقدامهم.

«على حيث انتهت» تلك الأقدام.

«من الحدود المتناهيه» فى الأرض و الهواء،و يمكن ربطه من قوله:

۱- ۱) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۴۹،و لكن فى شرح ابن ميثم ۲:۳۵۲«الأبهم»أيضا.

۲- ۲) الفقيه للصدوق ۱:۳۴۲ ح ۶،و علل الشرائع:۵۵۴ ح ۲،و [۱]أماليه:۳۷۵ ح ۲،المجلس ۷۱،و [۲]تفسير العياشى ۲:۳۵۰ ح ۸۲ و [۳]التهذيب للطوسى ۳:۲۹۰ ح ۱.

۳- ۳) النهايه لابن الأثير ۲:۳۸۶ [۴] ماده(سكن):«و منه حديث على عليه السّلام و بناء الكعبه فأرسل اللّه إليه السكينه و هى ريح خجوج أى سريعه الممر».

«و منهم» إلى هنا،بأنّ عملهم حفظ الأرض من التّلاشى،لكن لا يناسب قوله بعد .

«قد استفرغتهم أشغال» بالفتح،جمع(شغل).

«عبادته» و لو كان(إشغال)بالكسر لكان تأنيث الفعل لكسب التأنيث من (عبادته).

«و وصلت» هكذا فى(المصريه و ابن أبى الحديد) (۱)،و لكن فى(ابن ميثم و الخطيه) (۲):«و وسلت».

«حقائق الإيمان بينهم و بين معرفته» قال شيخنا المفيد فى(مقالاته):إنّ الملائكه مكلّفون و موعودون (۳).قال تعالى: «وَ مَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّى إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجْزِى الظّالِمِينَ » (۴).

«و قطعهم الإيقان به» عن كلّ شىء.

«إلى الوله إليه» تعالى،و فى مناجاه شعبان عنهم عليهم السّلام:«إلهى و ألهمنى ولها بذكرك إلى ذكرك و همّنى إلى روح نجاح أسمائك و محلّ قدسك » (۵).

«و لم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره» و فى ذاك الدّعاء:«إلهى و ألحقنى بنور عزّك الأبهج فأكون لك عارفا،و عن سواك منحرفا،و منك خائفا مراقبا» (۶).

۱- ۱) شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۴۹.

۲- ۲) فى شرح ابن ميثم ۲:۳۵۲« [۱]وصلت»أيضا.

۳- ۳) أوائل المقالات:۸۲. [۲]

۴- ۴) الأنبياء:۲۹. [۳]

۵- ۵) بحار الأنوار للمجلسى ۹۴:۹۹ [۴] عن الكتاب العتيق الغروى،لكن لفظه«و أتحفنى بنور عزّك»،و أما لفظ«و ألحقنى» فللقمى فى مفاتيح الجنان:۳۷۴. [۵]

۶- ۶) المصدر نفسه. [۶]

«قد ذاقوا حلاوه معرفته و شربوا بالكأس» قال ابن الاعرابى:لا تسمّى الكأس كأسا إلّا و فيها الشّراب (۱).

«الرويه» أى:الرافعه للعطش و تأنيث(الرويه)لكون(الكأس)مؤنّثا.

«من محبّته» و فى المناجاه الخامسه عشره:«ما أطيب طعم حبّك،و ما أعذب شرب قربك » (۲).

«و تمكّنت من سويداء» أى:حبّه .

«قلوبهم وشيجه» أى:اشتباك عروق.

«خيفته،فحنوا» أى:عوّجوا.

«بطول» و الباء فيه للسببيّه.

«الطاعه» أى:العباده.

«اعتدال ظهورهم» و المراد ركوعهم .

«و لم ينفد» أى:لم يفن.

«طول الرغبه إليه مادّه تضرّعهم» فهم متضرّعون إليه دائما .

«و لا أطلق عنهم عظيم الزّلفه» أى:التقرّب لديه تعالى.

«ربق» بالكسر فالفتح:جمع ربقه حبل فيه عدّه عرى يشدّ به البهائم.

«خشوعهم» فهم أبدا فى حبالته .

«و لم يتولّهم الإعجاب» بأعمالهم.

«فيستكثروا ما سلف منهم» و أمّا ما روى فى(عقاب الأعمال)عن ابن خالد الصيقل عن الباقر عليه السّلام:«إنّ اللّه عزّ و جلّ فوّض الأمر إلى ملك من الملائكه، فخلق سبع سماوات و سبع أرضين و أشياء،فلمّا رأى الأشياء قد انقادت له

۱- ۱) نقله عن لسان العرب ۶:۱۸۹ [۱] ماده(كأس).

۲- ۲) بحار الأنوار للمجلسى ۹۴:۱۵۱،و [۲]ملحقات الصحيفه السجاديه:۳۶۳ عن السجاد عليه السّلام.

قال:من مثلی؟فأرسل اللّه عزّ و جلّ نویره من نار؟قلت:و ما نویره من نار؟ قال:نار بمثل أنمله.قال:فاستقبلها بجمیع ما خلق فتحلّلت لذلک حتّی وصلت إلیه لما أن دخله العجب» (۱)فهو خبر واحد .

«و لا ترکت لهم استکانه» أی:مسکنه و فعلها استکان،ففی(القاموس)فی سکن و استکان:خضع و ذلّ،افتعل من المسکنه أشبعت حرکه عینه (۲).لکنّه قال فی(کان)أیضا:و الاستکانه و الخضوع (۳).

قلت:الظاهر کون قوله الثانی وهما،فإذا کانت(الاستکانه)من(الکون) یکون بمعنی طلب الکون،أی:الوجود و الرفعه،و هو ضدّ المراد،و إنّما الصواب قوله الأوّل،و لمّا أشبع(استکن)و صار استکان،صار المصدر-و هو استکان کاجتماع-استکانه،و الأصل فی قوله الثانی(الصحاح)،فإنّه اقتصر علی ذکره فی الکون (۴)،و جعله أبو علیّ الفارسی،کما فی(اللّسان)استفعالا من الکین،الّذی هو لحم باطن الفرج،قال:لأنّ الخاضع الذلیل خفی،فشبّهه بذلک لأنّه أخفی ما یکون من الإنسان (۵).

قلت:لا یبعد أن یکون استفعالا من الکین،لکن ما قاله الفارسی فی تشبیهه بلحم باطن الفرج فی الخفاء خفی،و الأظهر أن یقال:إنّه من قولهم:

«بات فلان بکینه سوء»بالکسر،أی:بحاله سوء.قال أبو سعید:یقال:أکانه اللّه یکینه إکانه.أی:أخضعه حتّی استکان و أدخل علیه من الذلّ ما أکانه،و أنشد:

لعمرک ما یشفی جراح تکینه و لکن شفائی أن تئیم حلائله

(۶)

۱- ۱) عقاب الأعمال للصدوق:۲۹۹ ح ۱،و المحاسن للبرقی:۱۲۳ ح ۱۳۹. [۱]

۲- ۲) القاموس المحیط ۴:۲۳۵ [۲] ماده(سکن).

۳- ۳) القاموس المحیط ۴:۲۶۴ [۳] ماده(کون).

۴- ۴) صحاح اللغه ۶:۲۱۹۰ ماده(کون).

۵- ۵) لسان العرب ۱۳:۲۱۸ [۴] ماده(سکن).

۶- ۶) لسان العرب ۱۳:۳۷۱ [۵] ماده(کین).

و بالجمله كونه استفعالا من الكون،كما قاله(الصحاح)و تبعه (القاموس)فى(الكون)غير صحيح،و من الكين و المسكنه صحيح،و الأوّل أظهر لفظا،و الثانى معنى.

«الإجلال» للّه تعالى.

«نصيبا» لهم.

«فى تعظيم حسناتهم» فيعدّونها حقيره .

«و لم تجر الفترات» الفتره:الانكسار و الضعف.

«فيهم على طول دؤوبهم» أى:سعيهم و جدّهم فى عبادته .

«و لم تغض» من«غاض الماء»أى:قلّ و نضب.

«رغباتهم» إليه تعالى.

«فيخالفوا عن رجاء ربّهم» إلى رجاء غيره .

«و لم تجفّ» أى:لم تيبس.

«لطول المناجاه» مع خالقهم.

«أسلات ألسنتهم» أى:مستدقّاتها .

«و لا ملكتهم الأشغال» الشخصيّه.

«فتنقطع بهمس» أى:الصوت الخفىّ.

«الجؤار» بالهمزه،أى:التضرّع.

«إليه» تعالى.

«أصواتهم» فاعل تنقطع .

«و لم تختلف فى مقاوم» جمع مقام.

«الطاعه» أى:العباده.

«مناكبهم» بأن يبدّلوا منكبا بمنكب للاستراحه،و يحتمل أن يكون

ص:۵۶۴

(تختلف)مصحّف(تتخلّف)فيكون الكلام استعاره عن عدم إعراضهم عن طاعته .

«و لم يثنوا» أى:لم يرفعوا،من قوله تعالى: «ثانِيَ عِطْفِهِ» (۱)،أى:رافع جنبه.

«إلى راحه التقصير فى أمره رقابهم» مفعول لم يثنوا .

«و لا تعدو» هكذا فى(المصريه و ابن أبى الحديد) (۲)،و لكن فى(ابن ميثم و الخطيه) (۳):«لا تعدو»بدون عاطف:أى لا تتجاوز و لا تتعدى.

«على عزيمه جدّهم» فى عبادته.

«بلاده الغفلات» فيقصّرون فى طاعته .

«و لا تنتضل فى هممهم خدائع الشهوات» قال ابن أبى الحديد:استعاره من النضال،و هو المراماه بالسّهام (۴).

قلت:تناضل من النضال لا(تنتضل)،و إنّما(تنتضل)ك(ينضل)بمعنى الرّمى،مع أنّه لا تصحّ المراماه هاهنا،كما لا يخفى.

«فى هممهم خدائع الشهوات» ككثير من البشر.

هذا،و فى الخبر عن الصادق عليه السّلام:إنّ طائفه من الملائكه عابوا ولد آدم فى اللّذّات و الشهوات-أعنى لكم:الحلال ليس الحرام-قال فأنف اللّه للمؤمنين من ولد آدم من تعيير الملائكه لهم،قال:فألقى اللّه فى همم أولئك الملائكه اللّذّات و الشهوات كيلا يعيبوا المؤمنين.قال:فلمّا أحسّوا ذلك من هممهم عجّوا إلى اللّه من ذلك،فقالوا:ربّنا عفوك عفوك ردّنا إلى ما خلقتنا له و أجبرتنا

۱- ۱) الحج:۹. [۱]

۲- ۲) شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۴۹.

۳- ۳) فى شرح ابن ميثم ۲:۳۵۳ توجد(الواو)أيضا.

۴- ۴) شرح ابن أبى الحديد ۲:۱۵۱. [۲]

علیه،فإنّا نخاف أن نصیر فی أمر مریج.قال:فنزع اللّه ذلک من هممهم (۱).

و لیس هذا الخبر مخالفا لعصمتهم،فمضمونه نظیر کلامهم فی خلقه آدم علیه السّلام .

«قد اتّخذوا ذا العرش ذخیره لیوم فاقتهم» قال الخوئی:یعنی بیوم فاقتهم:

یوم قبض أرواحهم (۲).

قلت:بل یعنی به:جمیع أیّامهم،فإنّهم کغیرهم فی جمیعها محتاجون إلیه تعالی .

«و یمّموه» أی:قصدوه تعالی.

«عند انقطاع الخلق إلی المخلوقین برغبتهم» متعلّق بقوله: «و یمّموه » .

«لا یقطعون أمد» أی:مسافه.

«غایه» أی:نهایه.

«عبادته» لأنّه تعالی أهل لأن یعبد فوق تلک المرتبه .

«و لا یرجع بهم الاستهتار» أی:الحرص و الولع.

«بلزوم طاعته» أی:اللّصوق بها .

«إلّا إلی موادّ من قلوبهم غیر منقطعه من رجائه و مخافته» (غیر)صفه لموادّ و من لبیانها .

«لم تنقطع أسباب الشّفقه» أی:الخوف.

«منهم فینوا» أی:یضعفوا من:و نی ینی،قالوا:و الإناه أیضا منه بقلب الواو همزه.

«فی جدّهم» فی العباده.

۱- ۱) تفسیر العیاشی ۲:۲۱۱ ح ۴۲. [۱]

۲- ۲) شرح الخوئی ۳:۱۱۱.

«و لم تأسرهم الأطماع» فی المادّیات.

«فیؤثروا» أی:یختاروا.

«وشیک السعی» أی:سرعته إلی ما طمعوا فیه.

«علی اجتهادهم» فی طاعته تعالی .

«و لم یستعظموا ما مضی من أعمالهم» فی الأزمنه المتطاوله .

«و لو استعظموا ذلک» أی:ما مضی من أعمالهم.

«لنسخ» أی:أزال.

«الرّجاء منهم» فی عظم أعمالهم.

«شفقات» جمع شفقه،و فی(الأساس):لی علیه شفقه و شفق(یعنی به) رحمه ورقه و خوف من حلول المکروه به مع نصح (۱).

«وجلهم» :أی خوفهم.

قال الشاعر:

لعمرک ما أدری و إنّی لأوجل علی أیّنا تغدو المتیّه أوّل

(۲) «و لم یختلفوا فی ربّهم» کالبشر،فلم یصفه أحد منهم بما لا یلیق بجنابه.

«باستحواذ» أی:غلبه.

«الشیطان علیهم» ککثیر من البشر .

«و لم یفرّقهم سوء التقاطع» کتقاطع عن عداوه،و إنّما تقاطعهم تقاطع حسن بأن یذهب کلّ إلی ما وظّف له .

«و لا تولّاهم» أی:لا صار ولیّهم.

«غلّ» بالکسر:الغش و الحقد.

۱- ۱) أساس البلاغه:۲۳۸ [۱] ماده(شفق).

۲- ۲) لسان العرب ۱۱:۷۲۲ [۲] ماده(وجل)و الشاعر:معن بن أوس المزنی.

«التّحاسد» حسد هذا ذاك،و ذاك هذا .

«و لا شعبتهم» أى:فرّقتهم.

«مصارف» أى:مغيّرات.

«الرّيب» أى:الحوادث .

«و لا اقتسمتهم» أى:لم تجعلهم قسما قسما.

«أخياف» جمع خيف،و الأصل فيه الاختلاف،قالوا:سمّى مسجد الخيف خيفا،لاختلافه بانحداره عن غلظ الجبل،و ارتفاعه عن مسيل الماء (۱).

«الهمم» كالبشر همّ بعضهم فى الطعام و الشراب،و همّ بعضهم فى الألبسه،و همّ بعضهم فى الأبنيه،و همّ بعضهم فى النساء .

«فهم أسراء إيمان» به تعالى .

«لم يفكّهم من ربقته» أى:ربقه الأسر المفهوم من(أسراء).

«زيغ» أى:ميل عن الحقّ.

«و لا عدول» عنه.

«و لا ونى» أى:ضعف.

«و لا فتور» أى:انكسار .

«و ليس فى أطباق» أى:طبقات.

«السماء» هكذا فى(المصريه)،و الصواب:(السماوات)،كما فى(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطّيه) (۲).

«موضع إهاب» أى:جلد غير مدبوغ.

«إلّا و عليه ملك ساجد أو ساع» أى:عامل.

۱- ۱) معجم البلدان للحموى ۲:۴۱۲. [۱]

۲- ۲) فی شرح ابن أبی الحدید ۲:۱۵۰،و شرح ابن میثم ۲:۳۵۳« [۲]السماء»أیضا.

«حافد» أی:سریع،روی القمّی أنّ الصادق علیه السّلام سئل عن الملائکه،أهم أکثر أم بنو آدم؟فقال:و الّذی نفسی بیده لعدد ملائکه اللّه فی السماوات أکثر من عدد التّراب فی الأرض،و ما فی السماء موضع قدم إلّا و فیها ملک یسبّحه و یقدّسه (۱).

«یزدادون علی طول الطّاعه بربّهم علما» بإلههم .

«و تزداد عزّه ربّهم فی قلوبهم عظما» حیث تزداد معرفتهم.

۳

من الخطبه(۱۰۷)

مِنْ مَلاَئِکَهٍ أَسْکَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِکَ- وَ رَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِکَ- هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِکَ بِکَ- وَ أَخْوَفُهُمْ لَکَ وَ أَقْرَبُهُمْ مِنْکَ- لَمْ یَسْکُنُوا الْأَصْلاَبَ- وَ لَمْ یُضَمَّنُوا الْأَرْحَامَ- وَ لَمْ یُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِینٍ- وَ لَمْ یَشْعَبْهُمْ رَیْبُ الْمَنُونِ- وَ إِنَّهُمْ عَلَی مَکَانِهِمْ مِنْکَ- وَ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَکَ وَ اسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِیکَ- وَ کَثْرَهِ طَاعَتِهِمْ لَکَ وَ قِلَّهِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِکَ- لَوْ عَایَنُوا کُنْهَ مَا خَفِیَ عَلَیْهِمْ مِنْکَ- لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ وَ لَزَرَوْا عَلَی أَنْفُسِهِمْ- وَ لَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ یَعْبُدُوکَ حَقَّ عِبَادَتِکَ- وَ لَمْ یُطِیعُوکَ حَقَّ طَاعَتِکَ أقول:و رواه القمّی القمی- تفسیر القمی-ج ۲ ص ۲۰۷ هکذا:«و ملائکه خلقتهم،و أسکنتهم سماواتک،فلیس فیهم فتره،و لا عندهم غفله،و لا فیهم معصیه.هم أعلم خلقک بک،و أخوف خلقک منک،و أقرب خلقک إلیک،و أعملهم بطاعتک.لا یغشاهم نوم العیون،و لا سهو العقول،و لا فتره الأبدان.لم یسکنوا الأصلاب،و لم تتضمّنهم الأرحام، و لم تخلقهم من ماء مهین،أنشأتهم إنشاء،فأسکنتهم سماواتک،و أکرمتهم بجوارک،و ائتمنتهم علی وحیک،و جنّبتهم الآفات،و وقیتهم البلیّات،و طهّرتهم

۱- ۱) تفسیر القمی ۲:۲۵۵. [۱]

من الـذّنوب،و لو لاـ قوّتـك لم يقووا،و لو لاـ تثبيتـك لم يثبتوا،و لو لاـ رحمتـك لم يطيعوا،و لو لا أنت لم يكونوا.أما إنّهم على مكانتهم منك،و طواعيتهم إيّاك، و منزلتهم عندك،و قلّه غفلتهم عن أمرك،لو عاينوا ما خفى عنهم منك، لاحتقروا أعمالهم،و لأزروا على أنفسهم » (۱).

«مـن ملائـكه أسـكنتهم سـماواتك،و رفعتهـم عن أرضـك» كلامـه عليه السّـلام هـذا دالّ على أنّ الأصـل فى مسـكن الملائـكه السـماوات،و أنّهم إنّمـا ينزلون إلى الأـرض، و يمكن أن يراد قسم خاص منهم،حيث قال:من ملائكه،و لعلّه ذكر قبله قسم خاص لم ينقله المصنّف .

«هم أعلم خلقـك بك،و أخوفهم لك» حيث يشاهـدون ملكوت السـماوات،و أنّه ليس حاكم فيهم غيره تعالى،فيكونون أعلم به تعالى من البشر،و لمّا كانوا أعلم كانوا أخوف «إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ » (۲).

«و أقربهم منك» حيث لا يعصونه أبدا .

«لم يسكنوا الأصلاب» أصلاب آباء .

«و لم يضمّنوا الأرحام» أرحام أمهات .

«و لم يخلقوا من ماء مهين» و هو المنى،كبنى آدم،قال تعالى: «وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ» (۳).و مهين فعيل من«مهن»أى:ضعف .

«و لم يشعبهم» هكذا فى(المصريه)،و الصواب:(لم يتشعبهم)كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطّيه) (۴)،أى:لم يفرّقهم.

۱- ۱) تفسير القمى ۲:۲۰۷. [۱]

۲- ۲) فاطر:۲۸. [۲]

۳- ۳) السجده:۷-۸. [۳]

۴- ۴) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ۲:۲۲۹،لكن فى شرح ابن ميثم ۳:۵۷«يشعبهم»أيضا.

«ریب» أی:صرف.

«المنون» قال الفرّاء:تکون المنون واحده و جمعا (۱)،و الأصل فی المنون الضعف،و یقال لکلّ من الدّهر و المیّه:المنون لأنّهما یضعفان و یقطعان المدد و ینقصان العدد،قال الأعشی:

أ أن رأت رجلا أعشی أضرّ به ریب المنون و دهر مبتل خبل

(۲)و قال آخر:

کأن لم یغن یوما فی رخاء إذا ما المرء منّته المنون

(۳)(فریب المنون)فی الأوّل بمعنی حوادث الدّهر،و(منّته المنون)فی الثانی بمعنی قطعته المیّه،و مراده علیه السّلام أنّهم لیسوا کالبشر الّذین یتشعّبهم حوادث الدّهر،و اخترام المنایا.

و ممّن تشعّبهم ریب المنون حتّی ضرب بهم المثل ولد سبأ،فقالوا تشبیها بهم:تفرقوا أیادی سبأ.

و قالوا:نزل حسّان بن عمرو الحمیریّ جبلا بالیمن یقال له:شعب.ثمّ تشعب ولده،فمن کان منهم بالکوفه یقال لهم:شعبیون-و منهم الشعبی المعروف-و من صار منهم إلی الشام یقال لهم:الشعبانیون،و من صار منهم إلی الیمن یقال لهم:آل ذی شعبین،و من صار منهم بالمغرب و مصر یقال لهم:الأشعوب (۴).

«و إنّهم علی مکانهم منک» بالقرب المعنوی .

«و منزلتهم عندک» بالدّرجه الرفیعه.

۱- ۱) لسان العرب ۱۳:۴۱۶ [۱] ماده(منن).

۲- ۲) لسان العرب ۱۳:۴۱۶ [۲] ماده(منن).

۳- ۳) اساس البلاغه:۴۳۸ [۳] ماده(منن).

۴- ۴) معجم البلدان للحموی ۳:۳۴۷. [۴]

«و استجماع أهوائهم فيك» و فی عبادتک و طاعتک،و ليسوا كالبشر الّذين زيّن لهم «حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَهِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّهِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَهِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ » (۱).

«و كثره طاعتهم لک» حتّی لم يكن لهم شغل غير عبادته .

«و قلّه غفلتهم عن أمرک» «لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ » (۲).

«لو عاينوا كنه ما خفی عليهم منک» و كيف لا يخفی عليهم،و هو الّذی لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته و لو جیء بمثله مددا.

«لحقّروا أعمالهم» فی جنب عظمته .

«و لزروا» :أی عتبوا و عابوا،قال:

نبّئت نعما علی الهجران زاريه سقيا و رعيا لذاک العاتب الزاری

(۳)و أيضا:

و إنّی علی ليلی لزار و إنّنی علی ذاک فی ما بيننا مستديمها

(۴) «علی أنفسهم» فی تقصيرهم فی حقّک .

«و لعرفوا أنّهم لم يعبدوک حقّ عبادتک،و لم يطيعوک حقّ طاعتک» كما لم يعرفوه حقّ معرفته،و كذلک الأنبياء و الأوصياء كانوا معترفين بذلک.

۱- ۱) آل عمران:۱۴. [۱]

۲- ۲) الأنبياء:۲۷. [۲]

۳- ۳) أساس البلاغه:۱۹۱ [۳] ماده(زری).

۴- ۴) لسان العرب ۱۴:۳۵۶ [۴] ماده زری().

الفصل الرابع: فی خلق آدم علیه السّلام

اشاره

ص:۵۷۳

من الخطبه(۱)

صفه خلق آدم علیه السّلام:

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَ سَهْلِهَا- وَ عَذْبِهَا وَ سَبَخِهَا- تُرْبَهً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ- وَ لَاطَهَا بِالْبَلَّهِ حَتَّى لَزَبَتْ- فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَهً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَ وُصُولٍ وَ أَعْضَاءٍ- وَ فُصُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ- وَ أَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ وَ أَمَدٍ مَعْلُومٍ- ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ- فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا- وَ فِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا وَ جَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا- وَ أَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا وَ مَعْرِفَهٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ- وَ الْأَذْوَاقِ وَ الْمَشَامِّ وَ الْأَلْوَانِ وَ الْأَجْنَاسِ- مَعْجُوناً بِطِينَهِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَهِ- وَ الْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَهِ وَ الْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَهِ- وَ الْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَهِ مِنَ الْحَرِّ وَ الْبَرْدِ- وَ الْبَلَّهِ وَ الْجُمُودِ- وَ اسْتَأْدَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَهَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ- وَ عَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ

ص:۵۷۵

فِی الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ- وَ الْخُنُوعِ لِتَکْرِمَتِهِ- فَقَالَ سُبْحَانَهُ «اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِیسَ» (۱)-اِعْتَرَتْهُ الْحَمِیَّهُ- وَ غَلَبَتْ عَلَیْهِ الشِّقْوَه- وَ تَعَزَّزَ بِخِلْقَهِ النَّارِ وَ اسْتَهْوَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ- فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظِرَهَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَهِ- وَ اسْتِتْمَاماً لِلْبَلِیَّهِ وَ إِنْجَازاً لِلْعِدَهِ- فَقَالَ «فَإِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِینَ إِلی یَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» (۲)ثُمَّ أَسْکَنَ سُبْحَانَهُ؟آدَمَ؟ دَاراً أَرْغَدَ فِیهَا عِیشَتَهُ وَ آمَنَ فِیهَا مَحَلَّتَهُ وَ حَذَّرَهُ؟إِبْلِیسَ؟ وَ عَدَاوَتَهُ- فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَهً عَلَیْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ- وَ مُرَافَقَهِ الْأَبْرَارِ- فَبَاعَ الْیَقِینَ بِشَکِّهِ وَ الْعَزِیمَهَ بِوَهْنِهِ- وَ اسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً وَ بِالِاغْتِرَارِ نَدَماً- ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِی تَوْبَتِهِ- وَ لَقَّاهُ کَلِمَهَ رَحْمَتِهِ وَ وَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَی جَنَّتِهِ- وَ أَهْبَطَهُ إِلَی دَارِ الْبَلِیَّهِ وَ تَنَاسُلِ الذُّرِّیَّهِ قول المصنّف : «صفه خلق آدم» هکذا فی(المصریه)،و لکن فی(ابن میثم):«منها فی خلق آدم» (۳)،و فی(ابن أبی الحدید):«منها فی صفه آدم» (۴)، و کیف کان،ففی(إثبات المسعودی):روی أنّ آدم سمّی آدم لأنّه خلق من أدیم الأرض (۵).

و آدم یأتی اسما و وصفا،و الاسمی جمعه(أوادم)،و الوصفی یأتی

۱- ۱) البقره:۳۴. [۱]

۲- ۲) الحجر:۳۷-۳۸. [۲]

۳- ۳) شرح ابن میثم ۱:۱۷۰. [۳]

۴- ۴) فی شرح ابن أبی الحدید ۱:۳۱« [۴]منها فی صفه خلق آدم»أیضا.

۵- ۵) إثبات الوصیه للمسعودی:۱۰۰،و [۵]مروج الذهب ۱:۴۰،و [۶]هذا الوجه فی التسمیه مروی عن النبی صلّی اللّه علیه و آله و عن علی و الباقر و الصادق علیهم السّلام و عن ابن عباس و سعید بن جبیر،و جمع بعض طرقه السیوطی فی الدرّ المنثور ۱:۴۹، و [۷]المجلسی فی بحار الأنوار ۱۰۰:۱۱-۱۱۳. [۸]

وصفان للإنسان و البعير،و كلّ منهما بمعنى،و له جمع يقال:رجل آدم،أى:

أسمر،و جمعه:إدمان،و يقال:بعير آدم،أى:شديد البياض،و يقال:هو البعير الأبيض،الأسود المقلتين،و جمعه أدم بضمتين.

قال الشاعر:

فإنّ أهجه يضجر كما ضجر بازل من الأدم دبرت صفحتاه و غاربه

(۱)و أصل آدم:أأدم بهمزتين.

و قوله عليه السّلام: «ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض» أى:خشنها.

«و سهلها» أى:ما ليس فيه خشونه.

«و عذبها» أى:ما ليس فيه ملوحه.

«و سبخها» أى:الأرض التى تعلوها الملوحه،و لا تنبت الزّرع.

«تربه» الواحده من ترب لغه فى تراب.

«سنّها» أى أنتنها من قوله تعالى: «مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» (۲)،قال المسعودى فى(إثباته):خلق اللّه آدم من عذب الأرض و مالحها،و مرّها و... (۳).

و قال ابن أبى الحديد:سنّها،أى ملّسها من قولهم:مرمر مسنون (۴).

و قال الخوئى-تبعا للمجلسىّ-:سنّها من سننت الماء على الأرض:

صببته (۵).

قلت:و هما كما ترى،فلا معنى لتمليس التّربه بالماء،كما لا معنى لصبّ التربه بالماء.

۱- ۱) لسان العرب ۱۲:۱۲ [۱] ماده(أدم)و الشاعر:الأخطل.

۲- ۲) الحجر:۲۶. [۲]

۳- ۳) إثبات الوصيه للمسعودى:۱۰ [۳] ضمن حديث طويل.

۴- ۴) شرح ابن أبى الحديد ۱:۳۲. [۴]

۵- ۵) شرح نهج البلاغه للخوئى ۱:۱۴۸،و بحار الأنوار للمجلسى ۱۱:۱۲۳. [۵]

«بالماء حتّى خلصت» فی سننها .

«و لاطها» من لطت الحوض بالطين،أی:ملطته به،و طيّنته،و قال الخوئی:

من لاط الشیء بالشّیء لوطا:لصق (۱).

قلت:ذاک لازم،و هذا متعدّ.

«بالبلّه» أی:الرطوبه.

«حتّی لزبت» أی:لزقت،و لصقت،قال تعالی: «إِنّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ » (۲).

«فجبل منها صوره» قال ابن أبی الحديـد:قال الراونـدی:أی خلق خلقا عظيما.و اعترض عليه بأنّ جبل بمعنی خلق سواء كان عظيما أو غير عظيم (۳).

قلت:إنّ جبل و ذرأ و أنشأ كلّها بمعنی:خلق إلّا أنّ لكلّ منها خصوصيه لا يصحّ لها استعمال أحدها فی موضع الآخر.

فإنّ ذرأ معناه:خلق متكثر منتشر،قال تعالی: «يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ» (۴).

و(أنشأ)معناه خلق حادث جديد،قال تعالی: «هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ» (۵).

و جبل معناه:خلق غليظ،قال الجوهری:يقال للرّجل إذا كان غليظا:إنّه لذو جبله،و امرأه مجبال،أی:غليظه الخلق،و شیء جبل بكسر الباء،أی:غليظ جاف (۶).و يقال:أجبل الشّاعر،إذا صعب عليه القول،فكأنه بلغ المكان الغليظ،

۱- ۱) شرح الخوئی ۱:۱۴۸.

۲- ۲) الصفات:۱۱.

۳- ۳) شرح ابن أبی الحديد ۱:۳۶. [۱]

۴- ۴) الشوری:۱۱. [۲]

۵- ۵) النجم:۳۲. [۳]

۶- ۶) صحاح اللغه ۴:۱۶۵۱ [۴] ماده(جبل).

و أجبل الحافر،إذا بلغ المكان الصّلب.و قال الزّمخشری:ناقه جبله السنام تامته،رجل جبل الوجه،و جبل الرأس:غليظهما،و سيف جبل و مجبال:لم يرقّق،قال:

صافی الحديده لا ناب و لا جبل

(۱)و سألناهم فأجبلوا:إذا لم ينولوا،قال الكميت:

فبان و أبقی لنا من بنيه لهاميم سادوا و لم يجبلوا

(۲) «ذات أحناء» جمع حنو بالكسر،أی:الجوانب و النواحی،قال لبيد:

فقلت ازدجر أحناء طيرك و اعلمن بأنّک إن قدّمت رجلک عاثر

(۳)و قال الكميت:

و آلوا الأمور و أحناءها فلم يبهلوها و لم يهملوا

(۴) «و وصول» قال ابن أبی الحديد:قال الراوندی:الوصول جمع وصل، و هو العضو،و كلّ شیء اتّصل بشیء فما بينهما وصله.ثمّ اعترض عليه بأنّه ما وجد فی لغه أنّ الوصل العضو،و قال:و قوله«و كلّ شیء...»لا معنی لذكره بعد ذلک التفسير (۵).

قلت:قال الجزریّ فی(نهايته)-و كلامه مأخوذ من أئمّه اللّغه كأبی عبيد و أبی عبيده و نحوهما-فی صفه النبی صلّی اللّه عليه و آله:كان فعم الأوصال.أی:ممتلئ الأعضاء.الواحد:وصل (۶).فتراه صرّح بأنّ الوصل العضو،أی:المراد منه

۱- ۱) أساس البلاغه للزمخشری:۵۱ [۱] ماده(جبل).

۲- ۲) المصدر نفسه.

۳- ۳) لسان العرب ۱۴:۲۰۶ و ۲۰۴ [۲] ماده(حنا).

۴- ۴) المصدر نفسه.

۵- ۵) شرح ابن أبی الحديد ۱:۳۶. [۳]

۶- ۶) النهايه لابن الأثير ۵:۱۹۴ [۴] ماده(وصل).

العضو.و قوله:لا معنى لقوله«و كلّ شيء...»بلا معنى،فكلامه الأوّل معنى الوصل،و الأخير معنى الوصله،و ما قاله لفظ(الصحاح)فقال:و كلّ شيء اتّصل بشيء فما بينهما وصله،و الجمع:وصل (۱).

«و أعضاء» كاليدين و الرّجلين.

«و فصول» كالمنكب و العضد و المرفق و الذّراع و الكفّ و الأصابع و الأنامل فى اليدين و الفخذ و الرّكبه و السّاق و القدم و الأصابع و الأنامل فى الرّجلين .

«أجمدها» أى:أبقاها حتّى صارت جامده.

«حتّى استمسكت» من التّلاشى.

«و أصلدها» من قولهم:حجر صلد،أى:صلب أملس.

«حتى صلصلت» من قولهم:تصلصل الحلى،إذا صوّت،و الأصل فى كلامه عليه السّلام:قوله تعالى: «مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» (۲).

قال أبو عبيده:الصّلصال الطّين الحرّ خلط بالرّمل فصار يتصلصل إذا جفّ،فإذا طبخ فى النار فهو الفخار (۳).

و فى خبر:ثمّ جعلها صلصالا كالفخار أربعين سنه (۴).

«لوقت معدود» عيّنه(تفسير القمّى)أربعين سنه (۵)،و(مروج

۱- ۱) صحاح اللغه ۵:۱۸۴۲ [۱] ماده(وصل).

۲- ۲) الحجر:۲۶،۲۸،۳۳. [۲]

۳- ۳) نقله عنه الجوهرى فى صحاح اللغه ۵:۱۷۴۵ [۳] ماده(صلصل).

۴- ۴) هذا اللفظ رواه المجلسى فى بحار الأنوار ۱۱:۱۲۱، [۴]عن سعد السعود لابن طاوس عن نسخه من صحف إدريس عليه السّلام لكن لم توجد هذه الفقره إلّا فى سعد السعود المطبوع:۳۳،و نقل هذا المعنى المسعودى فى مروج الذهب ۱:۴۰.

۵- ۵) تفسير القمى ۱:۴۱. [۵]

المسعودی)مائه و عشرین سنه (۱).

«و أمد معلوم» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(و أجل معلوم)کما فی (ابن أبی الحدید و الخطیه) (۲).

«ثمّ نفخ فیها من روحه» نسب تعالی الرّوح إلی نفسه دلاله علی شرف الإنسان،قال تعالی للملائکه: «فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ» (۳)،و قال تعالی: «وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی» (۴).

«فمثلت» تلک التّربه .

«إنسانا ذا أذهان یجیلها» فی خبر أبی بصیر:قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام:لأی علّه خلق اللّه تعالی آدم من غیر أب و أمّ،و خلق عیسی من غیر أب،و خلق سائر الناس من الآباء و الأمّهات؟فقال:لیعلم الناس تمام قدرته و کمالها (۵).

«و فکّر یتصرّف بها» فی الأشیاء،فلا یعمل عملا إلّا بعد فکر .

«و جوارح یختدمها» أی:یجعلها خادمه له فی حوائجه .

«و أدوات» أی:آلات للسّمع و البصر.

«یقلّبها» کیف شاء .

«و معرفه یفرق بها بین الحقّ و الباطل» و هی العقل،روی(العیون)أنّ ابن السّکّیت قال للرضا علیه السّلام بعد سؤاله عن وجه اختلاف معجزات موسی و عیسی و نبیّنا علیهم السّلام:فما الحجّه علی الخلق الیوم؟فقال علیه السّلام:العقل یعرف به

۱- ۱) مروج الذهب للمسعودی ۱:۴۱، [۱]ثم قال:«و قیل أربعون سنه».

۲- ۲) فی شرح ابن أبی الحدید ۱:۳۱،و کذا فی شرح ابن میثم ۱:۱۶۹«و أمد معلوم»أیضا.

۳- ۳) الحجر:۲۹. [۲]

۴- ۴) الاسراء:۸۵. [۳]

۵- ۵) علل الشرائع للصدوق:۱۵ ح ۱. [۴]

الصّادق على اللّه فيصدّقه،و الكاذب على اللّه فيكذّبه.فقال ابن السكّيت:هذا و اللّه الجواب (۱).

«و الأذواق» فيعرف بها الحلو و المرّ و الحامض،و غيرها.

«و المشامّ» فيعرف بها الرّيح الطيّبه من الخبيثه.

«و الألوان» فيعرف بها الأبيض و الأسود و الأحمر و الأخضر و الأصفر.

«و الأجناس» بالخشونه و اللّينه،و كأنّه سقط من الكلام(و الأصوات) فيبعد أن يذكر عليه السّلام الذائقه و الشّامه و الباصره و اللاّمسه،و لا يذكر السّامعه مع كونها أهمّ من الشّامه.

«معجونا» الظاهر كونه حالا من(إنسانا)و يحتمل كونه صفه بعد صفه.

«بطينه الألوان المختلفه» روى أنّ عبد اللّه بن سلام سأل النبى صلّى اللّه عليه و آله أنّ آدم خلق من الطين كلّه أو من طين واحد؟قال:بل من الطّين كلّه،و لو خلق من طين واحد لما عرف النّاس بعضهم بعضا،و كانوا على صوره واحده.قال:

فلهم فى الدّنيا مثل؟قال:التّراب فيه أبيض،و فيه أخضر،و فيه أشقر،و فيه أغبر،و فيه أحمر،و فيه أزرق،و فيه عذب،و فيه ملح،و فيه خشن،و فيه لين، و فيه أصهب،فلذلك صار النّاس فيهم لين،و فيهم خشن،و فيهم أبيض،و فيهم أصفر،و أحمر،و أصهب،و أسود على ألوان التراب (۲).

و يقال للرّوم:بنو الاصفر،و للعرب:أسود،و للعجم:أحمر.فعن ابن الاعرابى:معنى قولهم:آتانى كلّ أسود منهم و أحمر:آتانى جميع الناس عربهم و عجمهم (۳).

۱- ۱) عيون الأخبار للصدوق ۲:۷۸ ح ۱۲،و [۱]علل الشرائع:۱۲۱ ح ۶،و [۲]الكافى للكلينى ۱:۲۴ ح ۲۰ [۳] فى ذيل حديث.

۲- ۲) علل الشرائع للصدوق:۴۷۰ ح ۳۳ [۴] ضمن حديث طويل،و السائل يزيد بن سلام،كما فى الأصل،و لعبد اللّه بن سلام حديث آخر.

۳- ۳) لم أجده عن ابن الاعرابى لكن نقله ابن منظور فى لسان العرب ۴:۲۰۹ [۵] ماده(حمر)عن أبى عمرو بن العلاء.

«و الأشباه المؤتلفه،و الأضداد المتعاديه» عن الرضا عليه السّلام الطبائع أربعه، فمنهنّ البلغم و هو خصم جدل،و منهن الدّم و هو عبد زنجى و ربما قتل العبد سيّده،و منهنّ الريح و هو ملك يدارى،و منهنّ المرّه،و هيهات هيهات هى الأرض ارتجّت ارتجّت بما عليها (۱).

«و الأخلاط المتباينه من الحرّ و البرد و البلّه» أى:الرطوبه.

«و الجمود» و زاد(ابن أبى الحديد و الخطيه) (۲):«و المساءه و السرور».

قال النّظام:الدّليل على الصانع أنّا رأينا أشياء متضادّه من شأنها التنافى و التّباين و التفاسد مجموعه،و هى الحراره و البروده و الرطوبه و اليبوسه المجتمعه فى كلّ حيوان،و فى أكثر سائر الأجسام،فعلمنا أنّ جامعها قسرها على الاجتماع،و لو لا ذلك لتباينت و تفاسدت،و لو جاز أن تجتمع المتضادّات المتنافرات،و تتقاوم من غير جامع جمعها لجاز أن يجتمع الماء و النّار و يتقاوما من ذاتهما،بغير جامع مدبّر مقيم يقيمها،و هذا محال (۳).

هذا،و قال المبرّد:دخلت على الجاحظ فى آخر أيّامه و هو عليل،فقلت له:

كيف أنت؟فقال:كيف يكون من نصفه مفلوج و لو نشر بالمناشير لما أحس به،و نصف الآخر منقرس لو طار الذّباب بقربه لآلمه (۴).

و قال الجاحظ لمتطبب يشكو إليه علّته:قد اصطلحت الأضداد على جسدى إن أكلت باردا أخذ برجلى،و إن أكلت حارّا أخذ برأسى (۵).

«و استأدى اللّه سبحانه الملائكه وديعته لديهم و عهد» بالنّصب عطف

۱- ۱) عيون الأخبار للصدوق ۱:۶۶ ح ۸ [۱] عن الكاظم،و ۲:۷۸ ح ۱۱،و علل الشرائع:۱۰۶ ح ۲، [۲]عن الرضا عليه السّلام.

۲- ۲) شرح ابن أبى الحديد ۱:۳۲.

۳- ۳) نقله عن النظام الكراجكى فى كنز الفوائد:۸۶. [۳]

۴- ۴) نقله عن المبرد ابن الأنبارى فى نزهه الألباء:۱۳۴،و المرتضى فى أماليه ۱:۱۴۲ المجلس ۱۳.

۵- ۵) أمالى المرتضى ۱:۱۴۲ المجلس ۱۳.

علی(ودیعته).

«وصیّته إلیهم» أشار علیه السّلام فی قوله: «و استأدی اللّه...» إلی قوله تعالی:

«وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَهِ إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ» (۱).

«فی الإذعان» أی:الانقیاد.

«بالسّجود له» أی:لذاک الإنسان.

«و الخنوع» أی:التذلّل.

«لتکرمته» أی:إکرامه .

«فقال سبحانه» هکذا فی(المصریه)،و الصواب:(فقال تعالی)کما فی (ابن أبی الحدید و الخطیه) (۲).

«اسْجُدُوا لِآدَمَ» وردت هذه الجمله فی(البقره،و الأعراف،و بنی إسرائیل، و الکهف،و طه) (۳).

«فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِیسَ» وردت هذه الجمله فی غیر الأولی .

«اعترته الحمیّه،و غلبت علیه الشّقوه،و تعزّز بخلقه النار،و استهون خلق الصلصال» هکذا فی(المصریه)بدون زیاده،و إفراد الضمیر فی(اعترته)و ما عطف علیه،و الصواب:(و قبیله اعترتهم الحمیه،و غلبت علیهم الشّقوه، و تعزّزوا بخلقه النار،و استهونوا خلق الصلصال)کما فی(ابن أبی الحدید و ابن میثم و الخطیه)و(الراوندی) (۴).

۱- ۱) الحجر:۲۸-۲۹. [۱]

۲- ۲) فی شرح ابن أبی الحدید ۱:۳۲،و کذا فی شرح ابن میثم ۱:۱۶۹« [۲]فقال سبحانه»أیضا.

۳- ۳) البقره:۳۴،و [۳]الأعراف:۱۱،و [۴]الإسراء:۶۱،و [۵]الکهف:۵۰ و [۶]طه:۱۱۶. [۷]

۴- ۴) لفظ شرح ابن أبی الحدید ۱:۳۲،و شرح ابن میثم ۱:۱۶۹ أیضا [۸]کالمصریه،و امّا ما نقله الشارح عن الراوندی فمفهوم من بحث لغوی له حول کلمه(قبیل)نقله ابن أبی الحدید فی شرحه ۱:۳۶.

و اختلف فی إبلیس هل کان من الجنّ أو من الملائکه؟فأکثر متکلّمی العامّه علی الأوّل،و اختاره المفید قائلا:إنّ الأخبار به متواتره عنهم علیهم السّلام، و إنّه مذهب الإمامیه (۱).

و ذهب أکثر فقهاء العامّه إلی الثانی،و اختاره الشیخ فی(تبیانه)قائلا:

و هو المرویّ عن الصادق علیه السّلام (۲).

قلت:و الصواب أن یقال:إنّه کان من الجنّ لقوله تعالی: «کانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» (۳)،إلّا أنّه کان فی عداد الملائکه کما یکون فی البشر رجل من قبیله معدودا من قبیله أخری،فقالوا:کان الزّبیر-و هو من أسد قریش-قبل أن ینشأ ابنه عبد اللّه فی عداد بنی هاشم (۴).

و یدلّ علی کونه فی عداد الملائکه قوله تعالی: «فَسَجَدُوا إِلّا إِبْلِیسَ» (۵)فی السور المتقدّمه،و قوله تعالی: «فَسَجَدَ الْمَلائِکَهُ کُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلّا إِبْلِیسَ» (۶)فی سوره الحجر،و سوره(ص)و قوله علیه السّلام هنا:

و قوله فی القاصعه:«ما کان اللّه سبحانه لیدخل الجنّه بشرا بأمر اخرج به منها ملکا» (۷).

۱- ۱) قاله المفید فی أوائل المقالات للمفید:۱۴۹. [۱]

۲- ۲) التبیان للطوسی ۱:۱۵۰. [۲]

۳- ۳) الکهف:۵۰. [۳]

۴- ۴) انظر حدیث علی علیه السّلام:«ما زال الزبیر رجلا منّا أهل البیت حتی نشأ ابنه المشئوم عبد اللّه»رواه ابن أبی الحدید فی شرحه ۴:۴۸۰ الحکمه ۴۸۰ عن نهج البلاغه،و لم یوجد فی سائر نسخ النهج،و أخرجه أیضا الجوهری فی السقیفه: ۶۰،و [۴]عاصم بن حمید فی أصله:۲۳،و الصدوق فی الخصال:۱۵۷ ح ۱۹۹ باب الثلاثه،و المفید فی الجمل:۲۰۸، و ابن قتیبه فی الامامه و السیاسه ۱:۱۰. [۵]

۵- ۵) الکهف:۵۰. [۶]

۶- ۶) الحجر:۳۰-۳۱. [۷]

۷- ۷) نهج البلاغه ۲:۱۳۹ الخطبه ۱۹۰. [۸]

قال ابن أبی الحدید:قال الرّاوندی-فی سجود الملائکه لآدم-:لمّا علمنا أنّ تقدیم المفضول علی الفاضل قبیح،علمنا أنّ آدم کان أفضل من الملائکه فی ذلک الوقت و فیما بعده.و اعترض علیه بأنّ لقائل أن یقول:أ لیس قد سجد یعقوب لیوسف علیهما السّلام أفیدلّ ذلک علی أنّ یوسف أفضل من یعقوب؟ (۱)قلت:قال هذا الکلام قبله شیخه الجبائی (۲)،و لکن لو لم یکن دالاّ علی أفضلیه آدم علی الملائکه لما قال إبلیس فی جواب قوله تعالی: «ما مَنَعَکَ أَلاّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُکَ» (۳): «أَنَا خَیْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ» (۴)، و کذا فی جواب قوله تعالی: «ما مَنَعَکَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِیَدَیَّ أَسْتَکْبَرْتَ أَمْ کُنْتَ مِنَ الْعالِینَ» (۵)«لَمْ أَکُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ» (۶).

أو ما سمع هو و شیخه الجبائیّ قوله تعالی حکایه عن إبلیس: «أَ رَأَیْتَکَ هذَا الَّذِی کَرَّمْتَ عَلَیَّ» (۷)و السجود لیوسف لم یعلم أنّه کان بوضع الجبهه، فلعلّه من قسم تعظیم الملوک،مع أنّه أیّ مانع من کون یوسف أفضل من یعقوب،فامتحن بمحن فوق محن أبیه،و کان سلیمان أفضل من أبیه،قال تعالی: «فَفَهَّمْناها سُلَیْمانَ وَ کُلاًّ آتَیْنا حُکْماً وَ عِلْماً» (۸).

قال ابن أبی الحدید أیضا:إنّه قال الراوندی فی قوله علیه السّلام:«إلاّ إبلیس و قبیله»:قبیل إبلیس نسله،قال تعالی: «إِنَّهُ یَراکُمْ هُوَ وَ قَبِیلُهُ» (۹)،و کلّ

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ۱:۳۷. [۱]

۲- ۲) نقله عن الجبائی و غیره الطوسی فی التبیان ۱:۱۵۰،و [۲]هو مشهور عن کثیر من المعتزله.

۳- ۳) الأعراف:۱۲. [۳]

۴- ۴) الأعراف:۱۲. [۴]

۵- ۵) ص:۷۵.

۶- ۶) الحجر:۳۳. [۵]

۷- ۷) الإسراء:۶۲. [۶]

۸- ۸) الأنبیاء:۷۹. [۷]

۹- ۹) الأعراف:۲۷. [۸]

جیل من الإنس و الجنّ قبیل.و اعترض علیه أنّ قوله تعالی لا یدلّ علی أنّهم نسله،و قوله:«و کلّ جیل...»ینقض دعواه أنّ قبیله لا یکون إلّا نسله (۱).

قلت:إنّ ابن أبی الحدید لا یفرّق بین بیان المراد من الکلمه،و بین بیان مفهومها اللّغوی،فقول الراوندی:«قبیله:نسله»بیان المراد،و أخذه من الأخبار.فروی فی خبر أنّ الآباء ثلاثه:آدم ولد مؤمنا،و الجانّ ولد مؤمنا و کافرا،و إبلیس ولد کافرا،و لیس فیهم نتاج،إنّما یبیض و یفرخ،و ولده ذکور لیس فیهم إناث (۲).

و أمّا ذکره الآیه فإنّما لبیان أنّ(قبیله)-کما ذکر فی کلامه علیه السّلام-ذکر فی القرآن مع أنّ آیه «أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّیَّتَهُ أَوْلِیاءَ مِنْ دُونِی وَ هُمْ لَکُمْ عَدُوٌّ» (۳)تدلّ علی أنّ قبیله من نسله و إن لم یذکر ذلک الرّاوندی،و قوله:«و کلّ جیل...» بیان لمعنی مطلق القبیل،فأیّ تناف له مع کون قبیل إبلیس نسله حتّی ینقض دعواه؟ و یأتی القبیل بمعنی:الکفیل أیضا،و یأتی بمعنی:القابله،قال الشاعر:

کصرخه حبلی أسلمتها قبیلها (۴).

فهل ذکر معنی ینقض معنی آخر؟قال ابن أبی الحدید:إنّه قال الرّاوندی فی قوله علیه السّلام: «و تعزّز بخلقه النار» :إنّ القیاس الّذی قاسه إبلیس کان باطلا، لأنّه ادّعی أنّ النار أشرف من الأرض،و الأمر بالعکس،لأنّ کلّ ما یدخل إلی النار ینقص،و کلّ ما یدخل التراب یزید.و اعترض علیه بأنّ هذا عجیب!فإنّا نری الحیوانات المیته إذا دفنت فی الأرض تنقص أجسامها،و کذلک الأشجار

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ۱:۳۶. [۱]

۲- ۲) الخصال للصدوق:۱۵۲ ح ۱۸۶ باب الثلاثه.

۳- ۳) الکهف:۵۰. [۲]

۴- ۴) لسان العرب ۱۱:۵۴۴ [۳] ماده(قبل)،و صدره: أصالحکم حتی تبوءوا بمثلها .و الشاعر الأعشی:.

المدفونه فی الأرض.علی أنّ التحقیق أنّ المحترق بالنار و البالی بالتراب لم تعدم أجزاؤه و لا بعضها،و إنّما استحالت إلی صور أخری (۱).

قلت:بل اعتراضه علیه عجیب،و تحقیقه رکیک،فإنّ هذه أمور عرفیه، فتدخل فی الأرض نوی لیس بقدر أنمله ینبت منه شجره کجبل،و تلقی جبلا من الخشب فی النار فلا یبقی منه إلّا قلیل رماد فی حکم العدم،فالعرف یری أنّ النار لا تبقی شیئا،و ما وقع فیها شیء إلاّ أکلته،و علیه ورد«إنّ الحسد لیأکل الایمان کما تأکل النار الحطب» (۲)إلاّ أنّ ابن أبی الحدید یعترض علی الراوندی عنادا.

هذا،و ورد بطلان قیاس إبلیس فی الأخبار بطرق أخر أیضا،ففی خبر أنّ إبلیس قاس نفسه بآدم،فقال: «خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ» (۳)،فلو قاس الجوهر الّذی خلق اللّه منه آدم بالنّار،کان ذلک أکثر نورا و ضیاء من النّار (۴).

و فی خبر آخر:کذب إبلیس لعنه اللّه ما خلقه اللّه إلاّ من طین،ثم قال اللّه تعالی: «الَّذِی جَعَلَ لَکُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ» (۵)خلقه اللّه من تلک النّار،و النّار من تلک الشجره،و الشجره أصلها من طین (۶).

و من القیاسات الباطله السجود لغیره تعالی قیاسا علی سجود الملائکه

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ۱:۳۷. [۱]

۲ - ۲) أخرجه الحمیری فی قرب الاسناد:۱۵،و [۲]ابن ماجه فی سننه ۲:۱۴۰۸ ح ۴۲۱۰ و الشریف الرضی فی المجازات النبویه:۲۲۱ ح ۱۷۹ و [۳]رواه الفتال فی روضه الواعظین ۲:۴۲۴، [۴]عن النبی صلّی اللّه علیه و آله،و الشریف الرضی فی نهج البلاغه ۱:۱۵۱ الخطبه ۸۴ [۵] عن علی علیه السّلام،و فی الباب عن الباقر و الصادق علیهما السّلام.

۳- ۳) الأعراف:۱۲. [۶]

۴- ۴) الکافی للکلینی ۱:۵۸ ح ۱۸،۲۰،و [۷]علل الشرائع للصدوق:۸۶،۸۷ ح ۱،۳ [۸] عن الصادق علیه السّلام.

۵- ۵) یس:۸۰. [۹]

۶- ۶) تفسیر القمی ۲:۲۴۴ [۱۰] عن الصادق علیه السّلام.

لآدم،ففی(الاحتجاج)أنّ جمعا من المشرکین حاجّوا النبی صلّی اللّه علیه و آله فقالوا:إنّ اللّه لمّا خلق آدم و أمر الملائکه بالسجود له،کنّا نحن أحقّ بالسجود لآدم من الملائکه،ففاتنا ذلک فصوّرنا صورته فسجدنا لها تقرّبا إلی اللّه کما تقرّبت الملائکه بالسجود لآدم إلی اللّه،و کما أمرتم بالسّجود بزعمکم إلی جهه مکّه، ففعلتم ثمّ نصبتم فی غیر ذلک البلد بأیدیکم محاریب سجدتم إلیها،و قصدتم الکعبه لا محاریبکم،و قصدکم بالکعبه إلی اللّه تعالی لا إلیها...فقال النبی صلّی اللّه علیه و آله لهم:إنّ اللّه عزّ و جلّ حیث أمر بالسجود لآدم لم یأمر بالسّجود لصورته التی هی غیره،فلیس لکم أن تقیسوا ذلک علیه،لأنّکم لا تدرون لعلّه یکره ما تفعلون إذ لم یأمرکم به.ثمّ قال لهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:أرأیتم لو أذن لکم رجل دخول داره یوما بعینه،أ لکم أن تدخلوها بعد ذلک بغیر أمره،أو لکم أن تدخلوا دارا أخری له مثلها بغیر أمره ... (۱)

«فأعطاه اللّه النّظره» أی:المهله.

«استحقاقا للسّخطه» أی:لغضبه تعالی علیه،قال تعالی: «وَ لا یَحْسَبَنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّما نُمْلِی لَهُمْ خَیْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِی لَهُمْ لِیَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِینٌ» (۲).

«و استتماما للبلیّه» أی:تکمیلا لابتلائه و امتحانه،فإنّه و إن کان قبل خلق آدم یعبد اللّه بعبادات کثیره،لکن باطنه کان خبیثا،فانکشف بخلق آدم و الأمر بالسّجود له.

«و انجازا» أی:قضاء.

«للعده» أی:لوعده تعالی.

۱- ۱) تفسیر العسکری:۲۴۸،و [۱]الاحتجاج للطبرسی:۲۶. [۲]

۲- ۲) آل عمران:۱۷۸. [۳]

«فقال:إنّک «مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» » و فی سوره الحجر، و سوره(ص): «قالَ فَإِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ » (۱).

«ثمّ أسکن سبحانه آدم دارا» أی:الجنّه.

«أرغد» أی:أوسع و طیّب.

«فیها عیشته» «وَ قُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ الْجَنَّهَ وَ كُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما» (۲).

«و آمن فیها محلّته» أی:حلوله «إِنَّ لَکَ أَلاّ تَجُوعَ فِيها وَ لا تَعْرى وَ أَنَّکَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَ لا تَضْحى» (۳).

«و حذّره إبلیس و عداوته» «فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَکَ وَ لِزَوْجِکَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّهِ فَتَشْقى » (۴).

«فاغترّه عدوّه» «فَدَلاّهُما بِغُرُورٍ» (۵).

«نفاسه» أی:حسدا.

«علیه بدار المقام» الّتی لا ارتحال منها «فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِمّا كانا فِيهِ» (۶).

«و مرافقه الأبرار» أی:الملائکه .

«فباع الیقین» بنهیه عن أکل الشجره.

«بشکّه» الحادث من وسوسه إبلیس،قال تعالی: «فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ»

۱- ۱) الحجر:۳۷-۳۸،و ص:۸۰-۸۱.

۲- ۲) البقره:۳۵. [۱]

۳- ۳) طه:۱۱۸-۱۱۹. [۲]

۴- ۴) طه:۱۱۷. [۳]

۵- ۵) الأعراف:۲۲. [۴]

۶- ۶) البقره:۳۶. [۵]

«الشَّيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَهِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لا يَبْلى» (۱).

«و العزيمه بوهنه» «وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً » (۲).

«و استبدل بالجذل» بفتحتين،أى:بالفرح.

«وجلا» أى:خوفا.

«و بالاغترار» الحاصل له من قول إبليس،كما مرّ فى كلامه عليه السّلام و فى الآيه،و قول الخوئى:«و بالاعتزاز»بالعين المهمله و المعجمتين (۳)بلا ربط.

«ندما» فعاقبه الاغترار الندم .

«ثمّ بسط اللّه سبحانه له فى توبته» «ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَ هَدى» (۴).

«و لقّاه كلمه رحمته» «فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ» (۵).

«و وعده المردّ إلى جنّته» بعد البعث .

«و أهبطه» هكذا فى(المصريه)،و الصواب:(فأهبطه)كما فى(ابن أبى الحديد،و الخطيه) (۶).

«إلى دار البليه» أى:الدّنيا،و قد قال عليه السّلام فى وصفها«دار بالبلاء محفوفه و بالغدر معروفه».

۱- ۱) طه:۱۲۰. [۱]

۲- ۲) طه:۱۱۵. [۲]

۳- ۳) شرح الخوئى ۱:۱۷۶.

۴- ۴) طه:۱۲۲. [۳]

۵- ۵) البقره:۳۷. [۴]

۶- ۶) فى شرح ابن أبى الحديد ۱:۳۳،و [۵]كذا فى شرح ابن ميثم ۱:۱۷۰(الواو)أيضا.

قال تعالى فى إهباطه: «قالَ اهْبِطُوا بَعْضُكَمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكَمْ فِى الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ» (۱).

ثمّ ظاهر كلامه عليه السّلام هنا و فى الآتى أنّ إهباطه كان بعد توبته،و هو ظاهر قوله تعالى فى سوره طه «ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَ هَدى» (۲)،قال: «اهْبِطا مِنْها جَمِيعاً» (۳)،و لكن فى سوره البقره «وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ» (۴)،و يمكن الجمع بأن توبته كانت فورا بعد عتاب اللّه تعالى له.قال سبحانه: «وَ ناداهُما رَبُّهُما أَ لَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَهِ وَ أَقُلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ» (۵)و إنّما قبول توبته كان بعد الإهباط.

و فى(اثبات الوصيّه):ثمّ أمر اللّه تعالى الملائكه بإخراجه فأخذوا بيده ليخرجوه،فقال:اللّهمّ بحقّ محمّد و علىّ و الحسن و الحسين تب علىّ.فأوحى اللّه إليه:اهبط إلى الأرض حتّى أتوب إليك (۶).

و فيه:و قد هبط آدم على الصّفا و حوّاء على المروه،فاشتقّ للجبلين هذان الاسمان (۷).و كان مكثه فى الجنّه فى ما روى سبع ساعات(من ساعات) الدنيا،روى أنّه دخلها قبل زوال الشمس و خرج قبل أن تغيب (۸).

«و تناسل الذرّيّه» «خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَهٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ»

۱- ۱) الأعراف:۲۴. [۱]

۲- ۲) طه:۱۲۲. [۲]

۳- ۳) طه:۱۲۳. [۳]

۴- ۴) البقره:۳۶-۳۷. [۴]

۵- ۵) الأعراف ۲۲-۲۳. [۵]

۶- ۶) إثبات الوصيه للمسعودى:۱۱ و ۱۱۲. [۶]

۷- ۷) إثبات الوصيه للمسعودى:۱۱ و ۱۱۲. [۷]

۸- ۸) إثبات الوصيه للمسعودى:۱۱ و ۱۱۲. [۸]

«مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَ نِساءً» (۱)، «يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ» (۲).

و روى(العلل)عن الصادق عليه السّلام أنّ آدم ولد له سبعون بطنا،فى كلّ بطن غلام و جاريه إلى أن قتل هابيل،فلمّا قتل قابيل هابيل جزع آدم عليه السّلام على هابيل جزعا قطعه عن إتيان النساء،فبقى لا يستطيع أن يغشى حواء خمسمائه عام، ثمّ تخلى ما به من الجزع عليه،فغشى حواء،فوهب اللّه له شيئا وحده ليس معه ثان،و اسم شيث هبه اللّه،و هو أوّل من أوصى إليه من الآدميين فى الأرض.ثمّ ولد له من بعد شيث يافث ليس معه ثان،فلمّا أدركا و أراد تعالى أن يبلغ بالنّسل ما ترون و أن يكون ما قد جرى به القلم من تحريم ما حرّم اللّه تعالى من الأخوات على الاخوه،أنزل بعد العصر فى يوم الخميس حوراء من الجنّه اسمها:نزله،فأمر اللّه تعالى آدم أن يزوجّها من شيث،فزوّجها منه،ثمّ أنزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنّه اسمها:منزله،فأمر اللّه تعالى آدم أن يزوّجها من يافث فزوّجها منه،فولد لشيث غلام و ولدت ليافث جاريه،فأمر اللّه تعالى آدم حين أدركا أن يزوّج بنت يافث من ابن شيث،ففعل،فولد الصفوه من النبيين و المرسلين من نسلهما،و معاذ اللّه أن يكون ذلك على ما قالوا من الإخوه و الأخوات (۳).

و الخبر خبر ابن مقاتل عمّن سمع زراره،و رواه(الفقيه)مختصرا (۴)، و توهم الخوئى أنّه خبر مسمع فحرّف«عمّن سمع»بقوله:«عن مسمع»،كما

۱- ۱) النساء:۱. [۱]

۲- ۲) الحجرات:۱۳. [۲]

۳- ۳) علل الشرائع للصدوق:۱۹ ح ۲،و [۳]قصص الأنبياء للراوندى،و [۴]عنه البحار ۱۱:۲۶۲ ح ۱۱، [۵]فى ذيل حديث.

۴- ۴) أخرجه الصدوق فى الفقيه ۲:۲۴۰ ح ۴.

توهّم أنّ ما فی(الفقیه)غیر ما فی(العلل) (۱).

۲

من الخطبه(۸۹)

فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ وَ أَنْفَذَ أَمْرَهُ- اخْتَارَ؟آدَمَ ع؟ خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ- وَ جَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ وَ أَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ- وَ أَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ- وَ أَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ- وَ أَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ- وَ الْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ- فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ- فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَهِ- لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ- وَ لِيُقِيمَ الْحُجَّهَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ «فلمّا مهد أرضه» «وَ الْأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الْماهِدُونَ » (۲).

«و أنفذ أمره» فیها بما أراد من الجبال و البحار و غیرهما .

«اختار آدم علیه السّلام خیره من خلقه» «وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَهِ إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً» ... «فَلَمّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ إِنِّی أَعْلَمُ غَیْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما کُنْتُمْ تَکْتُمُونَ » (۳).

«و جعله أوّل جبلّته» أی:خلیقته من البشر «یا أَیُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّکُمُ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَهٍ » (۴).

«و أسکنه جنّته و أرغد» أی:أوسع.

«فیها أکله» «وَ قُلْنا یا آدَمُ اسْکُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ الْجَنَّهَ وَ کُلا مِنْها رَغَداً حَیْثُ شِئْتُما» (۵).

۱- ۱) شرح الخوئی ۱:۱۷۸-۱۷۹.

۲- ۲) الذاریات:۴۸. [۱]

۳- ۳) البقره:۳۰-۳۳. [۲]

۴- ۴) النساء:۱. [۳]

۵- ۵) البقره:۳۵. [۴]

«و أوعز» أی:تقدّم.

«إلیه فی ما نهاه عنه» فی قوله تعالی لهما: «وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَهَ فَتَکُونا مِنَ الظّالِمِینَ » (۱).

«و أعلمه أنّ فی الإقدام علیه» أی:علی ما نهاه عنه.

«التعرّض لمعصیته» «وَ عَصی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوی » (۲).

«و المخاطره بمنزلته» «إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَکَ وَ لِزَوْجِکَ فَلا یُخْرِجَنَّکُما مِنَ الْجَنَّهِ فَتَشْقی » (۳).

«فأقدم علی ما نهاه عنه» «فَأَکَلا مِنْها فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَ طَفِقا یَخْصِفانِ عَلَیْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّهِ » (۴).

«موافاه لسابق علمه» یمکن أن یکون مفعولا مطلقا لقوله«فأقدم»، و الأصل(اقداما موافاه)،و أن یکون مفعولا له،من باب «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِیَکُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» (۵)لسابق علمه بجعله فی الأرض خلیفه له .

«فأهبطه بعد التوبه» مرّ فی سابقه أنّ نفس توبه آدم کانت قبل الهبوط، و إنّما وعد القبول کان بعده «ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَیْهِ وَ هَدی» (۶).

«لیعمر أرضه بنسله» و فی خبر عن الصادق علیه السّلام ما معناه:أنّ ملکا زار آدم بعد هبوطه،فلمّا رأی قلقه سلّاه ثلاثا بأن قال له:إنّ اللّه تعالی قال لنا فیک:

«إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً» (۷)،فهو خلقک لأن تکون فی الأرض

۱- ۱) البقره:۳۵. [۱]

۲- ۲) طه:۱۲۱. [۲]

۳- ۳) طه:۱۱۷. [۳]

۴- ۴) طه:۱۲۱. [۴]

۵- ۵) القصص:۸. [۵]

۶- ۶) طه:۱۲۲. [۶]

۷- ۷) البقره:۳۰. [۷]

أ يستقيم أن تكون فى السماء (۱)؟! «و ليقم الحجّه به على عباده» و فى الخبر:إنّ الحجّه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق (۲)،و لو لم يبق فى الأرض إلّا رجلان لوجب أن يكون أحدهما الحجّه (۳).

هذا،و اشتهر إجماع الإماميه على عدم جواز صدور معصيه و لو صغيره من الأنبياء و لو قبل نبوّتهم (۴)،لكن قال شيخنا المفيد فى(مقالاته):إنّ الصغيره لا يجوز منهم مع الاستخفاف مطلقا،و أمّا بدونه فجاز وقوعه منهم قبل النبوّه و على غير التعمّد (۵).

و ما قاله الصواب و عليه يحمل أكل آدم من الشجره،فإنّه لم يكن عن تعمّد،لقوله تعالى: «فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً» (۶).

و فى خبر الهروىّ عن الرّضا عليه السّلام:أمّا قوله تعالى فى آدم: «وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى» (۷)فإنّ اللّه عزّ و جلّ خلق آدم حجّه فى أرضه و خليفه فى بلاده لم يخلقه للجنّه،و كانت المعصيه من آدم فى الجنّه لا فى الأرض،و عصمته

۱- ۱) تفسير العياشى ۱:۳۲ ح ۱۰. [۱]

۲- ۲) الكافى للكلينى ۱:۱۷۷ ح ۴،و [۲]كمال الدين للصدوق:۴،و [۳]بصائر الدرجات للصفار:۵۰۷ ح ۱ [۴] عن الصادق عليه السّلام.

۳- ۳) أخرج هذا المعنى الكلينى بخمس طرق فى الكافى ۱:۱۷۹-۱۸۰ ح ۱-۵،و [۵]الصفار بأربع طرق فى البصائر: ۵۰۷-۵۰۸ ح ۲-۴،و [۶]الصدوق بثلاث طرق فى كمال الدين:۲۰۳ ح ۱۰،و:۲۳۰ ح ۳۰،و:۲۳۲ ح ۳۸،و [۷]بطريقين فى علل الشرائع:۱۹۶-۱۹۷ ح ۶ و ۱۰،و [۸]والده بطريقين فى الامامه و التبصره:۲۸ ح ۹ و:۳۰ ح ۱۳،و النعمانى بست طرق فى الغيبه:۹۰-۹۱ و [۹]غيرهم.

۴- ۴) يظهر إجماع الإماميه من عباره الصدوق فى الاعتقادات:۳۷،و المرتضى فى تنزيه الأنبياء:۲،و [۱۰]العلّامه الحلى فى كشف المراد:۲۷۴ و غيرهم،لكن صرّح المفيد فى أوائل المقالات:۶۹،و [۱۱]الطوسى فى تمهيد الاصول:۳۲۱ بأن بعض الإماميه فرّقوا بين حال النبوّه و قبلها.

۵- ۵) أوائل المقالات:۶۸،و [۱۲]النقل بالمعنى.

۶- ۶) طه:۱۱۵. [۱۳]

۷- ۷) طه:۱۲۱. [۱۴]

تجب أن تكون فی الأرض لیتمّ مقادیر أمر اللّه عزّ و جلّ،فلمّا أهبط إلی الأرض و جعل حجّه و خلیفه،عصم بقوله عزّ و جلّ: «إِنَّ اللّهَ اصْطَفی آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِیمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَی الْعالَمِینَ» (۱).

و مثله خبر ابن الجهم،عنه علیه السّلام مع زیاده:إنّ إبلیس ألبس علیهما بأنّ المراد بهذه الشجره فی خطابه تعالی الشخص لا الجنس،و حلف لهما،و ما ظنّ آدم أنّ أحدا یحلف باللّه کاذبا (۲).

۱- ۱) حدیث الهروی طویل جاء فی عیون الأخبار للصدوق ۱:۱۵۳ ح ۱،و [۱]أمالیه:۸۲ ح ۳ المجلس ۳۰،و الآیه ۳۳ [۲] من سوره آل عمران.

۲- ۲) حدیث ابن الجهم طویل جاء فی عیون الأخبار ۱:۱۵۵ ح ۱،و [۳]النقل بالمعنی.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹